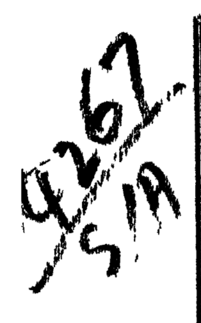


بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر آياته في قراءته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبغها فرعا وفضلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا فلا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا في سائر علومه مصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة الامة وامام الائمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة واخبار الماضين العجيبة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه ومآبه ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التأويل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكت اصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى راويه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن ابي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه بغير علامة وما لم اجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد اخرجه بسنده او انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث لم اجدها في الكتب المذكورة فاني اجتهدت في تصحيح ما خرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون انفع لقارئ هذا الكتاب واسهل على الطالب ... فانه بالغ ما دون ... من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه ان لا يعدو احد امرين ... اما شئ كان معضلا او جمعه ان كان متفرقا او شرحه ان كان غامضا او حسن نظم وتأليف او حذف حشو وتطويل وارجو ان لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت *(وسميته لباب التأويل في معاني التنزيل)* والله تعالى اسأل التوفيق لاتمام ما قصدت والاعانة في تيسير ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه انيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير اقدم مقدمة تشتمل على ثلاثة فصول

(الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعلمه) (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى ...

تحدودا الملك الذي طمست سبحات جلاله الابصار المتكبر الذي أزاحت سطوات كبريائه الافكار القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان الذي تنزه عن ... المتعالي عن مضاد ومشابهة الانداد

من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي (قوله بئسما لأحدكم) أي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه إنما كره نسبة النسيان إلى النفس لأجل أن الله تعالى هو المقدر للأشياء كلها وهو الذي أنساه إياه وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت إلى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن وقوله أشد تفصيا أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تلفتا من الإبل في عقلها أي تخلصا من العقال وهو الحبل الذي تربط به * عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبو داود الأجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام * عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر فيها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله إلى أرض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتابا إليهم فيه آية من القرآن فلا بأس من ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل ملك الروم قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين أنه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيء أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس أخرجه الترمذي * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بالقوي * عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف) (خ) عن زيد بن ثابت قال بعث إلي أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر جاءني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد فقال لي أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأيا قال فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر براءة فألحقتها في سورتها قال وكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف (خ) عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله

أسرار التنزيل مفتاح أسرار حقائق التأويل ترجمان كلام الرحمن صاحب علم المعاني والبيان الجامع بين الأصول والفروع المرجوع إليه في المعقول ... حافظ الملة والدين ... الإسلام والمسلمين

ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها في المصحف قال الترمذي وفي رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش * شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما (قوله بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة) أي لأوان قتلهم وأراد به الوقعة التي كانت باليمامة في زمن أبي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة وقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عمائر وهي في عداد أرض نجد (قوله استحر القتل) أي كثر ويشتد المكروه والحر والحد وبالى البرد شرح الصدر سعته وقبوله الخير (قوله فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع) جمع رقعة وهي التي يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفها واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة (قوله يغازي أهل الشأم) أي مع أهل الشام (في فتح ارمينية) بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير سميت بأرمين بن لنطي بن لومن بن يافث بن نوح وهو أول من نزل بها وسميت باسمه (وأذربيجان) بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله فوجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الانصاري) وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فاعلم أن المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذي كتب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بدليل قوله في الحديث قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم ولان القرآن أعاظم كانت قرؤه في صدر زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من أبو زيد قال أحد عمومتي أخرجاه في الصحيحين وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استحر القتل بقراء القرآن فثبت بمجموع هذه الأحاديث بيان أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في

وارث علوم الانبياء والمرسلين أكمل فحول المجتهدين قدوة قروم المحققين ذو السعادات والكرامات أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي نفع الله الاسلام بطول بقائه والمسلمين بيمن

مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض أحكامه فلو
جمع في مصحف واحد ثم رفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين فحفظ الله كتابه
في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان
الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا
فيه أو نقصوا منه شيأ والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف
وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم
أبي بكر فدعوه الى جمعه فرأى في ذلك رأيهم فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو أخروا شيأ أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على
الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان
هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في
ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن وقد صح في حديث ابن
عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان
وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي فيها ما بقي ولهذا أقام أبو
بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف وألزمهم الا انه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين
فكان جمع القرآن سببا لبقائه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى
سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله
عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما شاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير
ترتيبه في التلاوة والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ
باسم ربك الذي خلق ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم المدثر ثم تبت يدا أبي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم
سبح اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم
انا أعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر ثم أرأيت الذي ثم قل يا أيها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله
أحد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة البروج ثم التين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة
ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن
ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم سورة بني
اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم سبا ثم الزمر ثم المؤمن
ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية
ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم قد أفلح المؤمنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور
ثم الملك ثم الحاقة ثم سأل سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء
انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك
وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين * فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون
سورة على ما اتفقت عليه روايات الثقات وأما ما نزل بالمدينة م فاحد وثلاثون سورة فاول ما نزل بها سورة
البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم
سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن
ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم اذا جاءك المنافقون ثم المجادلة

لقائه فقد سألني من تتعين اجابته كتابا وسطا في التأويل لا يبتعد عن الوجوه الاعراب والقراآت متضمنا لدقائق علم البديع والاشارات حاليا باقاويل أهل السنة والجماعة خاليا

م قوله فاحد وثلاثون فيه ان المعدود ثلاثون لا غير نعم سيذكر أن الشورى نزلت بالمدينة على قول وعليه فهي احد وثلاثون اه

ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم الصف ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا في شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعه ان شاء الله تعالى

(فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك) (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت بقراءتي التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه (قوله فكدت أساوره في الصلاة) أي أواثبه وأقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت (قوله فلببته بردائه) هو بتشديد الباء الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه) قال العلماء سبب انزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال أبو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهي أفصح لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين أسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فأما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية أمثال بآية أحكام وقول من قال ان المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد أيضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن أبي بن كعب

عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر وأخذ السبيل الأحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة وأتممته في مدة يسيرة *(وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل)* وهو الميسر

رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا أبي أرسل الي ان أقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هون على أمتي فرد الي الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت اليه أن هون على أمتي فرد الي الثالثة ان اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية) معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذ بها (قوله ضرب في صدري ففضت عرقا) قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنما أنظر الى الله تعالى فرقا) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما أزال عنه ذلك الخاطر (قوله تعالى ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا وأما باقي الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله أعلم * وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منها ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل في معناه الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما أنزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه ولكل حد مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله أعلم

(فصل في معنى التفسير والتأويل) فأما التفسير فأصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها وأما التأويل فأصله من الأول وهو الرجوع الى الاصل يقال أولته فآل أي صرفته فانصرف وهو رد الشيء الى الغاية المرادة منه ببيان غاية المقصود منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم *(القول في الاستعاذة)* والقول المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ بالله ألتجئ اليه وأمتنع به مما أخشاه من عدو وذو الشيطان أصله من شطن أي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية والرجيم فعيل بمعنى فاعل أي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الاعلى وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسئلة الاولى) اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا

لكل عسير وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

(فاتحة الكتاب)

مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى أم القرآن للحديث قال عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بام القرآن ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله

ويستحب للقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضاً وحكي عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة أو غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب بدليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجباً ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز (وأجيب) عن قوله تعالى فاستعذ بأن معناه عند جماهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة وأجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها (المسئلة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة أو خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روي عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيراً ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث أشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولابي داود والنسائي عن أبي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمرو ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وأجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة تاماً تقدم من الادلة (المسئلة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال أحمد الاولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعاً بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضاً بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم

(تفسير سورة الفاتحة)

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفاً واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فاول ذلك) فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح القرآن بها وبها افتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة (الثاني) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث) ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شيء اصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور (الرابع) السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين (الخامس) الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها

عليه السلام حكاية عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلاة وسورة الصلاة لما روي ولانها تكون واجبة أو فريضة وسورة الحمد والاساس فانها أساس القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالاساس وآيها سبع بالاتفاق

(بسم الله الرحمن الرحيم) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها في الصلاة وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث أبي هريرة قال سمعت النبي عليه السلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة أي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور في صحاح المصابيح وما ذكروا ما ضرنا لان التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عند ما ذكره فخر الاسلام في المبسوط وانما يرد ما قالوا لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره في الكافي وتعلق الباء [illegible] واستفظ [illegible] بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركة كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله ارتحل [illegible] الباء على معنى قوله باسم الله [illegible] التسمية [illegible] محذوف [illegible]

(فصل في ذكر فضلها) (خ) عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له يا رسول الله ألم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته ورواه مالك في الموطأ عنه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها وروى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المعجمة اي صوتا كصوت فتح الباب (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وربما قال فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل (قوله فهي خداج) أي ناقصة (قوله فغمز ذراعي) أي كبس ساعدي بيده (قوله قسمت الصلاة) أراد بالصلاة القراءة لانه قسمها بها ولان القراءة ركن من أركانها او جزء من اجزائها (قوله نصفين) حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسألة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل (قوله حمدني عبدي ومجدني) أي أثنى علي لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله وربما قال فوض الي عبدي) وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره الى فلان اذا رده اليه واعتمد عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وسيأتي هذه المسألة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده [illegible] والجار والمجرور متعلق بمحذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبدأ باسم الله أو بسم الله أبدأ أو أقرأ أو [illegible] الباء في بسم الله

وأسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة وأثبت الالف فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي والصحيح المختار أن الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشيء وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشيء المسمى به فثبت بهذا أن الاسم غير المسمى وأيضا فقد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وأيضا فقوله فادعوه بها أمر أن يدعى الله تعالى بأسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به وأجيب عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المسمى بيحيى لا نفس الاسم وأجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشيء الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه أسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشيء ما علا حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكأنه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقا من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه أوسام وأجمعوا على أن تصغيره سمي وجمعه أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغيره الله وقيل هو مشتق من أله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويذرك والاهتك أي وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولهون اليه أي يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم في بلايا تنوبني ✽ فالفيتكم فيها كراما اماجدا

وقيل أصله أله يقال ألهت الى فلان أي سكنت اليه فكأن الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل أصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتحير أو بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شيء الا يسبح بحمده ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيأ بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام وأثبت الالف بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا للقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى العفو والكافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة

الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها أول سورة نزلت في قول وكان الامر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز أن يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير متعد الى مقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي بعده وباسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لانها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء التي بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وحذفت الالف في الخط هنا وأثبتت في قوله اقرأ باسم ربك لانه اجتمع فيها أي في التسمية مع أنها تسقط في اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عن حذفها وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الاله ونظيره الناس أصله الاناس حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف والاله من أسماء الاجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما ان النجم اسم لكل كوكب

للؤمن ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب وارادة الخير والاحسان الرحمن لا يستحق الموصوف الا ان المتشابهات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق

(فصل في حكم البسملة) وفيه مسئلتان (الاولى) في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد في احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك وأبو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة زاد أبو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض آية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة والشافعي قول انها ليست من أوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة فأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان أول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في أولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور ومنها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص أربع آيات ولو كانت البسملة منها لكانت خمسا وأما حجة من ذهب الى اثباتها في أوائل السور من جهة النقل فقد صح عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما ابن خزيمة وغيره وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السور وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم وأخرج مسلم في افراده عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة

[illegible]

[illegible]

في اسم موصوفهم او لا الاعجمي [illegible] واشتقاق هذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل وقيل حقيق الاشتقاق ان يتكلم المشتق المعنى والحسن بهذه الصفة لانه والصفة قولهم أله اذا تحير يتحيرهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم أله يأله الها اذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أي معبود كقوله هذا خلق الله أي مخلوقه وتفخم لامه اذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترقق اذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخمها بكل حال والجمهور على الاول والرحمن فعلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لان في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان أبلغ والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى يقال فلان عالم ذو فنون نحرير لانه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ورحمة الله انعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر في مسيلمة * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا * فباب من تعنتهم في كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم ان الشرط انتفاء فعلانة اذ ليس له فعلانة ومن زعم ان الشرط وجود فعلى صرفه اذ ليس له فعلى والاول الوجه

عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن وللسورة التي بعدها وأخبر بمعناه أنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن وفي القراءة أيضا روي من حديث أنس أنه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الأدلة المتقدمة أن البسملة آية من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فان جميع الصحابة اتفقوا على اثباتها في المصاحف مع أنهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتجريده عما ليس منه أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد أنه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

(المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار) اذا ثبت بما تقدم من الادلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك ويحكى أيضا عن ابن المبارك وأبي ثور وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم أما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن أنس وهي في الصحيح وهي معللة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال أما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال ليس في رواته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك قال الشيخ أبو شامة أي لا يماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن أبي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلوي أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك وقال أنس بن مالك ما آلوي أن أقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات قلت وفي الباب أحاديث وأدلة وايرادات وأجوبة من

(الحمد) الوصف بالجميل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء وأصله النصب وقد قرئ باضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لله) واللام متعلقة بمحذوف أي واجب أو ثابت وقيل الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وحسبه وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال * أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا أي القلب والحمد باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الافضال والحمد (١٦) يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لانه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسئلة خلق الافعال وقد حققته في مواضع (رب العالمين) الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه ربا فهو رب ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد [illegible] قال ارجع الى ربك وقال الواسطي هو الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الاعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض أو كل موجود سوى الله تعالى سمي به لانه علم على وجوده واسم جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام لما فيه من معنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم (الرحمن الرحيم) ذكرهما اقامة [illegible] ودليل على ان التسمية ليست من الفاتحة اذ لو كانت منها لما اعادهما لخلو الاعادة عن الافادة (مالك) قرئ ملك والاختيار عند البعض لاستغنائه عن الاضافة ولقوله لمن الملك اليوم ولان كل ملك مالك ولا ينعكس [illegible] مالك لانه أكثر ثوابا وأوفر أجرا [illegible] (يوم الدين) أي يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى وهذه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع [illegible] أهل الدار أي مالك الامر كله في يوم الدين [illegible] لله وحده [illegible] معرفة [illegible] الاضافة حقيقية [illegible] أن يكون صفة للمعرفة [illegible] الاوصاف [illegible]

[illegible]

الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية والله التوفيق قوله عز وجل (الحمد لله) لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر أي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح أخوان وقيل بينهما فرق وهو أن المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه وأما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد أعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد نقيض الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أي مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا أتمها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل ان لله ألف عالم ستمائة عالم في البحر وأربعمائة في البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء [illegible] واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق [illegible] (الرحمن الرحيم) فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنسه من العباد ولا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم [illegible] رحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا * [illegible] كفرهم وبالغوا في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا [illegible] ذكر الرحمن الرحيم [illegible] ليعلم ان العناية بالرحمة أكثر من غيرها [illegible] أكثر فبين سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه قوله تعالى (مالك يوم الدين) يعني انه تعالى مالك ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء [illegible]

ان من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه (اياك نعبد واياك نستعين) ايا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر أضيف ايا اليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل عن الغيبة الى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن أبي الاسود فالتفت في الابيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءني والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب ادخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه واملأ لاستلذاذ اصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ماهم ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يامن هذه صفاته نعبد ونستعين لاغيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب الى الاجابة أو لنظم الآى كما قدم الرحمن وان كان الابلغ لا يتقدم وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادات ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا (اهدنا الصراط المستقيم) أى ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى أعود اليك أى اثبت على ما أنت عليه أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهدى يتعدى بنفسه بمفعول واحد وأما تعديته الى مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الآية وقد جاء متعديا باللام وبالى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هداني ربي الى صراط مستقيم والسراط الجادة من سرط الشئ اذا ابتلعه كأنه يسرط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا [illegible] الطاء في الاطباق [illegible] الصاد صوت الزاى لان الزاى الى الطاء أقرب لانهما [illegible] كاهم [illegible] هو لغة قريش وهي الثابتة

وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك أوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون ملكا للشئ الا وهو يملكه وقد يكون مالكا للشئ ولا يملكه وقيل ملك أولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان أى قهرته فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة ﴿قوله تعالى (اياك نعبد) رجع من الخبر الى الخطاب وفائدته أن ذلك من أول السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والطلب في الدعاء أولى وقيل فيه مضمر أى قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا أعبد أحدا سواك والعبادة بهذا التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم وهي ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هدايته الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له (واياك نستعين) أى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم أخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكروا فيه وجوها أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كأن العبد يقول شرعت في العبادة فأنا أستعين بك على اتمامها فلا تمنعني من اتمامها بمانع الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فأردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة (اهدنا الصراط المستقيم) أى أرشدنا وقيل بين لنا وقيل ثبتنا كما تقول للقائم قم حتى أعود اليك معناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهداية من الله لا تتناهى وهذا مذهب أهل السنة الصراط الطريق قال جرير

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

أى على طريق حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة

في المصحف الامامي ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط وهو في حكم تكرير العامل وفائدته التأكيد والاشعار بان الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده هم المؤمنون والانبياء عليهم السلام أو قوم موسى قبل أن يغيروا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين أنعمت عليهم يعني (١٨) ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة الذين يعني أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال وانما ساغ وقوعه صفة الذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالاضافة لانه اذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ولان الذين قريب من النكرة لانه لم يرد به قوم باعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له باضافته لكل واحد منهما ففيه ابهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على ما تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير * آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد اسم لأمهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبني وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الاصل والمد باشباع الهمزة قال يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا * وقال عليه السلام لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن [illegible]

والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة (صراط الذين أنعمت عليهم) هذا بدل من الاول أي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته (غير المغضوب عليهم) يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين (ولا الضالين) أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال أخرجه الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله أعلم

(فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان) *(الاولى)* السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال في القصر * امين فزاد الله ما بيننا بعدا * ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآفات (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الامام فامنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله من وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم في وقت التأمين فامن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ما تقدم من ذنبه) يعني تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صفة تأمينه صلى الله عليه وسلم

(المسئلة الثانية في حكم الفاتحة) اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب الثوري والشافعي وأحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها تتعين في الصلاة ولا تجزئ الا بها واحتجوا بما روي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة الى أن الفاتحة لا تتعين [illegible] الواجب [illegible] من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] حديث الاعرابي المسيء صلاته ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين [illegible] الجمهور [illegible] قدم

(سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست أو سبع وثمانون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم الم) ونظائرها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فالقاف تدل على أول حروف قال والالف تدل على أوسط حروف قال واللام تدل على الحرف الاخير منه وكذلك ما أشبهها والدليل على انها أسماء ان كلا منها يدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهي معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيره من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وقيل انها مبنية كالاصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على انها أسماء السور وقال ابن عباس رضي الله عنهما أقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضي الله عنه انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله وقيل حيث معجمة لا يعلمها الا امامها وقيل ورود هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجز واعنه عن (١٩) آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام الا لانه ليس من كلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزل وقيل انما وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فانه مختص بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيأ من أهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن يضاهيهم في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوته واعلم ان المذكور في الفواتح نصف أسامي حروف المعجم وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي مشتملة على انصاف اجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الاجناس

من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه أبو داود وأجيب عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

(تفسير سورة البقرة)

قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف

(فصل في فضلها) (م) عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة (قوله اقرؤا الزهراوين) سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر (قوله كأنهما غمامتان أو غيايتان) قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغبرة ونحوهما والمعنى ان ثوابهما يأتي كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران يحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبينا يقال أبطل اذا جاء بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور وانه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الم) قيل ان حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فنحن

مكثورة بالمذكورة منه أوقفه على أنصاف معظم التهجي بل المنزلة كله فكأن الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة على السور لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير أوصل الى الغرض وكذا كل تكرير ورد في القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره ولم يجئ على وتيرة واحدة بل اختلفت أعداد حروفها فجاء ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام وكانت أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف فسلك في الفواتح هذا المسلك والم آية حيث وقعت وكذا المص آية والمر لم تعد (٢٠) آية وكذا الر لم تعد آية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية وص ون وق ثلاثتها لم تعد آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيأ منها آية وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل أسماء السور ونعق بها كما ينعق بالاصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله أي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم ولهذه الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها أسماء السور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء أو النصب أو الجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء السور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأ بها المفردات المعدودة (ذلك الكتاب) أي ذلك الكتاب الذي وعد به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام أو ذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه بالتذكير والتأنيث وان كان صفته فالاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هذا ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم جملة وذلك الكتاب

تؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وأورد على هذا القول بأنه لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يعلمون وأجيب عنه بأنه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال آخرون من أهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها كما قال الراجز

قلت لها قفي فقالت قاف * لا تحسبي أنا نسينا الايجاف

قولها قاف أي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير قال ابن عباس الم أنا الله أعلم وقيل هي أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم ألا ترى أنك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم نهتد الى تأليفها جميعا وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي أقسام فقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مبادي كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها وهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله وفي آية بعشر سور مثله عجزوا عنه أنزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وأنتم قادرون عليها فكان يجب أن تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجيء به محمد فاذا أصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سبب ايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لاحد الى معرفة حقائق خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة حقيقة خطابه واعلم أن مجموع الاحرف المستعملة في أوائل السور أربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهي نصف حروف المعجم وسيأتي الكلام على باقيها في مواضعها ان شاء الله تعالى ﴿ وقوله تعالى (ذلك الكتاب) أي هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به وقيل ان الله وعد بني اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من ولد اسماعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible] الكتاب أي ذلك الكتاب الذي هو الكتاب الكامل (لا ريب) [illegible]
[illegible] اذا حصل فيه الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان
الصدق طمأنينة أي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو
ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وانما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لان المنفي كونه متعلقا للريب بمعنى
انه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه لا ان أحدا لا يرتاب وانما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لان
المراد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق لا باطل كما يزعم الكفار ولو أولى الظرف لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه
ريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي والوقف على فيه هو المشهور
وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا والتقدير لا ريب فيه (فيه هدى) فيه باشباع كل هاء مكسورة وافقه
حفص في فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت به ومن عنده وفي دارهم كما يقال في دارهو ومن عندهو ووجب أن لا يقال فيه وقال سيبويه ما قبله مؤد
الى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء والياء اذ الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والخفي
قريب من الساكن والياء بعد هاء الهدى مصدر على فعل كالبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى (للمتقين) والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ولانه سماهم عند مشارفتهم لاكتساب لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس رضي الله عنهما اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمى
المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى الضالين لانهم فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى
وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع ان فيه تصديرا للسورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله والمتقي في اللغة اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى وفاؤه واو ولامه ياء واذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها في التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وفي
الشرع الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو
النصب على الحال من الهاء في فيه والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يقال ان قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف
عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه أولا على
انه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب
فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال في حجة تتبختر

وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير أنزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب أي هذا الكتاب
الذي وعدتك به على لسان موسى ان أنزله على النبي الذي هو من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب
وأصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها
الى بعض والكتاب اسم من أسماء القرآن (لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق
وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب فيه قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه في
نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقته ذلك (هدى للمتقين) الهدى عبارة عن الدلالة وقيل دلالة
بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من
وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم
وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو
مأخوذ من الاتقاء وأصلها الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث
كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو وكأن المتقي يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين
النار وقال المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض وقيل
التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك
وقيل التقوى الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله
يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا بأس به حذرا مما به باس وخص المتقين
بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز ولانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين
فضل الا قوله تعالى هدى للمتقين لكفاهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو
كقولك للعزيز الكريم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا

انضياسلوف شبهة تتضامل افتصلبهاثم أخبرعنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لايحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المطلوب بألطف وجه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع (٢٢) الوصف الذي هو هاد كأنه نفسه هدا ية وايراده منكرا ففيه اشعار بأنه هدى لا يكتنه كنهه والايجاز فيذكر المتقين كما مر (الذين) في موضع رفع أو نصب على المدح أي هم الذين يؤمنون أو أعني الذين يؤمنون أو هو مبتدأ وخبره أولئك على هدى أو جر على انه صفة للمتقين وهي صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما استت عليه حال المتقين من الايمان الذي هو أساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى ان النبي عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما في ذلك من الانصاح عن فضل هاتين العبادتين أو صفة مسرودة مع المتقين [illegible] ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيئات

(يؤمنون) يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم آمنه أي صدقه وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معنى أقر واعترف (بالغيب) بما غاب عنهم مما أنبأهم به النبي عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به [illegible] والايمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل في الايمان

الصراط المستقيم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بالغيب وأصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه أخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمنا أم لا فيه خلاف والمختار عند أهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان أو كمال الايمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي أهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين أصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين أقوى وأثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق أبي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجاه في الصحيحين البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشيء واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحياء بالمد هو انقباض النفس عن عمل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها اذا ولدت الامة ربها فذلك من أشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من أشراطها واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذلك من أشراطها وخمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي هذا الرجل فأخذوا ليردوه فلم يروا شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث بمعناه وقد تقدم الكلام

(ويقيمون الصلاة) أي يؤدونها بحدودها وأركانها وقيل يداومون عليها في مواقيتها والمراد بالصلاة الصلوات الخمس والصلاة في الأصل بمعنى القيام بها على أكمل الوجوه والحافظة عليها من قامت السوق إذا نفقت لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين أي الأليتين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده وقيل للداعي مصل تشبيهاً له في تخشعه بالراكع والساجد (ومما رزقناهم) أعطيناهم وما بمعنى الذي (ينفقون) يتصدقون أدخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة (٢٣) لاقترانه بالصلاة التي هي أختها أو هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقاً وأنفق الشيء وأنفده أخوان كنفق الشيء ونفد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة (والذين يؤمنون) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك أو المراد به وصف الأولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وقوله إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل إليك) يعني القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم لأن الإيمان بالجميع واجب وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد ولأنه إذا كان بعضه نازلاً وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل (وما أنزل من قبلك) يعني سائر الكتب المنزلة على النبيين (وبالآخرة) وهي تأنيث الآخر الذي هو ضد الأول وهي صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام

على معنى الإيمان والإسلام وبقي أشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً أي ظاهراً وقوله أن تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فإن اللقاء يحصل بمجرد الانتقال إلى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالآخر وجه آخر وهو أن خروجه إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه من القبر إلى الآخرة بعث آخر قوله ما الإحسان هو هنا الإخلاص في العمل وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام لأن من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسناً وقيل أراد بالإحسان المراقبة وحسن الطاعة فإن من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها قوله إذا ولدت الأمة ربها يعني سيدها والمعنى أن الرجل تكون له الأمة فتلد له ولداً فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء أصحاب الماشية البهم وهي الصغار من أولاد الضأن والمعنى أنه يبسط المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس فذلك من أشراط الساعة والله أعلم * قوله تعالى بالغيب الغيب ها هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيباً عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل الآخرة وقيل الوحي وقيل القدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه إلى قوله وأولئك هم المفلحون (ويقيمون الصلاة) أي يداومون عليها في مواقيتها بحدودها وإتمام أركانها وحفظها من أن يقع فيها خلل في فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أي ادع لهم وأصله من صليت العود إذا لينته لأن المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود مع النية (ومما رزقناهم) أي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب (ينفقون) أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه الإنفاق الواجب كالزكاة والنذر والإنفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والإنفاق في الجهاد إذا وجب عليه والإنفاق في المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الإخوان ونحو ذلك وإنما أدخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفاً عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الإنفاق (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) أي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الأنبياء من قبل كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء كلها ويجب الإيمان بذلك كله (وبالآخرة) يعني وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وقيل لأنها بعدها

(هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أولئك على هدى) الجملة في موضع الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ويجوز أن يجرى الموصول الاول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى (من ربهم) أي أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أي هدى ونحوه ولقد وقعت على لحم أي على لحم عظيم (وأولئك هم المفلحون) أي الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا اذ الفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره ففيه تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة ولما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على أثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى فقوله (ان الذين كفروا) الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب يدل على الستر ولذا سمي الزراع كافرا وكذا الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة لذكر الكتاب لا للاخبار عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار فبين الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه وان كان مبتدأ على تقدير فهو كالجاري عليه والمراد بالذين كفروا أناس بأعيانهم علم الله انهم لا يؤمنون كأبي جهل وأبي لهب واضرابهما (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء أي مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه أو يكون سواء خبرا مقدما وأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء أي سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان واعلم ان الاخبار عن الفعل مع انه خبر ابدا لانه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد [illegible]

(هم يوقنون) من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة (أولئك) أي الذين هذه صفتهم (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة (وأولئك هم المفلحون) أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب أي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر لو كان حي مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة والفوز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل * ان الحديد بالحديد يفلح * أي يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين فأما التي في الكفار فقوله تعالى (ان الذين كفروا) أي جحدوا وأنكروا وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر * في ليلة كفر النجوم غمامها * أي سترها والكفر على أربعة أضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعره

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيأ مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود (سواء عليهم) أي متساو لديهم (أأنذرتهم) أي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم

[illegible] الاستفهام [illegible] على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة بمعنى الاختصاص
حرفه على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي
(لا يؤمنون) جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبر لان والجملة قبلها اعتراض أو خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم بالاصرار اقامة الحجة
وليكون الارسال عاما وليثاب الرسول (ختم الله على قلوبهم) قال الزجاج الختم التغطية لان في الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه تغطية له
لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر
ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه وعند
المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز
والخاتم في الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب فيقال بنى الامير المدينة لان
للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء
مجازا لمشابهتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسئلة خلق الافعال (وعلى سمعهم)
وحد السمع كما وحد البطن في قوله * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * لامن اللبس ولان السمع

مصدر في أصله يقال سمعت الشئ سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل المضاف محذوف أي وعلى مواضع سمعهم وقرئ على اسماعهم (وعلى أبصارهم غشاوة) بالرفع خبر ومبتدأ والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي كما ان البصيرة نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع داخلة في حكم
الختم لا في حكم التغشية لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة
باضمار جعل وتنكيرها لما في قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين قال الشيخ الامام أبو منصور بن علي رحمه الله الكافر لما لم
يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لا بد له من صانع جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن
ذلك حقيقة وهذا دليل على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه أخبر انه ختم على قلوبهم ولا
شك ان ترك الختم أصلح لهم (ولهم عذاب عظيم) العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشئ اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه
والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان
في الجثة والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير ان على أبصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس
وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوبا وألسنة ثم ثلث بالمنافقين
الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار وقال [illegible] وآيتان في ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين نعى عليهم

وليس كل معلم منذرا (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة
العذاب في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى (ختم الله على
قلوبهم) أي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشئ لكي
لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر
لما سبق في علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم (وعلى سمعهم) أي وختم على
موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه كأنها استوثق منها بالختم
أيضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى
أبصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج أي وجعل على أبصارهم غشاوة
فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة وقيل
الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويشق عليه
وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد
الحقير * قوله عز وجل (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب
ابن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايمان ويقر به
وينكره بقلبه ويصر على حال ويمسي على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال
الشاعر * وسميت انسانا لانك ناسي * وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله (وباليوم الآخر) أي

[illegible]

[illegible] أنه قيل ومن الناس [illegible] الايمان [illegible]

[illegible] لا ينقطع وانما سمي بالآخر لتأخره عن الأوقات المنقضية [illegible] المحدود [illegible]

[illegible] وأهل النار النار لانهم أو هو من الحشر إلى ما لا ينتهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الأوقات المحدودة والمراد بهذا القائل انهم أحاطوا بجانبي الايمان أوله وآخره [illegible]

ويجمع المسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالنشر والبعث من القبور والحشر [illegible]

أحوال الآخرة وفي تكرير الباء اشارة إلى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وانما طابق قوله (وما هم بمؤمنين)

وهو في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهو في ذكر شأن الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا [illegible]

[illegible] وهو اخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ

من قوله وما يخرجون منها وأطلق الايمان في الثاني بعد تقييده في الاول لانه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور (٢٦)

عليه ويحتمل أن يراد نفي أصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور أولا والآية تنفي قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير لانه نفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم وتؤيد قول أهل السنة انه اقرار اللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء في خبر ما مؤكدة للنفي لانه يستدل به السامع على الجحد اذا غفل عن أول الكلام ووحد اللفظ فاذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظرا الى معناه

وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا آخر قال الله تعالى ردا على المنافقين (وما هم بمؤمنين) نفى عنهم الايمان بالكلية (يخادعون الله والذين آمنوا) أي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر وأصله في اللغة الاخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة فان قلت المخادعة مفاعلة وهي تقتضي في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن أن يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشأنه وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم وتجرى عليهم أحكام الاسلام في الظاهر وهم على خلافه في الباطن (وما يخادعون الا أنفسهم) أي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه ولا يكونون في الحقيقة الا خادعين أنفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشيء وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن (وما يشعرون) أي

(يخادعون الله) أي رسول الله فحذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله أبو علي رحمه الله وغيره أي يظهرون غير ما في أنفسهم فالخداع اظهار غير ما في النفس وقد رفع الله منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا في اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف كأنه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع من سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم و[illegible] الغنائم وغير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على بمؤمنين لانه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين [illegible] في الاصح كقولك ما هو برجل كاذب والمراد نفي الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالا من الضمير في بمؤمنين والعامل اسم الفاعل فيها والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا تقف والوجه الاول (والذين آمنوا) أي يخادعون رسول الله والمؤمنين باظهار الايمان واضمار الكفر (وما يخدعون الا أنفسهم) أي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب في الآخرة يرجع اليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم وما يخادعون أبو عمرو ونافع ومكي للمطابقة وعذر الاولين ان خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لان النفس بهما وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالانفس هنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم (وما يشعرون) ان حاصل خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار [illegible]

(النفاق) أي شك ونفاق لان الشك تردد بين الامرين والمنافق مترددحقيقة لشمول المنافق كل التشبه المتلاف والمرض حقيقة الحياة والموت ولان المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فيطلق المرض انما لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب (فزادهم الله مرضا) أي ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به مطلق النفاق في سائر البقاع مطلق أمثاله كما عرف في زيادة الاعمال (ولهم عذاب أليم) فعيل بمعنى مفعل أي مؤلم (بما كانوا يكذبون) كوفي أي بكذبهم فيقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وسائر القراء يعني المصدرية والتكذيب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أي بتكذيبهم النبي عليه السلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق وتقليرها بان الشيء بين (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لا تشعر لانك ومن الناس من اذا قيل لهم (لا تفسدوا في الارض) لكان معنى والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالؤنهم على المسلمين بافشاء أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم (قالوا انما نحن مصلحون) بين المؤمنين والكافرين (٢٧) بالمداراة يعني ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب وما كافة لانها تكفها عن العمل (الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) أنهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي أفاد تحققا كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في ألا وان من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) نصحوهم من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام فكان من جوابهم ان سفهوهم لتمادي جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وانما صح اسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا مع ان اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد الى لفظ الفعل والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكأنه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام نحو قولهم زعموا مطية الكذب وما في كما كافة كما في ربما أو مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام واشياعه أي كما آمن أصحابكم واخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الانسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف في كما في موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف أي ايمانا مثل ايمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام في أنؤمن للانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم هم السفهاء وانما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة أما النفاق وما

لا يعلمون انه بالخداع لهم راجع عليهم (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) يعني ان الآيات كانت تنزل تترى أي آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف أي بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين (واذا قيل لهم) يعني المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا في الارض) أي بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (قالوا انما نحن مصلحون) يعني يقولونه كذبا (ألا) كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب (انهم هم المفسدون) يعني في الارض بالكفر وهو أشد الفساد (ولكن لا يشعرون) وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب (واذا قيل لهم) يعني المنافقين وقيل اليهود (آمنوا كما آمن الناس) يعني المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب والمعنى أخلصوا في ايمانكم كما أخلص هؤلاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجهال فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين وأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله (الا انهم هم السفهاء) يعني الجهال وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء ورؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء (ولكن لا يعلمون) يعني انهم

فى الارض فاسد مبنى على الفتحات ظهير كالصور ومن والسفهاء تنبيها انهم هم اصل أو بينته أو السفهاء تخبر هم والجملة خبر ان (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وطرز أو وجيد فسكر صماتكم واذا ألقيه يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه الآية الاولى فى بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه الصادقين وايهامهم انهم معهم (وإذا خلوا الى شياطينهم) خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه وبالى أبلغ لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء أى اذا انهوا من المؤمنين الى شياطينهم ويجوز فى الى ان يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه ان نون الشياطين اصلية بدليل قولهم تشيطن ووزنه فيعال وكذا اشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير أومن شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل (قالوا انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم فى خطابهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الايمان منهم لا فى ادعاء انهم أوحديون فى الايمان اما لان أنفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار وأما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم رائجا عنهم فكان مظنة التحقيق ومئنة التأكيد وقوله (انما نحن مستهزءون) تأكيد لقوله انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تأكيد لثباته أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم انا معكم ان كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستئناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون (ويمدهم) اى يمهلهم عن الزجاج (فى طغيانهم) فى غلوهم فى كفرهم (يعمهون) حال أى يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسئلة الاصلح (أولئك) مبتدأ خبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى استبدلوها به واختاروها عليه وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانها فى قوم آمنوا ثم كفروا أو فى اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم

كذلك ۞ قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا) يعنى هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار (قالوا آمنا) كايمانكم (وإذا خلوا) أى رجعوا وقيل هو من الخلوة (الى) قيل بمعنى الباء أى بـ(شياطينهم) وقيل بمعنى مع أى مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين فى تمردهم (قالوا انا معكم) أى على دينكم (انما نحن مستهزءون) أى بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبى لاصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبى بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن انى لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فأثنوا عليه خيرا (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه فى مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار (ويمدهم) أى يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتى المد فى الشر والامداد فى الخير (فى طغيانهم) أى فى ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد (يعمهون) أى يترددون فى الضلالة متحيرين (أولئك) يعنى المنافقين (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى استبدلوا الكفر بالايمان وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه فى أيديهم فاذا

[illegible] وانه [illegible] لتمكنهم منه [illegible] تركوه بالضلالة [illegible] الربح [illegible] الا انهم [illegible]
خطأ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم ومعنى ذلك شراء مفصولا دليلا الناعلى أن من أخذ شيئا من غيره وترك في مقابلته ونحوه
فقد اشتراه وان لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين (فما
ربحت تجارتهم) الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشترى للربح واسناد الربح الى التجارة من الاسناد
المجازى ومعناه فما ربحوا في تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا كقوله
ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش في وكريه جاش له صدرى * لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر
التعشيش والوكر (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر والمعنى ان مطلوب
التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا
باصابة الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين صفة واولئك فما
ربحت تجارتهم الى آخر الآية في محل الرفع خبراً ولئك (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في
الكشف وتتميما للبيان ولضرب الامثال في ابراز خفيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق (٢٩) تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك في الكتب
السماوية ومن سور
الانجيل سورة الامثال
والمثل في أصل كلامهم هو
المثل وهو النظير يقال
مثل ومثل ومثيل كشبه
وشبه وشبيه ثم قيل للقول
السائر الممثل مضربه بمورده
مثل ولم يضربوا مثلا الا
قولا فيه غرابة ولذا حوفظ
عليه فلا يغير وقد استعير
المثل للحال او الصفة او
القصة اذا كان لها شأن
وفيها غرابة كأنه قيل
حالهم العجيبة الشأن
كحال الذي استوقد نارا
وكذلك قوله مثل الجنة
التي وعد المتقون اي فيما
قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ووضع
الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا اولا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذي استوقد نارا على
أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد أوقد
ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما أضاءت ما حوله)
الاضاءة فرط الانارة ومصداقه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة
الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء وجواب فلما (ذهب الله بنورهم) وهو ظرف زمان والعامل
فيه جوابه مثل اذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيأ ثابتا حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل
على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى
أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور أبلغ
لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا ألا ترى
كيف ذكر عقيبه (وتركهم في ظلمات) والظلمة عرض ينافي النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى
فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب

تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء (فما ربحت
تجارتهم) اي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح الى التجارة لان الربح
فيها يكون (وما كانوا مهتدين) أي مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما أضاعوه
واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم ۞ قوله عز وجل (مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا) المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما
الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر
الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب
ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك
هو النهاية في الايضاح وشرطه أن يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا لينتفع
بها (فلما أضاءت) يعني النار (ما حوله) يعني حول المستوقد (ذهب الله بنورهم) فان قلت كيف وحد
أولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم
قصة المستوقد وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد نارا (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)
قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ
ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة خائفا متحيرا فكذلك حال المنافقين
أظهروا كلمة الايمان فأمنوا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم
فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان

[illegible]

[illegible] المستوقد [illegible]

[illegible] الكفر [illegible] آذانهم [illegible] ألسنتهم [illegible]

النفاق [illegible] ولذ بتفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى [illegible]

التمثيل [illegible] المستوقد الضلالة التي اشتروها وبذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات

[illegible] (صم بكم عمى) [illegible] كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم [illegible]

[illegible] ينظروا أو يتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما [illegible] وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان [illegible]

[illegible] الا أن هذا في الصفات وذلك في الأسماء وما في الآية تشبيه بليغ في الأصح لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة

انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى

الكلام (فهم لا يرجعون) لا يعودون الى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها أو تنزع الى رجوع الى التبين [illegible] (٣٠)

أو أراد أنهم متحيرون بقوا خامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) ثنى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الاسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة أهل الاسلام

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر أو على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور أن النور أبلغ الاشياء في الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لأن الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احداها ان المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكأنهم لما أقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال (صم) أي عن سماع الحق لأنهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه (بكم) أي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه (عمى) أي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو أعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه كما قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ✻ وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

(فهم لا يرجعون) أي عن ضلالتهم ونفاقهم ۞ قوله تعالى (أو كصيب) أي كأصحاب صيب وهو المطر وكل ما نزل من الأعلى الى الأسفل فهو صيب (من السماء) أي من السحاب لأن كل ما علاك فأظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من أبخرة الارض فأبطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من أبخرة الارض كما زعم الحكماء (فيه) أي الصيب (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) هو الصوت الذي يسمع من السحاب (وبرق) يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم

بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوي لدلالة يجعلون عليه والمراد كمثل قوم أخذتهم [illegible] السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه أشياء بأشياء الا أنه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح في قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بل جاء به مطويا ذكره على سنن الاستعارة والصحيح ان التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بيانه ان العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فالمراد تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا وكذلك لما وصف [illegible] وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد

[illegible]

[illegible] الذي هم بدءوا بحيث لا يستبان مثل هذا من الاحوال الى الاشتباه حيث [illegible] احد التمثيلين [illegible]

شيئين فصاعدا للشك عند البعض ثم استعيرت لمجرد التساوي كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد انهما سيان [illegible]

وقوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي الآثم والكفور سيان في وجوب العصيان وكذا هنا معناه ان كيفية [illegible]

لكيفية هاتين القصتين وان الكيفيتين سواء في استقلال كل واحد منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فانت مصيب [illegible]

فكذلك والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع ويقال السحاب صيب أيضا وتنكير صيب لانه نوع من المطر شديد [illegible]

التمثيل الاول والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف والفائدة في ذكر السماء والصيب لا يكون الا من السماء انه [illegible]

معرفة فأفاده انه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها [illegible]

التعريف للمبالغة كما في تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه دليل على ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه وقيل انه يأخذه من البحر

ويرتفع ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لانه قد قوي لكونه صفة للصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه

والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه أو ملك يسوق السحاب والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع

والضمير في فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فان أريد به السحاب فظلماته اذا كان اسحم مطبقا ظلمة سحمته وتطبيقه

مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا

للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان أريد به المطر لانهما ملتبسان به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما مصدران في الاصل

يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا فروعي حكم الاصل بان ترك جمعهما ونكرت هذه (٣١) الاشياء لان المراد انواع منها كأنه قيل

فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يجعلون أصابعهم في آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وان كان محذوفا كما في قوله أو هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر

ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبدد جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (حذر الموت) اي مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) أي عالم بهم وقيل يجمعهم ويعذبهم (يكاد البرق) أي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف أبصارهم) أي يختلسها والخطف استلاب الشيء بسرعة (كلما) أي متى ما جاء [1] (أضاء لهم) يعني البرق (مشوا فيه) أي

الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف أبصارهم واعاد ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤس الاصابع هي التي تجعل في الآذان اتساعا كقوله فاقطعوا أيديهما والمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل وانما لم يذكر الاصبع الخاص الذي تسد به الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة (من الصواعق) متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا أتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو نصفها ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته فصعق أي مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق (حذر الموت) مفعول له والموت فساد بنية الحيوان أو عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة (والله محيط بالكافرين) يعني أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها (يكاد البرق يخطف أبصارهم) الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد (كلما أضاء لهم) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف أي كل وقت أضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو (مشوا فيه) أي في ضوئه وهو استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين كشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين وأضاءه متعد أي كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه

[1] قوله أي متى ما جاء هكذا في جميع النسخ التي بايدينا ولم نظهر لما فائدة فجاء فله لها زائدة وكذا قوله فيما بعده [illegible] أن يخطف أبصارهم [illegible] من الضمير في يكاد في الآية [illegible]

والمشي جهة معروفة أو غير متعد أي كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملتقى ضوئه ... الحركة فالمشي مستلزم ... وهو مشي قلة الزاد فهو مطلوب (وإذا أظلم عليهم) أظلم غير متعد وقد جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ... فالا انهم حراص على وجود ما همهم به صعب ... من امكان المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس لهم تردد في ذلك التوقف (قاموا) وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء اذا جمد (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) بقصيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله • فلو شئت أن أبكي دما لبكيته • عليه ولكن ساحة الصبر أوسع • وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لو أراد الله أن يتخذ ولدا (ان الله على كل شيء قدير) أي ان الله قادر على كل شيء لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها (٣٢) أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال (يا أيها الناس) قال علقمة ما في القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا أيها الذين آمنوا فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء البعيد وأي والهمزة للقريب ثم استعمل في مناداة من غفل وسها وان قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فاذا نودي به القريب المقاطن فذلك التوكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معتنى به جدا وقول الداعي يا رب وهو أقرب اليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته وأي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما أن ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه يا أي والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف الا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض مما يستحقه أي من الاضافة وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة لان ما نادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ (اعبدوا ربكم) وحدوه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القرآن فهي توحيد (الذي خلقكم) صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الآلهة أربابا والخلق ايجاد المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة ايجاد الشيء على تقدير واستواء وهذا بناء على أن المعدوم شيء عندهم لان الشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود خلقكم بالادغام أبو عمرو (والذين من قبلكم) احتج عليهم بانه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم ان كنتم مقرين بانه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الاصنام (لعلكم تتقون)

في اضاءته ونوره (واذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا متحيرين وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما أن المطر حياة الارض والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن يميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون أصابعهم في آذانهم يعني المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما أضاء لهم يعني المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا أظلم عليهم قاموا يعني اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) أي بصوت الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق وقيل لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة (ان الله على كل شيء قدير) أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل (يا أيها الناس) قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لاهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين (اعبدوا ربكم) قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى (الذي خلقكم) أي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق (والذين من قبلكم) أي وخلق الذين من قبلكم (لعلكم) لعل وعسى حرفا ترج وهما أي كل منهما من الله واجب (تتقون) أي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم

أى ما طمعتم وأعلى بيانا أن تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل للترجي والاطماع ولكنه اطماع من كريم فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيبويه وقال قطرب هو بمعنى كى أى لكى تتقوا (الذى جعل لكم الارض) أى صير ومحل الذى نصب على المدح أو رفع باضمار هو (فراشا) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة أو كرية اذ الافتراش ممكن على التقديرين (والسماء بناء) سقفا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمى به المبنى (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فأخرج به) بالماء تم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وايجاده ولكن جعل الماء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على انشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن فى (من الثمرات) للتبعيض أو للبيان (رزقا) مفعول له ان كانت للتبعيض ومفعول به لاخرج ان كانت للبيان وانما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لان المراد جماعة الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية (لكم) صفة جارية على الرزق ان أريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم (فلا تجعلوا لله أندادا) هو متعلق بالامر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل له ند ولا شريك أو بنفى ويجوز أن يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لان الكلام يتضمن الجزاء أى الذى حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوى ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (وأنتم تعلمون) أنها لا تخلق شيأ ولا ترزق والله الخالق الرازق أو مفعول تعلمون متروك أى وأنتم من أهل العلم وجعل الاصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير فى فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك لخلقهم أحياء قادرين وخلق الارض التى هى مثواهم ومستقرهم وخلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها أشباه النسل من الثمار رزقا لبنى آدم فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيأ من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شئ منها عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر اعجاز القرآن فقال (وان كنتم فى ريب مما نزلنا) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى (على عبدنا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لان المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيأ فشيأ لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبه ضربة فلو أنزله الله لانزله جملة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على تدريج (فأتوا بسورة) أى فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت أصلا فاما ان تسمى بسور المدينة وهو حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لانها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التى هى الرتبة لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهى أيضا فى

الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (الذى جعل لكم الارض فراشا) أى خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض (والسماء بناء) أى سقفا مرفوعا وقيل اذا تأمل الانسان المتفكر فى العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها (وأنزل من السماء) يعنى السحاب (ماء) يعنى المطر (فأخرج به) أى بذلك الماء (من الثمرات) يعنى من ألوان الثمرات وأصناف النبات (رزقا لكم) أى وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله أندادا) يعنى أمثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل (وأنتم تعلمون) يعنى انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها أندادا لله وأنه واحد خالق لجميع الاشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له

﴿قوله تعالى (وان كنتم فى ريب) أى ان كنتم فى شك لان الله تعالى علم أنهم شاكون (مما نزلنا على عبدنا) أى محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند أتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى (فأتوا) أمر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ

تفسيرها مرتبة طوالها وأوساطها وقصارها أولها الفاتحة ثم [illegible] وإن كانت منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن
كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة وكذا أنزل الله تعالى التوراة والإنجيل والزبور
وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم منها أن الجنس إذا انطوت
تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون باباً واحداً ومنها أن القارىء إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط
له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعاً وأجزاء وعشوراً وأخماساً ومنها أن الحافظ إذا
حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ومنه حديث أنس رضي
الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل (من مثله) متعلق بسورة صفة لها
والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله يعني فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم أو لعبدنا أي فأتوا
ممن هو على حاله من كونه أمياً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد إلى مثل ونظير هنا (٣٤) ورد الضمير إلى المنزل أولى لقوله تعالى
فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن الكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه فإن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ولأن هذا التفسير يلائم قوله (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة (من دون الله) أي غير الله وهو متعلق بشهداءكم أي
ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو من يشهد لكم بأنه
مثل القرآن (إن كنتم صادقين) أن ذلك مختلق وأنه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أي إن كنتم صادقين
فادعوا كم فأتوا أنتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) لما أرشدهم إلى
الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي عليه السلام قال لهم فإذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن
كذب وعاند وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزاً والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله ولما كان العجز عن
المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم
فجيء بإن الذي للشك دون إذا الذي للوجوب وعبر عن الإتيان بالفعل لأنه فعل من الأفعال والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك
اختصاراً إذ لو لم يعدل من لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله
ولن تفعلوا لأنها جملة اعتراضية [illegible] من هذه الآية انتفى الشرط لقطع التردد فقوله وإن تفعلوا ولا ولن أختان في نفي المستقبل

ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) أي مثل القرآن وقيل الضمير في
مثله راجع إلى عبدنا يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم أي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ
العلم عن أحد ورد الضمير إلى القرآن أوجه وأولى يدل عليه أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في
التحدي وإنما وقع الكلام في المنزل ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم
بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردوداً إلى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وإن ارتبتم في أن محمداً
منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزاً ما اشتمل عليه من الفصاحة
والبلاغة في طرفي الإيجاز والإطالة فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل
بالمقصود الأول وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل ولهذا
تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم
والنثر من الأشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن والله إن له لحلاوة وإن عليه
لطلاوة وإن أصله لمعدق وإن أعلاه لمثمر (وادعوا شهداءكم من دون الله) أي استعينوا بآلهتكم التي
تعبدونها من دون الله والمعنى إن كان الأمر كما تقولون إنها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع
ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وإلا فاعلموا أنكم مبطلون في دعواكم أنها آلهة وقيل معناه وادعوا
أناساً يشهدون لكم (إن كنتم صادقين) أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه (فإن لم تفعلوا)
أي فيما مضى (ولن تفعلوا) فيما بقي وهذه الآية دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا به ولا بمثل شيء منه وذلك
أن النفوس الأبية إذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه
ولو قدروا على ذلك لأتوا به فحيث لم يأتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم أهل
الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصاً على إطفاء نوره وإبطال أمره ثم مع هذا
الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحد منهم ورضوا بسبي الذراري وأخذ الأموال والقتل وإذا ظهر عجزهم
عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا كان الأمر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى
(فاتقوا النار) أي فآمنوا واتقوا بالإيمان النار (التي وقودها) أي حطبها (الناس والحجارة) قال ابن
عباس

[illegible]

انه أخبر عن الغيب على ما هو به حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه بشيء لامتنع فكيف والطاعنون فيه أكثر عددا من الذابين عنه
فان اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله لانهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول واذا صح عندهم ثم لزموا العناد وأبوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهي من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن والوقود ما ترفع به النار يعني الحطب وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح وصلة الذي والتي يجب أن تكون معلومة للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لان تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه أولا ومعنى قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس والحجارة وهي حجارة الكبريت فهي أشد توقدا وأبطأ خمودا وأنتن رائحة وألصق بالبدن أو الاصنام المعبودة فهي أشد تحسرا وانما قرن الناس بالحجارة لانهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أندادا ونحوه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي حطبها فقرنوا بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم (أعدت للكافرين) هيئت لهم وفيه دليل على ان النار مخلوقة لا كما يقوله جهم ومن سنة الله في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بان (٣٥) يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد باحساني اليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال أخبرني مكان بشرني عتقوا جميعا لانهم أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس والآية حجة على من جعل الاعمال ايمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال انكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال الصالحة بالايمان ولا نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أن لهم جنات) أي بأن لهم جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب ببشر عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير في التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنان من تلك الجنان (تجري من تحتها الانهار) الجملة في موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وأنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والانهار في خلالها مطردة والجري الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار مجازي وانما عرف الانهار لانه يحتمل أن يراد بها أنهارها

عباس يعني حجارة الكبريت لانها أكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل أراد بها الاصنام لان أكثر أصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم (أعدت) أي هيئت (للكافرين) قوله عز وجل (وبشر الذين آمنوا) أي أخبر المؤمنين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشيء وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب أليم ولكن هو في السرور والخير أغلب (وعملوا الصالحات) أي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات أي أخلصوا الاعمال يعني عن الرياء (أن لهم جنات) جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها ومساكنها (الانهار) أي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بأمرهم وفي الحديث ان أنهار

عوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها (كلما رزقوا) صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله (منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى) أى كلما رزقوا من الجنات أى من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غيرها رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره أن تقول رزقنى فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وانما المراد نوع من أنواع الثمار (رزقنا) أى رزقناه فحذف العائد (من قبل) أى من قبل هذا فلما قطع عن الاضافة بنى والمعنى هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله (وأتوا به متشابها) وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير فى به يرجع الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين وانما

كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه به أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الامر وتمادى الحال فى ظهور المزية وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم فى كل أوان أو الى الرزق كأن هذا اشارة اليه والمعنى انما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذى نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فاذا أبصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك وقوله وأتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (ولهم فيها أزواج) أزواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار (مطهرة) من مساوى الاخلاق لا طمحات ولا مرحات أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول والغائط وسائر الاقذار والادناس ولم تجمع الصفة كالموصوف لانهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة أبلغ لانها تكون للتكثير وفيها اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذاك الا الله عز وجل (وهم فيها خالدون) الخلد والخلود البقاء الدائم الذى لا ينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فانهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لانه تعالى وصف بانه الاول والآخر وتحقيق وصف الاولية بسبقه على الخلق أجمع وجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات وذا انما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولانه تعالى باق وأوصـ

الجنة تجرى فى غير أخدود أى فى غير شق والخد الشق (كلما رزقوا) أى أطعموا (منها) أى من الجنة (من ثمرة رزقا) أى طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) أى فى الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الاولى (وأتوا به) أى بالرزق (متشابها) قال ابن عباس مختلفا فى الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا فى الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم (م) عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفى رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أى يجرى على ألسنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شئ كما أن النفس لا يشغل عن شئ قوله طعامهم جشاء يعنى أن فضول طعامهم يخرج فى الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى (ولهم فيها) أى فى الجنات (أزواج) أى من الحور العين (مطهرة) يعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هن عجائز كم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوى الاخلاق قيل فى الجنة جماع ما شئت ولا ولد (وهم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذى لا انقطاع له (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا (ق) عن أبى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا * عن أبى هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك

بالجنة فلو كانت الجنة بالجنة يتبع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وأما الثالث فلأن الأول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده والآخر هو
الذي لا انتهاء له وفي حقنا الاول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق واتصافهم بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال وفي الثاني
تنزيه عن احتمال الحدوث والفناء لانهما كانوا وان يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو
جائز الوجود * لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل (ان الله
لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة) أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها وأصل الحياء تغير
وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم ولا يجوز على القديم التغير والخوف والذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدي بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة أبهمته ابهاما وزادته عموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قال لا يستحيي أن يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه أو
انتصبا مفعولين على ان ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه قطعة
منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت (فما فوقها) فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة
أو فما زاد عليها في الحجم كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما أكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب
المثل بما دون البعوضة وهو النهاية في الصغر لان جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا
(فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق) الضمير للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب (من
ربهم) في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)

الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى
ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس اسناده بذلك القوي * عن عبادة بن الصامت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض
والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه
الفردوس أخرجه الترمذي (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا يأتونها
كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد
ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد
ازددتم بعدنا حسنا وجمالا * عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا
للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس
ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى (ان
الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب
والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون
انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به
ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا أصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله واذا
وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق
الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحياء
في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية
الحياء وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا أي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما
قيل ما صلة فيكون المعنى أن يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة والبعوض
صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص
خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصه فما فوقها يعني
الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها أو أصغر منها وهذا القول أشبه بالآية
لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أحقر من ذرة
وأجمع من نملة وأطيش من ذبابة وألح من ذبابة (فأما الذين آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
(فيعلمون أنه) يعني ضرب المثل (الحق) يعني الصدق (من ربهم) الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب
المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)

ويوقف عليه ... ماذا أراد الله بهذا مثلا استحقارا كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت أما زيد فذاهب ولذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وانه في معنى الشرط وفي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما فلا تكون كلمتين وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة فعلى الاول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته أي أراد والعائد محذوف وعلى الثاني منصوب المحل بأراد والتقدير أي شيء أراد الله والارادة مصدر أردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند أهل السنة وقال معتزلة بغداد انه تعالى لا يوصف بالارادة على الحقيقة فاذا قيل أراد الله كذا فان كان فعله فمعناه انه فعله وهو غير ساه ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه انه أمر به (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة وأهل الهدى كثير في أنفسهم وانما يوصفون بالقلة بالقياس الى أهل الضلال ولان القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة

ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

والاضلال خلق فعل الضلال في العبد والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة وسياق الآية لبيان أن ما استنكره (٣٨) الجهلة من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به كذلك وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ألا ترى ان الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذي دونه مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق وان الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وخشاش الارض فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من فراشة وآكل من السوس وأضعف من البعوضة وأعز من مخ البعوض ولكن ديدن المحجوج والمبهوت أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح (وما يضل به الا الفاسقين) هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد وفي الشرع الخروج عن الامر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله ان شاء الله (الذين ينقضون عهد الله) النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا وعهد الله ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم الآية وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (من بعد ميثاقه) أصله من الوثاقة وهي احكام الشيء والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد بمعنى الوعد أو لله تعالى أي من بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية (ويقطعون

أي بهذا المثل (يضل به كثيرا) أي من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدي به كثيرا) يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون انه حق (وما يضل به الا الفاسقين) يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى (الذين ينقضون) أي يخالفون ويتركون وأصل النقض الفسخ وفك المركب (عهد الله) أي أمر الله وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) أي من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد أقوال أحدها انه الذي أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي أخذه على أحبار اليهود في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيده (ويقطعون

[illegible] أن يوصل) من قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين أو قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة [illegible]
وكفرهم ببعض والأمر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذي وأن يوصل في موضع جر بدل من
الهاء أي بوصله أو في موضع رفع أي هو أن يوصل (ويفسدون في الارض) بقطع السبيل والتعويق عن الايمان (أولئك) مبتدأ (هم)
فصل والخبر (الخاسرون) أي المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كيف
تكفرون بالله) معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار
والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو في (وكنتم أمواتا) نطفا في أصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة
والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قول ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضا كقوله تعالى بلدة ميتا (فأحياكم) في الارحام (ثم يميتكم)
عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) تصيرون الى الجزاء أو ثم يحييكم في قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وانما كان
العطف الاول بالفاء والبواقي بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بلا تراخ وأما الموت (٣٩) فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية
كذلك تتراخى عن الموت ان أريد النشور وان أريد احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا متراخ عن النشور وانما أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولانها تشتمل على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر (هو الذي خلق لكم ما في الارض) أي لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم أما الاول فظاهر وأما الثاني فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر
عقابها وقد استدل الكرخي وأبو بكر الرازي والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الاشياء التي يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة في الاصل (جميعا)
نصب على الحال من ما (ثم استوى الى السماء) الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أي قام واعتدل ثم قيل استوى اليه
كالسهم المرسل أي قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء ومنه قوله تعالى ثم استوى الى السماء أي أقبل وعمد الى خلق السموات بعد
ما خلق ما في الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهة العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في (فسواهن)
مبهم يفسره (سبع سموات) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لانها في معنى الجنس ومعنى
تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا
يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في
موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منها السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض
فذلك قوله تعالى كانتا رتقا وهو الالتزاق (وهو بكل شيء عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على
حسب حاجات أهلها ومنافعهم وهو وأخواته مدني غير ورش وأبو عمرو وعلي بجعل الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضدهم

ما أمر الله به أن يوصل) يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض
وهم اليهود وقيل أراد به قطع الارحام التي أمر الله بوصلها (ويفسدون في الارض) يعني بالمعاصي وتعويق
الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون وأصل
الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف
تكفرون بالله) يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى
(وكنتم أمواتا) يعني نطفا في أصلاب آبائكم (فأحياكم) يعني في الارحام والدنيا (ثم يميتكم) أي عند
انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعني بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزيكم
بأعمالكم * قوله عز وجل (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) يعني من المعادن والنبات والحيوان
والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين
والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما
مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى الى السماء) أي قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد
وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك
ان الله تعالى خلق الارض أولا ثم عمد الى خلق السماء فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم
الارض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل أيضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك
لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره
ما أنعم به عليه ألم أعطك ألم أرفع قدرك ألم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم
(فسواهن سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتي ذكر خلق الارض
عند قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو
بكل شيء عليم) يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات ۞ قوله تعالى (واذ قال ربك) أي واذكر يا محمد اذ قال

يقولون في عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الأرض أسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فأفسدت الجن في الأرض فبعث
إليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى جزائر البحار ورؤوس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيه عليه السلام أن يذكر قصتهم فقال (وإذ قال ربك
للملائكة) إذ نصب بإضمار اذكر والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع (إني جاعل) أي مصير

ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل إذ زائدة والأول أوجه (الملائكة) جمع ملك
وأصله مألك من المألكة والألوكة وهي لفظ البغوي وهي الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض
وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن
الأرض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله إليهم جندا من الملائكة
يقال لهم الجان ورأسهم إبليس وهم خزان الجنان فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى جزائر البحور وشعوب
الجبال وسكنوا هم الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا
وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في
الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده (إني
جاعل في الأرض خليفة) أي إني خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم إلي فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون
الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لأنه خلف الجن وجاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه
غيره والصحيح أنه إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله في أرضه لإقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من
يفسد فيها) أي بالمعاصي (ويسفك الدماء) أي بغير حق كما فعل الجن فإن قلت من أين عرفوا ذلك حتى قالوا
هذا القول قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بإخبار الله إياهم أو قاسوا الشاهد على الغائب وقيل إنهم لما
رأوا أن آدم خلق من أخلاط مركبة علموا أنه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء
فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما
قال إني جاعل في الأرض خليفة قالوا هو ذلك فإن قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض
قلت ذهب بعضهم إلى أنهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ومن
ذهب إلى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال إنما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الإنكار والاعتراض
فإنهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى وإحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا أجابهم بقوله إني أعلم ما لا تعلمون وقيل
إن العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في إعظام
الله عز وجل (ونحن نسبح بحمدك) أي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن
أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان
الله وبحمده قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة ويكون المعنى
ونحن نصلي لك وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء
ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فإنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك
(ونقدس لك) أصل التقديس التطهير أي نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك
من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك (قال إني أعلم ما لا تعلمون) قيل
إنه جواب لقول الملائكة أتجعل فيها فقال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل أعلم أن
فيهم من يعبدني ويطيعني وهم الأنبياء والأولياء والصالحون ومن يعصيني منكم وهو إبليس وقيل أعلم أنهم
يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم

(فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام) قيل إن الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت
من النور تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات *عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم

من جعل الذي له مفعولان
وهما (في الأرض خليفة)
وهو من يخلف غيره فعيلة
بمعنى فاعلة وزيدت الهاء
للمبالغة والمعنى خليفة منكم
لأنهم كانوا سكان الأرض
فخلفهم فيها آدم وذريته
ولم يقل خلائف أو خلفاء
لأنه أريد بالخليفة آدم
واستغنى بذكره عن ذكر
بنيه كما استغنى بذكر أبي
القبيلة في قولك مضر
وهاشم أو أريد من يخلفكم
أو خلقا يخلفكم فوحد
لذلك أو خليفة مني لأن آدم
كان خليفة الله في أرضه
وكذلك كل نبي قال الله تعالى
يا داود إنا جعلناك خليفة
في الأرض وإنما أخبرهم
بذلك ليسألوا ذلك السؤال
ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا
حكمته في استخلافهم قبل
كونهم أو ليعلم عباده المشاورة
في أمورهم قبل أن يقدموا
عليها وإن كان هو بعلمه
وحكمته البالغة غنيا عن
المشاورة (قالوا أتجعل
فيها من يفسد فيها) تعجب
من أن يستخلف مكان
أهل الطاعة أهل المعصية
وهو الحكيم الذي لا يجهل
وإنما عرفوا ذلك بإخبار
من الله تعالى أو من جهة
اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (ويسفك الدماء) أي يصب والواو في (ونحن نسبح) للحال كما تقول أتحسن إلى فلان وأنا
أحق منه بالإحسان (بحمدك) في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى وقد دخلوا بالكفر أي دخلوا كافرين
(ونقدس لك) ونطهر أنفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح في الأرض وقدس فيها إذا ذهب فيها وأبعد (قال إني
أعلم ما لا تعلمون) أي أعلم من الحكمة في ذلك ما هو خفي عليكم يعني يكون فيهم الأنبياء والأولياء والعلماء وما بمعنى الذي وهو مفعول أعلم والعائد

وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب ﴿وأما صفة خلق آدم عليه السلام﴾ فقال وهب بن منبه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى الى الارض اني خالق منك خليقة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار قالت الارض أتخلق مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلما أتاها ليقبض منها قالت أعوذ بعزة الله الذي أرسلك الي أن لا تأخذ مني شيأ فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت أن أقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فأتني بقبضة منها فلما أتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فأتني بقبضة من الارض فلما أتاها قالت له الارض أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن لا تأخذ مني شيأ فقال وأنا أعوذ بعزته أن أعصي له أمرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الارض وبما ورد عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لأخلقن مما جئت به خلقا ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شاء الله ثم أخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا رأوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لأمر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو أجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لئن فضل علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يا رب كيف أدخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى أن وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي أول كلمة قالها فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا وأحشاء وكسي لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل في جسده تسعة أبواب سبعة في رأسه وهي الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها وبابين في أسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رئته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف انه لا يتمالك * عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه الترمذي وأبو داود ﴿قوله عز وجل﴾ (وعلم آدم الاسماء كلها) سمي آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد

محذوف أي ما لا تعلمونه اني مجازي وأبو عمرو (وعلم آدم) هو اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم آدم من أديم الارض أو من الادمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس (الاسماء كلها) أي أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء اذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لان التعليم تعلق بالاسماء لا بالمسميات لقوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء وأنبئهم بأسمائهم ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم ومعنى تعليمه أسماء المسميات انه تعالى أراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما علمه اسم كل شئ حتى القصعة والمغرفة

(ثم عرضهم [illegible] المسميات [illegible] الفلاة فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت (فقال أنبئوني) أخبروني (بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) في زعمكم اني أستخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء وأ[illegible]
وتعليمهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله أن يستخلفوا (قالوا سبحانك) تنزيها لك
أن يخفى عليك شيء أو عن الاعتراض عليك في تدبيرك وافادتنا الآية ان علم الاسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشرع ...واتسابه على
الهيشد رتقد ير سبحت الله تسبيحا (٤٣) (لا علم لنا الا ما علمتنا) وليس فيه من الاسماء وما بمعنى الذي والعلم بمعنى المعلوم أي لا معلوم لنا
الا الذي علمتنا (انك أنت
العليم) غير المعلم (الحكيم)
فيما قضيت وقدرت والكاف
اسم ان وأنت مبتدأ وما
بعده مبتدأ والجملة خبران
أو أنت فصل والخبر العليم
والحكيم خبر ثان (قال
يا آدم أنبئهم بأسمائهم
فلما أنبأهم بأسمائهم)
سمى كل شيء باسمه (قال ألم
أقل لكم اني أعلم غيب
السموات والارض) أي
أعلم ما غاب فيهما عنكم
مما كان ومما يكون (وأعلم
ما تبدون) تظهرون (وما
كنتم تكتمون) تسرون
(واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم) أي اخضعوا له وأقروا
بالفضل له عن أبي بن كعب
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما كان ذلك انحناء ولم
يكن خرورا على الذقن
والجمهور على ان المأمور به
وضع الوجه على الارض
وكان السجود تحية لآدم
عليه السلام في الصحيح اذ لو
كان لله تعالى لما امتنع عنه
ابليس وكان سجود التحية
جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله
عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لاحد الا لله تعالى (فسجدوا الا ابليس) (واستكبر)
الاستثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء يكون من جنس المستثنى
منه ولهذا قال ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه
لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ولانه أبى وعصى واستكبر
والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ولانه قال أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ
ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أبى) امتنع مما أمر به

وقيل أبو البشر ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الاشياء كلها وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء
فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فأظهر الله فضل آدم عليهم
بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة أن الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل
شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم أسماءها كلها
فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء
ذريته وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان
المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور
والاناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) يعني تعجيزا لهم (أنبئوني) أي أخبروني (بأسماء هؤلاء) يعني
تلك الاشخاص (ان كنتم صادقين) أي اني لم أخلق خلقا الا كنتم أفضل منه وأعلم (قالوا) يعني الملائكة
(سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) أي انك أجل من أن نحيط بشيء من علمك
الا ما علمتنا (انك أنت العليم) أي بخلقك وهو من أسماء الصفات الذاتية وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم)
أي في أمرك وله معنيان أحدهما انه القاضي العدل والثاني المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد (قال)
يعني الله تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه وذكر وجه الحكمة
التي خلق لها (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) يعني الله تعالى (ألم أقل لكم) يعني يا ملائكتي (اني أعلم غيب
السموات والارض) يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا
قال لهم اني أعلم ما لا تعلمون (وأعلم ما تبدون) يعني قول الملائكة أتجعل فيها (وما كنتم تكتمون) يعني
قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس أعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون
يعني ابليس من المعصية ۞ قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع
الملائكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم
أجمعون الا ابليس (فسجدوا) يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما انه كان لآدم على الحقيقة ولم
يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة
يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله
تعالى والامتثال لامره والقول الثاني ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة
للصلاة والصلاة لله تعالى وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الانبياء على الملائكة (الا ابليس)
سمي به لانه أبلس من رحمة الله أي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير
اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم وقيل انه
من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما ان آدم أصل الانس والاول
أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (أبى) أي امتنع من السجود فلم يسجد

(واستكبر) تكبر عنه (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بإبائه واستكباره ورده الأمر لا بترك العمل بحكم الأمر لأن ترك السجود لا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج أو كان من الكافرين في علم الله أي وكان في علم الله أنه يكفر بعد ايمانه لا أنه كان كافرا أبدا في علم الله وهي مسئلة الموافاة (وقلنا يا آدم اسكن) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى اذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا (أنت) تأكيد للمستكن في اسكن ليصح عطف (وزوجك) عليه (الجنة) هي جنة الخلد التي وعدت المتقين للنقل المشهور واللام للتعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها وأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد (وكلا منها) من ثمارها فحذف المضاف (رغدا) وصف للمصدر أي أكلا رغدا واسعا (حيث شئتما) شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة) أي الحنطة ولذا قيل كيف لا يعصي الانسان وقوته من شجرة العصيان أو الكرمة لانها أصل كل فتنة أو التينة (فتكونا) جزم عطف على تقربا أو نصب جواب النهي (من الظالمين) من الذين ظلموا أنفسهم أو من الضارين أنفسهم (فأزلهما الشيطان عنها) أي عن الشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما فأزالهما حمزة وزلة آدم بالخطأ في التأويل اما بحمل النهي على التنزيه دون التحريم أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والاول الوجه وهذا دليل على انه يجوز اطلاق اسم الزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى فانه اسم لفعل يقع على خلاف الامر من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشي في الطين وقال مشايخ سمرقند لا يطلق اسم الزلة على أفعالهم كما لا تطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا عليه (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أو من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقد توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم لانه منع من دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وروي انه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى

(واستكبر) أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى فانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلتاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار ۞ قوله عز وجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي اتخذها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما أسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به و يجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه وجنبه حواء و وضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما ما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ آدم من نومه ورآها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجك حواء قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الي وأسكن اليك واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انه لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع (وكلا منها رغدا) أي واسعا كثيرا (حيث شئتما) أي كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهي عنه وهو قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) يعني الاكل قيل انما وقع هذا النهي عن جنس الشجرة وقيل عن شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه (فتكونا من الظالمين) يعني ان أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية وأصل الظلم وضع الشئ في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى أن لا يفعله وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم قلت لا يجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم ۞ قوله عز وجل (فأزلهما الشيطان) أي استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى في سورة طه (عنها) أي الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) يعني من النعيم وذلك أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فمها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما رآهما على باب الجنة

وقيل هما لانهما لما كانا أصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس كلهم ويدل عليه قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا (بعضكم لبعض عدو) المراد به ما عليه الناس من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض والجملة في موضع الحال من الواو في اهبطوا أي اهبطوا متعادين (ولكم في الارض مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (الى حين) الى يوم القيامة أو الى الموت قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها وبنصب آدم ورفع كلمات مكي على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان أحب الكلام الى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت

لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا ما يبكيك قال أبكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله اني لكما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا نكدا فاهبطا من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حواء قال فاني أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما أكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل (وقلنا اهبطوا) أي انزلوا الى الارض يعني آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بجدة وابليس بالابلة من أعمال البصرة والحية باصبهان (بعضكم لبعض عدو) يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الحيات كلها الا الجان الابيض الذي كأنه قضيب فضة (م) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيأ فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي رواية ان لهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومتاع) أي بلغة ومستمتع (الى حين) أي الى وقت انقضاء آجالكم

قوله عز وجل (فتلقى آدم) أي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) أي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هي لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت العفو الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين وقيل قال آدم يا رب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما وقيل لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) أي تجاوز

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت أراجعي أنت اليها قال نعم (فتاب عليه)

... عليهما ... كلمات ... آدم لان حواء كانت تبعا له ... (التواب) الكثير القبول للتوبة (الرحيم) على عباده (قلنا اهبطوا منها جميعا) حال أى مجتمعين وكرر الامر بالهبوط للتاكيد أو لان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثانى من السماء الى الارض أو لما نيط به من زيادة قوله (فاما يأتينكم منى هدى) أى رسول أبعثه اليكم أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فى مقابلة قوله (فمن تبع هداى) أى بالقبول والايمان به (فلا خوف عليهم) فى المستقبل (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا والشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك ان جئتنى فان قدرت أحسنت اليك فلا خوف بالنصب فى كل القرآن يعقوب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب النار) اى اهلها ومستحقوها والجملة فى موضع الرفع خبر المبتدا أعنى والذين (هم فيها خالدون يا بنى اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله أو عبد الله فاسرا هو العبد أو الصفوة وايل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) ذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما أنعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به فى التوراة والانجيل (وأوفوا) أدوا وافيا تاما يقال وفى بالعهد فانا واف به وأوفيت له بالعهد فانا موف به والاختيار أوفيت وعليه نزل التنزيل (بعهدى) بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة لى أو من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم والعهد يضاف الى المعاهد

عنه وغفرله واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم فى المستقبل أن لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حصلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا فى سورة التحريم ان شاء الله تعالى (انه هو التواب) اى الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب فى وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ فى قبول توبة عباده (الرحيم) اى بخلقه ووصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم (قلنا اهبطوا منها جميعا) يعنى هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال فى الهبوط الاول ولكم فى الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتأكيد (فاما يأتينكم منى هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كانه قال وان أهبطتكم من الجنة الى الارض فقد أنعمت عليكم بهدايتى التى تؤديكم الى الجنة مرة أخرى على الدوام الذى لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعنى يا ذرية آدم اما يأتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم) يعنى فيما يستقبلهم (ولا هم يحزنون) أى على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الآخرة (والذين كفروا) أى جحدوا (وكذبوا بآياتنا) أى بالقرآن (أولئك أصحاب النار) أى يوم القيامة (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ﴿قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى اشكروا نعمتى وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهى ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها فى الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهى أيضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق فى الحقيقة لان أصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببنى اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتى لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله تعالى أنقذهم من فرعون وفلق البحر لهم وأغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى فى التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد أنعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هى ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به (وأوفوا بعهدى) أى امتثلوا أمرى (أوف بعهدكم) أى بالقبول والثواب وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمى الموثق الذى تلزم مراعاته عهدا وقيل اراد بالعهد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وقيل أراد به ما ذكر فى سورة المائدة وهو قوله ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الى قوله لأكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله أوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا

ما آتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة وقيل هو قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقيل اراد بهذا العهد ما أثبته في كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام انى باعث من بنى اسمعيل نبيا أميا فمن تبعه وصدق النور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (واياي فارهبون) أي تخافون في نقضكم العهد (وآمنوا بما أنزلت) يعني بالقرآن (مصدقا لما معكم) يعني ان القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولا تكونوا أول كافر به) الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود أول من كفر به فان قلت كيف جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب من أهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب أن تكونوا أول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا أول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولا تشتروا) أي ولا تستبدلوا (بآياتي) أي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشئ اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشئ اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل من القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيأ معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة وأصروا على الكفر (واياي فاتقون) أي فخافون في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف ❁ قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي أنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل أي بصفة الدجال وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه (وأقيموا الصلاة)

والماضي [illegible] كاثرتوا [illegible] فارهبون [illegible] على لسان [illegible] أو في بعهدكم [illegible] بما [illegible] بالامن [illegible] (واياى فارهبون) فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيد ارهبته وهو أوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد واياى منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا اياى فارهبون وحذف الاول لان الثاني يدل عليه وانما لم ينتصب بقوله فارهبون لانه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يجوز زيدا فاضربه بنصب زيد بفاضربه بل باضرب الذي هو ظاهر (وآمنوا بما أنزلت) يعني القرآن (مصدقا) حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقا (لما معكم) من التوراة يعني في العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام (ولا تكونوا أول كافر به) اى أول من كفر به او أول حزب أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير في به يعود الى القرآن (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بآياتي) بتغييرها وتحريفها (ثمنا قليلا) قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا رسول الله (واياى فاتقون) فخافوني فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين وكذلك كل ياء محذوفة في الخط يعقوب (ولا تلبسوا الحق بالباطل) لبس الحق بالباطل خلطه والباء ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه (وتكتموا الحق) هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهما أمران متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد أو حكم كذا (وأنتم تعلمون) في حال علمكم انكم لابسون وكاتمون وهو أقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه (وأقيموا الصلاة

يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وبجميع أركانها (وآتوا الزكاة) أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى أعاده بعد قوله وأقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب لقوم مخصوصين وهم اليهود وقيل حث على اقامة الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين في الجماعة

قوله عز وجل (أتأمرون الناس بالبر) الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع أعمال الخير والطاعات نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان أمره حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك (وتنسون أنفسكم) أي وتعدلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم (وأنتم تتلون الكتاب) يعني تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم (أفلا تعقلون) يعني انه حق فتتبعونه والعقل قوة تهيئ لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي ابن أبي طالب

وان العقل عقلان * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع

اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

وأصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة ومعنى الآية أن المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس أولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه (قوله فتندلق) أي تخرج أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة

أهل الاسلام وبادائها بالركوع الصلاة كأنه عبر عنها بالسجود وان يكون أمرا بالصلاة مع المصلين يعني في الجماعة أي صلوها مع المصلين لا منفردين والهمزة في (أتأمرون الناس) للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم (بالبر) أي سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها (وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت أي تتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلاة) أي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من الاخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار

السموات والارض أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي اليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلاة الدعاء أي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه (وانها) الضمير للصلاة أو للاستعانة (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر (الا على الخاشعين) لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى الى قوله (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) أي

يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون أي يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف (وأنهم اليه راجعون) لا يملك أمرهم في الآخرة أحد سواه (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) التكرير للتأكيد (وأني فضلتكم) نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي (على العالمين) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة (واتقوا يوما) أي يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف (لا تجزي نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيأ) أي لا تقضي عنها شيأ من الحقوق التي لزمتها وشيأ مفعول به أو مصدر أي قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة ليوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ولا تقبل بالتاء مكي وبصري ابن والضمير في منها يرجع الى النفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتشبث المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة للعصاة مردود لان المنفي شفاعة الكفرة وقد قال عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من امتي من كذب بها لم ينلها (ولا يؤخذ منها عدل) أي فدية لانها معادلة للمفدى (ولا هم ينصرون) يعانون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر لمعنى العباد أو الاناسي (واذ نجيناكم من آل فرعون) أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل فابدلت هاؤه ألفا وخص استعماله باولي الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر

المؤمنين فعلى هذا القول ان الله تعالى لما أمرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شرعه وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على أداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة أي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أي اذا أهمه أمر لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه نعي له أخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعني الصلاة وقيل الاستعانة (لكبيرة) أي ثقيلة (الا على الخاشعين) يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه وأما الخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهي سهلة عليه (الذين يظنون) أي يستيقنون وقيل يعلمون (أنهم ملاقو ربهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة (وأنهم اليه راجعون) يعني بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم * قوله عز وجل (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) انما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وأني فضلتكم على العالمين) يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (واتقوا يوما) أي واخشوا عذاب يوم (لا تجزي) أي لا تقضي (نفس عن نفس شيأ) يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تغني نفس عن نفس يوم القيامة ولا تدفع عنها شيأ مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه (ولا تقبل منها شفاعة) أي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها (ولا يؤخذ منها عدل) أي فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء (ولا هم ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب * قوله عز وجل (واذ نجيناكم) أي واذكروا اذ خلصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة أسلافهم (من آل فرعون) أي من أتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد

ابنه مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) أي يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أي أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال أصنافا صنف يبنون وصنف يزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا أصنافا في أعمال فرعون فذوو القوة يقطعون السوارى من الجبال حتى تقرحت أيديهم وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غلت يداه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن أحياء وذلك ان فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وأسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي اختبار وامتحان والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة ﴿قوله عز وجل (واذ فرقنا بكم البحر) أي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه

(ذكر سياق القصة)

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني اسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وأن يستعيروا حلي القبط لتبقى لهم أولئلا يتبعوهم لاجل المال وأخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني اسرائيل الى بني اسرائيل وكل ولد زنا كان في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل لما بلغ ذلك فرعون فقال لا نخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف الا أخبرني به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره الله أن يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا أستطيع المشي فاحملني معك وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله أن يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم

السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزايدة أو مطالبة وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر سيء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء أشده وأفظعه (يذبحون أبناءكم) بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف (ويستحيون نساءكم) يتركون بناتكم احياء للخدمة وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما أنذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله (وفي ذلكم بلاء) محنة ان أشير بذلكم الى صنع فرعون ونعمة ان أشير به الى الانجاء (من ربكم) صفة لبلاء (عظيم) صفة ثانية (واذ فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا أي فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط (بكم البحر) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم أو فرقناه بسببكم أو فرقناه ملتبسا بكم فيكون في موضع الحال روي ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام أين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم فأوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم

الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقتهم وهرون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف حراب ومائة ألف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى أين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر أمامنا ان دخلناه غرقنا فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فأوحى الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء كالشبابيك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (فأنجيناكم) يعني من فرعون (وأغرقنا آل فرعون) وذلك أن فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيأ واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله (وأنتم تنظرون) يعني الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى ﴿ قوله عز وجل (واذ واعدنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده مجيء الميقات (موسى) اسم عبري معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمي موشى لانه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى (أربعين ليلة) أي انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء

(ذكر القصة في ذلك)

قال العلماء لما أنجى الله بني اسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي آتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامري وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل باجرما وقيل كرمان وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا لشأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه وألقى في فيه وعمامة اذا ألقي في شيء حيي فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة وأنزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا وأسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقي أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور

(فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه وانما قال (واذ واعدنا موسى) لان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بمصر لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله تعالى موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالي وأربعين مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لانه ليس معناه واعدناه في أربعين ليلة

وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري ان الحلي الذي استعرتموه من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هرون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي أخذها السامري وصاغها عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وله خوار وقيل كان يخور ويمشي فقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي أي فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هرون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل) يعني الها (من بعده) أي من بعد موسى (وأنتم ظالمون) أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها (ثم عفونا عنكم) أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) أي من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم وأصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهي أنعمت علي النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وانما شكري اياك نعمة منك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي أن يعلم ان ما به من نعمة فهي مني وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالاحسان والافضال ۞ قوله عز وجل (واذ آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو أصلية (لعلكم تهتدون) يعني بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعني الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) يعني الها تعبدونه فكأنهم قالوا ما نصنع قال (فتوبوا الى بارئكم) أي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) يعني ليقتل البريء منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضي أن يقتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل أو خاصا في حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلت القوم الخناجر والسيوف وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلا يمكنهم المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون

(وأنتم ظالمون) أي بوضعكم العبادة في غير موضعها أو بالهلاك أي بعبد تموه ظالمين (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم عنكم (من بعد ذلك) من بعد اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا (واذ قال موسى لقومه) للذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) معبودا (فتوبوا الى بارئكم) هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم ابراء من التفاوت الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة (فاقتلوا أنفسكم) قيل هو على الظاهر وهو النخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) من الاصرار على المعصية

(فتاب عليكم انه هو التواب) المفضال بقبول التوبة وان كثرت (الرحيم) بعفو الحوبة وان كبرت والفاء الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم (٥٢) (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) عيانا وانتصابها على المصدر كما ينتصب

القوم بكوا وتضرعوا اليه وقالوا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه ﴿ فذلك قوله عز وجل (فتاب عليكم) أي فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التواب) أي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه ﴿ قوله عز وجل (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) أي عيانا وذلك ان الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى اني أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فأخذتكم الصاعقة) قيل هي الموت وفيه ضعف لان قوله وأنتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فأحرقتهم وقيل صاعقة من السماء وقيل أرسل جنودا من الملائكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين (وأنتم تنظرون) أي ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول الهي ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) أي أحييناكم (من بعد موتكم) أي لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا بانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) ﴿ قوله عز وجل (وظللنا عليكم الغمام) يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه شيء يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما أبيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) أي في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وأصل المن ما من الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمأة شيء أنبته الله من غير سعي أحد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه أن يخلط مع الادوية فينتفع به لا انه يقطر ماؤها محضا في العين وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن ينزل على أشجارهم في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأرسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل يأخذ ما يكفيه

القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال من نرى أي ذوي جهرة (فأخذتكم الصاعقة) أي الموت قيل هي نار جاءت من السماء فأحرقتهم روي ان السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة فقال موسى سألته ذلك فأباه علي فقالوا انك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت قلنا انما عوقبوا بكفرهم لان قولهم انك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم ولانهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد (وأنتم تنظرون) اليها حين نزلت (ثم بعثناكم) أحييناكم وأصله الاثارة (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت (وظللنا عليكم الغمام) جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأنزلنا عليكم المن) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلوى) كان يبعث الله

عليهم المن والسلوى فتنشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه وقلنا لهم (كلوا من طيبات) لذيذات أو حلالات (ما رزقناكم وما ظلمونا) يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أنفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كانوا (وإذ قلنا) لهم بعد ما خرجوا من التيه (ادخلوا هذه القرية) أي بيت المقدس أو أريحاء وهي القرية المجتمع من قريت لأنه اجتمع الخلق أمروا بدخولها بعد التيه (فكلوا منها) من طعام القرية وثمارها (حيث شئتم رغدا) واسعا (وادخلوا الباب) باب القرية أو باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام وإنما دخلوا الباب في حياته ودخلوا بيت المقدس بعده (سجدا) حال وهو جمع ساجد أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا له (53) (وقولوا حطة) فعلة من الحط كالجلسة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة والأصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات وقيل أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها وعن علي رضي الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هو لا إله إلا الله (نغفر لكم خطاياكم) جمع خطيئة وهي الذنب يغفر مدني تغفر شامي (وسنزيد المحسنين) أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر بالباء فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود يعني وضعوا مكان حطة قولا غيرها أي أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا) عذابا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم (من السماء) صفة لرجزا (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم وروي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا (وإذ استسقى موسى لقومه) موضع إذ نصب كأنه قيل واذكروا إذ استسقى أي استدعى أن يسقى قومه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روي أنه حجر طوري حمله معه وكان مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا

يوما وليلة فإذا كان يوم الجمعة أخذ ما يكفيه اليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت شيء (كلوا) أي وقلنا لهم كلوا (من طيبات) أي حلالات (ما رزقناكم) أي ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير (وما ظلمونا) أي وما بخسوا حقنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني بأخذهم أكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك العذاب وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى ۞ قوله عز وجل (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي أريحاء قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحاء بعد موت موسى لأن موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضي الأربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أي موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فمن قال إن القرية أريحاء قال ادخلوا من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال إن القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) أي حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا إله إلا الله لأنها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسألتنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) أي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لأن المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعني ثوابا (فبدل) أي فغير (الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) أي قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطا سمقاثا أي حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على أستاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول وبدلوه (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعني عذابا من السماء قيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا (بما كانوا يفسقون) أي يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى ۞ قوله عز وجل (وإذ استسقى موسى لقومه) أي طلب السقيا لقومه وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل فأوحى الله إليه كما قال مبينا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى (الحجر) قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أي حجر كان فيتفجر عيونا لكل

[illegible] أي ... (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أي سالت بكثرة أو فإن ضربت فقد انفجرت [illegible] على حذف [illegible] كلام بليغ (منه اثنتا عشرة عينا) على عدد الأسباط وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان وعينا تمييز (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التي يشربون منها وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من ماء العيون (من رزق الله) أي الكل مما رزقكم الله (ولا تعثوا في الارض) لا تفسدوا فيها [illegible] أشد الفساد (مفسدين) حال مؤكدة أي لا تتمادوا في الفساد حال إفسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) هو ما رزقوا في التيه

(٥٤)

المن والسلوى وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل وكانوا على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك (فادع لنا ربك) سله وقل له أخرج لنا (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد (مما تنبت الارض من بقلها) هو ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوها مما يأكل الناس (وقثائها) يعني الخيار (وفومها) هو الحنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها (وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى) أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار (بالذي هو خير) أرفع وأجل (اهبطوا مصرا) من الأمصار انحدروا إليه من التيه وبلاد التيه ما بين بيت المقدس إلى قنسرين وهي اثنا عشر من فرسخا في ثمانية فراسخ أو مصر فرعون وإنما صرفه مع وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لإرادة البلد أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيه العجمة والتعريف (فإن لكم) فيها (ما سألتم) أي فإن الذي سألتم يكون في الأمصار لا في التيه (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي الهوان والفقر يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة [illegible] وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة بكسر الهاء والميم أبو عمرو وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم

سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل أنه عرفه بالألف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان الحجر أربعة وجوه في كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فأتاه جبريل وقال إن الله يأمرك أن ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاته فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان إذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل إليهم في جدول وكان إذا أراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعني على عدد أسباط بني إسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست أي عرقت وانفجرت أي سالت (قد علم كل أناس مشربهم) أي موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) أي وقلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العيث أشد الفساد في هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر اليسير ما روي منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم لأنه انفجر الماء من بين أصابعه فروي منه الجم الغفير لأن انفجار الماء من اللحم والدم أعظم من انفجاره من الحجر قوله عز وجل (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك أنهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا عليه غيره لأن المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة فإن قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة ألوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) أي فاسأل لنا ربك (يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم (وعدسها وبصلها) إنما طلبوا هذه الأنواع لأنها تعين على تقوية الشهوة أو لأنهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الأطعمة التي لا توجد إلا في البلاد وكان غرضهم الوصول إلى البلاد لا تلك الأطعمة (قال) يعني موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي الذي هو أخس وأردأ وهو الذي طلبوه (بالذي هو خير) يعني بالذي هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعني إن أبيتم إلا ذلك فأتوا مصرا من الأمصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الأول (فإن لكم ما سألتم) يعني من نبات الأرض (وضربت عليهم الذلة) أي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم وألزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لأنه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد (والمسكنة) أي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة فترى اليهود وإن كانوا أغنياء كأنهم فقراء فلا ترى أحدا

من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود (وباؤا) أي رجعوا ولا يقال باء إلا بشر (بغضب من الله) وغضب الله إرادة الانتقام ممن عصاه (ذلك) أي الغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالإنجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) النبي معناه المخبر من أنبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير الحق) أي بغير جرم فإن قلت قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق فما فائدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما أمر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا أن حكمه ينقسم إلى حق وجور روي أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار وقامت إلى سوق بقلها في آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من الأنبياء (ذلك بما عصوا) أي ذلك القتل والكفر بما عصوا أمري (وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي ❁ قوله عز وجل (إن الذين آمنوا والذين هادوا) يعني اليهود سموا بذلك لقولهم إنا هدنا إليك أي ملنا إليك وقيل هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل لأنهم مالوا عن دين الإسلام ودين موسى عليه السلام (والنصارى) سموا بذلك لقول الحواريين نحن أنصار الله وقيل لاعتزائهم إلى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها (والصابئين) أصله من صبأ إذا خرج من دين إلى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئا والأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب وذلك أنهم يعتقدون أن الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وأنها هي التي تقرب إلى الله تعالى ولما ذكر هذه الطوائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فإن قلت كيف قال في أول الآية إن الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أولا ثم التخصيص آخرا قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان أحدهما أنه أراد أن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال إن الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم أجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الأمم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان تكون بالوفاة وأما الطريقة الثانية فقالوا إن المذكورين بالإيمان في أول الآية إنما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال هؤلاء المبطلون كل من آمن منهم الإيمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله وقيل إن المراد من قوله إن الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة في الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) أي في إيمانه (فلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي في الآخرة ❁ قوله عز وجل

(وباؤا بغضب من الله) [illegible] باء فلان بفلان إذا كان [illegible] بأن يقتل به لمساواته له [illegible]
[illegible] إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) بالهمزة نافع وكذا بابه
ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود شعيا وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم (٥٥) والنبي من النبأ لأنه يخبر عن الله تعالى

فعيل بمعنى مفعل أو [illegible] مفعل أو من نبا أي ارتفع والنبوة المكان المرتفع (بغير الحق) عندهم أيضا فإنهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئا يستحقون به القتل عندهم في التوراة وهو في محل النصب على الحال من الضمير في يقتلون أي يقتلونهم مبطلين (ذلك) تكرار الإشارة (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء على أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيها وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتلهم الأنبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا (إن الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) تهودوا يقال هاد يهود وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء
في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا نصارى لأنهم نصروا المسيح (والصابئين) الخارجين من دين مشهور إلى غيره من صبأ إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤن الزبور (من آمن بالله واليوم الآخر) من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا (وعمل صالحا فلهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومحل من آمن الرفع

ان جعلت مبتدأ خبره فلهم أجرهم والمذهب ان جعلته بدلا من الذين آمنوا فالخبر فلهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ({وإذ أخذنا ميثاقكم}) بقبول ما في التوراة ({ورفعنا فوقكم الطور}) أي الجبل حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقي عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم ({خذوا ما آتيناكم}) من الكتاب أي التوراة ({بقوة}) بجد وعزيمة ({واذكروا ما فيه}) واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه ({لعلكم تتقون}) رجاء منكم ان تكونوا متقين ({ثم توليتم}) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به ({من بعد ذلك}) من بعد القبول ({فلولا فضل الله عليكم ورحمته}) بتأخير العذاب عنكم أو بتوفيقكم للتوبة ({لكنتم من الخاسرين}) الهالكين في العذاب ({ولقد علمتم}) عرفتم فتعدى الى مفعول واحد ({الذين اعتدوا منكم في السبت}) هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ({فقلنا لهم كونوا}) بتكويننا اياكم ({قردة خاسئين}) خبر كان أي كونوا جامعين بين القردية والخسء وهو الصغار والطرد ({فجعلناها}) يعني المسخة ({نكالا}) عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه ({لما بين يديها}) لما قبلها ({وما خلفها}) وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت

({وإذ أخذنا ميثاقكم}) أي عهدكم يا معشر اليهود ({ورفعنا فوقكم الطور}) يعني الجبل العظيم قال ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم وسببه أن الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمرهم أن يعملوا بأحكامها أبوا أن يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الأثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا أرسلت هذا الجبل عليكم ({خذوا}) أي قلنا لهم خذوا ({ما آتيناكم}) أي ما أعطيناكم ({بقوة}) أي بجد واجتهاد ({واذكروا ما فيه}) أي ادرسوا ما فيه ({لعلكم تتقون}) أي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ({ثم توليتم}) أي أعرضتم ({من بعد ذلك}) أي من بعد ما قبلتم التوراة ({فلولا فضل الله عليكم ورحمته}) أي بالامهال ({لكنتم من الخاسرين}) أي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل ({ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم}) أي جاوزوا الحد ({في السبت}) يقال سبت اليهود لأنهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم وأصل السبت القطع

(ذكر الاشارة الى القصة)

قال العلماء بالأخبار انهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض أيلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمت قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا حول البحر وشرعوا منه اليها أنهارا فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشصوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا فأخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا ففعلوا ذلك فصار أهل القرية ثلاثة أصناف وكانوا نحو سبعين ألفا صنف أمسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا في الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا الباب فلما أبطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميع قردة لهم أذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير ومكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل ({فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين}) أمر تحويل وتكوين وهو عبارة عن سرعة الفعل ومعناه مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات ({فجعلناها}) يعني عقوبتهم بالمسخ ({نكالا}) أي عقوبة وعبرة ({لما بين يديها وما خلفها}) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا

عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها أي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) أي المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم ﴿ قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهي الانثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة

(ذكر الاشارة الى القصة في ذلك)

قال علماء السير والاخبار انه كان في زمن بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) أي نحن نسألك أمر القتيل وأنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى (أعوذ بالله) أي امتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى أي بقرة كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة الله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي أمه ثلثه فقالت له أمه يوما يا بني ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق فأقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بامه اركبني فانه أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له أمه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو أعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا أمي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا امي ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت امك فقال الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها عن ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيتك اثني عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا ان نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل فلا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فمازالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) اي ما سنها

لما كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين (وموعظة للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها (واذ قال موسى لقومه) أي واذكروا اذ قال موسى وهو معطوف على نعمتي في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم كأنه قال اذكروا ذاك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا في الظروف التي مضت أي اذكروا نعمتي واذكروا وقت انجائنا اياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتي واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه والظروف التي تأتي الى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه (ان الله يأمركم أن) أي بان (تذبحوا بقرة) قال المفسرون أول القصة مؤخر في التلاوة وهو قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك ان رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا اتتخذنا هزؤا) اتجعلنا مكان هزء او اهل هزء او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء هزأ بسكون الزاي والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص غيرهما بالتثقيل والهمزة (قال اعوذ بالله) العياذ واللياذ من واد واحد (ان اكون من الجاهلين) لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم اي انتم جاهلون حيث نسبتموني الى الاستهزاء (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) سؤال عن حالها وصفتها لانهم كانوا عالمين بماهيتها لان ما وان كانت سؤالا عن الجنس

وكيف ... ضربه ببعضها ميت ... فسألوا ...

البقرة وما هي خبر ومبتدأ (قال انه يقول انها بقرة لا فارض) مسنة وسميت فارضا لانها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها (ولا بكر) فتية وارتفع فارض لانه صفة لبقرة وقوله (ولا بكر) فتية صفة عليه (عوان) نصف (بين ذلك) بين الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضي شيئين فصاعدا لانه أراد بين هذا المذكور وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان أردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذلك (فافعلوا ما تؤمرون) أي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) موضع ما رفع لان معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا أي شيء لونها (قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون فائدة التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده (تسر الناظرين) لحسنها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم (ان البقر تشابه علينا) ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها أو الى ما خفي علينا من أمر القاتل وان شاء الله اعتراض بين اسم ان وخبرها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد أي لو لم يقولوا ان شاء الله (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض) لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض (ولا تسقي الحرث) ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير الارض أي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث على ان الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية (مسلمة) عن العيوب وآثار العمل (لا شية فيها) لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في أمرها جئت وبابه بغير همز أبو عمرو (فذبحوها) فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها (وما كادوا يفعلون) لغلاء ثمنها أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل روي أنه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافا للمعتزلة (واذ قتلتم نفسا) بتقدير واذكروا وخوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفع أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح أو لان الطرح في نفسه دفع وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الادغام ثم سكنوا الدال اذ شرط الادغام أن يكون الاول ساكنا وزيدت همزة الوصل لانه لا يمكن الابتداء بالساكن فادارأتم بغير همز أبو عمرو (والله مخرج

(قال) يعني موسى (انه يقول) يعني الله عز وجل (انها بقرة لا فارض ولا بكر) اى لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لم تلد والبكر الفتية التي لم تلد (عوان) اى نصف (بين ذلك) اى بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) اى من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك (تسر الناظرين) اى يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) اى سائمة او عاملة (ان البقر تشابه علينا) اى التبس واشتبه امرها علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) اى الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) اى ليست مذللة بالعمل (تثير الارض) اى تقلبها للزراعة (ولا تسقي الحرث) اى ليست بسانية والسانية هي التي تستقي الماء من البئر لسقي الارض (مسلمة) اى بريئة من العيوب (لا شية فيها) اى لا لون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) اى بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي وما قاربوا أن يفعلوا ما أمروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا

﴿قوله عز وجل﴾ (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) قال ابن عباس أي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا (والله مخرج

بما كنتم تكتمون) مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتيل لا يتركه مكتوما وأعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ وقوله
الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و (فقلنا) والضمير في (اضربوه) يرجع الى النفس والتذكير بتأويل الشخص
والانسان أو الى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها والمعنى فضربوه فحيي
فحذف ذلك لدلالة (كذلك يحيي الله الموتى) عليه وروى انهم لما ضربوه قام باذن الله تعالى وقال (٥٩) قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط
ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث
قاتل بعد ذلك وقوله كذلك
يحيي الله الموتى اما أن يكون
خطابا للمنكرين في زمن
النبي عليه السلام واما أن
يكون خطابا للذين حضروا
حياة القتيل بمعنى وقلنا
لهم كذلك يحيي الله الموتى
يوم القيامة (ويريكم آياته)
دلائله على انه قادر على
كل شئ (لعلكم تعقلون)
فتعملون على قضية عقولكم
وهي أن من قدر على احياء
نفس واحدة قدر على احياء
جميعها لعدم الاختصاص
والحكمة في ذبح البقرة
وضربه ببعضها وان قدر على
احيائه بلا واسطة التقرب
به والاشعار بحسن تقديم
القربة على الطلب والتعليم
لعباده ترك التشديد في
الامور والمسارعة الى
امتثال أوامر الله من غير
تفتيش وتكثير سؤال وغير
ذلك وقيل انما أمروا بذبح
البقرة دون غيرها من
البهائم لانها أفضل قرابينهم
ولعبادتهم العجل فاراد الله
تعالى أن يهون معبودهم
عندهم وكان ينبغي أن يقدم
ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الامر بذبحها وأن يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ولكنه تعالى انما قص قصص
بني اسرائيل تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها وهاتان القصتان وان كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من
التقريع فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه
من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية

ما كنتم تكتمون) أي مظهر ما كتمتم من أمر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما (فقلنا اضربوه) يعني القتيل
(ببعضها) أي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الاذن وقيل
ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم
اذا ضربوه بأي جزء منها أحيا وحصل المقصود وانه ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك
يقتضي التخيير وفي الآية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني
فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك)
أي كما أحيا الله عاميل صاحب البقرة (يحيي الله الموتى) يعني يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم تعقلون)
أي تمنعون أنفسكم من المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة أن يقدم ذكر القتيل أولا ثم ذكر ذبح
البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بني
اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان
كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم
على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم
قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر
الذبح أولا ثم عقبه بذكر القتل فان قلت ما فائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على أن
يحييه ابتداء من غير ضرب بشئ قلت الفائدة فيه أن تكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد لاحتمال أن
يتوهم متوهم أن موسى عليه السلام انما أحياه بضرب من السحر والحيلة فاذا أحيي القتيل عند
ما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبأمره كان ذلك فان قلت هلا أمروا
بذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو أمروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها
التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من أعظم
القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي أخذه
صاحبها من ثمنها
*(فصل في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت) وذلك أنه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف
قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعي به واللوث أن يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت
أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم أو وجد قتيل في محلة أو قرية وكلهم أعداء
القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على
من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى
عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب
عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود به قال مالك وأحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان
الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان أحدهما أنه يحلف يمينا
واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني أنه يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتل وعند أبي حنيفة لا حكم للوث
ولا يبدأ بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم انهم ما
قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا أخذ الدية من سكانها والدليل على أن البداءة بيمين المدعي عند

وجود اللوث ما روي عن سهل بن أبي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو أحدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال أتحلفون وتستحقون قاتلكم أو قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بأيمان خمسين منهم قالوا كيف نأخذ بأيمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة أخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين ليقوى جانبهم باللوث لان اليمين أبدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم ۞ قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك) اي من بعد ظهور الدلالات التي جاءهم بها موسى وقيل هي اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة (فهي) يعني القلوب في الغلظ والشدة (كالحجارة) اي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه (او) قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي و(اشد قسوة) فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجر التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار (وان منها لما يهبط من خشية الله) اي ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب أهل السنة ان الله تعالى أودع في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليها غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لاعرفه الآن عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حنينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما

التقريع والتوبيخ وعين نكتته بعدما استؤنفت الثانية المشتملة قصة برأسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى أن من أراد احياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بأنواع المجاهدات ومعنى (ثم قست قلوبكم) استبعاد القسوة (من بعد) ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ من بعد (ذلك) اشارة الى احياء القتيل أو الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة (فهي كالحجارة) فهي في قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها وأشد معطوف على الكاف تقديره أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو هي في أنفسها أشد قسوة يعني ان من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة وانما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم (وان من الحجارة) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة (لما يتفجر منه الانهار) ما بمعنى الذي في موضع النصب وهو اسم ان واللام للتوكيد والتفجر التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما يشقق) اصله يتشقق وبه قرأ الاعمش فقلبت التاء شينا وأدغمت (فيخرج منه الماء) يعني ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا وقلوبهم لا تندى (وان منها لما يهبط) يتردى من اعلى الجبل (من خشية الله) قيل هو مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحياة والتمييز وليس شرط خلق الحياة والتمييز في الجسم ان يكون على بنية مخصوصة عند أهل السنة وعلى هذا قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية يعني وقلوبهم لا تخشى (وما

الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم
حتى يجازيهم بها في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (أفتطمعون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الداعي
الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنهم كانوا
يدعونهم الى الايمان أيضا ومعنى أفتطمعون أفترجون (أن يؤمنوا لكم) أي يصدقكم اليهود بما
تخبرونهم وقيل معناه أفتطمعون أن يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو
السبب في خلاصهم من الذل ولظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد
بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الأقرب لأن الضمير راجع اليهم في أفتطمعون أن يؤمنوا لكم فعلى
هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لأنه يصح أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم
يحرفونه) أي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا
مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى
لميقات ربه وذلك لأنهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فانهم أدوا كما سمعوا
وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان
هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة (من بعد ما عقلوه)
أي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) أي فساد مخالفته ويعلمون أيضا أنهم
كاذبون ﴿ قوله عز وجل (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا
(واذا خلا بعضهم الى بعض) يعني كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهوذا ورؤساء اليهود
لاموا منافقي اليهود على ذلك و(قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني قص الله عليكم في كتابكم من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) أي ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لأهل
المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا
أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) أي في الدنيا والآخرة وقيل هو قول
يهود بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير فقالوا من أخبر
محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم وقيل ان اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم
لبعض أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله (أفلا تعقلون) أي
ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولا يعلمون) يعني اليهود (أن الله يعلم ما يسرون) أي ما يخفون (وما يعلنون)
أي ما يبدون وما يظهرون ﴿ قوله عز وجل (ومنهم) أي من اليهود (أميون) أي لا يحسنون الكتابة ولا
القراءة جمع أمي وهو المنسوب الى أمه كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون
الكتاب الا أماني) جمع أمنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

الله بغافل عما تعملون) وبالياء مكي ... (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) [illegible]
ويستجيبوا لكم كقوله تعالى فآمن له لوط يعني اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) أي التوراة (ثم
يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم
(وهم يعلمون) انهم كاذبون
مفترون والمعنى ان كفر
هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة
في ذلك (واذا لقوا) أي
المنافقون أو اليهود (الذين
آمنوا) أي الخلص من
أصحاب محمد عليه السلام
(قالوا) أي المنافقون
(آمنا) بأنكم على الحق
وان محمدا هو الرسول المبشر
به (واذا خلا بعضهم) الذين
لم ينافقوا (الى بعض) الى
الذين نافقوا (قالوا) عاتبين
عليهم (أتحدثونهم)
أتخبرون أصحاب محمد عليه
السلام (بما فتح الله عليكم)
بما بين الله لكم في التوراة
من صفة محمد عليه السلام
(ليحاجوكم به عند ربكم)
ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم
في كتابه جعلوا محاجتهم به
وقولهم هو في كتابكم هكذا
محاجة عند الله ألا تراك
تقول هو في كتاب الله تعالى
هكذا وهو عند الله هكذا
بمعنى واحد وقيل هذا على
اضمار المضاف أي عند
كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم
ويخاصموكم به بما قلتم لهم
عند ربكم في الآخرة يقولون
كفرتم به بعد أن وقفتم على
صدقه (أفلا تعقلون) ان
هذه حجة عليكم حيث
تعترفون به ثم لا تتابعونه (أولا يعلمون أن الله يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم)
ومن اليهود (أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لا يعلمون الكتاب) التوراة (الا أماني) الا ما هم عليه من أمانيهم
وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار الا أياما معدودة أو الا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول
عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ أسلمت أو الا ما يقرؤن من قوله * تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر أي لا يعلمون هؤلاء

[illegible] (وإن هم) وما هم (إلا يظنون) لا يدرون ما فيه [illegible]

بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم (فويل) في الحديث ويل واد في جهنم (الذين يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون منزلا وذكر الأيدي للتأكيد وهو من مجاز التأكيد (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) عوضا يسيرا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) من الرشا (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد رضي الله عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قل أتخذتم عند الله عهدا) أي عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار (فلن يخلف الله عهده) متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أم إما أن تكون معادلة أي أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون أو منقطعة أي بل أتقولون على الله ما لا تعلمون (بلى) إثبات لما بعد النفي وهو لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهم (وأحاطت به خطيئته) وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه فأما إذا مات مؤمنا فأعظم الطاعات وهو الإيمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة خطاياه مدنى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد (لا تعبدون إلا الله)

تمحى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

أي تلا كتاب الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى يعني إلا الأماني الأحاديث الكاذبة المختلقة وهي الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم وأضافوها إلى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم (وإن هم إلا يظنون) أي ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة وأصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) تأكيد للكتابة لأنه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال بأيديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك أن رؤساء اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر فكانوا إذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعني هذه الصفة التي كتبوها فإذا نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون إنه ليس به (ليشتروا به) أي بما كتبوا (ثمنا قليلا) أي المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) قوله عز وجل (وقالوا) أي اليهود (لن تمسنا) أي لن تصيبنا (النار إلا أياما معدودة) أي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنا نعذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل إنهم عنوا بالأيام الأربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل إن اليهود زعموا أن الله تعالى عتب عليهم في أمر فأقسم ليعذبنهم أربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم (قل) أي يا محمد لليهود (أتخذتم عند الله عهدا) أي موثقا أن لا يعذبكم إلا هذه المدة (فلن يخلف الله عهده) أي وعده (أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى) إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار أبدا (من كسب سيئة) السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس (وأحاطت به خطيئته) أي أحدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل أحاطت به أي أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فإن الخلود في النار هو للكفار والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإن قلت العمل الصالح خارج عن اسم الإيمان لأنه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الإيمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكرارا قلت أجاب بعضهم بأن الإيمان وإن كان يدخل فيه جميع الأعمال الصالحة إلا أن قوله آمن لا يفيد إلا أنه فعل فعلا واحدا من أفعال الإيمان فلهذا حسن أن يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل إن قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا أولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الأعمال الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) * قوله عز وجل (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد (لا تعبدون إلا الله) أي أمر الله تعالى بعبادته

الاخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء [illegible]
وهو يخبر عنه وتنصره قراءة ابي لا تعبدوا وقوله وقولوا والقول مضمر لا يعبدون مكي وحمزة وعلي لان بني اسرائيل اسم ظاهر والاسماء
الظاهرة كلها غيب ومعناه ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع (وبالوالدين احسانا) اي واحسنوا بالوالدين احسانا عطف الامر وهو قوله وقولوا عليه
(وذي القربى) القرابة (واليتامى) جمع يتيم وهو الذي فقد اباه قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه السلام (٦٣) لا يتم بعد البلوغ (والمساكين)
جمع مسكين وهو الذي أسكنته الحاجة (وقولوا للناس حسنا) قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه حسنا حمزة وعلي (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم) عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين اسلموا منهم (وانتم معرضون) وانتم قوم عادتكم الاعراض والتولية عن المواثيق (واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم) اي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا ودينا وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم اقررتم) بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه (وانتم تشهدون) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما أسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد
أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تقتلون أنفسكم) صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبر أنتم (وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم) غير مراقبين ميثاق الله (تظاهرون عليهم) بالتخفيف كوفي أي تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف
احدى التاءين ثم قيل هي الثانية لان الثقل بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية طاء وأدغم (بالاثم والعدوان) بالمعصية والظلم (وان
يأتوكم أسارى تفادوهم) تفدوهم أبو عمرو وأسرى تفدوهم مكي وشامي أسرى تفدوهم حمزة أسارى تفادوهم على فدى وفادى بمعنى
وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والاسم [illegible]

فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أي برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده أعظم النعم لانه هو الذي خلقه وأوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية أيضا فيجب شكرهما ثانيا (وذي القربى) أي القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذي مات أبوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور لصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو أن ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن أن ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان أحدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموها قاله ابن عباس والوجه الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام وأخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتم) أي أعرضتم عن العهد (الا قليلا منكم) يعني من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فانهم وفوا بالعهد (وأنتم معرضون) أي كاعراض آبائكم قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم (لا تسفكون) أي لا تريقون (دماءكم) أي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم أقررتم) أي بهذا العهد انه حق (وأنتم تشهدون) يعني أنتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم أنتم هؤلاء) يعني يا هؤلاء اليهود (تقتلون أنفسكم) أي يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) أي يخرج بعضكم بعضا من ديارهم (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) أي تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى) جمع أسير (تفدوهم) أي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم أي تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله تعالى أخذ على بني اسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبد

(وهو محرم عليكم) الشأن أو هو ضمير مبهم تفسيره (إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب) بفداء الأسرى (وتكفرون ببعض) بالقتال
والإجلاء قال السدي أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا
الفداء (فما جزاء من يفعل ذلك) (٦٤) هو إشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض (منكم إلا خزي) فضيحة وهوان (في الحياة الدنيا
ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) وهو الذي لا روح فيه ولا فرج أو إلى أشد من عذاب الدنيا (وما الله بغافل عما تعملون) بالياء مكي ونافع وأبو بكر (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) اختاروها على الآخرة اختيار المشتري (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة آتاه جملة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به إذا أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) هي بمعنى الخادم ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا لم يثبت في الأبنية البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات (وأيدناه بروح القدس) أي الطهارة
وبالسكون حيث كان مكي أي بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب أو بجبريل يعني
عليه السلام لأنه يأتي بما فيه حياة القلوب وذلك لأنه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله أو بالإنجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا أو
باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى) تحب (أنفسكم استكبرتم) تعظمتم عن قبوله (ففريقا
كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام

أو أمة من بني إسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء
الخزرج وكان بين الأوس والخزرج حرب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع
حلفائهم فإذا غلب أحد الفريقين أخربوهم من ديارهم وخربوها وكان إذا أسر رجل من الفريقين جمعوا
له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا إنا أمرنا أن نفديهم فقالوا كيف
تقاتلونهم فقالوا إنا نستحي أن تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفي الآية
تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان (وهو محرم
عليكم إخراجهم) وإن يأتوكم أسارى تفدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك
الإخراج وترك المظاهرة مع أعدائهم وفك أسراهم فأعرضوا عن الكل إلا الفداء قال الله عز وجل
(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) معناه إن وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وأنتم تقتلونهم
بأيديكم فكان إيمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة أفعالهم لا على الفداء لأنهم أتوا
ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يعني يا معشر اليهود (إلا خزي في
الحياة الدنيا) أي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الإجلاء والنفي من
منازلهم إلى أريحاء وأذرعات من أرض الشام (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) يعني عذاب النار
(وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (أولئك الذين اشتروا) أي استبدلوا (الحياة الدنيا
بالآخرة) لأن الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاته لذات الآخرة
(فلا يخفف عنهم العذاب) أي لا يهون عليهم (ولا هم ينصرون) أي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله
عز وجل (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) يعني التوراة جملة واحدة (وقفينا) أي وأتبعنا من
التقفية وهو أن يقفو أثر الآخر (من بعده بالرسل) يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى إلى
زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض والشريعة واحدة قيل إن الرسل بعد موسى
يوشع بن نون وأشمويل وداود وسليمان وأرمياء وحزقيل وإلياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا
يحكمون بشريعة موسى إلى أن بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام
التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) أي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من إحياء
الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وقيل هي الإنجيل واسم عيسى بالسريانية أيشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو
اسم علم لها كزيد من الرجال (وأيدناه) أي وقويناه (بروح القدس) قيل أراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس
هو الله تعالى وأضاف روح عيسى إليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وأمة الله وبيت الله
وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الإنجيل لأنه حياة
القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل وصف بالقدس وهو الطهارة لأنه لم يقترف ذنبا
قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله يعني جبريل وروحا للعناية لأنه روح من خلق
من النور وقيل سمي روحا لمكانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل
أولى لأنه تعالى قال وأيدناه أي قويناه بجبريل وذلك أنه أمر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم
يفارقه حتى صعد به إلى السماء فلما سمعت اليهود ذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم تعمل ولا كما
تقص علينا من أخبار الأنبياء فعلت فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقا قال الله تعالى (أفكلما جاءكم)
يعني يا معشر اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) أي تعظمتم عن الإيمان به (ففريقا كذبتم)

(وفريقا تقتلون) [illegible] ولقد آتينا موسى الكتاب [illegible]
محمد عليه السلام لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا يا بنى اسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم
رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم (وقالوا قلوبنا غلف) جمع
أغلف أى هى خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن (بل لعنهم الله بكفرهم)
فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق وانما طردهم بكفرهم وزيغهم (فقليلا
ما يؤمنون) فقليلا صفة مصدر محذوف أى فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم وقيل غلف
تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف أى قلوبنا أوعية العلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره أو أوعية العلوم فلو كان ما جئت
به حقا لقبلنا (ولما جاءهم) أى اليهود (كتاب من عند الله) أى القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه (وكانوا من قبل) يعنى القرآن (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لاعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) ما موصولة أى ما عرفوه وهو فاعل جاء (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) أى عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد أو الجنس ودخلوا فيه دخولا أوليا وجواب لما الاولى
مضمر وهو نحو كذبوا به أو أنكروه أو كفروا وجواب الاولى والثانية لان مقتضاهما واحد وما فى (بئس ما)
نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس أى بئس شيأ اشتروا به أنفسهم) أى باعوه والمخصوص بالذم (أن يكفروا بما أنزل الله) يعنى القرآن
(بغيا) مفعول له أى حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (أن ينزل الله) لأن ينزل أو على أن ينزل أى حسدوه على أن ينزل الله (من
فضله) الذى هو الوحى (على من يشاء من عباده) وهو محمد عليه السلام (فباؤا بغضب على غضب) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لانهم كفروا
بنبى الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك (وللكافرين عذاب
مهين) مذل بئسما وبابه غير مهموز أبو عمرو ينزل بالتخفيف مكى وبصرى (واذا قيل لهم) لهؤلاء اليهود (آمنوا بما أنزل الله) يعنى القرآن
أو هو مطلق يتناول كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أى التوراة (ويكفرون بما وراءه) أى قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء
التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة (قل

يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعنى مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك
ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم
الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع أغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه
قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا أوعية العلم فلا نحتاج الى علمك وقيل أوعية من
الوعى لانهم مجيدينا الا وعته الاحديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى
(بل لعنهم الله بكفرهم) أى طردهم وأبعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ثم انهم أنكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) أى لم يؤمن منهم الا قليل لان من
آمن من المشركين كان أكثر منهم قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما
معهم) يعنى التوراة وهذا التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة
(وكانوا) يعنى اليهود (من قبل) أى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) أى يستنصرون
به (على الذين كفروا) يعنى مشركى العرب وذلك انهم كانوا اذا أحزنهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم
انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم
من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) أى
الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بنى اسرائيل (كفروا به) أى
جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم) أى بئس شئ اشتروا به
أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم (ان يكفروا
بما أنزل الله) يعنى القرآن (بغيا) أى حسدا (أن ينزل الله من فضله) يعنى الكتاب والنبوة (على من يشاء
من عباده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤا) أى فرجعوا (بغضب على غضب) أى مع غضب قال ابن
عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول
بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل الاول بعبادتهم العجل والثانى
بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) يعنى الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم
(عذاب مهين) أى يهانون فيه (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعنى بالقرآن وقيل بكل ما أنزل الله (قالوا
نؤمن بما أنزل علينا) يعنى التوراة وما أنزل على أنبيائهم (ويكفرون بما وراءه) أى بما سواه من الكتب
وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقرآن (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا لما معهم) يعنى التوراة (قل)

فلم تقتلون أنبياء الله) أى فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضى ويدل عليه قوله (من قبل ان كنتم مؤمنين) أى من قبل محمد عليه السلام اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا فى يوم واحد ثلثمائة نبى فى بيت المقدس (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالآيات التسع وأدغم الدال فى الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلى (ثم اتخذتم العجل) الها (من بعده) من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور (وأنتم ظالمون) هو حال أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها أو اعتراض أى وأنتم قوم عادتكم الظلم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى (واسمعوا) ما أمرتم به فى التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة (وأشربوا فى قلوبهم العجل) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بكفرهم) بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) بالتوراة لانه ليس فى التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم (ان كنتم مؤمنين) تشكيك فى ايمانهم وقدح فى صحة دعواهم له (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة (عند الله) ظرف ولكم خبر كان (خالصة) حال من الدار الآخرة أى سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (من دون الناس) هو للجنس (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فيما تقولون لان من أيقن انه من أهل الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب بالذكر كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه (ولن يتمنوه أبدا) هو نصب على الظرف اى لن يتمنوه ما عاشوا (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله وان تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم أحرص الناس) مفعولا وجدهم وأحرص (على حياة) التنكير يدل على ان المراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبى على الحياة (ومن الذين أشركوا) هو محمول على المعنى لان معنى أحرص الناس احرص من الناس نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبريل وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة أو أريد واحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم

(66)

يا محمد (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) انما أضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها وأنكرها برئ منها ومن رضيها كان من أهلها (ان كنتم مؤمنين) أى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء ﴿قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) أى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات (وأنتم ظالمون) انما كرره تبكيتا لهم وتأكيدا للحجة عليهم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أى استجيبوا وأطيعوا أى فيما أمرتم به (قالوا سمعنا) يعنى قولك (وعصينا) يعنى أمرك وقيل انهم لم يقولوا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) أى تداخل حبه فى قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى أمر أن يبرد العجل ويذرى فى النهر وأمرهم أن يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) أى بأن تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) أى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما أنزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك فى قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعنى الجنة خالصة لكم دون الناس (فتمنوا الموت) أى فاطلبوه واسألوه لان من علم أن الجنة مأواه تمناها ومن آثر الله حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمنى (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقى على وجه الارض يهودى الا مات قال الله تعالى (ولن يتمنوه أبدا) أى لعلمهم انهم فى دعواهم كاذبون (بما قدمت أيديهم) يعنى من الاعمال السيئة وانما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جنايات الانسان تكون بها (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه أعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان أعم وكانوا أولى به (ولتجدنهم) اللام لام القسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعنى اليهود (أحرص الناس على حياة) أى حياة متطاولة والحرص أشد الطلب (ومن الذين أشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا فان قلت الذين أشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله أحرص الناس فلم أفردهم بالذكر قلت أفردهم

فاذا اجتهد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على الذين أشركوا لانهم علموا انهم صائرون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك وقوله (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في (وما هو بمزحزحه من العذاب) لاحدهم وقوله (أن يعمر) فاعل بمزحزحه اي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز أن يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء قال في جامع العلوم وغيره لو يعمر بمعنى ان يعمر فلو هنا بمعنى ان وان مع الفعل في تأويل المصدر وهو مفعول يود اي يود احدهم تعمير ألف سنة (والله بصير بما يعملون) اي بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه وبالتاء يعقوب (قل من كان عدوا لجبريل) بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكي وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعا كوفي غير حفص وبكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم ومنع الصرف للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله لان جبر هو العبد بالسريانية وايل اسم الله روي ان ابن صوريا من أحبار اليهود حاج النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشده انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى أي ذنب تقتلونه (فانه نزله) فان جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) اي حفظه اياك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك وكان حق الكلام أن يقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به وانما استقام أن يقع فانه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فانه نزل الوحي على قلبك (باذن الله) بامره (مصدقا

بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا ازداد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين أشركوا أناس (يود أحدهم) وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود أي يتمنى أحدهم (لو يعمر ألف سنة) أي تعمير ألف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال أي عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمزحزحه) أي بمباعده (من العذاب) أي النار (أن يعمر) اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) اي لا يخفى عليه شيء من أحوالهم ❁ قوله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن صوريا حبر من أحبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا وأشد ذلك علينا ان الله أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله أمره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى أي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الآية وقيل قالوا ان الله أمره أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له أرض بأعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما في أصحاب محمد أحب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتني بعد ذلك في ديني أصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله (فانه نزله) يعني جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ (باذن الله) اي بامره (مصدقا) اي موافقا

لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) [illegible] ينزلها [illegible] بالتخفيف [illegible] فانه ينزل بالهدى والبشرى أيضا (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) بصرى وحفص وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدني وميكائيل بالمد وكسر الهمز مشبعة غيرهم وخص الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر اذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات (فان الله عدو للكافرين) أي لهم فجاء بالظاهر ليدل على (٩٨) ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر كعداوة الانبياء ومن عاداهم عاداه الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) المتمردون من الكفرة واللام للجنس والاحسن أن تكون اشارة الى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواو في (أو كلما) للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما (عاهدوا عهدا نبذه) نقضه ورفضه وقال (فريق منهم) لان منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (ولما جاءهم رسول من عند الله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كتاب الله) يعنى التوراة لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول (وراء ظهورهم) مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء على
الظهر واستغناء عنه وقلة التفات اليه (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الجن والانس والريح

(لما بين يديه) أي لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا أتوا بها (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) لما بين في الآية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذي نزله على محمد بين في هذه الآية ان كل من كان عدوا لاحد هؤلاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله (فان الله عدو للكافرين) فاما عداوتهم لله فانها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذي لا ضرر أعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه وأهل طاعته فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أي يحاربون أولياء الله وأهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعنى ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها) أي وما يجحد بهذه الآيات (الا الفاسقون) أي الخارجون عن طاعتنا وما أمروا به (أو كلما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهد فانزل الله هذه الآية أو كلما استفهام انكار عاهدوا عهدا هو قولهم انه قد أظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) أي طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعني اليهود (بل أكثرهم لا يؤمنون) يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعني مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) قيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن أما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم أدرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كأنهم لا يعلمون) يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا أمره وكان أولئك النفر قليلا ۞ قوله عز وجل (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان أي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سليمان (وما كفر سليمان) يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تبرئة سليمان عن السحر وذلك أن اليهود أنكروا نبوة سليمان وقالوا إنما حصل له هذا الملك بالسحر [illegible] أسباب السحر وقيل إن السحر من اليهود وهم الذين أخذوا السحر عن سليمان [illegible] ذلك وقيل إن بعض أحبار اليهود قالوا ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيا وما كان إلا ساحرا فأنزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني أن سليمان لم يكن ساحرا لأن الساحر كافر أخبر الله تعالى أن الساحر كافر لا محالة بقوله تعالى (ولكن الشياطين كفروا) يعني أن الذين اتخذوا السحر لأنفسهم هم الذين كفروا ولم يكن سليمان منهم ثم قال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل أن يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا ومعنى السحر [illegible] فلا يفعل إلا خفية وقيل معنى السحر الإزالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه وهذا أصله من حيث اللغة وأما حقيقته فقيل إنه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب أهل السنة أن له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك إذا اعتقد أن الكواكب هي المؤثرة في قلب الأعيان وروي عن الشافعي أنه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به وقيل إن السحر يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الإنسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب ويقدر يطير الساحر في الهواء وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لأنهم قالوا إن الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الأشياء عند عمل الساحر لها لأن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والأصح أن السحر يخيل ويؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون ويدل على ذلك أن الكلام يؤثر في الطباع فقد يسمع الإنسان ما يكره فيحم ويمرض وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الأبدان وأما حكمه فهو من الكبائر التي نهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الإشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وقرنه بالشرك وأمرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين أحدهما يكفر به صاحبه وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر أو يعتقد أن الكواكب هي المؤثرة الفعالة فإذا انتهى به السحر إلى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روي عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربة بالسيف أخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل الشعبذات والشعوذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه قدرة ولا أن الكواكب هي المؤثرة ويعتقد أن القدرة لله تعالى وأنه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فإن قتل بسحره قتل قصاصا لما روي عن مالك أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت أخرجه في الموطأ ۞ قوله عز وجل (وما أنزل على الملكين) أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين والإنزال هنا بمعنى الإلهام والتعليم أي ما ألهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجه أن

(وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامي وحمزة وعلي (يعلمون الناس السحر) في موضع الحال أي كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم (وما أنزل على الملكين) الجمهور على أن ما بمعنى الذي وهو نصب عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على ما تتلوا أي واتبعوا ما أنزل على الملكين

الملائكة لايعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز أن يضاف الى الله تعالى انزال
ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده
جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان
الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر أن
يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما
يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن
التفريق بين المرء وزوجه فيتمحص المؤمن بتركه التعليم منهما ويجري الكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما
ويكون الملكان في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كان عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير
ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد أديا
ما أمرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه فالشقي
من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله
تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على
ايمانه ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن
لم يطعمه فانه مني (ببابل) قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط
صرح نمرود وقيل انها بابل نهاوند والاول أصح وأشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانيان وقصة
الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في
زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله
تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن
نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا
من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله
فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير
الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى
السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا في أول يوم وذلك انه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة
وكانت من أجمل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل
سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني
ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء
فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي أنفسهما من الميل اليها
ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم
واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه وفي الفضيحة
وقيل انهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل
سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك أن تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم
ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت
لا الا أن تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال أحدهما لصاحبه أما تعلم
ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها
فقالت لا الا ان لي صنما أعبده ان أنتما صليتما معي عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد
عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالت لهما لن تدركاني حتى
تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر قالت فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه فقال

(ببابل هاروت وماروت) علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ان كان فيه رد ما لزم في شرط الايمان ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه لئلا يغتر به كان مؤمنا قال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله القول بان السحر على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فان كان في ذلك رد ما لزم في شرط الايمان فهو كفر والا فلا ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الاناث وما ليس بكفر وفيه اهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوي فيه المذكر والمؤنث وتقبل توبته اذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فان سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل قيل انهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بني آدم فكانا يحكمان في الارض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما انسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين في جب ببابل وسميت ببابل لتبلبل الالسن بها

أحدهما الآخر علمها فقال اني أخاف الله فقال الآخر وأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي أقسم الله بها فقال فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس فقالا من أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

(فصل في القول بعصمة الملائكة) أجمع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلاء واتفق أئمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شئ ثبتت فيه عصمة الانبياء وكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء في التبليغ اليهم كالانبياء مع أممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وما نقله أهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد وأجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون وأهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما أخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والانبياء وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا أيضا في الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثاني أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخير من أشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها في قوله فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله أعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا) يعني وما يعلمان أحدا حتى ينصحاه أولا ويقولا (انما نحن فتنة) أي ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان أبى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السماء فذلك الايمان والمعرفة وينزل شئ أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى

(وما يعلمان من أحد) وما يعلم الملكان أحدا (حتى يقولا) حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (انما نحن فتنة) ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا

(ويتعلمون [illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (وما هم بضارين به) السحر (من أحد إلا بإذن الله) [illegible]
[illegible] (٧) [illegible]
[illegible] (من خلاق) [illegible] (ولبئس ما شروا به أنفسهم) [illegible] (لو كانوا يعلمون) [illegible] علموا على سبيل التوكيد القسمي لأن معناه لو كانوا يعملون بعلمهم [illegible] كأنهم لا يعلمون (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لأثيبوا من عند الله ما هو خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمني كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير (يا أيها الذين غير
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم راعنا يا رسول الله أي
راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه
وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره إذا انتظره (واسمعوا)
وأحسنوا استماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة
وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكون سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وللكافرين) ولليهود الذين سبوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) مؤلم (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين

([illegible]) يعني من [illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible] (ولقد علموا) يعني اليهود (لمن اشتراه) أي اختار السحر
(ما له في الآخرة من خلاق) يعني ما له نصيب [illegible] (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أي باعوا به أنفسهم
حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فإن قلت كيف أثبت لهم العلم أولاً في
قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم آخراً في قوله لو كانوا يعلمون قلت [illegible] علموا أن من اشترى
السحر ما له في الآخرة من خلاق ثم مع هذا الذي علموا اشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى عناداً
[illegible] الرسول [illegible] [illegible] [illegible] بما علموا فكأنهم [illegible]
[illegible] كأنهم [illegible] (ولو أنهم) يعني اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
(واتقوا) يعني اليهودية والسحر وما يؤثمهم (لمثوبة من عند الله) أي لكان ثواب الله إياهم (خير) لهم
يعني من هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعني ذلك. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) سبب
نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة أي أرعنا سمعك وفرغ سمعك لكلامنا
وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل هي من الرعونة إذا أرادوا أن
يحمقوا إنساناً قالوا راعنا بمعنى أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب
محمداً سراً فأعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن
معاذ رضي الله تعالى عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من أحد منكم يقولها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا أي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا)
أي انظر إلينا وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وفهمنا (واسمعوا) أي ما تؤمرون به وأطيعوا نهى الله تعالى
عباده المؤمنين أن يقولوا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق أحد إلى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه
وأن يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أدقها وإن سألوه يسألوه بتبجيل
وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود (وللكافرين) يعني اليهود (عذاب أليم) أي مؤلم (ما يود) أي
ما يحب (الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود (ولا المشركين) يعني عبدة الأوثان لأن الكفر
اسم جنس تحته نوعان أهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الأوثان وهم من عبدوا

غيرالله (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يختص برحمته من يشاء) يعني انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعني ان كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه ۞ قوله عز وجل (ما ننسخ من آية او ننسها) الآية وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر فانزل ما ننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

۞ (فصل في حكم النسخ) ۞ وفي اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من لا ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها أنه قد جاء في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك اني جعلت كل دابة مأكولا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بني اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخ الاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه أحدها ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها لان الآية اذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا * (مسئلة) * قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو أنه تعالى قال ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها وذلك يفيد أنه تعالى هو الآتي والمأتي به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد أنه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث أجاب الشافعي رضي الله تعالى عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في أصول الفقه ثم

أن ينزل عليكم) و بالتخفيف مكي وأبو عمرو (من خير من ربكم) من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة (والله يختص برحمته من يشاء) يعني أنهم يرون أنفسهم أحق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شئ من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء (والله ذو الفضل العظيم) فيه اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا في النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل (ما ننسخ من آية أو ننسها) تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي تقرر في أوهامنا استمراره بطريق التراخي فكان تبديلا في حقنا بيانا محضا في حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه أعني اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد ثابت نصا أو دلالة وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فانه نسخ عندنا خلافا للشافعي رحمه الله والانساء

أن يذهب بحفظها عن القلوب أو ننساها من وأبو عمرو أي نؤخرها من نساب أي أخر.

النسخ فى القرآن على وجوه أحدها مارفع حكمه وتلاوته كما روى عن أبى أمامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت تلاوتها وحكمها أخرجه البغوى بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثانى مارفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم روى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل مانجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف أخرجه مسلم والبخارى نحوه الوجه الثالث مارفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية أربعة أشهر وعشرا وآية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير فى القرآن وأما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية أى نرفعها أو نرفع حكمها أو ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناها ننسكها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول برفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلا ننزلها أو نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننسأها أى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ فلا ننزلها (نأت بخير منها) أى بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (أو مثلها) أى فى المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل فى العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان أكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام ايام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى كل سنة أثقل على الابدان وأشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه أجزل وأكثر واما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث امره الله تعالى (الم تعلم أن الله على كل شئ قدير) اى على النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم يامحمد انى قادر على تعويضك مما نسخته من احكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وانفع لك ولهم عاجلا وآجلا (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) يعنى انه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من امر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم انه له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (ومالكم) يعنى يامعشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) اى مما سوى الله (من ولى) اى قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور (ولا نصير) اى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم ايها المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يؤيدكم ويقوى كم على اعدائكم ۞ قوله عز وجل (ام تريدون ان تسألوا رسولكم) نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا يامحمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان

(نأت بخير منها) أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر الثواب (اومثلها) فى ذلك اذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض (الم تعلم أن الله على كل شئ قدير) اى قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله (الم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ (ومالكم من دون الله من ولى) يلى أمركم (ولا نصير) ناصر يمنعكم من العذاب (أم تريدون) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون (أن تسألوا رسولكم

كما سئل موسى من قبل) روى أن قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا الها (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) قصده ووسطه (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) أي يردوكم (من بعد ايمانكم كفارا) حال من كم أي يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا الى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم (حسدا) مفعول له اى لاجل الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير (من عند أنفسهم) يتعلق بود أي ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) أي من بعد علمهم بانكم على الحق أو بحسدا اى حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتي الله بامره) بالقتال (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عنده (ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير في (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه ألا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهود

نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا أرنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أتريدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك أن موسى سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة ففي الآية منعهم ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) أي يستبدل (الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيأ ينصحونهم به في الظاهر وأخبرهم أن من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل ۞ قوله عز وجل (ود كثير من أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في نفر من اليهود وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال اني عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود أي تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود (لو يردونكم) اى يا معشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا) [2] اى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) اى يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم لما روى عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب او قال العشب اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسد على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد ۞ وقوله (من عند أنفسهم) أى من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا او بغيا (فاعفوا واصفحوا) أي فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بالقتال (حتى يأتي الله بامره) أى بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو أمر الله بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير) أى من طاعة وعمل صالح وقيل أراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعني ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحد (ان الله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات وأعمال البر وزجر عن المعاصي ۞ قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) يعني يهوديا وقيل هو جمع هائد (أو نصارى) وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل

[2] قوله اى ترجعون لا يخفى عدم ملاءمته للنظم الشريف اه مصححه

جميع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم كان القنا من وجمع الخبر لمعنى (تلك أمانيهم) أشير بها الى الامانى المذكورة وهى أمنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم أى تلك الامانى الباطلة أمانيهم والامنية أفعولة من التمنى مثل الاضحوكة (قل هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء فى معنى احضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص (٧٦) نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) مصدق بالقرآن (فله أجره) جواب من أسلم وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) اى على شئ يصح ويعتد به والواو فى (وهم يتلون الكتاب) للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم انهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وآمن به أن لا يكفر بالباقى لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كذلك) مثل ذلك القول الذى سمعت به (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) أى الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) موضع من رفع على الابتداء انطاب وهو استفهام وأظلم خبره والمعنى أى أحد أظلم وان يذكر ثانى مفعولى منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل بالآيات وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع ان أى من أن يذكر وان تنصب مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم والسبب فيه طرح النصارى فى بيت المقدس الاذى ومنعهم الناس أن يصلوا فيه أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وانما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق

الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله (تلك أمانيهم) أى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق (قل) يعنى يا محمد (هاتوا برهانكم) أى حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تدعون ۞ ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) أى ليس الامر كما تزعمون ولكن (من أسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذى يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص فى دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان أصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع أعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعنى بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن أى فى عمله لله (فله أجره عند ربه) أى ثواب عمله (ولا خوف عليهم) أى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) أى على ما فاتهم من الدنيا ۞ قوله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (وهم يتلون الكتاب) يعنى وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس فى كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذى تدين بصحته النصارى يحقق ما فى التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بنى اسرائيل من الفرائض وان التوراة التى تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعنى مشركى العرب قالوا فى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه انهم ليسوا على شئ (مثل قولهم) يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى أنبيائهم ليسوا على شئ (فالله يحكم) أى يقضى (بينهم يوم القيامة) يعنى بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى من أمر الدين ۞ قوله عز وجل (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) نزلت فى خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومى غزا بنى اسرائيل بقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن عمر بن

الخطاب فانزل الله تعالى ومن أظلم أى ومن أكفر وأبغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاريبه أن يذكر فيها اسمه أى يعبد ويصلى له فيها (وسعى فى خرابها) وقيل ان بختنصر المجوسى من أهل بابل هو الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى من أجل ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومى أو نصرانى الا خائفا ان علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية وعمورية ورومية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى الصغار والذل والقتل والسبى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار وقيل ان الآية نزلت فى مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا فى خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالموسم لما نزلت سورة براءة الا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت فى الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت يجوز أن يجىء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين فان قلت أى القولين أرجح قلت رجح الطبرى القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس بدليل ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضا فان الآية التى قبل هذه والتى بعدها فى ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثانى بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربى فى أحكام القرآن قولا ثالثا وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الازمنة محال ﴿ قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت فى المسافر يصلى التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفى رواية لمسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت فى تحويل القبلة الى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل انها نزلت فى تخيير النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحى ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها

يدخلوها) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله (الا خائفين) حال من الضمير فى يدخلوها أى على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم روى انه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا متنكرا خيفة ان يقتل وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس الا بولغ ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (لهم فى الدنيا خزى) قتل وسبى للحربى وذلة بضرب الجزية للذمى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) أى النار (ولله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها (فأينما) شرط (تولوا) مجزوم به أى ففى أى مكان فعلتم التولية يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب (فثم وجه الله) أى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو فى بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة فى كل مكان

(إن الله واسع عليم) أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وقيل عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وهو حجة على الشافعي رحمه الله فيما إذا استدبره وقيل فأينما تولوا للدعاء والذكر (وقالوا اتخذ الله ولدا) يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قالوا شامي فإثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها وحذفها باعتبار أنه استئناف قصة أخرى (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما في السموات والأرض) أي هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح (٢٨) وعزير والولادة تنافي الملك (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره والتنوين في كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما في السموات والأرض أو كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم وجاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما سخركن لنا (بديع السموات والأرض) أي مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق إليه يقال له أبدعت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لأنه يأتي في دين الإسلام ما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم (وإذا قضى أمرا) أي حكم أو قدر (فإنما يقول له كن فيكون) هو من كان التامة أي أحدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف ٣ كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه إباء وأكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته لا مباينة لصفات الأجسام فأنى يتصور التوالد والوجه الرفع في فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أي فهو يكون أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء نصب وقلنا إن كن ليس بأمر حقيقة إذ لا فرق بين أن يقال وإذا قضى أمرا فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقول له كن فيكون وإذا كان كذلك فلا معنى للنصب وهذا لأنه لو كان أمرا فإما أن يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن أو المعدوم والمعدوم لا يخاطب

قبلة وأمر بالتوجه إليها فأينما تولوا فثم وجه الله أي فهناك قبلة الله التي وجهكم إليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله أي يريدون بالتوجه إليه رضاه (إن الله واسع) من السعة وهو الغني أي يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) أي بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء * (مسألة تتعلق بحكم الآية) * وهي أن المسافر إذا كان في مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فإنه يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل ويصلي إلى الجهة التي أدى إليها اجتهاده ولا إعادة عليه وإن لم يصادف القبلة فإن جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر إذا بقي على اللوح فإنه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال ۞ قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) أي تنزيها له فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا (بل له ما في السموات والأرض) يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب إليه الولد وهو دال على حدوثه وقيل إن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل إن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فإضافة الولد إليه محال (كل له قانتون) يعني أن أهل السموات والأرض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية وأصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون أي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين أحدهما أن الضمير راجع إلى عزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام لأن لفظة كل تقتضي الشمول والإحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين أحدهما أن ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثاني أن هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب إلى تخصيص حكم الآية أجاب عن لفظة كل أنها لا تقتضي الشمول والإحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضي ذلك ۞ قوله عز وجل (بديع السموات والأرض) أي خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الأشياء أي يحدثها مما لم يكن (وإذا قضى أمرا) أي قدره وأراد خلقه وقيل إذا أحكم أمرا وحتمه وأتقنه وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع إلى انقطاع الشيء وتمامه والفراغ منه (فإنما يقول له كن فيكون) أي إذا أحكم أمرا وحتمه فإنما يقول له كن فيكون ذلك الأمر على ما أراد الله تعالى وجوده فإن قلت المعدوم

٣ قوله كما أن المأمور الخ عبارة الكشاف والجامع بين حال المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء وهي ظاهرة اهـ

(وقال الذين لا يعلمون) من المشركين أو من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم
موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (كذلك قال الذين من قبلهم مثل
قولهم تشابهت قلوبهم) أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) (٧٩) أي لقوم ينصفون فيوقنون
أنها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (انا أرسلناك بالحق بشيرا) للمؤمنين بالثواب (ونذيرا) للكافرين بالعقاب (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) ولا نسألك عنهم مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم وهو حال كنذيرا وبشيرا وبالحق أي وغير مسؤل أو مستأنف قراءة نافع ولا تسأل على النهي ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعري ما فعل أبواي (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) كأنهم قالوا لن ترضى عنك وان أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فذكر الله عز وجل كلامهم (قل ان هدى الله) الذي رضي لعباده (هو الهدى) أي الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى
والذي تدعون الى اتباعه ما هو هدى انما هو هوى ألا ترى الى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع (بعد الذي
جاءك من العلم) أي من العلم بان دين الله هو الاسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (مالك من الله) من
عذاب الله (من ولي ولا نصير) ناصر

لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التي لم تكن كأنها كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله له لام أجل فيكون المعنى اذا قضى أمرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب ﴿ قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون) قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب (لولا) أي هلا (يكلمنا الله) أي عيانا بانك رسوله (أو تأتينا آية) أي دلالة وعلامة على صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) أي كفار الامم الخالية (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى أن يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسئلته فاخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعني ان المكذبين للرسل تشابهت أقوالهم وأفعالهم وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال (قد بينا الآيات) أي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعني ان آيات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص أهل الايقان بالذكر لانهم هم أهل التثبت في الامور ومعرفة الاشياء على يقين ﴿ قوله عز وجل (انا أرسلناك بالحق) أي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل أرسلناك بالحق (بشيرا) أي مبشرا لاوليائي وأهل طاعتي بالثواب العظيم (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا لاعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الاليم (ولا تسأل) قرئ بفتح التاء على النهي قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية والمعنى انا أرسلناك لتبليغ ما أرسلت به ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وقرئ ولا تسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا أرسلناك بالحق لتبليغ ما أرسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسؤلا عمن كفر (عن أصحاب الجحيم) أي عن أهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار ﴿ قوله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان أمهلهم تبعوه فانزل الله هذه الآية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في أمر القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني الا باليهودية ولا النصارى يعني الا بالنصرانية وهذا شئ لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيآن في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعني دينهم وطريقتهم (قل) أي يا محمد (ان هدى الله) يعني دين الله الذي هو الاسلام (هو الهدى) أي يصح أن يسمى هدى (ولئن اتبعت) يا محمد (أهواءهم) يعني أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل أهواءهم أقوالهم التي هي أهواء وبدع (بعد الذي جاءك من العلم) أي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم عليه السلام وهي الكعبة (مالك من الله من ولي) يعني يلي أمرك ويقوم بك (ولا نصير) أي ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت أهواءهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى اياكم أخاطب ولكم أؤدب وأنهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد صححته فلا تتبعوا أنتم أهواء الكافرين ولئن اتبعتم أهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبينات مالكم من الله من ولي

(الذين) مبتدأ (آتيناهم الكتاب) صلته وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو التوراة والانجيل أو أصحاب النبي عليه السلام والكتاب القرآن (يتلونه) حال مقدرة من هم لانهم لم يكونوا تالين له وقت ايتائه ونصب على المصدر (حق تلاوته) أي يقرؤنه حق قراءته في الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر أو يعملون به ويؤمنون بما في مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم (أولئك) مبتدأ خبره (يؤمنون به) والجملة خبر الذين (١٢٠) ويجوز أن يكون يتلونه خبرا والجملة خبرا آخر (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي أنعمتها عليكم (وأني فضلتكم على العالمين) وتفضيلي اياكم على عالمي زمانكم (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل الاربع وصف ليوما أي واتقوا يوما لا تجزي فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصي منهم وختم قصة بني اسرائيل بما بدأ به (واذ) أي واذكر اذ (ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) اختبره بأوامر ونواه والاختبار منا لظهور ما لم نعلم ومن الله لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفي في الشاهد والغائب جميعا فلذا تجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الامرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه ابراهيم ربه برفع ابراهيم وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما أي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن أم لا (فأتمهن) أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى ومعناه في قراءة أبي حنيفة رحمه الله فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيأ والكلمات على هذا ما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمنا وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وخمس في الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والاستنجاء بالماء ...

ولا النصير ﴿قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) أي يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا في معانيه وحقائقه وأسراره (أولئك) يعني الذين يتلونه حق تلاوته (يؤمنون به) أي يصدقون به فان قلنا ان الآية في أهل الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) أي يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الخاسرون) أي خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان ﴿قوله عز وجل (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي أيادي لديكم وصنيعي بكم واستنقاذي اياكم من أيدي عدوكم في نعم كثيرة أنعمت بها عليكم (وأني فضلتكم على العالمين) أي واذكروا تفضيلي اياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ) وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني اسرائيل المبدلين كتابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيأ (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) أي لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها الشفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان آباءنا يشفعون لنا (وهم لا ينصرون) أي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم ﴿قوله عز وجل (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) ابراهيم اسم أعجمي ومعناه أب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن شاروغ بن ارعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من أرض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله الى أرض بابل وهي أرض نمروذ الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فأما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فانهم أيضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفخرا لانه حكى الله تعالى عن ابراهيم أمورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما أوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الاختبار والاختبار يعرف حال الانسان ومعنى الابتلاء ...

يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى ﴿واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات﴾ واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون سهما هن شرائع الاسلام لم يبتل بها أحد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل أحد قبل ابراهيم فاما بعده فقد أتى الانبياء بجميع ما أمر به من الدين خصوصا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أتى بجميع ما أمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التائبون العابدون الآية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة في سورة المؤمنين في قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات وهي مذكورة أيضا في سورة سأل سائل وعن ابن عباس أيضا قال ابتلاه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعني الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهي لنا سنة واتفقت العلماء على انها من الملة وأما معانيها فقد قيل أما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ وأما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجتمع من الوسخ في الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى أن الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى أنه سنة وأول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى أنه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يا رب زدني وقارا أخرجه مالك في الموطا وقيل في الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات أوحاها اليه وأمره أن يعمل بهن فاتمهن أي أداهن حق التأدية وقام بوجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية اني جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب أنه ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان

ذلك بعد النبوة ﴿ وقوله تعالى (قال انى جاعلك للناس اماما) أى يقتدى بك فى الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذى يؤتم به (قال ومن ذريتى) أى قال ابراهيم واجعل من ذريتى وأولادى أئمة يقتدى بهم (قال) الله (لا ينال) أى لا يصيب (عهدى) أى نبوتى وقيل الامامة (الظالمين) يعنى من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك ﴿ قوله عز وجل (واذ جعلنا البيت) يعنى البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) أى مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وأمنا) أى موضعا ذا أمن يأمنون فيه من أذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد أن ينصب القتال والحرب فى الحرم وانما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعضد شوكه أى لا يقطع شوك الحرم وأراد به ما لا يؤذى منه فاما ما يؤذى منه كالعوسج فلا بأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده أى لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها أى ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف وحكم اللقطة فى جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة فى اللقطة أن يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا مقصور الرطب من النبات الذى يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش واختلاؤه قطعه قوله لقينهم القين الحداد ﴿ وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل أراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمى وسائر المشاهد والصحيح أن مقام ابراهيم هو الحجر الذى يصلى عنده الائمة وذلك الحجر هو الذى قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجلى ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدى وقيل انما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربى فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها

فى المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل هى مناسك الحج (قال انى جاعلك للناس اماما) هو اسم من يؤتم به أى يأتمون بك فى دينهم (قال ومن ذريتى) أى واجعل من ذريتى اماما يقتدى به ذرية الرجل أولاده ذكورهم واناثهم فيه فعيلة من الذر أى الخلق فأبدلت الهمزة ياء (قال لا ينال عهدى الظالمين) بسكون الياء حمزة وحفص أى لا تصيب الامامة أهل الظلم من ولدك أى أهل الكفر أخبر أن امامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر وان من أولاده المسلمين والكافر بن قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر قالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق ليس بأهل للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو فأخبر ان الظالم لا يكون نبيا (واذ جعلنا البيت) أى الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه (وأمنا) وموضع أمن فان الجانى يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا فى الملتجئ الى الحرم (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)

[illegible]

[illegible]

[illegible] قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت
زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا [illegible] فقال لها الملك لا تخافي
الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية
تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين
من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء
لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا قال وأم اسمعيل
عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا
بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة
منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه
فقالت خرج يبتغي لنا وقيل وانه ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق
وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه آنس
شيأ فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا
فأخبرته أنا في جهد وشدة فقال هل أوصاك بشيء قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة
بابك قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء
الله أن يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها
عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما
شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو
كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية فقال أين اسمعيل
فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت
طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم
قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد
قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال
فأوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني
أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه
قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك
قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني أن أبني بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك
رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر
فوضعه له فقام ابراهيم وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع
العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة
ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وقيل ان امرأة اسمعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك
فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه
الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقي أثر قدميه عليه * عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس
نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمرو موقوفا واختلفوا في

وقيل اتخذوا موضع
صلاة تصلون فيه ومقامه
عليه السلام انه أخذ بيد
عمر فقال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر أفلا نتخذه مصلى
فقال عليه السلام لم أومر
بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وقيل مصلى مدعى
ومقام ابراهيم الحجر الذي
فيه أثر قدميه وقيل الحرم
كله مقام ابراهيم واتخذوا
شامي ونافع بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا أي واتخذ
الناس من مكان ابراهيم
الذي وسم به لاهتمامه به
واسكان ذريته عنده قبلة
يصلون اليها

قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قبلة أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا أطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) أي أمرناهما وألزمناهما وأوجبنا عليهما قيل انما سمي اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن طهرا بيتي) يعني الكعبة أضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا أي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور (للطائفين) يعني الدائرين حوله (والعاكفين) يعني المقيمين به والمجاورين له (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين يعني الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعني أهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء أفضل والصلاة لاهل مكة بمكة أفضل ﴿قوله عز وجل﴾ (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) اشارة الى مكة وقيل الى الحرم (بلدا آمنا) أي ذا أمن يأمن فيه أهله وانما دعا ابراهيم له بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به فأجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا خراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن الى أهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام أو حرمت بدعوته على قولين أحدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي أن مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم القول الثاني انها انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوأها الله تعالى ابراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله أعلم (وارزق أهله من الثمرات) انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني ارزق المؤمنين من أهله خاصة وسبب هذا التخصيص أن ابراهيم عليه السلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة والامامة في ذريته فأجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين صار ذلك أدبا له في المسألة فلا جرم خص هنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فأمتعه) أي سأرزق الكافر أيضا (قليلا) أي في الدنيا الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم أضطره الى عذاب النار) أي ألجئه في الآخرة وأدفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه (وبئس المصير) أي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب ﴿قوله تعالى﴾ (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) وكانت [illegible] [illegible] العلماء

سن الاوثان والخبائث والانجاس كلها (للطائفين) الدائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين وقيل الطائفين النزاع اليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمع راكع وساجد (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كعيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول اول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفته (وارزق أهله من الثمرات) لانه لم يكن لهم ثمرة ثم أبدل (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من أهله بدل البعض من الكل أي وارزق المؤمنين من أهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المؤمنين به قال الله تعالى جوابا له (قال ومن كفر) أي وارزق من كفر (فأمتعه قليلا) تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا الى حين أجله فأمتعه شامي (ثم أضطره) ألجئه (الى عذاب النار وبئس المصير) المرجع الذي يصير اليه النار فالمخصوص بالذم محذوف (واذ يرفع) حكاية حال ماضية (ابراهيم القواعد) هي جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة [illegible] وا[illegible] الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر (من البيت) بيت الله وهو الكعبة (واسمعيل) هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله [illegible]

وأصحاب السير ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق الارض بألفي عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأنزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وأنزل الله عليه الحجر الاسود وكان أبيض فاسود من مس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وأرسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب وقيل هي المتلوية في هبوبها وأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى أن وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهي أس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتني بأحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا أحسن منه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فأخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى أمد ابراهيم واسمعيل بسبعة أملاك يعينونهما في بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا (ربنا تقبل منا) وفي الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا أي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك (انك أنت السميع) أي لدعائنا (العليم) يعني بنياتنا ۞ قوله عز وجل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) يعني موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما أن يكون المراد منه الدين والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان أحدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال (ومن ذريتنا) أي من أولادنا (أمة) أي جماعة (مسلمة) أي خاضعة منقادة (لك) وانما أدخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى أعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعاء فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء قلت لانهم أحق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولان أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم ألا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم (وأرنا) أي علمنا وبصرنا (مناسكنا) أي شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمي ذلك

(ربنا) أي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا) تقربنا اليك ببناء هذا البيت (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا وفي ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم لشأن المبين (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له واستسلم اذا خضع وأذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين وقيل أراد بالامة أمة محمد عليه السلام وانما خصا بالدعاء ذريتهما لانهم أولى بالشفقة كقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وأرنا مناسكنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبدا تنا في الحج أو عرفناها وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك وأرنا مكي قاسه على فخذ في فخذ وأبو عمرو يشم الكسرة

الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) أي تجاوز عنا (انك أنت التواب) أي المتجاوز عن عباده (الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الأنبياء ووجه أن التوبة لا تطلب من الله الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بأن العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير في بعض الأوقات اما على سبيل السهو أو ترك الأولى والأفضل وكان هذا الدعاء لأجل ذلك وقيل يحتمل أن الله تعالى لما أعلم ابراهيم أن في ذريته من هو ظالم فلا جرم سأل ربه التوبة لأولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لأنفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل أنهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان أحرى الأماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدي من بعدهما بهما في ذلك الدعاء لأن ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعني وابعث في الأمة المسلمة أو الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم من غيره وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لأن ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناده عن العرباض ابن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله مكتوب بخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشأم وقوله لمنجدل في طينته معناه انه مطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (يتلو عليهم) أي يقرأ عليهم (آياتك) يعني ما توحي اليه وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأن الذي كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه (ويعلمهم الكتاب) يعني معاني الكتاب وحقائقه لأن المقصود الأعظم تعلم ما في القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والأحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى أولا أمر التلاوة وهي حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره (والحكمة) أي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الأمران وقيل الحكمة هي التي تردع عن الجهل والخطأ وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه وقيل الحكمة معرفة الأشياء بحقائقها واختلف المفسرون في المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك لأن الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيأ آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هي العلم بأحكام الله تعالى التي لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الأحكام والقضاء وقيل هي فهم القرآن والمعنى ويعلمهم ما في القرآن من الأحكام والحكمة وهي ما فيه من الصالح الدينية والأحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة (ويزكيهم) أي ويطهرهم من الشرك وعبادة الأوثان وسائر الأرجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية أي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الأيدي وقيل العزيز القوي والعزة

(وتب علينا) ما فرط منا من التقصير أو استتابا لذريتهما (انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم) في الأمة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه السلام أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة وفهم القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس (انك أنت العزيز) الغالب الذي لا يغلب

القوة من قولهم أرض عزاز أي صلبة قوية (الحكيم) أي العالم الذي لا تخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام ۞ قوله عز وجل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم أي يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم أي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشيء اذا أراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأي فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني قال يا رب وكيف اعرف نفسي وكيف أعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفيناه) أي اخترناه (في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني الفائزين وقيل مع الانبياء في الجنة (اذ قال له ربه أسلم) أي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه أسلم (قال أسلمت لرب العالمين) أي قال ابراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فامره الله أن يعمل بجوارحه وقيل معناه أسلم نفسك الى الله تعالى وفوض أمرك اليه قال أسلمت أي فوضت أمري لرب العالمين قال ابن عباس رضي الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين ألقي في النار ۞ قوله عز وجل (ووصى بها ابراهيم بنيه) يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله وقيل هي الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية أولاد اسمعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة ومدين ومدان ويقشان وزمران وشيق وشوخ وأمهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل أمرهم قلت لان لفظ الوصية أوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده أشد وأعظم وكانوا هم الى قبول وصيته أقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم (ويعقوب) اي ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمي يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين في بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه قال ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفتالي وجاد وآشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يا بني ان الله اصطفى لكم الدين) اي

(الحكيم) فيما أوليت (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استفهام بمعنى الجحد وانكار ان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (الا من) في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من (سفه نفسه) اي جهل نفسه اي لم يفكر في نفسه فوضع سفه موضع جهل وعدي كما عدي او معناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف من في قوله واختار موسى قومه اي من قومه وعلى في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة (ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) بيان لخطا رأي من يرغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه (اذ قال) ظرف لاصطفيناه وانتصب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله (له ربه اسلم) اذعن او اطع او اخلص دينك لله (قال أسلمت لرب العالمين) اي اخلصت او انقدت (ووصى) وأوصى مدني وشامي (بها) بالملة أو بالكلمة وهي أسلمت لرب العالمين (ابراهيم بنيه ويعقوب) هو معطوف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا (يا بني) على اضمار القول (ان الله اصطفى لكم الدين) أي أعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به

(فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في صلاته (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي أو متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات (٨٨) نبي الا على اليهودية كأنه قيل أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (اذ قال) بدل من اذ الاولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر (لبنيه ماتعبدون) ما استفهام في محل النصب بتعبدون أي أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء أو هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب (من بعدي) من بعد موتي (قالوا نعبد الهك واله آبائك) اعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار (ابراهيم واسمعيل واسحق) عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل من جملة آبائه وهو عمه لان العم أب قال عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو نصب على الاختصاص أي نريد باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب

اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) اي مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون لانه لا يعلم في اي وقت يأتي الموت على الانسان وقيل في معنى وأنتم مسلمون أي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه أخرجاه في الصحيحين ﴿ قوله عز وجل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) أي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى ام كنتم يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت اي انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما ابتعثت خليلي ابراهيم وولده وأولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى (اذ قال) يعني يعقوب (لبنيه) يعني لاولاده الاثني عشر (ماتعبدون) أي أي شيء تعبدون (من بعدي) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلي ماتعبدون من بعدي (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه كان أكبر من اسحق وأدخله في جملة الآباء وان كان عمهم لان العرب تسمي العم أبا والخالة أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال في عمه العباس ردوا على أبي (الها واحدا ونحن له مسلمون) أي مخلصون العبودية (تلك) اشارة الى الامة المذكورة يعني ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم (أمة قد خلت) أي مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من أولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم (لها ما كسبت) يعني من العمل (ولكم) يعني يا معشر اليهود والنصارى (ما كسبتم) أي من العمل (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعني كل فريق يسئل عن عمله لا عن عمل غيره ﴿ قوله عز وجل (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل (قل) يعني يا محمد (بل ملة ابراهيم) يعني اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله (حنيفا) أصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

وبنوهما الموحدون (أمة قد خلت) مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أي ان أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما ان أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيآتهم (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تهتدوا) لانه جواب الامر (قل بل ملة ابراهيم) بل نتبع ملة ابراهيم (حنيفا) حال من المضاف اليه نحو رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والعرب

والعرب تسمي كل من حج أو اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعني ان الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعني قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى لتهتدوا آمنا بالله أي صدقنا بالله (وما أنزل الينا) يعني القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) يعني وآمنا بما أنزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسمعيل وكان في الاسباط انبياء (وما أوتي موسى) يعني التوراة (وعيسى) يعني الانجيل (وما أوتي النبيون من ربهم) والمعنى آمنا أيضا بالتوراة والانجيل والكتب التي أوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وأن الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق (لا نفرق بين أحد منهم) أي لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وأقرت ببعض الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى (ونحن له مسلمون) أي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية ﴿ قوله عز وجل (فان آمنوا) يعني اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) اي بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شئ أي ليس مثله شئ وقيل فان أتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم (فقد اهتدوا) والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما أنزل اليهم وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أي أعرضوا (فانما هم في شقاق) أي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال وأصله من الشق كأنه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيكهم الله) أي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ أنجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أنجز الله وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم يسمع جميع ما يطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه ﴿ قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ

(وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل (آمنا بالله وما أنزل الينا) أي القرآن (وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب بذراري ابنائه الاثني عشر وعدي انزل بالى وعلى بلذا او ردهنا بالى وفي آل عمران بعلى (وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه (ونحن له مسلمون) لله مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ظاهر الآية مشكل لانه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم والهاء يعود الى الله عز وجل وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية الاخرى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة أي فان آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما آمنتم به وما بمعنى الذي بدليل قراءة أبي بالذي آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو ان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها (فانما هم في شقاق) أي فما هم الا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شئ (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسوله عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم واجلاء بعضهم ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين (وهو السميع) لما ينطقون به (العليم) بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة الله) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا

يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ... ويقولون هو تطهير لهم ... فأمر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وجىء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام (ومن أحسن من الله صبغة) تمييز أى لا صبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على ان قوله صبغة الله داخل فى مفعول قولوا آمنا أى قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام (٩٠) (قل أتحاجوننا فى الله) أى أتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبى من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا فى اننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى ان العمل هو أساس الامر وكما ان لكم أعمالا فلنا كذلك (ونحن له مخلصون) أى نحن له موحدون نخلصه بالايمان وأنتم به مشركون والمخلص أحرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره (أم تقولون) بالتاء شامى وكوفى غير أبى بكر وأم على هذا معادلة للهمزة فى أتحاجوننا بمعنى اى الامرين تأتون المحاجة فى حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء أو منقطعة اى بل أيقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لا تكون الهمزة الا منقطعة (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) ثم أمر نبيه عليه السلام ان يقول مستفهما رادا عليهم بقوله (قل أأنتم أعلم أم الله) يعنى ان الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) اى كتم شهادة الله التى عنده انه شهد بها وهى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والمعنى ان اهل الكتاب لا أحد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها او انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته ومن فى قوله من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا شهدت له فى أنم ساصفة لها (وما الله بغافل عما تعملون) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) كررت للتأكيد ولان المراد بالاول الانبياء عليهم السلام وبالثانى أسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء

على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود وأتى عليه سبعة أيام غمسوه فى ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأخبر الله أن دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى (ومن أحسن من الله صبغة) أى دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من أوساخ الكفر (ونحن له عابدون) أى مطيعون (قل) يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وأمروكم باتباعهم (أتحاجوننا فى الله) أى أتخاصموننا وتجادلوننا فى دين الله الذى أمرنا أن نتدين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا أقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم فأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم أتحاجوننا فى الله (وهو ربنا وربكم) أى ونحن وأنتم فى الله سواء فانه ربنا وربكم (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى ان لكل أحد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) أى مخلصو الطاعة والعبادة له وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وأنتم به مشركون والاخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف ۞ قوله عز وجل (أم تقولون) يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) يعنى أتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه (قل) يا محمد (أأنتم أعلم) يعنى بدينهم (أم الله) أى الله أعلم بذلك وقد أخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن أظلم ممن كتم) يعنى أخفى (شهادة عنده من الله) وهى علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا أحق بنعته وصفته وجدوا ذلك فى كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن أظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها وأخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى من كتمانكم الحق فيما الزمكم به فى كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه فى الآخرة (تلك أمة قد خلت) يعنى ابراهيم وبنيه (لها ما كسبت) أى جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) أى جزاء ما كسبتم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى أن كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم أى لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم ۞ قوله عز وجل (سيقول

[illegible] ... (ما ولاهم) ... [illegible]

[illegible] ... الشهر [illegible]

(عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعني بيت المقدس والقبلة [illegible] ... (قل لله المشرق [illegible])

[illegible] ... (يهدي من يشاء) من أهله (الى صراط مستقيم) [illegible]

[illegible] ... (وكذلك [illegible]) [illegible]

[illegible] الشهداء على الناس) أي شهداء من الرسول [illegible]

[illegible] ولا يبعد قوله ان القائل بانا الذين [illegible]

[illegible] الا [illegible] كثر الازهر [illegible]

[illegible] المسجد [illegible]

[illegible] المقدس الى الكعبة [illegible]

[illegible] في الملتقى [illegible]

أسس له الاسلام ويحتمل أن لفظ السفهاء عام فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم لانه لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يبالغون في الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا أو مجالا جالوا (ما ولاهم) يعني أي شيء صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وأصله من المقابلة لأن المصلي يقابلها وتقابله ثم قال الله تعالى رادا عليهم بقوله (قل) يا محمد (لله المشرق والمغرب) يعني أن له طرفي المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء أن يكون قبلة لذاته لأن الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة لأن الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدي من يشاء) يعني من عباده (الى صراط مستقيم) يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام ❁ قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه للمشبه به وفيه وجوه أحدها أنه معطوف على ما تقدم من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم أمة وسطا الثاني انه معطوف على قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم أمة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة وسطا يعني عدولا خيارا أو خير الامم وأوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم * اذا نزلت احدى الليالي بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في أمر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد أنا أعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وان هذه الامة توفي سبعين أمة هي آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى ❁ وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعني يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعني عدلا

[illegible] ... (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم [illegible] الكاف [illegible] القسري من الاشارة الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب (أمة وسطا) خيارا وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلناكم خير الامم أو عدولا لأن الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بانه ولد الزنا (لتكونوا شهداء) غير منصرف لمكان ألف التأنيث (على الناس) صلة شهداء (ويكون الرسول عليكم شهيدا) عطف على لتكونوا وروي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت انت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على ان الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله وأخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا لان المراد في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول

شهيد اعليهم (وماجعلنا القبلة التى كنت عليها) أى وماجعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فالتى كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هى ثانى مفعولى جعل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تاليفا لليهود ثم حوّل الى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أى وماجعلنا القبلة التى يجب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقله يرجع فيرتد عن الاسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه انه يكون ويوجد فالله تعالى عالم فى الازل بكل ما أراد وجوده انه يوجد فى الوقت الذى شاء وجوده فيه ولا يوصف بانه عالم فى الازل انه موجود كائن لانه ليس بموجود فى الازل فكيف يعلمه موجودا فاذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلى فيصير معلوما له موجودا كائنا والتعبير على المعلوم لا على العلم أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان بالعلم به يقع التمييز أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فلنلقه فى النار لنعلم أيذوب (وان كانت) أى التحويلة أو الجعلة أو القبلة وان هى المخففة واللام فى (لكبيرة) أى ثقيلة شاقة وهى خبر كان فارقة (الا على الذين هدى الله) أى هداهم الله فحذف العائد أى الا على الثابتين الصادقين يعنى فى اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا لان وجوبها على أهل الايمان وقبولها من أهل الايمان وأداؤها فى الجماعة دليل الايمان ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال (ان الله بالناس لرؤف) مهموز مشبع حجازى وشامى وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رحيم) لا يضيع

من كتاب الكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم أى رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذى وسطا عدولا ﴿ قوله عز وجل (وماجعلنا القبلة التى كنت عليها) أى وما جعلنا صرف القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وماجعلنا القبلة التى كنت عليها منسوخة وقيل معناه وماجعلنا القبلة التى كنت عليها وهى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت أراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أى لنرى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لتعلم رسلى وحزبى وأوليائى من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن أمره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا أنتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لنعلم لانه تعالى سبق فى علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أى يطيعه فى أمر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) أى يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفى الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) أى وقد كانت (لكبيرة) يعنى تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هى التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هى القبلة التى وجهه اليها قبل التحويل وهى بيت المقدس وأنث الكبيرة لتانيث القبلة وقيل لتانيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعنى الصادقين فى اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيى بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما أمر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحوّل القبلة الى الكعبة أسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤف رحيم)

يعني لا يضيع أجورهم والرأفة أخص من الرحمة وأرق وقيل الرأفة أشد من الرحمة وقيل الرأفة الرحمة وقيل في الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر وأما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرأفة أولا بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها أعم وأشمل ﴿قوله عز وجل (قد نرى تقلب وجهك في السماء) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يتوجه الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من أجل أن اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة أبي ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة (فلنولينك) أي فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) أي وانصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) أي تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وتلقاءه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة أبدا فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد أمر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة ﴿وقوله تعالى (وحيثما كنتم) أي من بر أو بحر مشرق أو مغرب (فولوا وجوهكم شطره) أي نحو البيت وتلقاءه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا القبلة وهذا في حق أهل المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما فقوسها مكة والعرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة

أجورهم والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمن الرحيم (قد نرى تقلب وجهك في السماء) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس (قبلة ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وشطر نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائي وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة (وحيثما كنتم) من الارض وأردتم الصلاة (فولوا وجوهكم شطره

وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق) أي [illegible] كانت في بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
الى القبلتين (من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) بالياء حمزة وأبو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود
والاباء والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) أراد ذوي العناد منهم (بكل آية) برهان قاطع ان
التوجه الى الكعبة هو الحق (ما تبعوا قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم
من نعتك انك على الحق وجواب القسم (٩٤) المحذوف سد مسد جواب الشرط (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا في
ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم ووحدت القبلة وان كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم في البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم) أي من بعد وضوح البرهان والاحاطة بان القبلة هي الكعبة وان دين الله هو الاسلام (انك اذا لمن الظالمين) لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب في الظاهر للنبي عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل لصار (الذين آتيناهم الكتاب) صفة للظالمين وهو مبتدأ
والخبر (يعرفونه) أي محمدا عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة والاول اظهر لقوله (كما يعرفون أبناءهم) قال عبد الله
ابن سلام أنا أعلم به مني بابني فقال له عمر ولم قال لاني لست أشك في محمد انه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه (وان فريقا منهم) أي
الذين لم يسلموا (ليكتمون الحق) حسدا وعنادا (وهم يعلمون) ان الله تعالى بينه في كتابهم (الحق) مبتدأ خبره (من ربك) واللام للجنس أي
الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل أو للعهد
والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر أو حال (فلا تكونن من

ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره فأنزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (ليعلمون أنه الحق من ربهم) يعني أمر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعني وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء ﴿ قوله عز وجل (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (بكل آية) أي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بانهم قالوا ائتنا بآية على ما تقول فانزل الله تعالى هذه الآية (ما تبعوا قبلتك) يعني الكعبة (وما أنت بتابع قبلتهم) يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وأنت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلتك التي أمرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة (ولئن اتبعت أهواءهم) يعني مرادهم ورضاهم ولو رجعت الى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) أي في أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع أهواءهم أبدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه ﴿ قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) أي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم (كما يعرفون أبناءهم) أي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهم روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك فقال أشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى أمر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفتك اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لا يشكون في ذلك (وان فريقا منهم) أي من علماء أهل الكتاب (ليكتمون الحق) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة (وهم يعلمون) يعني ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه (الحق) أي الذي يكتمونه هو الحق (من ربك فلا تكونن من الممترين)

[illegible] الممترين) الشاكين في انه الحق من ربك (ولكل) من أهل الأديان المختلفة (وجهة) وقبلة [illegible] (هو) [illegible]
الوجهة أى هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين أو هو لله تعالى أى الله موليها اياه هو مولاها شامى أى هو مولى تلك الجهة قد وليها [illegible]
ولكل أمة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم (الخيرات) فاستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره (أينما
تكونوا) أنتم وأعداؤكم (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل أو ولكل منكم يا أمة محمد وجهة جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستقبلوا الفاضلات من الجهات وهى الجهة المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام (ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت) ومن أى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المأمور به (للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) وبالياء أبو عمرو (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على انه نيط بكل واحد مالم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (لئلا يكون الناس
عليكم حجة) أى قد عرفكم الله جل ذكره أمر الاحتجاج فى القبلة بما قد بين فى قوله ولكل وجهة هو موليها لئلا يكون للناس اليهود عليكم
حجة فى خلاف ما فى التوراة من تحويل القبلة وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة (الا الذين ظلموا منهم)
[illegible] من الناس أى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحب البلد ولو
كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم السلام أو معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة

الممترين) أى من الشاكين فى ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى أمر القبلة والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك فى ذلك فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم لم يشك فما معنى هذا النهى قلت هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا ﴿ قوله عز وجل (ولكل وجهة) أى ولكل أهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة فى التوجه الى القبلة وقيل فى قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المؤمنين أى ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح العباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص (هو موليها) أى مستقبلها والمعنى ان لكل أهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها أى مختارها وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها أى مصروف اليها (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعى فى ان الصلاة فى أول الوقت أفضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب (أينما تكونوا) يعنى أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يعنى يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله على كل شئ قدير) أى على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة ﴿ قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) أى من أى موضع خرجت فى سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه (وانه) يعنى التوجه اليه (للحق من ربك) أى الحق الذى لا شك فيه فحافظوا عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أى ليس هو بساه عن أعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فان قلت هل فى هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهى أن هذه الواقعة أول الوقائع التى ظهر النسخ فيها فى شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فأما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة أبيه موشك أن يرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء فى قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة وكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل فى معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا فى التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبى الذى نجده فى كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) أى الا ان يظلموا

فيكثروا امامر فوامن الحق (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوهم فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فانى وليكم وناصركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشونى) أى احذروا عقابى ان أنتم عدلتم عما ألزمتكم به وفرضته عليكم (ولاتم نعمتى عليكم) أى ولكى أتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (ولعلكم تهتدون) أى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب ﴿قوله عز وجل (كما أرسلنا فيكم) كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ماقبلها ومعناه ولاتم نعمتى عليكم كما أرسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل فى ذريته أمة مسلمة والمعنى كما أجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك أجبت دعوته بان أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأتم نعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى أذكركم والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بماقبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى أمر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفى ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما أرسلنا فيكم يامعشر العرب (رسولا منكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعنى القرآن وذلك من أعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر (ويزكيكم) أى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ماذا فعلتموه صرتم أزكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (ويعلمكم الكتاب) يعنى أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعنى السنة والفقه فى الدين (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) يعنى يعلمكم من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكرونى) قيل الذكر يكون باللسان وهو أن يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو أن يتفكر فى عظمة الله تعالى وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل (أذكركم) أى بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء وقال أهل المعانى اذكرونى بالتوحيد والايمان أذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكرونى بالاخلاص أذكركم بالخلاص اذكرونى بالقلوب أذكركم بغفران الذنوب اذكرونى بالدعاء أذكركم بالعطاء (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة قوله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح قوله وأنا معه اذا ذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها معان منها ذات الشئ والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرنى خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة بما لا يطلع عليه أحد قوله وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه الملا أشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء وأجيب عنه بان الذكر غالبا يكون فى جماعة لانبى فيهم قوله وان تقرب الى شبرا

ابراهيم واسمعيل أبى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم ثم استأنف منبها بقوله (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشونى) فلا تخالفوا أمرى (ولاتم نعمتى عليكم) أى عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولاتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى الكعبة (ولعلكم تهتدون) ولكى تهتدوا الى قبلة ابراهيم الكاف فى (كما أرسلنا فيكم) اما أن يتعلق بما قبله أى ولاتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بارسال الرسول أو بما بعده أى كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب فعلى هذا الوقف على تهتدون وعلى الاول لا (رسولا منكم) من العرب (يتلوا عليكم) يقرأ عليكم (آياتنا) القرآن (ويزكيكم ويعلمكم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة والفقه (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مالا سبيل الى معرفته الا بالوحى (فاذكرونى) بالمعذرة (أذكركم) بالمغفرة أو بالثناء والعطاء أو بالسؤال والنوال أو بالتوبة وعفو الحوبة أو بالاخلاص والخلاص أو بالمناجاة والنجاة

تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من أحاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان أتاني يمشي في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه (ق) عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى (واشكروا لي) يعني بالطاعة (ولا تكفرون) أي بالمعصية فمن أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات أما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسر به ومنهم من حمله على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب (ان الله مع الصابرين) أي بالعون والنصر (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث ابن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بني الحرث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن الحرث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي أمهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبران من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله تعالى (بل أحياء) وانما أحياهم الله عز وجل في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على أن المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم أحياء تصل أرواحهم الى الجنان كما وردان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وان كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم وجواب آخر وهو انهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى (ولكن لا تشعرون) أي لا ترونهم أحياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك باخباري اياكم به فان قلت أليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خص الشهداء بالذكر قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب آخر وهو انه رد لقول

(واشكروا لي) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولا تجحدوا نعمائي (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) فبه تنال كل فضيلة (والصلاة) فانها تنهى عن كل رذيلة (ان الله مع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا (أموات) أي هم أموات (بل أحياء) أي هم أحياء (ولكن لا تشعرون) لا تعلمون ذلك لان حياة الشهيد لا تعلم حسا عن الحسن رضي الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها

(ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا (بشئ) بقليل من كل واحدة
من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وبريهم أن رحمته معهم في كل حال وأعلمهم
بوقوع البلاء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها (من الخوف) خوف الله والعدو (والجوع) أي القحط أو صوم شهر رمضان

من قال ان من قتل في سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم الدنيا فأخبر الله تعالى بقوله بل أحياء بانهم في نعيم دائم ﴿قوله عز وجل (ولنبلونكم) أي ولنختبرنكم يا أمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيأ لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها (بشئ) انما قال بشئ ولم يقل باشياء لئلا يوهم أن أشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشئ كان التقدير بشئ من الخوف وبشئ من الجوع وقيل معناه بشئ قليل من هذه الاشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم في القلب (والجوع) يعني القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الاموال) يعني بالهلاك والخسران (والانفس) أي ونقص من الانفس بالموت أو القتل (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكى عن الشافعي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال قبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشئ وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها أن الكفار اذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا أن ذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما أظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله انه مبتلى عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلاء أشد اخلاصا لله منه في حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى ليحميه مما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعني عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين اذا أصابتهم مصيبة) أي نائبة وابتلاء (قالوا انا لله) أي عبيد أو ملك (وانا اليه راجعون) يعني في الآخرة (م) عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا أجره الله في مصيبته وخلف له خيرا منها قيل ما أعطى أحد ما أعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها أحد لاعطي يعقوب عليه السلام ألا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا أسفا على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصائب (أولئك) يعني من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس أي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررهما للتأكيد أي عليهم رحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل

(ونقص من الاموال) بموت المواشي أو الزكاة وهو عطف على شئ أو على الخوف أي وشئ من نقص الاموال (والانفس) بالقتل والموت أو بالمرض والشيب (والثمرات) ثمرات الحرث أو موت الاولاد لان الولد ثمرة الفؤاد (وبشر الصابرين) على هذه البلايا أو المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شئ يؤذي المؤمن فهو مصيبة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة (الذين) نصب صفة للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وما بعده بيان للصابرين (اذا أصابتهم مصيبة) مكروه اسم فاعل من أصابته شدة أي لحقته ولا وقف على مصيبة لان (قالوا) جواب

اذا واذا وجوابها صلة الذين (انا لله) اقرار له بالملك (وانا اليه راجعون) اقرار على نفوسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لامر الله قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة

المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

(فصل) في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب التعب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة في الارض عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط أخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن أبي وقاص قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ۞ قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا أصلهما في اللغة وانما عني الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك أدخل فيهما الالف واللام وشعائر الله أعلام دينه وأصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما للقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما (فمن حج البيت) أي قصد البيت هذا أصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة لاقامة المناسك (أو اعتمر) أي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروع قصد وزيارة (فلا جناح عليه) أي فلا اثم عليه وأصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم (أن يطوف بهما) أي يدور بهما ويسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الآية وأذن في السعي بينهما وأخبر انه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله

(فصل) اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه

أي الصلاة والرحمة والاهتداء (ان الصفا والمروة) جبلان علمان الجبلين (من شعائر الله) من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة (فمن حج البيت) قصد الكعبة (أو اعتمر) زار الكعبة فالحج القصد والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان (فلا جناح عليه) فلا اثم عليه (أن يطوف بهما) أي يتطوف فادغم التاء في الطاء وأصل الطوف المشي حول الشيء والمراد هنا السعي بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على انه ليس بركن كما قال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكذا قوله

وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعى وذهب قوم الى أنه تطوع وهو
قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثورى وأبو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروى
عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شئ عليه واختلفت الرواية عن أحمد فى ذلك فروى عنه ان من
ترك السعى بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروى عنه أنه لا شئ فى تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغى أن يتركه ونقل
الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم على فاعله
فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على ان السعى بين الصفا والمروة واجب
أو ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحدها
فاذا لا بد من دليل خارج يدل على أن السعى واجب أو غير واجب فحجة الشافعى ومن وافقه فى أن السعى
بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى الشافعى بسنده عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى
بنت أبى تجزاة واسمها حبيبة احدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبى
حسين ننظر الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وان مئزره ليدور من
شدة السعى حتى لأقول انى لأرى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وصححه الدارقطنى
(ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله ان الصفا والمروة
من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيأ أن لا يطوف بهما
فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية فى الانصار
كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر فى
حديثه الطويل فى صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة
من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا
السعى لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى مناسككم والامر للوجوب ومن القياس أن
السعى أشواط شرعت فى بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به فى احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج
أبو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعى بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما وهذا لا يقال فى الواجبات ثم انه
تعالى أكد ذلك بقوله (ومن تطوع خيرا) فبين أنه تطوع وليس بواجب وأجيب عن الاول بأن قوله تعالى
فلا جناح عليه ليس فيه الا أنه لا اثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون
فيه دلالة على نفى الوجوب وعن الثانى وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضى
أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أولا بل يجوز أن يكون المقصود منه شيأ آخر يدل
على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات فى الدين يعنى فعل فعلا زائدا على
ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من أنواع الطاعات وقال مجاهد ومن
تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد
فى الطواف بعد الواجب والقول الاول أولى للعموم (فان الله شاكر) أى مجاز على الطاعة (عليم) أى
بنيته وحقيقة الشاكر فى اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى
لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر فى صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به أريد به انه المجازى
على الطاعة بالثواب الا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعبادة مظاهرة فى الاحسان اليهم ۞ قوله عز وجل
(ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) نزلت فى علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه
وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التى كانت فى التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيأ من أمر
الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها فى اليهود قال ان
الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع الحاجة

(ومن تطوع خيرا) أى الطواف بهما مشعر بانه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلى أى يتطوع فادغم التاء فى الطاء (فان الله شاكر) مجاز على القليل كثيرا (عليم) بالاشياء صغيرا أو كبيرا (ان الذين يكتمون) من أحبار اليهود (ما أنزلنا) فى التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام (والهدى) الهداية الى الاسلام بوصفه عليه السلام

(من بعد ما بيناه) أوضحناه (للناس في الكتاب) في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين فكتموه (أولئك يلعنهم الله

ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وترك الايمان (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) وأظهروا ما كتموا (فأولئك أتوب عليهم) أقبل توبتهم (وأنا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها (خالدين) حال من هم في عليهم (فيها) في اللعنة وفي النار الا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) من الانظار أي لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر اليهم نظر رحمة (والهكم اله واحد) فرد في ألوهيته لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره الها (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته وموضع هو رفع لانه بدل من موضع لا اله ولا يجوز النصب هنا لان البدل يدل على أن الاعتماد على الثاني والمعنى في الآية على ذلك والنصب يدل على أن الاعتماد على الاول ورفع (الرحمن الرحيم) أي المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فما سواه اما نعمة واما منعم عليه على أنه خبر مبتدأ أو على البدل من هو ولا على الوصف لان المضمر لا يوصف ولما عجبهم

الى بيانه واظهاره فمن كتم شيأ من أمر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن أبي هريرة قال لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيأ أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى وقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر البعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا (من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (أولئك) يعني الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) أي يبعدهم من رحمته وأصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين تابوا) أي ندموا على ما فعلوا ورجعوا عن الكفر الى الاسلام (وأصلحوا) يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعني ما كتموا من العلم (فأولئك أتوب عليهم) أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم (وأنا التواب) أي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الي (الرحيم) يعني بهم بعد اقبالهم علي ❁ قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين قلت فيه أوجه أحدها انه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) أي مقيمين في اللعنة وقيل في النار وانما أضمرت لعظم شأنها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة

(فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم) قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم على التعيين وأما على الاطلاق فيجوز لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه في الصحيح ❁ قوله عز وجل (والهكم اله واحد) سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشئ الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شئ وقيل واحد في ألوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين أشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد يعني لا شريك له في ألوهيته ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شئ من خلقه (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعني انه المولى لجميع النعم وأصولها وفروعها فلا شئ سواه بهذه

[illegible]

[illegible] (الرحمن الرحيم) [illegible]

[illegible]

[illegible] (إن في خلق السموات والأرض) [illegible]

[illegible]

[illegible] ثمانية أنواع ۞ النوع الأول قوله تعالى في خلق السموات والأرض وإنما جمع السموات وأفرد الأرض لأن كل سماء
من جنس غير جنس الأخرى ووحد الأرض لأنها كلها من جنس واحد وهو التراب والآية في السماء هي سمكها
وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الأرض مدها وبسطها
على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات ۞ النوع
الثاني قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما في المجيء والذهاب وقيل اختلافهما في الطول
والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وإنما قدم الليل على النهار لأن الظلمة أقدم والآية في الليل
والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة
يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار إنما هو لتحصيل مصالح العباد ۞ النوع الثالث قوله تعالى (والفلك
التي تجري في البحر) أي السفن واحده وجمعه سواء وسمي البحر بحرا لاستبحاره وهو اتساعه والآية في الفلك
تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالأثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة
وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجي منه إلا الله تعالى ۞ النوع الرابع قوله
تعالى (بما ينفع الناس) يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الأرباح والآية في ذلك أن الله تعالى
لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وأيضا فإن الله تعالى خص كل قطر
من أقطار العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار
من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه ۞ النوع
الخامس قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمي سماء
لأن كل ما علاك فهو سماء فخلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل إلى الأرض وقيل أراد السماء بعينها
خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل إلى السحاب ثم منه إلى الأرض (فأحيا به) أي بالماء (الأرض بعد موتها)
أي يبسها وجدبها سماها موتا مجازا لأنها إذا لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر فهي كالميتة والآية في إنزال المطر
وإحياء الأرض به أن الله تعالى جعله سببا لإحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة إليه
بقدر المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وإنزاله بمكان دون مكان ۞ النوع السادس قوله تعالى (وبث) أي
فرق (فيها) أي في الأرض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الأرض من جميع الخلق
من الناس وغيرهم والآية في ذلك أن جنس الإنسان يرجع إلى أصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من
الاختلاف في الصور والأشكال والألوان والألسنة والطبائع والأخلاق والأوصاف إلى غير ذلك ثم يقاس
على بني آدم سائر الحيوان ۞ النوع السابع قوله تعالى (وتصريف الرياح) يعني في مهابها قبولا ودبورا
وشمالا وجنوبا ونكباء وهي الريح التي تأتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل
تصريفها في أحوالها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لأنها تريح قال ابن عباس أعظم جنود
الله الريح وقيل ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو ضده وقيل البشارة في ثلاث من الرياح الصبا والشمال والجنوب
والدبور وهي الريح العقيم التي أهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والآية في الريح أنها جسم لطيف لا يمسك ولا

يرى

[illegible] في خلق السموات والأرض (واختلاف الليل والنهار) في الألوان والطول والقصر وبالذهاب والمجيء (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) الذي ينفعهم مما يحمل فيها أو بنفع الناس ونحوه (وما أنزل الله من السماء) لابتداء الغاية و(من ماء) مطر لبيان الجنس لأن ما ينزل من السماء مطر وغيره ثم عطف على أنزل (فأحيا به) بالماء (الأرض بعد موتها) يبسها ثم عطف على فأحيا (وبث) وفرق (فيها) في الأرض (من كل دابة) هي كل ما يدب (وتصريف الرياح) الريح جرة على أي وتقليبها في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب

يرى وهى مع ذلك فى نهاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهى مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذى روح وأنتن ما على وجه الارض ﴿ النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والارض) أى الغيم المذلل سمى سحابا لسرعة سيره كأنه يسحب والآية فى ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التى تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففى هذه الانواع الثمانية المذكورة فى هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد فى ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله (لآيات) أى فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان فى كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) أى ينظرون بصفاء عقولهم و يتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد ﴿ قوله عز وجل (ومن الناس) يعنى المشركين (من يتخذ من دون الله أندادا) يعنى أصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام أنداد بعضها البعض وليست أندادا لله تعالى وتعالى الله أن يكون له ند أو له مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم فى معصية الله تعالى (يحبونهم) أى يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض وأحببت فلانا أى جعلته معرضا بان تحبه والمحبة الارادة (كحب الله) أى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الاصنام وبين الله فى المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة لله تعالى ومن قال بالقول الثانى أثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له فى الحب (والذين آمنوا أشد حبا لله) أى أثبت وأدوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثانى وقيل ان الكفار يعدلون عن أصنامهم فى الشدائد و يقبلون الى الله تعالى كما أخبر عنهم فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى فى السراء ولا فى الضراء ولا فى الشدة ولا فى الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله أحبهم أولا فأحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتى بسط الكلام فى معنى المحبة عند قوله يحبهم و يحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى أشركوا فى شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم فى النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم (اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا) معناه لو رأى الذين كانوا يشركون فى الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود (وان الله شديد العذاب) قوله عز وجل (اذ تبرأ) أى تنزه وتباعد (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) أى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول (وتقطعت بهم الاسباب) يعنى الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من

(والسحاب المسخر) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء (بين السماء والارض) فى الهواء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم و يعتبرون فيستدلون بهذه الاشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها وفى الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (ومن الناس) أى ومع هذا البرهان النير من الناس (من يتخذ من دون الله أندادا) أمثالا من الاصنام (يحبونهم) يعظمونهم و يخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له أى يحبون الاصنام كما يحبون الله يعنى يسوون بينهم وبينه فى محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله و يتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) من المشركين لآلهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين يعدلون عن أندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه و يخضعون له (ولو يرى) ترى نافع وشامى على خطاب الرسول أو كل مخاطب أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما (الذين ظلموا) اشارة الى متخذى الانداد (اذ يرون) يرون شامى (العذاب أن القوة لله جميعا) حال (وأن الله شديد العذاب) شديد عذابه أى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله تعالى على كل شئ من الثواب والعقاب دون أندادهم و يعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشوق اليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضى وكذا اذ وضعها لتدل على الماضى وانما دخلتا على المستقبل هنا لان اخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضى (اذ تبرأ) مدغمة الذال فى التاء حيث وقعت عراقى غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب (الذين اتبعوا) أى المتبوعون وهم الرؤساء (من الذين اتبعوا) من الاتباع (ورأوا العذاب) الواو فيه للحال أى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ (بهم الاسباب) الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب

(وقال الذين اتبعوا) أي الاتباع (لو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ) نصب على جواب التمني لان لو في معنى التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ (منهم كما تبرؤا منا) الآن (كذلك) مثل ذلك الاراء الفظيع (يريهم الله أعمالهم) أي عبادتهم الاوثان (حسرات عليهم) ندامات وهي مفعول ثالث ليريهم ومعناه ان أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون الا حسرات مكان أعمالهم (وما هم بخارجين من النار) بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على (١٠٤) أنفسهم البحائر ونحوها (يا أيها الناس كلوا) أمر اباحة (مما في الارض) من للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول (حلالا) مفعول كلوا أو حال مما في الارض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه التي يدعوكم اليها بسكون الطاء أبو عمرو وغيره عباس ونافع وحمزة وأبو بكر والخطوة في الاصل ما بين قدمي الخاطي يقال اتبع خطواته اذا اقتدى به واستن بسنته (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة لا خفاء به وأبان متعد ولازم ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا فانه يريهم في الظاهر الموالاة ويزين لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد (وأن تقولوا) في موضع الجر بالعطف على بالسوء أي وبان تقولوا (على الله ما لا تعلمون) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن (قالوا بل نتبع ما ألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا وأعلم غرداتنا عليهم بقوله (أولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم (لا يعقلون شيأ) من الدين

قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها وأصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به (وقال الذين اتبعوا) يعني الاتباع (لو أن لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) أي من المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) أي كما أراهم العذاب يريهم الله (أعمالهم حسرات عليهم) لانهم أيقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيآت التي عملوها وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) ﴿قوله عز وجل (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا) نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي أحله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه وأصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما أحل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى (انه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى (انما يأمركم بالسوء) يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه (والفحشاء) يعني بها المعاصي وما قبح من قول أو فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) يعني من تحريم الحرث والانعام ويتناول لذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما أقدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان ﴿قوله عز وجل (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية وقيل ان الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وهم مشركو العرب قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله يا أيها الناس كلوا مما في الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعني في تحليل ما حرموا على أنفسهم (قالوا بل نتبع ما ألفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لا يعقلون شيأ) يعني لا يعلمون شيأ من أمر الدين لفظه

(ولا يهتدون) الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال (ومثل الذين كفروا) المضاف محذوف أى ومثل داعى الذين كفروا (كمثل الذى ينعق) يصيح والمراد (بما لا يسمع الا دعاء ونداء) البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان فى انهم لا يسمعون من الدعاء الاجرس النغمة ودوى الصوت من غير القاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويتها وزجرها ولا تفقه شيأ آخر كما تفهم العقلاء والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعى بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع (صم) خبر مبتدأ مضمر أى هم صم (بكم) خبر ثان (عمى) عن الحق خبر ثالث (فهم لا يعقلون) الموعظة ثم بين أن ما حرمه المشركون حلال بقوله (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته أو من حلالاته (واشكروا لله) الذى رزقكموها (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه معطى النعم ثم بين المحرم فقال (انما حرم عليكم الميتة) وهى كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وانما لاثبات المذكور ونفى ما عداه أى ما حرم عليكم الا الميتة (والدم) يعنى السائل لقوله فى موضع آخر أو دما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال (ولحم الخنزير) يعنى الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالاكل (وما أهل به لغير الله) أى ذبح للاصنام فذكر عليه غير اسم الله وأصل الاهلال رفع الصوت أى رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (فمن اضطر) أى ألجئ بكسر النون بصرى وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعنى النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة الطاء (غير) حال أى فاكل غير (باغ) للذة وشهوة (ولا عاد) متعد مقدار الحاجة وقول من قال غير باغ على الامام ولا عاد فى سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة والحبس بالحضر مبيح لا السفر ولان بعينه لا يخرج عن الايمان لا يستحق الحرمان والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول [illegible] (فلا اثم عليه) فى الا[illegible]

عام ومعناه خاص وذلك أنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) أى الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) النعيق صوت الراعى بالغنم ولا يقال نعق الا للراعى بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار فى وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهى لا تسمع الاصوتا فصار الداعى الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعى وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التى لا تفهم من الامر والنهى الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى دعائهم الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشئ غير انه فى عناء من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذى قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهى الاصنام وفى القول الاول المحذوف هو الداعى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمى) لما شبههم بالبهائم زاد فى تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذى لا يسمع يقال ان يسمع ولا يعقل كأنه أصم بكم أى عن النطق بالحق عمى أى عن طريق الهدى (فهم لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبى لان العقل الطبيعى كان حاصلا لهم ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) قيل ان الامر فى قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله أشعث أغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام ولعل قوما تنزهوا عن أكل المستلذ من الطعام فاباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا لله) يعنى على نعمه (ان كنتم اياه تعبدون) أى اشكروا الله الذى رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها ۞ قوله عز وجل (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) لما أمر الله تعالى فى الآية التى تقدمت باكل الطيبات التى هى الحلالات بين فى هذه الآية أنواعا من المحرمات أما الميتة فكل ما فارقه روحه من غير ذكاة مما يذبح وأما الدم فهو الجارى وكانت العرب تجعل الدم فى المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم وأما الخنزير فانه أراد بلحمه جميع أجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل (وما أهل به لغير الله) يعنى وما ذبح للاصنام والطواغيت وأصل الاهلال رفع الصوت وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك من أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعنى الى أكل الميتة وأحوج اليها (غير باغ) أصل البغى الفساد (ولا عاد) أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد (فلا اثم عليه) أى فاكل فلا اثم عليه أى

فلا حرج في أكلها (ان الله غفور) أي لما أكله في حال الضرورة (رحيم) يعني حيث رخص لعباده في ذلك

(فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل) (الاولى في حكم الميتة) أجمعت الامة على تحريم أكل الميتة وانها نجسة الا ما استثناه الشرع منها السمك والجراد أما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح وأما الجراد فلما روي عن ابن أبي أوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أو ستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه أخرجاه في الصحيحين معه واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعي لا بأس به وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال ما طفا من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروي عن أبي بكر الصديق وأبي أيوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وأبو حنيفة لا بأس بأكل الجراد كله ما أخذته وما وجدته ميتا وروي عن مالك ان ما وجده ميتا لا يحل وما أخذه بأيدي كذلك ما لم يقطع رأسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل *(المسئلة الثانية في حكم الدم)* اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح وقال أبو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ آخر أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد يقوى ثقة وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف أبو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم *(المسئلة الثالثة في الخنزير)* أجمعت الامة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير أحدهما أنه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره *(المسئلة الرابعة في حكم قوله وما أهل به لغير الله)* من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى اذا سمي عليها اسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون *(المسئلة الخامسة في حكم المضطر)* المضطر هو المكلف بالشئ الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر أي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام اما باكراه أو بجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد شيأ الا الميتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فأما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه وأما المخمصة فلا يخلو ان كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان أحدهما انه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال

(ان الله غفور) للذنوب الكبائر فاني بؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار (رحيم) حيث رخص ونزل في رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبي عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا

مالك * (المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد) * قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أي معتد يعني العاصي بسفره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافر حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى أن البغي والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ أي غير طالب الميتة وهو يجد غيره ولا عاد أي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها ﴿قوله عز وجل (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فأنزل الله ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب أي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معاني ما أنزل الله من الكتاب (ويشترون به) أي بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما أنزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا وهي المآكل التي كانوا يأخذونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار) يعني ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم ذلك الى النار فكأنهم أكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه (ولا يزكيهم) أي ولا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) أي وجيع يصل ألمه الى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان في اظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما أقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما أصبرهم على النار) أي ما الذي صبرهم وأي شئ جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما أصبرهم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب) يعني ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وأنكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله أنزل الكتاب بالحق فحرفوه وعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وان الذين اختلفوا في الكتاب) يعني اختلفوا في معانيه وتأويله فحرفوها وبدلوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفي شقاق) أي خلاف ومنازعة (بعيد) يعني عن الحق ﴿قوله عز وجل (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام اذا أتى بالشهادتين وصلى الى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت

(ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) في صفة محمد عليه السلام (ويشترون به ثمنا قليلا) أي عوضا أو ذا ثمن (أولئك ما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم تقول أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (الا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التي هي بدل منه قال

* يأكلن كل ليلة اكافا *

أي ثمن اكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمناله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (ولا يزكيهم) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم أو لا يثني عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم كررف النفي مع الفعل خبر أولئك وأولئك مع خبره خبران والجمل الثلاث معطوفة على خبران فقد صار لان أربعة اخبار من الجمل (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) بكتمان نعت محمد عليه السلام (فما أصبرهم على النار) فاي شئ أصبرهم على عمل يؤدى الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق (وان الذين اختلفوا) أي أهل الكتاب (في الكتاب) هو للجنس أي في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل (لفي شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا) أي ليس البر توليتكم (وجوهكم قبل المشرق والمغرب) والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم بان البر ليس فيما أنتم عليه فانه منسوخ

(ولكن البر) بر (من آمن بالله) أو ذا البر من آمن أو [illegible] للطاقات والاول أجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي [illegible]
كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن
البر الذي يجب الاهتمام به بر من آمن (١٠٨) وقام بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على انه خبر ليس واسمه أن تولوا حمزة وحفص ولكن
البر نافع وشامي وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر وقرئ ولكن البار (واليوم الآخر) اى يوم البعث (والملائكة والكتاب) اى جنس كتب الله أو القرآن (والنبيين وآتى المال على حبه) اى على حب الله او حب المال أو حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه (ذوى القربى) اى القرابة وقدمهم لانهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك صدقة وصلة (واليتامى) والمراد الفقراء من ذوى القربى واليتامى وانما أطلق لعدم الالباس (والمساكين) المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير الدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفرد اللفظا وجعل ابنا للسبيل لملازمته له أو الضيف (والسائلين) المستطعمين (وفى الرقاب) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم أو فى فك الاسارى (وأقام الصلاة) المكتوبة (وآتى الزكاة) المفروضة قيل هو تأكيد للاول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات والمبار (والموفون) عطف على من آمن (بعهدهم اذا عاهدوا) الله أو الناس (والصابرين) نصب على المدح والاختصاص اظهار الفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال (فى البأساء) الفقر والشدة (والضراء)

القبلة الى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم أى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا العمل فى ذلك (ولكن البر) يعنى ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى (من آمن بالله) أى ولكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله (واليوم الآخر) وانما ذكر الايمان باليوم الآخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) أى ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعنى أجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها (وآتى المال على حبه) يعنى من أعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن أبى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعنى الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير فى حبه راجع الى الله تعالى أى وآتى المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوى القربى) يعنى أهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم أحق بالاعطاء * عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه النسائى (ق) ان ميمونة رضى الله عنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله انى أعتقت وليدتى قال أو قد فعلت قالت نعم قال أما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك الوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم هو الذى لا أب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ أى وآتى الفقراء من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له (وابن السبيل) يعنى المسافر المنقطع عن أهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول أشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين) يعنى الطالبين المستطعمين * عن على بن أبى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أبو داود عن زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك فى الموطا عن أم بجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابى فلم أجد شيأ أعطيه اياه قال ان لم تجدى الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما أراد به ردوه بشئ تعطونه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة ما يعطى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الاسارى (وأقام الصلوة) يعنى المفروضة فى أوقاتها (وآتى الزكوة) يعنى الواجبة (والموفون بعهدهم) يعنى ما أخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل أراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينهم وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الامانات (اذا عاهدوا) يعنى اذا وعدوا أنجزوا واذا نذروا أوفوا واذا حلفوا بروا فى أيمانهم واذا قالوا صدقوا فى اقوالهم واذا ائتمنوا أدوا (والصابرين فى البأساء) أى فى الشدة والفقر والفاقة

(والضراء) يعني المرض والزمانة (وحين البأس) يعني القتال والحرب في سبيل الله وسمي الحرب بأساً لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس أي اشتد الحرب ونتقي به أي نجعله وقاية لنا من العدو (أولئك الذين صدقوا) أي أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم (وأولئك هم المتقون) ﴿قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) نزلت في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وجروح وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام وقيل نزلت في الأوس والخزرج وكان لأحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر وأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وأسلموا وقيل إنما نزلت هذه الآية لإزالة الأحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكم فإن وقع القتل على شريف قتلوا به عدداً ويأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أي فرض عليكم القصاص في القتلى فإن قلت كيف يكون القصاص فرضاً والولي مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية قلت إن القصاص فرض على القاتل للولي لا على الولي وقيل إذا أردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الأثر إذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلاً بعصا أو خنقه أو شدخ رأسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة والرواية الثانية عن أحمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ومعناه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل صنف إذا قتل بمثله الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال سألت علياً هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية أبي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد أخرجه الترمذي وذهب أصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الأحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس وإن تلك واردة حكاية لما كتب على بني إسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي إلى أن هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن غلاماً قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم به قال البخاري وقال المغيرة بن حكيم عن أبيه أن أربعة قتلوا صبياً فقال عمر مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب أن عمر قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعاً الغيلة أن يقتل الرجل خديعة ومكراً من غير أن يعلم ما يراد به وقوله لو تمالأ أي تعاونوا واجتمعوا عليه ﴿وقوله تعالى (فمن عفي له من أخيه شيء) أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية أو العفو عنها أو قبول الدية في قتل

في الدين (وأولئك هم المتقون) روي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالإسلام فنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم القصاص) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص أثره واقتصه إذا اتبعه ومنه القاص لأنه يتبع الآثار والأخبار (في القتلى) جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى (الحر بالحر) مبتدأ وخبر أي الحر مأخوذ أو مقتول بالحر (والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) وقال الشافعي رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى أن النفس بالنفس كما بين الذكر والأنثى وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحداً قتلوا به وبأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفاً على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا (فمن عفي له من أخيه شيء)

فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان) قالوا العفو وضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه وأعرضت عن ان تعاقبه وهو يتعدى بعن الى الجانى والى الجناية ثم عفونا عنكم و يعفو عن السيآت واذا اجتمعا عدى الى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفى له أى من ترك له القتل بالدية وقال الازهرى العفو فى اللغة الفضل ومنه يسألونك ماذا ينفقون قل العفو و يقال عفوت لفلان بمال اذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عن مالى عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفى له من جهة أخيه شئ من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما فى سير بزيد بعض السير والأخ ولى المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية والاسلام (١١٠) ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه وقيل أقيم له مقام عنه والضمير له وأخيه لمن وفى اليه الأخ أو المتبع الدال عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بان يطالبه مطالبة جميلة وليؤد اليه المطلوب أى القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه وانما قيل شئ من العفو ليعلم انه اذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر عفى بترك جعل شئ مفعولا به وكذا من فسره بأعطى يعنى أن الولى اذا أعطى له شئ من مال أخيه يعنى القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل اليه بلا تسويف وارتفاع اتباع بانه خبر مبتدا مضمر أى فالواجب اتباع (ذلك) الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية (تخفيف من ربكم ورحمة) فانه كان فى التوراة القتل لا غير وفى الانجيل العفو بغير بدل لا غير وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا والآية تدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان لان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة (فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الالم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل و تفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفى تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لان المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدر وا فكان القصاص حياة وأى حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين (يا أولى الالباب) يا ذوى العقول

العمد من أخيه أى من دم أخيه وأراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له أخ لانه لابسه من قبل انه ولى الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية وأخوة الاسلام وفى قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيأ من الدم قد بطل (فاتباع بالمعروف) أى فليتبع الولى القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه (وأداء اليه باحسان) أى على القاتل أداء الدية الى ولى الدم من غير مماطلة أمر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل فى تقدير الآية واذا عفا ولى الدم عن شئ يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولى الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفى الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن و وجه ذلك من وجوه الاول أن الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثانى أنه تعالى أثبت الاخوة بين القاتل و ولى الدم بقوله فمن عفى له من أخيه شئ وأراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر ۞ وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعنى الذى ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى فى حقكم ورحمة وذلك لان العفو وأخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما فى التوراة وكان فى شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص وأخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص أو العفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجانى بعد العفو أو قبول الدية (فله عذاب أليم) وهو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة ۞ قوله عز وجل (ولكم فى القصاص حياة) أى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه و بقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب الحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذى هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما أفضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل فى معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه فى الدنيا لم يقتص منه فى الآخرة وفى ذلك حياته واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة (يا أولى الالباب) أى يا ذوى العقول الذين يعرفون الصواب

لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص ﴿قوله عز وجل (كتب) أي فرض وأوجب (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أي قرب ودنا منه وظهرت آثاره علیه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه في ذلك الوقت يعجز عن الايصاء (ان ترك خيرا) يعني مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى ألف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال وروي ان رجلا قال لعائشة اني أريد أن أوصي فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شئ يسير فاتركه لعيالك (الوصية) أي الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (للوالدين والاقربين) كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان أهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه النسائي والترمذي نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصي فيه وفي رواية له شئ يريد أن يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي أخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث في الوصية لانه لا يدري متى يأتيه الموت فربما أتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) أي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أو قال والثلث كبير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كانه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال علي بن أبي طالب لان أوصي بالخمس أحب الي من أوصي بالربع ولان أوصي بالربع أحب الي من ان أوصي بالثلث فمن أوصي بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس أو بالخمس أو الربع (حقا) أي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب (على المتقين) أي على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) أي غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما في الكتابة أو في قسمة الحقوق أو الشهود بان يكتمه والشهادة أو يغيروها وانما ذكر الكناية في بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة أي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت أو ما أوصى به (بعدما سمعه)

(لعلكم تتقون) القتل حذرا من القصاص (كتب) فرض (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أي اذا دنا منه فظهرت أماراته (ان ترك خيرا) مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له أراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب (الوصية للوالدين والاقربين) وكانت الوصية للوارث في بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه في شرح المنار وقيل هي غير منسوخة لانها نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديثي عهد بالاسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرابته والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا الا يراد بكتب فرض (بالمعروف) بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا (على المتقين) على الذين يتقون الشرك (فمن بدله) فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود (بعدما سمعه) أي الايصاء

(فاثماثمه على الذين يبدلونه) فاثم التبديل الاعلى مبدليه لانهم بدلوه عن الموصى والموصى له لانهما بريئان من ... (ان الله سميع)
لقول الموصى (عليم) بجور المبدل (١١٢) (فمن خاف) علم وهذا شائع فى كلامهم يقولون أخاف ان لا ترسل السماء يريدون الظن الغالب

أى بعد الموصى وتحققه (فاثما اثمه على الذين يبدلونه) أى ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والوصى والموصى له بريئان منه (ان الله سميع) يعنى لما أوصى به الموصى (عليم) يعنى تبديل المبدل (فمن خاف) أى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعنى جورا فى الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل (أو اثما) أى ظلما (فأصلح بينهم) وقيل الجنف الخطأ فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصى فرآه يميل فى وصيته اما بتقصير أو اسراف أو وضع الوصية فى غير موضعها فلا حرج عليه ان يأمره بالعدل فى وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه أراد به اذا أخطأ الميت فى وصيته أو حاف متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولى أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلا اثم عليه) أى فلا حرج عليه فى الصلح (ان الله غفور رحيم) أى لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله ذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذى قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية أن لا تمضى أو ينقص بعضها أو يوصى لغير أهلها أو يحيف فى الوصية ونحو ذلك ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع فى وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية (كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة أى فى الزمن الاول ما أخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه ان يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة أيام أتموه خمسين يوما فأتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما قبل ويوما بعد حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم فى صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم (أياما معدودات) أى مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله أياما معدودات أيام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال أولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه أكثر من ذلك لكنها غير محصورة العدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا أمكن ذلك فلا وجه لحل

الجارى مجرى العلم (من موص) موص كوفى غير حفص (جنفا) ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (أو اثما) تعمدا للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع (فلا اثم عليه) حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم وقيل هذا فى حال حياة الموصى أى فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصى بما قال أولا (ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان (كما كتب) أى كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف (على الذين من قبلكم) على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار ان كل أحد له صوم أيام أى أنتم متعبدون بالصيام فى أيام كما تعبد من كان قبلكم (لعلكم تتقون) المعاصى بالصيام لان الصيام أظلف لنفسه وأردع لها

من مواقعة السوء أو لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين اذ الصوم شعارهم وانتصاب (أياما) بالصيام أى كتب عليكم ان تصوموا أياما (معدودات) موقتات بعدد معلوم أى قلائل وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد والكثير

الايام

الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت فى السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا أو على سفر) أى فافطر (ف) عليه (عدة من أيام أخر) يعنى غير أيام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) أى يطيقون الصوم واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فذهب أكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا فى ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا و يفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم لم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر و يفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التى بعدها فنسختها وفى رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هى خاصة فى حق الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر و يفتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا فى المريض الذى يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام و بين ان يفطر و يفتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر الذى يبذله الانسان يقى به نفسه من تقصير وقع منه فى عبادة ونحوها ويجب على من أفطر فى رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خير له) يعنى زاد على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فأطعم صاعا وعليه مد فهو خير له (وأن تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا أيها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل أولى (ان كنتم تعلمون) يعنى ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما فى الصوم من المعانى المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين فى افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا أفطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثانى الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعى وذهب أهل الرأى الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذى لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء ۞ قوله عز وجل (شهر رمضان) يعنى وقت صيامكم شهر رمضان سمى الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا أظهره شهره وسمى الهلال شهرا لشهرته و بيانه وقيل سمى الشهر شهرا باسم الهلال وأما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهى الحجارة المحماة فى الشمس وقيل انهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذى أنزل فيه القرآن)

(فمن كان منكم مريضا) يخاف من الصوم زيادة المرض (أو على سفر) أو راكب سفر (فعدة) فعليه عدة أى فافطر فعليه صيام عدد أيام فطره والعدة بمعنى المعدود أى أمر أن يصوم أياما معدودة مكانها (من أيام أخر) سوى أيام (١١٣) مرضه وسفره وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف واللام لان الاصل فى فعلى صفة أن تستعمل فى الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل من فدية فدية طعام مساكين مدنى وابن ذكوان وكان ذلك فى بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا أو على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضمر لا لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخا (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلى (وأن تصوموا) أيها المطيقون (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير وهذا فى الابتداء وقيل وأن تصوموا فى السفر والمرض خير لكم لانه أشق عليكم (ان كنتم تعلمون) شرط محذوف الجواب (شهر رمضان) مبتدأ خبره (الذى أنزل فيه القرآن) أى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة القدر أو أنزل فى شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أو خبر مبتدإ محذوف أى هو شهر رمضان والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فأضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع

لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال أعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعي انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمى قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض و يجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزلت صحف ابراهيم فى ثلاث ليال مضين من رمضان وفى رواية فى أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى فى ست ليال مضين من رمضان وأنزل انجيل عيسى فى ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل زبور داود فى ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فى الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وأبى سليمان الدمشقى وقيل فى معنى الآية شهر رمضان الذى نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية فى الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل (هدى الناس) يعنى من الضلال (وبينات من الهدى والفرقان) فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى الناس قلت انه تعالى ذكر أولا أنه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكأنه قال هو هدى فى نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى فى نفسه فكأنه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هى الدلالات الواضحات التى تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل ۞ قوله عز وجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهى رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته أخرجاه فى الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء فى وجه الخبر عنه منهم من قال يجزئ فيه خبر الواحد قاله أبو ثور ومنهم من أجراه مجرى الشهادة فى سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من أجرى أوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد وأجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل فى آخره أقل من اثنين قاله الشافعى وهذا للاحتياط فى أمر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) انما كرره لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

(فصل فى حكم الآية) وفيه مسائل *(الاولى)* اختلفوا فى المرض المبيح للفطر على ثلاثة أقوال أحدها وهو قول أهل الظاهر أى مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله أن يفطر تنزيلا للفظ المطلق على أقل أحواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثانى وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذى لو صام لوقع فى مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على أكمل أحواله القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى الى ضرر فى النفس أو زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر فى تقويته قال الشافعى اذا أجهده الصوم أفطر والا فهو كالصحيح *(المسئلة الثانية)* الفطر فى السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة وبعض أهل الظاهر لا يجوز الصوم فى

الصرف التعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولانهم سموا الشهور بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فان قلت ما وجه ما جاء فى الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع أن التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا قلت هو من باب الحذف لامن الالباس القرآن حيث كان غيره مهموز مكرر وانتصب (هدى الناس وبينات من الهدى والفرقان) على الحال أى أنزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا أى حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء فى ليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) فعدة مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه عدة أى صوم عدة

السفر ومن صام فعليهما القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة
العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في
السفر أخرجه البخارى ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روى عن أنس قال سافرنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم أخرجاه في
الصحيحين *(المسئلة الثالثة)* اختلف العلماء في قدر السفر المبيح الفطر فقال داود الظاهرى أى سفر كان
ولو كان فرسخا وقال الاوزاعى السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعى وأحمد ومالك أقله مسيرة ستة
عشر فرسخا هاشمية وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة أيام *(المسئلة الرابعة)* اذا استهل الشهر
وهو مقيم ثم أنشأ السفر في أثنائه جاز له أن يفطر حالة السفر ويجوز له أن يصوم في بعض السفر وان يفطر
في بعضه ان أحب يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في
رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلا من مكة
(المسئلة الخامسة) اختلفوا في الافضل فذهب الشافعى الى ان الصوم أفضل من الفطر في السفر وبه قال
مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر أفضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وأفضل
الامرين أيسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر *(المسئلة السادسة)* يبيح الفطر كل
سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصى بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من أيام
أخر معناه فأفطر فعليه عدة من أيام أخر فظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع أولى
وفيه أيضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخى في القضاء ويدل عليه أيضا
ما روى عن عائشة قالت كان يكون علىّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضى الا في شعبان ذلك من
الشغل بالنبى صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين (يريد الله بكم اليسر) أى التسهيل في هذه العبادة
وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض (ولا يريد بكم العسر) أى وقد نفى عنكم الحرج في أمر الدين قيل
ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما الا كان ذلك أحب الى الله تعالى (ولتكملوا العدة) أى عدد
الايام التى أفطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل أراد عدد أيام الشهر (ق) عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا
تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفى رواية فاكملوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله) فيه قولان
أحدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوّال أن يكبروا وقال الشافعى
واجب اظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر
ويكبر في عيد الاضحى حجة الشافعى ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم الى آخر هذه العبادة القول الثانى في
معنى قوله ولتكبروا الله أى ولتعظموا الله شكرا على ما أنعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة (على
ما هداكم) أى أرشدكم الى طاعته والى ما رضى به عنكم (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه

(فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه) ق عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل
شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار الصفد الغل أى شدت بالاغلال
(ق) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة
القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا أى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا
بانه فرض عليه واحتسابا لثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو أن يصوم على التصديق به والرغبة في
ثوابه طيبة به نفسه غير كارهة (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له

(يريد الله بكم اليسر) حيث أباح الفطر بالسفر والمرض (ولا يريد بكم العسر) ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الاعادة فقد عدل عن موجب هذا (ولتكملوا العدة) عدة ما أفطرتم بالقضاء اذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا ولتكملوا العدة (ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف لطيف المسلك وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل لتكبروا الله أى لتعظموه حامدين على ما هداكم اليه ولتكملوا بالتشديد أبو بكر * ولما قال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه نزل

يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به يدع شهوته
وطعامه من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من
ريح المسك زاد فى رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه أحد أو
قاتله فليقل انى صائم قوله كل عمل ابن آدم له معناه انه فيه حظ لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع
عليه أحد وانما خص الصوم بقوله تعالى لى وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزى عليها لان الصوم
لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله
تعالى لقول الله تعالى انما أتولى جزاءه على ما أحب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصائم فرحتان فرحة
عند فطره أى بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم
الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها
لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على
الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم أبلغ عند
الله فى القبول من ريح المسك عند أحدكم قوله الصيام جنة أى حصن من المعاصى لان الصوم يكسر الشهوة
فلا يواقع المعاصى قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع
والصخب الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة
بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم
فاذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد وفى رواية ان فى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا
الصائمون عن أبى أمامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله به قال
عليك بالصوم فانه لا مثل له وفى رواية أى العمل أفضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له أخرجه النسائى
قوله عز وجل (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا
دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل
سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه فى
أى ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا أين ربنا فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما ان يكون عن
ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله اما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات وأما
السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو
أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فيحتمل هذه الوجوه
كلها وقوله تعالى فانى قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى على شئ وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه
وانجاح حاجة من سأله (ق) عن أبى موسى الاشعرى قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال
توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا
وهو معكم قوله اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بها وقيل معناه أمسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاءكم
قوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) أى اسمع دعاء عبدى الداعى اذا دعانى وقيل الدعاء عبارة عن
التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا أنت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا اله الا أنت فيه
توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى أن
العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا وهو يعلم
ان له ربا باخلاص وتضرع أجاب الله دعوته فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما
وجه قوله أجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعونى أستجب لكم قلت ذكر العلماء فيه أجوبة أحدها أن هذه
الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والمطلق

(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا (أجيب دعوة الداع اذا دعان) الداعى دعانى فى الحالين سهل ويعقوب ووافقهما أبو عمرو ونافع غير قالون فى الوصل غيرهم بغير ياء فى الحالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير ان اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فاجابة الدعوة أن يقول العبد يارب فيقول الله لبيك عبدى وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الآخرة وقد تكون الخيرة له فى غيره

يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الآخرة وثالثها ان معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون معناه أجيب دعوة الداعى اذا وافق القضاء أو أجيبه ان كانت الاجابة خيرا له أو أجيبه اذا لم يسأل اثما أو محالا ورابعها ان معناها عام اى أسمع وهو معنى الاجابة المذكورة فى الآية واما اعطاء الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخامسها ان للدعاء آدابا وشرائط وهى أسباب الاجابة فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الاجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء فى الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم * وقوله تعالى (فليستجيبوا لى) يعنى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى أجيبهم اذا دعونى لحوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء (وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) أى لكى يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

(فصل فى فضل الدعاء وآدابه) (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق على ما يليق به ونكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثانى مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول على ما يليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفى الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيى كريم يستحيى من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب الصفر الخالى يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها أو صرف عنه من الشر مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله أكثر أخرجه الترمذى قوله الله أكثر معناه الله أكثر اجابة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذى وله عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيأ أحب اليه من ان يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وله عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لى ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قوله يستحسر أى ينقطع عن السؤال وأصله من حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخارى ارزقنى ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا مكره له قوله ليعزم المسئلة أى لا تكن فى دعائك بلفظ مترددا بل اعزم وجد فى المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما

(فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أنى أجيبهم اذا دعونى لحوائجهم (وليؤمنوا بى) واللام فيهما للامر (لعلهم يرشدون) ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد وهو ضد الغى كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل والشرب والجماع الى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد فاذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى عليه السلام وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك فنزل

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث) أي الجماع (الى نسائكم) عدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال

شاء أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ﴿ قوله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) سبب نزول هذه الآية انه كان في ابتداء الامر بالصوم اذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها فاذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي و يلوم نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أعتذر الى الله واليك من هذه الخطيئة اني رجعت الى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أي أبيح لكم ليلة أراد بالليلة ليالي الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع (هن لباس لكم) أي سكن لكم (وأنتم لباس لهن) أي سكن لهن قيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون أحد الزوجين الى الآخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الامانة و يقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) أي فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم (وعفا عنكم) أي محا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس و رخص لهم و يسر (فالآن باشروهن) أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري و يقال قيس بن صرمة وذلك أنه ظل يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المرأة أن تطعمه شيأ سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد أعيا من التعب فايقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى ان يأكل وأصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقوله طليحا أي مهزولا مجهودا (خ) عن البراء قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال أعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسماهما خيطين لان كل واحد منهما يبدو في الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما أضاءت لنا سدفة ✱ ولاح من الصبح خيط أنارا

السدف اختلاط الظلام وأسدف الفجر أضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين

على معنى القبح ولم يقل الافضاء الى نسائكم استقباحا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وقيل لباس أي ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وعفا عنكم) ما فعلتم قبل الرخصة (فالآن باشروهن) جامعوهن في ليالي الصوم وهو أمر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل أو وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض) هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود (من الخيط الاسود) وهو ما يمتد من سواد الليل شبها بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما

لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما فأنزل الله عز وجل بعده (من الفجر) فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار (ق) عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود عمدت إلى عقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر في الليل فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت واعلم أن الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الأفق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فإن قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل قلت إن القدر الذي يبدو من البياض هو أول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبهه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب أن الفجر الكاذب يبدو في الأفق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الأفق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق فإذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع إلى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل يعني منتهى الصوم إلى الليل فإذا دخل الليل حصل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهل يلزم الصائم أن يتناول عند تحقق غروب الشمس شيئا فيه وجهان أحدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لأنه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية في أن الصوم النفل يجب إتمامه وقالوا لأن قوله تعالى (ثم أتموا الصيام إلى الليل) أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام أجاب أصحاب الشافعي عنه بأن هذا إنما ورد في بيان أحكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على إباحة الفطر من النفل ما روي عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شيء قلنا لا قال فإني إذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلت يا رسول الله أهدي لنا حيس قال أرينيه فلقد أصبحت صائما فأكل أخرجه مسلم الحيس هو خلط الأقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الأقط دقيق أو فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والأول أعرف ۞ قوله عز وجل (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) الاعتكاف هو الإقبال على الشيء والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الإقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرض لرجل منهم حاجة إلى أهله خرج إليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم أن الله تعالى بين أن الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل أن يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

(فصل في حكم الاعتكاف) الاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لأن المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لأنه بني لإقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن علي أنه لا يجوز إلا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري لا يصح إلا في الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز إلا في مسجد له إمام ومؤذن وقال الشافعي ومالك وأحمد يجوز في سائر

الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للآخر أو من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن عدي بن حاتم قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فنظرت إليهما فلم يتبين لي الأبيض من الأسود فأخبرت النبي عليه السلام بذلك قال إنك لعريض القفا أي سليم القلب لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل وفي قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) أي الكف عن هذه الأشياء دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة في الأكل والشرب وعلى أن الجنابة لا تنافي الصوم (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) معتكفون فيها بين أن الجماع يحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد وأنه لا يختص به

مسجد دون مسجد

المساجد بصوم قوله وأنتم عاكفون في المساجد الا أن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان *(فروع)* الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح الا به وحجة الشافعي ما روي عن ابن عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك أخرجاه في الصحيحين ومعلوم أنه لا يصح الصوم في الليل *(الفرع الثاني)* لا يتقدر الاعتكاف بزمان عند الشافعي وأقله لحظة ولا حد لأكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر أن يعتكف مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي وأحب أن يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبي حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس *(الفرع الثالث)* الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به وأما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل ان أنزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول أبي حنيفة وأما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روي عن عائشة أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان أخرجاه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة الانسان حوائج الانسان كثيرة والمراد منها ههنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى (تلك حدود الله) يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) أي فلا تأتوها ولا تغشوها فان قلت في الآية اشكالان أما الاول فهو أنه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها الاشكال الثاني هو أنه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية أخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال في آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما الاشكال الاول فجوابه أن الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا أن أقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم أتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني أن من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه وكقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ونحو هذا من التحريم فهي حدود لا تقرب (كذلك) أي كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك (يبين الله آياته) أي معالم دينه وأحكام شريعته (للناس) مثل هذا البيان الشافي الوافي (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب

۞ قوله عز وجل (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان حلف على ماله

(تلك) الاحكام التي ذكرت (حدود الله) أحكامه المحدودة (فلا تقربوها) بالمخالفة والتغيير (كذلك يبين الله آياته) شرائعه (للناس لعلهم يتقون) المحارم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) أي لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه

ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله له وأصل الباطل الشيء الذاهب

(فصل) أما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه الاول أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني أن يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن أخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس يعني يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها الى الحكام) أي وتلقوا أمور تلك الاموال التي فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم أن الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال أخيك الى الحاكم وأنت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكني لا يسعني الا أن أقضي بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما (ق) عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما أنا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض وفي رواية ألحن بحجته من بعض فأحسب انه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها قولها سمع جلبة خصم يعني أصوات خصم قوله ألحن بحجته يقال فلان ألحن بحجته من فلان أي أقوم بها منه وأقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة (لتأكلوا فريقا) أي طائفة وقطعة (من أموال الناس بالاثم) يعني بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وأنتم تعلمون) يعني انكم على الباطل ۞ قوله عز وجل (يسألونك) أي يا محمد (عن الاهلة) نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فأنزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تبيين حال الهلال في الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر (قل هي مواقيت للناس) جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس أوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم وأجارهم وعدد النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة (والحج) أي وللحج وانما أفرد الحج بالذكر وان كان داخلا في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي ان العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر أن الحج مقصور على الاشهر التي عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسيء (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) ق عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وفي رواية كانوا اذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد منه وان كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة

(وتدلوا بها الى الحكام) ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بشهادة الزور أو بالايمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وقال عليه السلام للخصمين انما أنا بشر وأنتم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيأ فانما أقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة يقال أدلى دلوه اي ألقاه في البئر للاستقاء (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل (يسألونك عن الاهلة) جمع هلال سمي به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته (قل هي مواقيت للناس والحج) أي معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أي ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف في رفع البر هنا لان الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينا لجواز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتمل الا وجها واحدا وهو الرفع اذ الباء لا تدخل الا على خبر ليس

(ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله البيوت بضم الباء مدنى وبصرى وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هى توجب الخروج من كسر الى ضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة (١٢٢) فدعوا السؤال عنه وانظروا فى خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر فى شئ وأنتم تحسبونها برا فهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل ان يكون على طريق الاستطراد لما انهم امروا اقيت الحج لانه كان ذكر ذلك من أفعالهم فى الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم فى سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغى ان تكونوا عليه بان تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) وباشروا الامور من وجوهها التى يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا أو المراد وجوب الاعتقاد بان جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك حتى لا يسئل عنه لما فى السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تفلحون) لتفوزوا بالنعيم السرمدى (وقاتلوا فى سبيل الله) المقاتلة فى سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقيل هو أول آية نزلت فى القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم فى حكم المقاتلة (ولا تعتدوا) فى ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهم أو بالمثلة (ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم

وتزاهقوا من ذات بدينهم سموا حمسا لتشددهم فى دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا بظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احمسى فقال الرجل ان كنت أحمسيا فانا أحمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيأ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بنى سلمة على اثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى أحمسى فقال الانصارى وأنا أحمسى يقول أنا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) يعنى فى حال الاحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون) ۞ قوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله) أى فى طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن أبى موسى الاشعرى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان فى ابتداء الاسلام أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة أمر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت فى القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا فى سبيل الله الذين أعدوا أنفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم ۞ وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من ألقى اليكم السلام (م) عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه أحد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تعتدوا أى ولا تنقضوا العهد وقيل فى معنى الآية لا تعتدوا أى لا تبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء خافوا أن لا تفى قريش بما قالوا وان يصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فانزل الله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فى الشهر الحرام وفى الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح فى ذلك وقال ولا تعتدوا بابتداء القتال (ان الله لا يحب المعتدين) ۞ قوله عز وجل (واقتلوهم

حيث ثقفتموهم) وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الاخذ والغلبة (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة وقد فعل بهم ذلك في
فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أي شركهم بالله أعظم من القتل
الذي يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان فيعذب به أشد عليه من القتل وقيل لحكيم ما أشد من
الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه) أي ولا تبدؤا بقتالهم في الحرم حتى يبدؤا فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) في الحرم فعندنا يقتلون في الاشهر الحرم لا في الحرم الا أن يبدؤا بالقتال معنا فحينئذ نقتلهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الامكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الا عند البداءة منهم كذا في شرح التأويلات (كذلك جزاء الكافرين) مبتدأ وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي (فان انتهوا) عن الشرك والقتال (فان الله غفور) لما سلف من طغيانهم (رحيم) بقبول توبتهم وايمانهم (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كي أو الى أن (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أي لا يعبد دونه شئ (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) فان امتنعوا
عن الكفر فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان الا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة
كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة (الشهر الحرام) مبتدأ خبره (بالشهر الحرام) أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتككم بهتكه يعني
تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص
منه بأن تهتك له حرمة فمن هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا أي كذلك بقوله

حيث ثقفتموهم) أي حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى
أمر بالجهاد في الآية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء
قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي
وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم (والفتنة أشد من القتل) يعني ان شركهم بالله أشد
وأعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم
وانما جعل أعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك
والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة أشد من القتل (ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اختلف العلماء في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء الى
انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) أي
فقاتلوهم وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي
وانما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم الا أن يقاتلوا
فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى أن هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
فأمر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين
فان انتهوا) يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعني لما سلف (رحيم) يعني
بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم) أي وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) أي شرك والمعنى
وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام أو القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان أهل
الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فأمهلهم الله تعالى
بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر باصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على
الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمني أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا وأما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب
يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل ان يرضى
منهم الا بالاسلام أو القتل (ويكون الدين لله) أي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ (فان
انتهوا) يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) أي فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن
عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل
معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمي جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في
غير موضعها ۞ قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل
مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه
مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن البيت (والحرمات) جمع حرمة وانما جمعت لانه
أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل

مثل ما فعل والمعنى أنهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) أى بالقتال (فاعتدوا عليه) أى فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) ﴿ قوله عز وجل (وأنفقوا فى سبيل الله) يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فأمر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتب الله سبعمائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا أيديكم الى التهلكة والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا أنفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن الانفس وقيل الباء على أصلها وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم الى التهلكة كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس انفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقول أحدكم لا أجد شيأ السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما أن يكونوا عالة فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه فى التهلكة وهو ان يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الآية فى ترك الجهاد (ت) عن أبى عمران واسمه أسلم قال كنا بمدينة الروم فأخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة فقام أبو أيوب الانصارى فقال أيها الناس انكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أموالنا قد ضاعت وان الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم وقال حديث غريب صحيح مات أبو أيوب فى آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن فى أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لى توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصى فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل فى معنى الآية أنفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان أنفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا أنفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة قال أنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال نزلت فى النفقة (وأحسنوا) أى بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل أحسنوا فى الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا وانهوا عن الاسراف والاقتار فى الانفاق وقيل معناه وأحسنوا فى أداء فرائض الله تعالى (ان الله يحب المحسنين) أى يثيبهم على احسانهم ﴿ قوله عز وجل (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو أن يتمهما بمناسكهما وحدودهما

(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم (واتقوا الله) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر (وأنفقوا فى سبيل الله) تصدقوا فى رضا الله وهو عام فى الجهاد وغيره (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) أى أنفسكم والباء زائدة أو لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الهلاك أو عن الاسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد (وأحسنوا) الظن بالله فى الاخلاف (ان الله يحب المحسنين) الى المحتاجين (وأتموا الحج والعمرة لله) وأدوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلا توان ولا نقصان وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على ان من شرع فيهما لزمه اتمامهما وبه نقول ان العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعى رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لانه أمر باتمامها وقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع أو اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا أو أن تنفق فيهما حلالا أو ان لا تتجر معهما

وبعد وجوبهما أو سنيتهما وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل هو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا
وقيل إتمامهما أن تكون النفقة حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه وقيل إتمامهما أن تخرج من أهلك لهما
لا للتجارة ولا لحاجة وقيل إذا شرع فيهما وجب عليه الإتمام

(فصل واتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلا) (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله فسكت حتى
قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي وجوب العمرة قولان
للشافعي أصحهما أنها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد
ابن جبير ومجاهد وإليه ذهب أحمد بن حنبل والقول الثاني أنها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وإبراهيم
والشعبي وإليه ذهب مالك والثوري وأبو حنيفة حجة من أوجب العمرة ما روي في حديث الصبي بن معبد أنه قال لعمر بن
الخطاب إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي وإني أهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه
وسلم أخرجه أبو داود والنسائي بأطول من هذا وجه الدليل أنه أخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين أنه
مهتد باراءه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس أنها لقرينتها في كتاب
الله وأتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس أحد من خلق الله إلا وعليه
حجة وعمرة واجبتان من استطاع إلى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب
كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة أخرجه النسائي والترمذي
وزاد وما من مؤمن يظل يومه محرما إلا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل أنه
أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والأمر للوجوب ولأنها اقترنت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة
كالحج وحجة من قال بأنها سنة ما روي عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة
هي قال لا وأن تعتمر وا خير لكم أخرجه الترمذي وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج بن أرطاة
وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به وأجمعت الأمة على جواز أداء
الحج والعمرة على ثلاثة أنواع إفراد وتمتع وقران فصورة الإفراد أن يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى
الحل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويأتي
بأعمالها فإذا فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة في تلك السنة وإنما سمي تمتعا لأنه يستمتع بمحظورات
الإحرام بعد التحلل من العمرة إلى أن يحرم بالحج وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا في أشهر الحج
فينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم أدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارنا
واختلفوا في الأفضل فذهب مالك والشافعي إلى أن الإفراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روي عن
عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج أخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال أهللنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفردا وله عن
جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم
وعمرتكم فإن ذلك أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج أخرجه مالك في الموطأ وذهب
الثوري وأبو حنيفة إلى أن القران أفضل يدل عليه ما روي عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا أخرجاه في
الصحيحين وذهب أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه إلى أن التمتع أفضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال
تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وأول من نهى عنهما معاوية أخرجه الترمذي
(ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه
الهدي من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى فانه لا يحل من شئ حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شئ ثم خب ثلاثة أطواف من السبع ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يحلل من شئ حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شئ حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى فساق الهدى من الناس * اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا أو متمتعا أو قارنا وهي ثلاثة أقوال العلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه وسلم انه كان أولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامر ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا أمكن الجمع بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل اليه على معنى انه أمر به وأذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما يجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره وأريد به انه أمر ببنائها وكما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما أمر برجمه واختار الشافعي الافراد واحتج في ترجيحه بانه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو أضبط لها من غيره وأما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانما سمعه يلبي بالحج وأما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين أفردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير في أصح القولين وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف والسعي والحلق أو التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة ۞ قوله تعالى (فان أحصرتم) أصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف أهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد أحصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض اذا منعه من السفر أو حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف أو المرض أحصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان أحصرتم هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدو يقال أحصر فهو محصر فان حبس في دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى أنهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن أحصرك وقال أحمد بن يحيى أصل الحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس أقوى من أحصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وأما قوله فان أحصرتم فمحمول على الامرين وبحسب اختلاف أهل اللغة في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى أن كل مانع من عدو أو مرض أو ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة ويدل عليه ما روى عن عكرمة

(فان أحصرتم) يقال أحصر فلان اذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز وحصر اذا حبسه عدو عن المضي وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما لظاهر النص وقد جاء في الحديث من كسر أو عرج فقد حل أي جاز له أن يحل وعليه الحج من قابل وعند الشافعي رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل على ان الاحصار يتحقق في العمرة أيضا لانه ذكر عقيبهما

قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى أنه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس وبه قال مالك والليث والشافعي وأحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بأن نزول الآية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك الحبس من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه أيضا سياق الآية وهو قوله فاذا أمنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس أنه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فمذهب الشافعي وأحمد واسحق اذا اشترط في الحج فعرض له مرض أو عذر ان يتحلل و يخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) ومعنى الآية فان أحصرتم دون تمام الحج أو العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس شاة لانه أقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث أحصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب أبو حنيفة الى أنه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) أي مكانه الذي يجب أن يذبح فيه وفيه قولان أحدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول أبي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث أحصر سواء كان في الحل أو في الحرم ومعنى محله يعني حيث يحل ذبحه وأكله وهو قول مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخاري ﴿قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا أن تضطروا الى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع (ففدية) فيه اضمار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال أيؤذيك هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك نسيكة لا أدري بأي ذلك بدأ وفي رواية قال في نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك وذكر نحوه وفي أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي أخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت أرى ان الوجع بلغ منك ما أرى أو ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك ما أرى أتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت في خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام) أي صوم ثلاثة أيام (أو صدقة) يعني اطعام ثلاثة أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أو نسك) واحدتها نسيكة أي ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح أو صام أو تصدق وكل هدي أو طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدي المحصر فانه يذبحه حيث أحصر وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء ﴿قوله تعالى (فاذا أمنتم) يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا أمنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج)

(فما استيسر من الهدى) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية يعني فان منعتم من المضي الى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم اذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة فما رفع بالابتداء أي فعليكم ما استيسر أو نصب أي فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا ان الهدى الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في ان دم الاحصار لا يذبح الا في الحرم على الشافعي رحمه الله اذ عنده يجوز في غير الحرم (فمن كان منكم مريضا) فمن كان منكم به مرض يحوجه الى الحلق (أو به أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة (ففدية) فعليه اذا حلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) شاة وهو مصدر أو جمع نسيكة (فاذا أمنتم) الاحصار أي فاذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة (فمن تمتع) استمتع (بالعمرة الى الحج) واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحته ما كان محرما عليه الى أن يحرم بالحج

قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل وقيل معناه فاذا امنتم وقد احللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تقضوا عمرة واخرتم العمرة الى السنة القابلة فى اشهر الحج ثم احللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الآفاق فى اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه بالحج (فما استيسر من الهدى) يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعدما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعى كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند ابى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثانى ان يحرم بالعمرة فى اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز أن يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) أى فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت اشتغاله بالحج قبل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم فى أيام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم أيام التشريق وبه قال مالك وأحمد وهو أحد قولى الشافعى وقيل لا يصوم بعد أيام التشريق وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعى (وسبعة اذا رجعتم) يعنى وصوموا سبعة أيام اذا رجعتم الى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعى فلو صام قبل الرجوع الى أهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه أن يصوم السبعة أيام بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع الى أهله وبه قال أبو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى فى الثواب والاجر وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل أن يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم الله أن العشرة بكمالها هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن أنزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة الفذلكة فى علم الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أى أكملوها ولا تنقصوها (ذلك) أى هذا الحكم الذى تقدم (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) قيل حاضروا المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال أبو حنيفة حاضروا المسجد الحرام أهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من أهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه فى قوله ذلك يرجع الى أقرب مذكور وهو لزوم الهدى أو بدله على المتمتع وهو الآفاقى فاما المكى اذا تمتع أو قرن فلا هدى عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا فى حجه فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما أخرجه البخارى تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل

(فما استيسر من الهدى) هو هدى المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر (فمن لم يجد) الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت الحج وهو أشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج (وسبعة اذا رجعتم) اذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج (تلك عشرة كاملة) فى وقوعها بدلا عن الهدى أو فى الثواب أو المراد رفع الابهام فلا يتوهم فى الواو أنها بمعنى الاباحة كما فى جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى انه لو جالسهما أو أحدا منهما كان ممتثلا (ذلك) اشارة الى التمتع اذ لا تمتع ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندنا وعند الشافعى رحمه الله الى الحكم الذى هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيأ (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) هم أهل المواقيت فمن دونها الى مكة

المهاجرون والانصار وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فانه لا يحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى أمصاركم والشاة تجزئ فجمعوا بين النسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله أنزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال أبو مسعود الدمشقي هذا حديث غريب ولم أجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من أجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما أخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله) أي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) يعني لمن خالف أمره ونهاه وتعدى حدوده وارتكب مناهيه ﴿قوله عز وجل (الحج أشهر معلومات) يعني أشهر الحج أشهر معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وأبي ثور ووجهه الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على أن يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من أشهر الحج وقال ابن عباس أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وهي احدى الروايتين عن مالك ووجه هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام أركان الحج وقيل ان أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهي الرواية الاخرى عن مالك ووجه هذا القول أن الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان أوله من أشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهي قوله تعالى الحج أشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها فان قلت انما قال الحج أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي أشهر الحج شهران وعشر ليال وعند أبي حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان أشهر الحج ثلاث شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله (فمن فرض فيهن الحج) يعني فمن ألزم نفسه وأوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه أن فرض الحج عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال أبو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية أو سوق الهدى ووجهه أن الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شئ الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في أشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي وأحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وأبو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر ولان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم

(واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن لم يتقه (الحج) أي وقت الحج كقولك البرد شهران (أشهر معلومات) معروفات عند الناس لا يشكل عليهم وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيأ من أفعال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعي رحمه الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه وجمعت أي الاشهر لبعض الثالث أو لان اسم الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما (فمن فرض) الزم على نفسه بالاحرام (فيهن الحج) في هذه الاشهر

الجواب عنه وقوله تعالى (فلا رفث) قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن تعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت أترفث وأنت محرم فقال ان الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب (ولا فسوق) أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظافر وأخذ الشعر وما أشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (ولا جدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأنزل الله ولا جدال في الحج فاخبر ان أمر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وأمر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج أسمج وأقطع منه في غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع أفعال العباد من الخير والشر لفائدة وهي أنه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره وأخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو أرحم الراحمين وأكرم الاكرمين (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت في أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا أفلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال الى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا أي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية تزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

(واتقون) أي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا أولي

(فلا رفث) هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش (ولا فسوق) هو المعاصي أو السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق أو التنابز بالالقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق (ولا جدال في الحج) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرأ أبو عمرو ومكي الاولين بالرفع فحملاهما على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج ثم حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) اعلم بانه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وتزودوا) أي تزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم (فان خير الزاد التقوى) أي الاتقاء عن الابرام والتثقيل عليهم أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فان خير الزاد اتقاؤها (واتقون) وخافوا عقابي وهو مثل دعان (يا أولي الالباب)

الالباب) يا أولى العقول الذين يعلمون حقائق الامور ﴿ قوله عز وجل (ليس عليكم جناح) أى حرج (أن تبتغوا فضلا من ربكم) يعنى رزقا ونفعا وهو الربح فى التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأثموا أن يتجروا فى المواسم فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفى رواية أن تبتغوا فى مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة أيضا قال الازرقى هى بأسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون فى هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة أيام من آخر ذى القعدة وثمانية أيام من أول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة فى يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن أبى أمامة التيمى قال كنت رجلا أكرى فى هذا الوجه وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا أبا عبد الرحمن انى رجل أكرى فى هذا الوجه وان أناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتنى عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج أخرجه أبو داود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان أوقعت نقصا فى أعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة أفضل وأكمل ﴿ وقوله تعالى (فاذا أفضتم) أى دفعتم والافاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة فتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى ان ابراهيم لما أذن فى الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأتى من أتى أمره الله تعالى ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى أتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجازه فسمى ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا أمسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفى رواية عن ابن عباس ان ابراهيم رأى ليلة التروية فى منامه أنه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح تروى يومه أجمع أى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى أم من الشيطان فسمى يوم التروية ثم رأى ذلك فى ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء أى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف فى وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثانى من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات فى هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة

الالباب) يا ذوى العقول يعنى ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقهن الالباء فكأنه لا لب له ونزل فى قوم زعموا ان لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج وليسوا بالحاج (ليس عليكم جناح أن تبتغوا) فى ان تبتغوا فى مواسم الحج (فضلا من ربكم) عطاء وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فاذا أفضتم) دفعتم بكثرة من افاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول (من عرفات) هى علم للموقف سمى بجمع كاذرعات وانما صرفت لان التاء فيها ليست للتأنيث بل هى مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده

اماماثم ركب فلما بلغ المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل انسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيأ وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج وأصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول أصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هنالك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله أمر وهو للوجوب ولا يجب هنالك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس ان أسامة بن زيد كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيأ ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل أن تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم أجده في الاصول قال طاوس كانوا في الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى أحكام الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى ما بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى ما قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم أشرق ثبير ادخل أيها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير أي ندفع للنحر يقال أغار اذا أسرع ودفع في عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون أشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس * وقوله تعالى (واذكروه كما هداكم) أي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول أي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي أنزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين ۞ قوله عز وجل (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان أحدهما انه خطاب لقريش قال أهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون أن يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأمرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع وأخبرهم أنه سنة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع أحمس وأصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني انه خطاب لسائر المسلمين أمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث أفاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسي

(فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء (عند المشعر الحرام) هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها أي دنا منها أو لانه يجمع فيها بين الصلاتين أو لان الناس يزدلفون الى الله تعالى أي يتقربون بالوقوف فيها (واذكروه كما هداكم) ما مصدرية أو كافة أي اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه (وان كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) ثم لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا أمر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهي الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس على هذا الجنس ويكون الخطاب للمؤمنين

بالبيت فقال هو آدم عهد اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وأراد بالناس ابراهيم واسمعيل وأتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله فاذا أفضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فكأنه قال فاذا أفضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت أجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتأخيرا وتقديره ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم أفيضوا بمعنى الواو أي وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن أبيه قال سئل اسامة ابن زيد وأنا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو أشد من المشي والفجوة الفرجة وهي المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة أقصى وسعها (خ) عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد وقوله تعالى (واستغفروا الله) أي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم (ان الله غفور رحيم) يعني ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه ۞ قوله عز وجل (فاذا قضيتم مناسككم) أي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم أي ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى (فاذكروا الله) يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) قال أهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول أحدهم كان أبي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام أمرهم ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبهم وأحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبي أول ما يفصح بالكلام يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك فامرهم أن يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء (أو أشد ذكرا) أي بل أشد ذكرا وقيل أو بمعنى الواو أي وأشد ذكرا أي وأكثر ذكرا لله لانه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصي أشد من غضبك لوالديك اذا شتما (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) يعني ان المشركين كانوا يسألون الله في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان أحدهم يقوم فيقول اللهم ان أبي كان عظيم الفئة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما أعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(واستغفروا الله) ... مخالفتكم في الموقف ... ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم في أعمال ... (ان الله غفور رحيم) ... (فاذا قضيتم مناسككم) فاذا فرغتم من عبادتكم التي أمرتم بها في الحج ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) أي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم والمعنى فاكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أو أشد ذكرا) أي أكثر وهو في موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا وذكرا تمييز (فمن الناس من يقول) فمن الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول (ربنا آتنا في الدنيا) اجعل ايتاءنا أي اعطاءنا في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى

تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان أعطى رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز أو صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لان من انتكس على رأسه أو في أمره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين الدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث (وماله في الآخرة من خلاق) أي وماله في الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعني المؤمنين واعلم أن الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا في الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني هم المؤمنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالاولى له أن يستعيذ بالله من شرها وآلامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعاء من أمر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله اياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخرجه أبو داود (أولئك) اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق الاول بكماله فقال وماله في الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين (لهم) جميعا أي لكل فريق من هؤلاء (نصيب) أي حظ (مما كسبوا) يعني من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكروا في معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد ولا روية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على أن يحاسب جميع الخلائق في أقل من لمحة البصر وروي انه تعالى يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة أو ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب أي سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شيء من ذلك لانه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل في معنى

(وماله في الآخرة من خلاق) نصيب لان همهم مقصور على الدنيا لكفرهم بالآخرة والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاءه لان الناس من بين مقل لا يطالب بذكر الله الا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أي من الذين قيل فيهم (ومنهم) ومن الذين يشهدون الحج (من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) نعمة وعافية أو علما وعبادة (وفي الآخرة حسنة) عفوا ومغفرة أو المال والجنة أو ثناء الخلق ورضا الحق أو الايمان والامان أو الاخلاص والخلاص أو السنة والجنة أو القناعة والشفاعة أو المرأة الصالحة والحور العين أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة (وقنا عذاب النار) احفظنا من عذاب جهنم أو عذاب النار امرأة السوء (أولئك) أي الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب ويجوز أن يكون أولئك للفريقين أو ان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته وروي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار لمحة

الآية

الآن لان اتيان القيامة قريب لان كل ماهو كائن وآت فقريب لامحالة وفيه اشارة الى المبادرة بالعمل والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة ﴿ قوله عز وجل (واذكروا الله) يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى أدبار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (فى أيام معدودات) يعنى أيام التشريق وهى أيام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقلتهن وهى ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعى وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن أبى طالب ويروى عن ابن عمر أيضا وهو مذهب أبى حنيفة (م) عن نبيشة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ومن الذكر فى هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا وفى رواية انه كان يكبر فى قبته فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الاسواق حتى ترتج منى أخرجه البخارى بغير اسناد وأجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع أيام التشريق وأجمعوا أيضا على ان التكبير فى عيد الاضحى وفى هذه الايام فى أدبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل يبتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعى فى أصح أقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا القول فى ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى انه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى ثلاث وعشرين صلاة وهو قول على بن أبى طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير فى ثمان صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال أحمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة عشرة صلاة أولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر أيام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعى ثلاثا نسقا الله أكبر الله أكبر الله أكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعى وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق ﴿ وقوله تعالى (فمن تعجل فى يومين) أى فمن تعجل النفر الاول وهو فى الثانى من أيام التشريق (فلا اثم عليه) أى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالى أيام التشريق ليرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمى عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى فى اليوم الثانى وأراد أن ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه يعنى فلا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعنى ومن تأخر الى النفر الثانى وهو اليوم الثالث من أيام التشريق فلا اثم عليه فى تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثانى من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها والرمى اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوز له أن ينفر مالم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمى بعد ورخص لرعاة الابل وأهل سقاة الحاج ترك المبيت بمنى ليالى منى فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذى أتى بافعال الحج كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه أجوبة أحدها انه تعالى لما أذن فى التعجيل

(واذكروا الله فى أ[يام] معدودات) هى أيا[م] التشريق وذكر الله فيه[ا] التكبير فى أدبار الصلوا[ت] وعند الجمار (فمن تعجل) فمن عجل فى النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق بقوله ومن تأخر (فى يومين) من هذه الايام الثلاثة فـ[ـلم] يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الايام الثلاثة (فلا اثم عليه) فلا يأثم بهذا التعجيل (ومن تأخر) حتى رمى فى اليوم الثالث (فلا اثم عليه لمن اتقى) الصيد أو الرفث والفسوق أو هو تخيير فى التعجيل والتأخر وان كان التأخر أفضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم أفضل وقيل كان أهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى المأثم عنهما

(واتقوا الله) في جميع الامور (واعلموا انكم اليه تحشرون) حين يبعثكم من القبور كان الاخنس بن شريق حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله انى صادق فنزل فيه (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشئ العجيب الذي يعظم

في النفس (في الحياة الدنيا) في يتعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة او بيعجبك أى يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة (ويشهد الله على ما في قلبه) أى علمه ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام (وهو ألد الخصام) شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام المخاصمة والاضافة بمعنى في لان أفعل يضاف الى ما هو بعضه تقول زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد في الخصومة أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو أشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الالانة القول واحلاء المنطق (سعى في الارض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف فانه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم (ويهلك الحرث والنسل) أى الزرع والحيوان أو اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد واذا قيل له) للاخنس (اتق الله) في الافساد والاهلاك أخذته العزة بالاثم) حملته النخوة وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه أو الباء للسبب أى أخذته العزة من أجل الاثم الذي في قلبه وهو الكفر (فحسبه جهنم) أى كافيه

على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين فان شاء عجل وان شاء أخر الجواب الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى قال فتعجلوا أو تأخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التأخير (لمن اتقى) أى ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى ان يصيب في حجه شيأ نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله (واتقوا الله) أى في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا انكم اليه تحشرون) أى فيجازيكم بأعمالكم وفيه حث على التقوى

قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه أشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن أختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم أسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال اني سأخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله أى يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني أن حلاوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا (ويشهد الله على ما في قلبه) يعني قوله والله اني بك مؤمن ولك محب (وهو ألد الخصام) أى شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة (واذا تولى) أى أدبر وأعرض عنك بعد الالانة القول وحلاوة المنطق (سعى في الارض) أى سار ومشى في الارض (ليفسد فيها) يعني بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين (ويهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فأحرق له كدسا وعقر له أتانا وقيل معناه اذا تولى أى صار واليا وملك الامر سعى في الارض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الآية عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان تنزل في رجل واحد ثم تكون عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة وأجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيأ ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) أى خف الله في سرك وعلانيتك (أخذته العزة بالاثم) أى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه وأصل العزة المنعة والتكبر (فحسبه جهنم) أى

كافية

كافيه جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من أسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة وقيل هو اسم أعجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها (ولبئس المهاد) أي الفراش والمهاد التوطئة أيضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من أكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى ﷺ قوله عز وجل (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في سرية الرجيع وكانت بعد أحد (خ) عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائتي رام فاقتفوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا أثرهم حتى لحقوهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا الى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى اذا اجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال أتخشين مني أن أقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ان تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم عددا وقال

فلست أبالي حين أقتل مسلما * على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء زاد في رواية وأخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم الفدفد الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه أي مارسوه وأرادوه انهم يخدعونه ليتبعهم فأبى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشيء الذي يظل من فوق الانسان والدبر جماعة النحل والزنابير وقال أهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد أسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء أصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي أفلح الانصاري وذكر نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا انصلب خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي فقام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم يعني سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى

(ولبئس المهاد) اي الفراش جهنم ونزل في صهيب حين أراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة أو فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ومن الناس من يشري) يبيعها (نفسه ابتغاء) لابتغاء (مرضاة الله)

التنعيم ليقتله فى الحل واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب محمدا عندنا الآن مكانك يضرب عنقه وانك فى أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان النهار حتى أتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة أربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فأنزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ينثنى ولم يتغير منه شئ بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهى تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب منهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمى بليع الارض وقال الزبير ما جرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود أسدان ضاريان يدفعان عن أشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهى بهذين من أصحابك ونزل فى الزبير والمقداد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله حين شريا أنفسهما لانزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين نزلت فى صهيب ابن سنان الرومى وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بأرض الموصل فأغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء أقبل صهيب مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركى قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان فى كنانته وقال والله لا تصلوا الى أو أرمى بكل سهم معى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن أتدرون فيما نزلت هذه الآية نزلت فى المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيأبى أن يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسى لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن عباس رضى الله عنهما أرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل وأخذته العزة بالاثم قال وأنا أشرى نفسى لله فقاتله وكان على كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن أى باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى فى الدار الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه فى طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهى عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشترى والثمن هو ثواب الله تعالى فى الآخرة ابتغاء مرضات الله أى طلب رضا الله (والله رؤف بالعباد) أى من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم فى الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته انه يقبل توبة عبده ومن رأفته ان نفس العباد وأموالهم له ثم انه تعالى يشترى ما ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل وألبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح فى الاسلام وواجب فى التوراة وقالوا أيضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به فى صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا

والله رؤف بالعباد) حيث أثابهم على ذلك (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم) وبفتح السين حجازى وعلى وهو الاستسلام والطاعة أى استسلموا لله وأطيعوه أو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لانهم آمنوا بألسنتهم (كافة) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير فى ادخلوا أى جميعا أو من السلم لانها تؤنث كأنهم أمروا أن يدخلوا فى الطاعات كلها أو فى شعب الاسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كأنهم كفوا ان يخرج منهم أحد باجتماعهم

فى السلم أى فى شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا فى السلم كافة أى فى الاسلام وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم أمتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن موسى حى ما وسعه الا اتباعى قوله أمتهوكون أى متحيرون أنتم فى دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعنى بالملة الحنيفية بيضاء نقية أى لا تحتاج الى شئ وقيل يحتمل أن يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا فى السلم أى الانقياد والطاعة لان أصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة أى بأجمعكم ولا تتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا فى أحكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى أليق بظاهر التفسير لانهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان فى هذه الآية الاسلام ثمانية أسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التى يلقيها اليكم أصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع أثره (انه لكم عدو مبين) يعنى الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله يمنعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصى والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان فى مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من أعظم جهات العداوة فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله تعالى بين عداوته ما هى فكانه بين وان لم يشاهد (فان زللتم) أى ملتم وضللتم وقال ابن عباس أشركتم (من بعد ما جاءتكم البينات) أى الدلالات الواضحات (فاعلموا ان الله عزيز) أى فى نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شئ (حكيم) يعنى انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة فى الامور كلها وفى الآية وعيد وتهديد لمن فى قلبه شك أو نفاق أو عنده شبهة فى الدين ۞ قوله عز وجل (هل ينظرون) أى ينتظرون التاركون الدخول فى السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الا أن يأتيهم الله فى ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعنى السحاب الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض (والملائكة) أى وتأتيهم الملائكة وروى الطبرى فى تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتى الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء فى آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب سلف هذه الامة وأعلام أهل السنة الايمان والتسليم لما جاء فى آيات الصفات وأحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبى هذا من الذى لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد أن يفسره الا الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث بن سعد وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون فى هذه الآية وأمثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الامة وأنشد بعضهم فى المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولا ذاته شئ عقيدة صائب

نسلم آيات الصفات بأسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) وساوسه (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زللتم) ملتم عن الدخول فى السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) أى الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب لا يعجزه شئ من عذابكم (حكيم) لا يعذب الا بحق وروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابى لم يقرأ القرآن فانكره وقال ليس هذا من كلام الله اذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لانه اغراء عليه (هل ينظرون) ما ينتظرون (الا أن يأتيهم الله) أى أمر الله وبأسه كقوله أو يأتى أمر ربك فجاءها بأسنا والمأتى به محذوف بمعنى ان يأتيهم الله بيأسه للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز (فى ظلل) جمع ظلة وهى ما أظلك (من الغمام) السحاب وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا أنزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول (والملائكة) أى وتأتى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم يوم القيامة

ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر على انه تعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات فيكون مجيء الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسر في آية أخرى فقال هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما وعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتيهم تهويلا عليهم اذلو ذكر ما يأتيهم به كان أسهل عليهم في باب الوعيد واذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل ان تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأهوالها (وقضى الامر) أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) أي الى الله تصير أمور العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان أمور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا أضافوا أفعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله ما أضافوه الى غيره في الدنيا ۞ قوله عز وجل (سل بني اسرائيل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره ان يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي أنعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بينة) أي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعني يغير الآيات التي جاءته من الله لانها هي سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم أنكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعني لمن بدل نعمة الله ۞ قوله عز وجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك انه لا يمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى أمهلهم في الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على

(وقضى الامر) أي وتم أمر اهلاكهم وفرغ منه (والى الله ترجع الامور) أي انه ملك العباد بعض الامور ثم ترجع اليه الامور يوم النشور وترجع الامور حيث كان شامي وحمزة وعلي (سل) أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل وهو أمر للرسول أو لكل أحد وهو سؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيامة (بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية أو خبرية (ومن يبدل نعمة الله) هي آياته وهي أجل نعمة من الله لانها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم أي وحرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (من بعد ما جاءته) من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فان الله شديد العقاب) لمن استحقه (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها أو الله تعالى بخلق الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا

الدنيا وملذاتها ونسوا أمر الآخرة وقيل أوهموهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم مزين لهم وهذا المزين لابد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آمنوا) يعني ان الكفار يستهزؤن بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعني الفقراء من المؤمنين (فوقهم) أي فوق الكفار (يوم القيامة) لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيته وقيل هو القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعطي كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب ما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق على من يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطي كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ولا يحاسب فيما رزق ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم أعطيت هذا أكثر من ذاك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي أهل الجنة الثواب والاجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب ۞ قوله عز وجل (كان الناس أمة واحدة) أي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعني بالثواب ان آمن وأطاع (ومنذرين) يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان أولى بالتقديم (وأنزل معهم الكتاب)

(ويسخرون من الذين آمنوا) كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين ابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أي لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في جنة عالية وهم في نار هاوية (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقتير يعني انه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الاسلام من آدم الى نوح عليهما السلام أو هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا (فبعث الله النبيين) ويدل على حذفه قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا أو كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الاوجه (مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومنذرين) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وأنزل معهم الكتاب) أي مع كل واحد منهم كتابه

أى الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) أى بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس ثلاثون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعنى الكتاب وانما أضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذى أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبى بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب أو النبى مجاز والله هو الحاكم فى الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) أى فى الحق الذى اختلفوا فيه من بعدما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) أى فى الحق (الا الذين أوتوه) أى أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فى فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا (من بعد ما جاءتهم البينات) أى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أى أنهم لم يبق لهم عذر فى العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أى الى ما اختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا المعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذى اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا اليهود وبعد غد النصارى وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائى يعنى يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا فى شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه فهدانا الله فى ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعنى بعلمه وأمره وارادته (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) ﴿ قوله عز وجل (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) نزلت فى غزوة الاحزاب وهى غزوة الخندق وذلك ان المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت فى غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة فى أول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم بايدى المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر قوم النفاق فأنزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الآية أحسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أى شبه الذين مضوا قبلكم من

(بالحق) بتبيان الحق (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبى المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) فى دين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) فى الحق (الا الذين أوتوه) أى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أى ازدادوا الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) على صدقه (بغيا بينهم) مفعول له أى حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أى هدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (باذنه) بعلمه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أم حسبتم) أم منقطعة لا متصلة لان شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أى أيهما عندك وجوابه زيد ان كان عنده زيد أو عمرو ان كان عنده عمرو وأما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة والتقدير بل حسبتم ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجىء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريق الالتفات التى هى أبلغ أم حسبتم (أن تدخلوا الجنة ولم يأتكم) أى ولم يأتكم وفى لما معنى التوقع يعنى أن اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) مضوا أى حالهم التى هى مثل فى الشدة (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين

النبيين وأتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) أى أصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعنى المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) أى وحركوا بأنواع البلايا والرزايا وأصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لان الرسل أثبت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا أتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى فى الشدة فلما بلغ بهم الحال فى الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم فى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان يأتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ۞ قوله عز وجل (يسألونك ماذا ينفقون) نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ما أنفقتم من خير) أى مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شئ من المال قل أو كثر (فللوالدين) وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود (والاقربين) وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم (واليتامى) وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم أحد ينفق عليهم (والمساكين) وانما أخرهم لان حاجتهم أقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل أتبعه بالاجمال فقال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) وما تفعلوا من خير مع هؤلاء أو غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق فى الوجوه المذكورة فى الآية فيقدم الاول فالاول *(بقى فى الآية سؤال)* وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ما ينفق فأجيبوا ببيان المصرف وأجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعد نفقة الا أن تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تعد صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

۞ قوله عز وجل (كتب عليكم القتال) أى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من أوجبه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة

(مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم (البأساء) أى البؤس (والضراء) المرض والجوع (وزلزلوا) وحركوا بأنواع البلايا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) الى الغاية التى قال الرسول ومن معه من المؤمنين (متى نصر الله) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم الى طلبهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الابل حتى يجئ البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على اضمار أن ومعنى الاستقبال لان أن علم له * ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا أن تقع موقعها عن الحسن هى فى التطوع (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) فيجزى عليه (كتب عليكم القتال) فرض عليكم جهاد الكفار

بعد الفتح ولكن بجهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا أو لم يجاهدوا فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال أحدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة ﴿وقوله تعالى (وهو كره لكم) أي القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا أنهم كرهوا أمر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل أن يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذي تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل (وعسى أن تحبوا شيأ) يعني القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعني لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم أن فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعني ما في الجهاد من الغنيمة والاجر والخير (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى أمره بأمر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال أمر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال ﴿قوله عز وجل (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به ولا تستكرهن أحدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش لعلك تأتينا منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى أصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه أحد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا أمنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم أشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فأجمعوا

(وهو كره لكم) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها

فانما هي اقبال وادبار

كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أو هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) فانتم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيأ) وهو القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر (والله يعلم) ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا الى ما يأمركم به وان شق عليكم ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف (يسئلونك عن الشهر الحرام) اي يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام (قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم

أمرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وأسر الحكم بن كيسان وعثمان وكانا أول أسيرين في الاسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب يعني المال وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ شيأ من ذلك وعنف المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم مالم تؤمروا به فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان أول خمس في الاسلام وأول غنيمة قسمت فقسم الباقي على أصحاب السرية وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان ابن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وأما تفسير الآية فقوله تعالى يسألونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا وسمي بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما أنهم المسلمون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطؤا أم أصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال في الحرم وفي الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثاني أن السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) أي قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) أي عظيم مستنكر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روي عن عطاء انه كان يحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الشهر الحرام ولا أن يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز في الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو وصدكم عن الاسلام من يريده (وكفر به) أي بالله (والمسجد الحرام) أي وصدكم عن المسجد الحرام (واخراج أهله منه) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله أهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (أكبر عند الله) أي أعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام (والفتنة) أي الشرك الذي أنتم عليه (أكبر من القتل) يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة ان عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت (ولا يزالون) يعني مشركي مكة (يقاتلونكم) يعني يا معشر المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعني الى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعني ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم وهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق انه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو

ثم قال فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) أي منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدأ (وكفر به) أي بالله عطف عليه (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله أي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء في به أي كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام (واخراج أهله) أي أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهو عطف عليه أيضا (منه) من المسجد الحرام وخبر الاسماء الثلاثة (أكبر عند الله) أي مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج أو الشرك (أكبر من القتل) في الشهر الحرام أو تعذيب الكفار المسلمين أشد قبحا من قتل هؤلاء المسلمين في الشهر الحرام (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) أي الى الكفر وهو اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم وقوله تعالى (ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وأنت واثق بأنه لا يظفر بك (ومن يرتدد منكم عن دينه) ومن يرجع عن دينه الى دينهم (فيمت وهو

كافر) أي يمت على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المآب (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وبها احتج الشافعي رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والاصل عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله نزل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) تركوا أماكنهم وعشائرهم (وجاهدوا في سبيل الله) مع المشركين ولا وقف عليه لان (أولئك يرجون رحمت الله) خبر ان قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور رحيم) نزل في الخمر أربع آيات (١٤٦) نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يسئلونك عن الخمر والميسر) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه والخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا اذا ستره لتغطيتها العقل والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب أو من اليسار كأنه سلب يساره عز

وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الاقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما [illegible]

كافر) يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل أن يتوب (فأولئك حبطت أعمالهم) أي بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته ولا يستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيأ للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها في الآخرة وظاهر الآية يقتضي ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر أما اذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شيء من أحكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند أبي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان أسلم (وأولئك أصحاب النار) يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها أبدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه وذلك ان أصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع أن يكون لنا غزو فأنزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا أصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه أجر فأنزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا أي فارقوا مساكنهم وعشائرهم وأموالهم وفارقوا مساكنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله أي في طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (أولئك يرجون رحمت الله) أي يطمعون في نيل رحمته أثبت لهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع في أصل الثواب وانما دخل الظن في كميته ووقته قال قتادة أثنى الله تعالى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) أي لذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه ما لم يعلموا به ۞ قوله عز وجل (يسئلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله تعالى هذه الآية وأصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل أي تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل أنزل في الخمر أربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في أول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى آخر السورة فأنزل الله

عز وجل ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في أوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح و يشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد ابن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فأخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا و يروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الانصار و بيده ناضح له والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة * فلم يرحى مثلنا في المعاشر

فأحياؤنا من خير أحياء من مضى * وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة أولئك المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصاري مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى الآية التي في المائدة الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بأيام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شئ أشد من الخمر (ق) عن أنس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم أسقي أبا طلحة وأبا أيوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة

(فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها) أجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها او يفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر أن رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أومسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يارسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يارسول الله قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان أذهبت عقله عن شئ من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته أربعين يوما وان مات فيها مات كافرا أخرجه النسائي * عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة عن أنس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها أخرجه الترمذي

*(فصل في احكام تتعلق بالخمر) وفيه مسائل *(الاولى في ماهيتها)* قال الشافعي الخمرة عبارة عن عصير العنب الني الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب أنه كتب الى بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد أخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج أيضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل أيضا على ان السكر حرام لما روي عن أبي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على ان الخمر من عدة أشياء بما روي عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه *عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا أخرجه أبو داود وزاد في رواية والذرة واني أنهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم الخمر بالفارسية أي لم يكن في زمانه أو سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما أسكر فهو حرام *عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر أخرجه أبو داود والمفتر كل شراب أحمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما أسكر كثيره فقليله حرام بما روي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقليله حرام أخرجه الترمذي وأبو داود *عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام أخرجه أبو داود والنسائي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادي وأجيب عن حديث عمر في الطلاء بأنه معارض بما روي عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وأنا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسأل عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما أخرجه مالك في الموطا وأما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق وقوله والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هرون وهو الصواب وأما حديث أبي الاحوص ففيه وهمان أحدهما في سنده حيث قال عن أبي بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن أبي بريدة عن أبيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث أبي الاحوص هذا حديث منكر غلط

نبيه

فيه أبو الأحوص سلام بن سليم لا يعلم ان أحدا تابعه عليه من أصحاب سماك وأما حديث عائشة ففيه نهى غير ثابت كما تقدم في قول النسائي *(المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر)* الخمر وما يلحق بها نجسة العين و يدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشئ المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين و يدل على نجاستها أيضا أنها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغي أن يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها *(المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها)* اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها و يدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والاصنام أخرجاه في الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها * عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير أخرجه أبو داود قوله فليشقص الخنازير أي فليقطعها قطعا قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء * عن أبي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجرى فقال أهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه الترمذي وقال وقد روى عن أنس ان أبا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو أصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

(فصل) وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فانزل الله هذه الآية وأصل الميسر ان أهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤنها ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام وأسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصباء فللفذ سهم وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة أسهم وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لي في الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح اسماسهمي وغد * ومنيح وسفيح

ثم يجمعون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فأيهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا أنصباء لها لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيأ وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيأ بين الاصحاب لبخله وأما حكم الآية فالمراد به جميع أنواع القمار فكل شئ فيه قمار فهو من الميسر وروى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شئ فيه خطر يعني الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما النرد فحرم اللعب به سواء كان بخطر أم لا ويدل على تحريمه ما روى عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في دم خنزير أخرجه مسلم وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد أو نرد شير فقد عصى الله ورسوله أخرجه أبو داود وعن علي بن أبي طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فذهب أبي حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن أو بغير رهن ومذهب الشافعي أنه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان و روى عن

(قل فيهما اثم كبير) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير حمزة وعلي (ومنافع للناس) بالتجارة في الخمر والتلذذ بشربها وفي الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كد (واثمهما) وعقاب الاثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) لان أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) أي الفضل أي أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل في أوّل الاسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل واذا كان صانعا أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا في موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذي وينفقون صلته أي ما الذي ينفقون فجاء الجواب العفو أي هو العفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كذلك) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف أي تبيينا مثل هذا التبيين (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا) أي في أمر الدنيا (والآخرة) وفي يتعلق بتتفكرون أي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يتعلق بيبين أي يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) أي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (فاخوانكم) فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ أن يخالط أخاه (والله يعلم المفسد) لاموالهم (من المصلح) لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله) اعناتكم (لأعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم (ان الله عزيز) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم (حكيم) لا يكلف

الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال أو أخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيهما) يعني في الخمر والميسر (اثم كبير) أي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو العقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك آثام كثيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله وأما الاثم الكبير في الميسر فهو أكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها وأما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب قيل ربما أن الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (واثمهما أكبر من نفعهما) يعني اثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر ﴿ قوله تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى (قل العفو) يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع (كذلك يبين الله لكم الآيات) أي يبين لكم الامر والنهي وسألتم عنهما من وجوه الانفاق ومصارفه (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها ﴿ قوله عز وجل (ويسئلونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموالهم عن أموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى (قل اصلاح لهم خير) أي اصلاح أموال اليتامى من غير أخذ أجرة ولا عوض خير لكم أي أعظم أجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة أي شاركوهم في أموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بامورهم أو تكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد من المصلح) يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وأصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم (ان الله عزيز حكيم) أي غالب يقدر أن يشق على عباده ويعنتهم

ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم ﴿ قوله عز وجل ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾
نزلت في أبي مرثد بن أبي مرثد الغنوي واسم أبي مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في
الجاهلية فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني وبين ذلك فقالت له هل لك أن
تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره فقالت أبي تتبرم واستغاثت عليه
فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه
بما كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيحل لي أن أتزوجها فأنزل الله تعالى هذه
الآية وأصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون
المشركات حتى يؤمن أي يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين واختلف
العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي أجناس
الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك
نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن
بهذه الآية قال ابن عباس في قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال
والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة
ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني
مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسئلة وهي ان لفظ الشرك على من يطلق
فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود
والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك
قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه
الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم أن الله تعالى
واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان
ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه
اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان
فقط والاول أصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية
محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة
في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى ﴿ولأمة مؤمنة خير﴾ يعني أنفع وأصلح وأفضل ﴿من
مشركة﴾ يعني حرة ﴿ولو أعجبتكم﴾ يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وأفضل عند الله من الحرة
المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى على
سوادك ودمامتك ثم أعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب
عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد أن لا اله
الا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه أمة مؤمنة قال عبد الله فوالذي
بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة
مشركة فأنزل الله هذه الآية ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ هذا خطاب لاولياء المرأة أي لا تزوجوا
المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا من أي أصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على
أنه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بالمشرك ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾ يعني حر ﴿ولو أعجبكم﴾ بحسنه وماله
وجماله ﴿أولئك يدعون الى النار﴾ يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار ﴿والله يدعو الى الجنة﴾

الاية وسبب نزولها ان أبا مرثد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ أي لا تتزوجوهن يقال نكح اذا تزوج وأنكح غيره زوجه ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها ﴿ولا تنكحوا المشركين﴾ ولا تزوجوهم مسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين ﴿حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ ثم بين علة ذلك فقال ﴿أولئك﴾ وهو اشارة الى المشركات والمشركين ﴿يدعون الى النار﴾ الى الكفر الذي هو عمل أهل النار فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ﴿والله يدعو الى الجنة﴾

والمغفرة) أي وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب مصاهرتهم (باذنه) [illegible] بأمره (ويبين آياته للناس لعلهم (١٥٢) يتذكرون) يتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله عن ذلك وقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل (ويسئلونك عن المحيض) هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا (قل هو أذى) أي المحيض شئ يستقذر ويؤذى من يقربه (فاعتزلوا النساء فى المحيض) فاجتنبوهن أى فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شئ فأمر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضي الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك (ولا تقربوهن) مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن (حتى يطهرن) بالتشديد كوفى غير حفص اى يغتسلن واصله يتطهرن فادغم التاء فى الطاء لقرب مخرجهما غيرهم يطهرن اى ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها فى اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفى اقل منه لا يقربها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا اولى من العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل باحداهما لما عرف وعند الشافعى رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى (فاذا تطهرن فأتوهن) فجامعوهن فيجمع بينهما (من حيث امركم الله) من المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم وهو القبل

والمغفرة) يعني أنه تعالى بين هذه الاحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) أي بتيسير الله وإرادته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) أي ويوضح أدلته وحججه فى أوامره ونواهيه وأحكامه (لعلهم يتذكرون) أي فيتعظون ﴿قوله عز وجل (ويسئلونك عن المحيض) (م) عن أنس أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من أمرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء أسيد ابن حضير وعباد بن بشر فقالا يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل فى آثارهما فسقاهما فعرفا أنه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادى اذا سال وفاض ماؤه (قل هو أذى) أي هو شئ قذر والاذى فى اللغة ما يكره من كل شئ (فاعتزلوا النساء فى المحيض) أى فاجتنبوا مجامعتهن (ولا تقربوهن) يعنى بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء فى المحيض (حتى يطهرن) يعنى من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) أى اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث أمركم الله) قال ابن عباس طؤهن فى الفرج ولا تعتدوا الى غيره فانه هو الذى أمر الله به ولا تأتوهن فى غير المأتى وقيل فأتوهن من الوجه الذى أمركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

(فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل) *(المسئلة الاولى)* أجمع المسلمون على تحريم الجماع فى زمن الحيض ومستحله كافر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد أخرجه الترمذى وقال انما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفى وجوب الكفارة قولان أحدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول أبي حنيفة والشافعي فى الجديد والقول الثانى انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الرجل يقع على امرأته وهى حائض قال يتصدق بنصف دينار وفى رواية قال اذا كان دما أحمر فدينار وان كان دما أصفر فنصف دينار أخرجه الترمذى وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم *(المسئلة الثانية)* أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تأتزر بازار فى فور حيضها ثم يباشرها وأيكم يملك أربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفى رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرنى فأتزر فيباشرنى وأنا حائض أخرجاه فى الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شئ أوله وابتداؤه وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولينى الخمرة من المسجد قلت انى حائض قال ان حيضتك ليست فى يدك الخمرة حصير صغير مضفور من سعف النخل أو غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعنى ناولها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد وعائشة فى حجرتها فطلب منها الخمرة

وهي حائض *(المسئلة الثالثة)* يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو أمنت الحائض من التلويث في عبور المسجد جاز في أحد الوجهين قياسا على الجنب والثاني لا لأن حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روي عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت أحرورية أنت قلت لست بحرورية ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة أخرجاه في الصحيحين *(المسئلة الرابعة)* لا يرتفع شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب أبو حنيفة الى أنه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لأكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض أو تتيمم عند عدم الماء لأن الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل قبل الغسل ❁ وقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) يعني من الذنوب والتواب الذي كلما أذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب (ويحب المتطهرين) يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب ❁ قوله عز وجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وفي رواية الترمذي كانت اليهود تقول من أتى المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيأ فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز أن يريد به انه أتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد أخرجه أبو داود الوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شيء جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها وأصل الشرح البسط وقوله سرى أمرهما أي ارتفع وعظم وتفاقم وأصله من سرى البرق اذا لاح في اللمعان عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم في صمام واحد ويروى سمام بالسين أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبزر والولد كالنبات الخارج (فأتوا حرثكم أنى شئتم) يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في أدبارهن لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة في دبرها أخرجه أبو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم

لا يأس (ويحب المتطهرين) بالماء أو المتنزهين من ادبار النساء أو من الجماع في المحيض ومن الفواحش كان اليهود يقولون اذا أتى الرجل أهله باركة أتى الولد أحول فنزل (نساؤكم حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله أي ان المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها على ان المطلوب الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي نيط به هذا المطلوب (فأتوا حرثكم أنى شئتم) جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم باركة أو مستلقية أو مضطجعة بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل اي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم ان يتأدب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات

(وقدموا لانفسكم) ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه أو هو طلب الولد او التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترئوا على المناهي (واعلموا أنكم ملاقوه) صائرون اليه فاستعدوا للقائه (وبشر المؤمنين) بالثواب يا محمد وانما جاء يسئلونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كأنه وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح ذات بين أو احسان الى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله ان أحنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايمانكم أي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس واللام تتعلق بالفعل أي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لاجل أيمانكم به عرضة لان تبروا (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يؤاخذكم باللغو في اليمين الذي يحلفه أحدكم وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من [illegible]

لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو وروي عنه انه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال أحمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدري فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدثه نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وأنكره أصحابه وأجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في أدبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فأولى أن يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره ۞ وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقيل أراد به تقديم الافراط (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها وجاوزها فقد أبر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله) أي احذروا ان تأتوا شيأ مما نهاكم الله عنه (واعلموا أنكم ملاقوه) أي صائرون اليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) يعني بالكرامة من الله تعالى ۞ قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) نزلت في عبد الله ابن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا أفعل فلا يحل لي الا أن تبر يميني فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم الى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) أي لحلفكم (عليم) يعني بنياتكم ۞ قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية به قال الشافعي ويعضده ما روي عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم في قول الرجل لا والله وبلى والله أخرجه البخاري موقوفا ورفعه أبو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في يمينه كلا والله وبلى والله ورواه عنها أيضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شيء يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطأ أحسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يتيقن

انه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشئ وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به أحدا و يعتذر لمخلوق أو يقتطع به مالا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله أو ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك أو يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وأبي حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله و بلى والله و يوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقده انه كان ثم بان انه لم يكن وأبو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب أبي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعني لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتموه وكسب القلب هو العقد والنية

(فصل في بيان حكم الآية) وفيه مسائل *(المسألة الاولى)* لا تنعقد اليمين الا بالله و بأسمائه وصفاته فأما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذي نفسي بيده والذي أعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة *(المسألة الثانية)* لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وأبي ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت أخرجاه في الصحيحين

(المسألة الثالثة) اذا حلف على أمر في المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على أمر ماض ولم يكن أو على انه لم يكن وكان فان كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكبائر سميت غموسا لانه انغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين (والله غفور) يعني لعباده فيما لغوا من أيمانهم التي أخبر انه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء آخذهم وألزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الآجل (حليم) يعني في ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم انه الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع و يبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر المتقي وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما يقيها الناسك الذي يدعوه و يسأله وقال أبو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة ۞ قوله عز وجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون أي يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الالايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا أجامعك أو لا أباضعك أو لا أقربك قال ابن عباس كان أهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيأ فأبت أن تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا أيما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأنزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار أهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها أبدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر وأنزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) أي انتظار (أربعة أشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) أي رجعوا

لا والله و بلى والله (ولكن يؤاخذكم) ولكن يعاقبكم (بما كسبت قلوبكم) بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم (للذين يؤلون) يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ومن في (من نسائهم) يتعلق بالجار والمجرور أي للذين كما تقول لك مني نصرة ولك مني معونة أي للمولين من نسائهم (تربص أربعة أشهر) أي استقر للمولين ترقب أربعة أشهر لا يؤلون لان آلى بعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ولك ان تقول عدى بمن لما في هذا القسم من معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين (فان فاؤا) في الاشهر لقراءة عبد الله فان فاؤا فيهن أي رجعوا الى الوطء عن الاصرار بتركه

[illegible] (فإن الله غفور رحيم) [illegible]
[illegible] (الفرع
الأول) إذا حلف أن لا يقرب زوجته أبدا أو مدة هي أكثر من أربعة أشهر فهو مول فإذا مضت أربعة
أشهر وقفت ويؤمر الزوج بالفيء أو الطلاق بعد مطالبة المرأة والفيء هو الرجوع عما قال
بالوطء إن قدر عليه أو القول مع العجز عنه فإن لم يفئ ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة وهو قول عمر
وعثمان وعلي وأبي الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كلهم يقول بوقف المولي وذهب إليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي وأحمد
وإسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود إذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان
الثوري وأبو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة رجعية * (الفرع الثاني) * لو حلف
أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمول بل هو حالف فإن وطئها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين * (الفرع
الثالث) * لو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي لأن بقاء المدة شرط
الوقوف وثبوت المطالبة بالفيء أو الطلاق وقد مضت المدة وعند أبي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي
المدة * (الفرع الرابع) * مدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لأنها مدة
ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوي فيها الحر والعبد كمدة العنة وعند
مالك وأبي حنيفة تتنصف مدة الإيلاء بالرق غير أن عند أبي حنيفة تتنصف مدة الإيلاء برق المرأة وعند مالك
برق الزوج كما في الطلاق * (الفرع الخامس) * إذا وطئ خرج من الإيلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا
قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد المغفرة فقال فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم ومن
قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في إسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة ۞ قوله تعالى (وإن عزموا
الطلاق) أي حققوه بالإيقاع (فإن الله سميع) يعني لأقوالهم (عليم) يعني بنياتهم وفيه دليل على أنها
لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لأنه تعالى شرط فيها العزم ۞ قوله عز وجل (والمطلقات) أي المخليات من حبال
أزواجهن والمطلقة هي التي أوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بأنفسهن) أي ينتظرن فلا يتزوجن
(ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال أبو عبيدة الأقراء من الأضداد كالشفق
اسم للحمرة والبياض وقيل إنه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في أصله فقيل أصله
الجمع من قرأ أي جمع لأن في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل أصله
الوقت يقال رجع فلان لقرئه أي لوقته الذي كان فيه لأن الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وبحسب
اختلاف أهل اللغة في الأقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما أن الأقراء هي الحيض روي ذلك عن
عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك
والسدي والأوزاعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول إن الأقراء
هي الأطهار وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض القول الثاني أنها الأطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن
عمر وعائشة وبه قال الزهري وأبان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول إن الأقراء هي الحيض قوله

(فإن الله غفور رحيم) [illegible] (فإن الله سميع) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (٢٢٧) (والمطلقات) [illegible] خبر في معنى الأمر
وأصل الكلام ولتتربص
المطلقات وإخراج الأمر
في صورة الخبر تأكيد
للأمر وإشعار بأنه مما
يجب أن يتلقى بالمسارعة
إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر
بالتربص فهو يخبر عنه
موجودا ونحوه قولهم في
الدعاء رحمك الله أخرج في
صورة الخبر ثقة بالاستجابة
كأنما وجدت الرحمة فهو
يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ
مما زاده أيضا فضل تأكيد
لأن الجملة الاسمية تدل على
الدوام والثبات بخلاف
الفعلية وفي ذكر الأنفس
تهييج لهن على التربص
وزيادة بعث لأن أنفس
النساء طوامح إلى الرجال
فأمرن أن يقمعن أنفسهن
ويغلبنها على الطموح
ويجبرنها على التربص
(ثلاثة قروء) جمع قرء أو
قرء وهو الحيض لقوله عليه
السلام دعي الصلاة أيام أقرائك
وقوله طلاق الأمة تطليقتان
وعدتها حيضتان ولم يقل
طهران وقوله تعالى واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم
إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة
أشهر فأقام الأشهر مقام
الحيض دون الأطهار ولأن المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك صلى
كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ولأنه لو كان طهرا كما قال الشافعي لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة لأنه إذا
طلقها آخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده وإذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص
لا يقع على ما دونه ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على الظرف
أي يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت أكثر

[illegible]

[illegible]

من جعل الأقراء الأطهار قالت عائشة رضي الله عنها إذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للأزواج وروي عنها أنها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا أعلم لأن هذا إنما يبتلى به النساء وإن طلقها في حال الحيض فإذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من جعل الأقراء حيضا وهو مذهب أبي حنيفة فلا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة إن كان وقع الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن وقع في حال الحيض فإن قلت ما معنى الإخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن قلت هو خبر في صورة الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات فأخرج الأمر في صورة الخبر تأكيدا للأمر وإشعارا بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونظيره قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالإجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

* (فصل في أحكام العدة) * وفيه مسائل * (المسألة الأولى) * عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والأمة * (المسألة الثانية) * عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده وسواء في ذلك الحائض والآيسة * (المسألة الثالثة) * عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان أحدهما الحيض فعدتها بالأقراء وهي ثلاثة قروء الضرب الثاني الآيسات من الحيض إما لكبر أو تكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها * (المسألة الرابعة) * عدة الإماء نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفي الأقراء قرآن لأنه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الأمة بحيضتين ۞ وقوله تعالى (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى أنه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض أو الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وإيجاب أداء الأمانة في الإخبار عما في الرحم من الحيض أو الولد والمعنى أن هذا من فعل المؤمنات وإن كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أد حقي إن كنت مؤمنا يعني أن أداء الحقوق من أفعال المؤمنين وتقول للذي يظلم إن كنت مؤمنا فلا تظلمني والمعنى ينبغي أن يمنعك إيمانك من الظلم وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان أحدهما أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني أنه لأجل إلحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة إذا رغبت في زوجها تقول إني حائض وإن كانت قد طهرت ليراجعها وإن كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن بأداء الأمانة (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) يعني أزواجهن سمي الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتهن وردهن إليهم في ذلك أي في حال العدة فإذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (إن أرادوا إصلاحا) يعني إن أراد الزوج بالرجعة الإصلاح وحسن

[illegible] (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) لأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم (وبعولتهن) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أحق بردهن) أي أزواجهن أولى برجعتهن وفيه دليل على أن الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (في ذلك) في مدة ذلك التربص والمعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة (إن أرادوا) بالرجعة (إصلاحا) لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن

العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (ولهن) يعني وللنساء على الازواج (مثل الذي عليهن) يعني للازواج (بالمعروف) وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما راعى حق الآخر فيما له وعليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية اني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف (م) عن جابر أنه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانات الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم أخذتموهن بامانات الله ويروى بامانة وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولا يأذن لاحد أن يتحدث اليهن وكان من عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع ۞ وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل أن يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها (والله عزيز) أي غالب لا يمتنع عليه شيء (حكيم) أي في جميع أفعاله وأحكامه روى البغوي بسنده عن أبي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها ۞ قوله عز وجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الي ولا تحلين أبدا فانزل الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء الله أن يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا أن تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطليق الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاث حرام الا أن أبا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد

(ولهن مثل الذي عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الامر والنهي (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابلها بما يليق بالرجال (وللرجال عليهن درجة) زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بامرها وان اشتركا في اللذة والاستمتاع أو بالانفاق وملك النكاح (والله عزيز) لا يعترض عليه في أموره (حكيم) لا يأمر الا بما هو صواب وحسن (الطلاق مرتان) الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في ان الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة في طهر واحد لان الله تعالى أمرنا بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر والا يؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية ان زوجي قال لا أزال أطلقك ثم اراجعك فنزلت الطلاق مرتان أي الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثالث

الطلاق

الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذي لكم فيه مرجعة على أزواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين ان مرجها فطلقها الثالثة (فامساك بمعروف) يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (أو تسريح باحسان) يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل هو أنه اذا طلقها أدى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها *(فروع)* تتعلق باحكام الطلاق *(الفرع الاول)* صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط *(الفرع الثاني)* الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها *(الفرع الثالث)* العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك وأحمد وذهب أبو حنيفة الى أن الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن) يعني أعطيتموهن (شيأ) يعني من مهر أو غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فاتت أباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسب أبي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها أثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رأت ان أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الى منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكني خشيت أن يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت أحدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت أعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها على وأخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا مال ولكني أكره الكفر في الاسلام قال أبو عبد الله يعني تبغضه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما أعتب عليه يعني ما أجد عليه والعتبى الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا أن يخافا أي يعلما الزوجان من أنفسهما أن لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة أن تعصي الله في أمور زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم تطعه أن يعتدي عليها فنهى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيأ مما أعطاها الا أن يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا أطيع لك أمرا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا أن يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والوالي (فان خفتم) يعني فان خشيتم وأشفقتم وقيل معناه فان ظننتم (أن لا يقيما حدود الله) يعني ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمر به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي لا جناح على المرأة في النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها أو أعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف

(فامساك بمعروف) برجعة والمعنى فالواجب عليكم امساك بمعروف (أو تسريح باحسان) بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بأن لا يطلقها الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس ابن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الاسلام (ولا يحل لكم) أيها الازواج أو الحكام لانهم الآمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) مما أعطيتموهن من المهور (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) الا أن يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فان خفتم) أيها الولاة وجاز أن يكون أول الخطاب للازواج وآخره للحكام (ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر الا أن يخافا حمزة على البناء للمفعول وابدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه اقامة

المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال اذا أعطته المرأة طائعة راضية

(فصل في حكم الخلع وفيه مسائل) *(الاولى)* قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الآية صريحة في انه لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة شيأ عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق أخرجه أبو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن يحصل لها شيء فاذا بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة أمر نفسها أولى وأجيب عن الاستثناء المذكور في هذه الآية انه محمول على الاستثناء المنقطع *(المسئلة الثانية)* الخلع جائز على أكثر مما أعطاها وبه قال أكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها وهو قول علي وبه قال الزهري والشعبي والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذ دون ما أعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب أن لا يتقيد بمقدار معين كما ان للمرأة أن لا ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لا سيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت بغضه وكراهته *(المسئلة الثالثة)* اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد واسحق وأبو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وأيضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر مهرا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وأيضا فان الطلقة الثالثة قوله أو تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا كانت معه بثلاث ۞ قوله تعالى (تلك حدود الله) يعني هذه أوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) أي فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله) أي يجاوزها (فأولئك هم الظالمون) ۞ قوله عز وجل (فان طلقها) يعني الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) أي لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجا غيره) يعني حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قولها فبت طلاقي أي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب أي طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما أنث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل أنثه حملا له على المعنى لان

حدود الله (تلك حدود الله) أي ما حد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الضارون أنفسهم (فان طلقها) مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعي رحمه الله في قول فكان هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك أي فان طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا (فلا تحل له من بعد) من بعد التطليقة الثالثة (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعبارتها والاصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف في أصول الفقه والفقه فيه انه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلص لم تحل له الا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه

المراد

المراد منها التطلقة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء مشددة ٣ وروى انه لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع الى زوجي الاول فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك ۞ قوله تعالى (فان طلقها) يعني الزوج الثاني بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعني على المرأة والزوج الاول (ان يتراجعا) يعني بنكاح جديد (ان ظنا) أي علما وأيقنا وقيل ان رجوا لان أحدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى (أن يقيما حدود الله) يعني يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل *(فرعان)* الاول مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرائط وهي ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالسنة على ثلاثة أقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك وأحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وروى أنه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع أتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وقوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعني يعلمون ما أمرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان ۞ قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها (فبلغن أجلهن) أي قارب انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز (فأمسكوهن) أي راجعوهن (بمعروف) وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضاروهن لتفتدي المرأة منه بمالها (لتعتدوا) أي لتظلموهن بمجاوزتكم في أمورهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أي ضر نفسه بمخالفة أمر الله وتعريضها عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وأمره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فان وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا وفيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فكل من خالف أمرا

(فان طلقها) [illegible] (فلا جناح عليهما) على الزوج الاول وعليها (أن يتراجعا) أن يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان ظنا أن يقيما حدود الله) ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما أنهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله (وتلك حدود الله يبينها) وبالنون المفضل (لقوم يعلمون) يفهمون ما بين لهم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل (فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) أي فاما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) مفعول له أو حال أي مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن أو لتلجئوهن الى الافتداء (ومن يفعل ذلك) يعني الامساك للضرار (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا يقال لمن لم يجد في الامر انما أنت لاعب وهازئ

٣ قوله ... كذا في معظم النسخ بأيدينا والصواب سقوطه اه مصححه

(واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام وبنبوة محمد عليه الصلاة والسلام (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم وهو حال (واتقوا الله) فيما امتحنكم به (واعلموا ان الله بكل شئ عليم) من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو أبلغ وعد ووعيد (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة وفى الاولى الرجعة وذا يكون فى العدة (فلا تعضلوهن) فلا تمنعوهن العضل المنع والتضييق (أن ينكحن) من أن ينكحن (أزواجهن) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج سموا أزواجا باسم ما يؤل اليه او للاولياء فى عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن الذين كانوا ازواجا لهن سموا ازواجا باعتبار ما كان نزلت فى معقل ابن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول او للناس اى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين (اذا تراضوا بينهم) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط او بمهر المثل والكفء لان عند عدم احدهما للاولياء ان يتعرضوا والخطاب فى (ذلك) للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل واحد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فالمواعظ انما تنجع فيهم او يجديه (ذلكم) اى ترك العضل والضرار (أزكى لكم وأطهر) اى لكم من ادناس الآثام او ازكى واطهر افضل واطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) ذلك (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر فى معنى الامر المؤكد كتربصن وهذا الامر على وجه الندب ...

من أمور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة أخرجه أبو داود والترمذى ﴿قوله تعالى (واذكروا نعمت الله عليكم) يعنى بالايمان الذى أنعم به الله عليكم فهداكم له وسائر نعمه التى أنعم بها عليكم (وما أنزل عليكم) أى واذكروا النعمة فيما أنزله عليكم (من الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى السنة التى علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) أى بالكتاب الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى يعلم ما أخفيتم من طاعة ومعصية فى سر وعلن لا يخفى عليه شئ من ذلك ﴿قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) نزلت فى معقل بن يسار المزنى عضل أخته جميلة وكانت تحت أبى القداح عاصم بن عدى نطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لى أخت تخطب الى وأمنعها من الناس فأتانى ابن عم لى فأنكحتها اياه فاصطحبا ماشاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى أتانى يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى أتيتنى تخطبها مع الخطاب والله لا أنكحتها لك أبدا ففى نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الآية فكفرت عن يمينى وأنكحتها اياه أخرجه البخارى وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها أراد أن يرتجعها فأبى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية وأراد ببلوغ الاجل فى قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التى قبل هذه قال الشافعى دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن أيها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا وأصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا

ولكنه النائى اذا كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

يعنى اذا ضاق الامر وفى الآية دليل للشافعى ومن وافقه فى ان المرأة لا تلى عقد النكاح ولا تأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهى الولى عن العضل معنى ﴿وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعنى اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك) أى ذلك الذى ذكر من النهى (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى ان المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم أزكى لكم وأطهر) يعنى انه خير لكم وأطهر لقلوبكم وأطيب عند الله (والله يعلم) يعنى ما فى ذلك من الزكاة والتطهير (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك ﴿قوله عز وجل (والوالدات) يعنى المطلقات اللاتى لهن أولاد من أزواجهن وقيل المراد به جميع الوالدات سواء كن مطلقات أو متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن أولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن أولادهن فى حكم الله الذى

وبه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الاثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار او اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة
لاجل الرضاع (حولين) ظرف (كاملين) تامين وهو تاكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لمن
اراد ان يتم الرضاعة) بيان لمن توجه اليه الحكم اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وال حاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه
ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام ما دامت زوجة او معتدة (وعلى المولود له)
الهاء يعود الى اللام الذي بمعنى الذي والتقدير وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل
على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء والنسب

اليهم لا اليهن فكان عليهم أن يرزقوهن
ويكسوهن اذا أرضعن
ولدهم كالاظآر ألا ترى
انه ذكره باسم الوالد حيث
لم يكن هذا المعنى وهو قوله
واخشوا يوما لا يجزى والد
عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيأ (رزقهن
وكسوتهن بالمعروف) بلا
اسراف ولا تقتير وتفسيره
ما بعقبه وهو أن لا يكلف
واحد منهما ما ليس في
وسعه ولا يتضارا (لا تكلف
نفس الا وسعها) وجدها
أو قدر امكانها والتكليف
الزام ما يؤثره في الكلفة
وانتصاب وسعها على انه
مفعول ثان لتكلف لا على
الاستثناء ودخلت الا بين
المفعولين (لا تضار) مكي
وبصري بالرفع على الاخبار
ومعناه النهي وهو يحتمل
البناء للفاعل والمفعول وان
يكون الاصل تضارر بكسر
الراء أو تضارر بفتحها
الباقون لا تضار على النهي
والاصل تضارر أسكنت
الراء الاولى وأدغمت في
الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين (والدة بولدها) أي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب
منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعدما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك (ولا
مولود له بولده) أي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيأ مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهي تريد ارضاعه واذا
كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد أو تضار بمعنى تضر
والباء من صلته أي لا تضر والدة ولده فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعدما ألفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها أو يقصر في
حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد

أوجبه وهذا الامر ليس أمر ايجاب وانما هو أمر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام أصلح له من لبن
غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على أنه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان أرضعن لكم فآتوهن
أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له أخرى هذا نص
صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل أو لم يقبل غير لبن أمه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل أحد
مواساة المضطر فان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي أولى به من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة
وأصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول أقمت عند فلان حولا
وان لم تستكمله فبين الله أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد
ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام
غير واجب فثبت أن المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله
تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة
أشهر أرضعته حولين وان وضعته لسبعة أشهر أرضعته ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة أشهر أرضعته
احدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي
عنه هو حد لكل مولود في أي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فايهما أراد فطام
الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان أرادا فصالا عن تراض منهما وقيل
فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم أنزل التخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أي هذا منتهى
الرضاع لمن أراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش
به (وعلى المولود له) يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب
دون الام قال بعضهم

وانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء ابناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المرأة الولد
لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقهن) أي طعامهن (وكسوتهن) أي لباسهن
(بالمعروف) أي على قدر الميسرة (لا تكلف نفس الا وسعها) يعني طاقتها والمعنى ان أبا الولد لا يكلف في
الانفاق عليه وعلى أمه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة (لا تضار والدة بولدها) يعني لا ينزع
الولد من أمه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على ارضاع الولد اذا قبل الصبي
لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعني لا تلقي المرأة الولد الى أبيه وقد ألفها تضاره
بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب أن يعطي أم الولد أكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير أمه فعلى
هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن
يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك

ولا ينفق عليه الاب أو ينزعه من أمه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) يعني وعلى وارث أبي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب أن يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أبي الصبي في حال حياته واختلف في أي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال أحمد فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال أبو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فان أرادا) يعني الوالدين (فصالا) يعني فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) أي على اتفاق من الوالدين في ذلك (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم في ذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي بما فيه مصلحة (فلا جناح عليهما) أي فلا حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لاولادكم مراضع غير أمهاتهم اذا أبت أمهاتهم ارضاعهم أو تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن أو غير ذلك أو أردن التزويج (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) يعني الى المراضع (ما آتيتم) يعني لهن من أجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن (بالمعروف) أي بالاحسان والاجمال أمروا أن يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعني وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم لاولادكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) يعني لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها ❁ قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعني يموتون (منكم) وأصل التوفي أخذ الشئ وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان يعني قبض وأخذ (ويذرون) أي ويتركون (أزواجا) والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة (يتربصن) أي ينتظرن (بانفسهن أربعة أشهر وعشرا) يعني قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا أبهمت في العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان أحدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا أظهروا الايام قالوا صمنا عشرة أيام وقيل ان هذه الايام أيام حزن ولبس احداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن أمه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح أخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع في مدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة

(فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* عدة المتوفى عنها

(وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له ... وارث الصبي عند عدم الاب (مثل ذلك) أي مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد (فان أرادا) يعني الابوين (264) (فصالا) فطاما صادرا (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما) في ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضي عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذي أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة والولاية وللام الشفقة والعناية (وان اردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي معدى الى مفعولين أي ان تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين يعني غير الام عند ابائها أو عجزها (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم ايتاءه من الاجرة أتيتم مكى من أتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله كان وعده مأتيا أي مفعولا والتسليم ندب لا شرط للجواز (بالمعروف) متعلق بسلمتم أي سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب نفس وسرور (واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها (والذين يتوفون منكم) تقول توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وافيا تاما أي تستوفى أرواحهم (ويذرون) ويتركون (أزواجا يتربصن بأنفسهن) أي وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أي يعتددن أو معناه يتربصن بعدهم بأنفسهن فحذف بعدهم للعلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لا بد من عائد يرجع الى المبتدأ في الجملة التي وقعت خبرا يتوفون المفضل أي يستوفون آجالهم (أربعة أشهر وعشرا) أي وعشر ليال والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم

زوجها أربعة أشهر وعشر وعدة الأمة على النصف من عدة الحرة شهران وخمسة أيام وبه قال جمهور العلماء وقال أبو بكر الأصم عدة الأمة كعدة الحرة وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيها الحرة والأمة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على هذا ما روي عن سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال مالي أراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي أخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا أرى بأسا أن تتزوج حين وضعت وإن كانت في دمها غير أنه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام في كل من توفي عنها زوجها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم أولات الأحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن *(المسألة الثانية)* يجب على من توفي عنها زوجها الإحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فإن اضطرت إلى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن أم سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي أبو سلمة وقد جعلت علي صبرا فقال ما هذا يا أم سلمة فقلت إنما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فإنه خضاب قلت بأي شيء أمتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك أخرجه أبو داود وللنسائي نحوه قوله فإنه يشب الوجه أي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار إذا أوقدها قوله تغلفين به رأسك أي تلطخين به رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها إذا لطخته بشيء فأكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالأحمر والأصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالأسود والأزرق ويجوز لها أن تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت أبي سلمة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (م) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرا (ق) عن أم عطية قالت كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر إذا اغتسلت إحدانا من حيضتها في نبذة من كست أظفار قولها إلا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذي صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشيء اليسير والكست لغة في القسط وهو شيء معروف يتبخر به عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب أخرجه أبو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع أن صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان أخرجه مالك في الموطا *(المسألة الثالثة)* اختلفوا في أن هذه المدة سببها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها

لا تعتد بانقضاء الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بأنفسهن وذلك لا يحصل الا بالقصد الى التربص ولا يحصل ذلك الامع العلم قال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة أو أكثرها أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها هذه المدة ● (المسئلة الرابعة) ● اجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم ۞ وقوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) اى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) يعني من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب أصحاب الشافعي ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا وأجيب عن قوله فيما فعلن في أنفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا أنها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعني أنه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين انما يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله ۞ قوله عز وجل (ولا جناح) أي لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) أي لوحتم وأشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضي التزويج واني فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول اني أريد ان أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول اني أريد التزويج وان النساء لمن حاجتي ولوددت ان تيسر لي امرأة صالحة أخرجه البخاري وروي ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك أتخطبني في العدة وأنت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (أو أكننتم) يعني أضمرتم (في أنفسكم) يعني من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا حرج عليكم في التعريض للمرأة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه من الرغبة فيها (علم الله أنكم ستذكرونهن) يعني بقلوبكم لان شهوة النفس والتمني لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق أسقط عنه الحرج (ولكن لا تواعدوهن سرا) اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تفوتيني نفسك فاني ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لا تتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

(فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الائمة والحكام (فيما فعلن في أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكره الشرع (والله بما تعملون خبير) عالم بالبواطن (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) الخطبة الاستنكاح والتعريض أن تقول لها انك لجميلة أو صالحة ومن غرضي ان أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني أريد ان أتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيأ تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لأسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا

وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

فكأنه امالة الكلام الى غرض يدل على الغرض (أو أكننتم في أنفسكم) أو سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (ولكن لا تواعدوهن سرا) جماعا لانه مما يسر أي لا تقولوا في العدة اني قادر على هذا العمل

الا

(الا أن تقولوا قولا معروفا) وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والاستثناء متعلق بلا تواعدوهن اى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح او ولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام اى ولا تعزموا على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) حتى تنقضى عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعنى حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجله أى غايته (واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (واعلموا أن الله غفور حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولا جامعها (لا جناح عليكم) لا تبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء) شرط ويدل على جوابه لا جناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم (ما لم تمسوهن) ما لم تجامعوهن وما شرطية أى ان لم تمسوهن تماسوهن حمزة وعلى حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين (أو تفرضوا لهن فريضة) الا ان تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير الموطوأة لها نصف المسمى ان سمى لها مهر وان لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفى ثمة (ومتعوهن) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار (على الموسع) الذى له سعة (قدره) مقداره الذى يطيقه قدره فيهما كوفى غير أبى بكر وهما لغتان (وعلى المقتر) الضيق الحال (قدره) ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (متاعا) تأكيد لمتعوهن اى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا (على المحسنين) على المسلمين او على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه [illegible]

ألا زعمت بسباسة القوم انى * كبرت وان لا يحسن السر أمثالى

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيى كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة سرية أو لا تواعدوهن بالشئ الموصوف بالسر وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى اذن فى اول الآية فى التعريض بالخطبة ومنع فى آخرها عن التصريح بالخطبة (الا أن تقولوا قولا معروفا) يعنى هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولى المرأة انه راغب فى نكاحها (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أى لا تحققوا العزم على عقدة النكاح فى العدة حتى تنقضى وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) أى تخافوه (واعلموا ان الله غفور حليم) لا يعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه ﴿قوله عز وجل (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) اى ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعنى ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت فى رجل من الانصار تزوج امرأة من بنى حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفى الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وما جاء فى الحديث ان أبغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لا حرج عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى أى وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لانه لا سنة فى طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) اى اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد (على الموسع) أى الغنى الذى يكون فى سعة من غناه (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (وعلى المقتر) اى الفقير الذى هو فى ضيق من فقره (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعنى متعوهن تمتيعا بالمعروف يعنى من غير ظلم ولا حيف (حقا) اى ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعنى الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن
(فصل فى بيان حكم الآية) وفيه فروع *(الفرع الاول)* اذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وأبو حنيفة وأحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها عليه (الفرع الثانى) المطلقة المدخول بها فيها قولان قال فى القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال أبو حنيفة وهو احدى الروايتين عن أحمد وقال فى الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن أحمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التى فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر *(الفرع الثالث فى قدر المتعة)* قال ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وازار وأقلها دون ذلك وقاية أو مقنعة او شئ من الورق وهو مذهب الشافعى لانه قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وحممها يعنى متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن على زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت * متاع قليل من حبيب مفارق * وقال أبو حنيفة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) يعني

[illegible] نصف المهر [illegible] وقوله

تعالى (وقد فرضتم لهن فريضة) أي سميتم لهن مهرا (فنصف ما فرضتم) أي فلهن نصف المهر الذي

ومذهب الشافعي أن الخلوة بغير مسيس لا توجب إلا نصف المهر المسمى لأن المسيس إنما هو في المس باليد

وجعل كناية عن الجماع وأيضا كان قد وجد الطلاق قبل المسيس وقال أبو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر

ومعنى الخلوة الصحيحة أن يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن أو يكون

معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والإحرام سواء كان فرضا أو نفلا

والآية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم أسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترا إذا زعم أنه لم يمسها فلها نصف

الصداق وقال ابن عباس إذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر * (فرع) * لو مات أحد الزوجين بعد التسمية

وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة إن كان الزوج هو الميت وقوله تعالى (إلا أن يعفون) يعني

النساء المطلقات والمعنى إلا أن تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق إلى الزوج

(أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) فيه قولان أحدهما أنه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن

وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم والقول الثاني أنه

الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الأخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد

والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد وأحمد

وجمهور الفقهاء فعلى القول الأول يكون معنى الآية إلا أن تعفو المرأة إذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو

عن نصيبها للزوج أو يعفو وليها إذا كانت المرأة بكرا صغيرة أو غير جائزة التصرف فهو يعفو وليها فيترك

نصيبها للزوج وإنما يجوز عفو الولي بشروط وهي أن تكون بكرا صغيرة ويكون الولي أبا أو جدا لأن

غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول

الطبري والواحدي فيكون معنى الآية أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المرأة

الصداق كاملا لأن الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط

عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل أن يعفو فيوفي لها المهر كاملا وروي أن

جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ولأن المهر

حق المرأة فليس لوليها أن يهب من مالها شيئا فكذلك المهر لأنه مال لها (وأن تعفوا أقرب للتقوى) هذا

خطاب الرجال والنساء جميعا وإنما غلب جانب التذكير لأن الذكورة هي الأصل والتأنيث فرع عنها والمعنى

وعفو بعضكم عن بعض أيها الرجال والنساء أقرب إلى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى

وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر إليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم)

يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا أو تترك المرأة نصيبها من الصداق حثهما

جميعا على الإحسان ومكارم الأخلاق (إن الله بما تعملون) يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من

حق (بصير) أي لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ قوله عز وجل (حافظوا) أي داوموا واظبوا (على الصلوات)

[illegible]

تمسوهن) أي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] نصف ما فرضتم

[illegible]

يعفون عنكم من المهر

والفرق بين الرجال يعفون

والنساء يعفون أن الواو

في الأول ضميرهم والنون

علم الرفع والواو في الثاني لام

الفعل والنون ضميرهن

والفعل مبني لا أثر لعامل في لفظه

(أو يعفو) عطف

على محل (الذي بيده عقدة

النكاح) هو الزوج كذا

فسره علي رضي الله عنه

وهو قول سعيد بن جبير

وشريح ومجاهد وأبي

حنيفة والشافعي على الجديد

رضي الله عنهم وهذا لأن

الطلاق بيده فكان بقاء

العقد بيده والمعنى أن

الواجب شرعا هو النصف

إلا أن تسقط هي الكل

أو يعطي هو الكل تفضلا

وعند مالك والشافعي في

القديم هو الولي قلنا هو لا يملك

التبرع بحق الصغيرة فكيف

يجوز حمله عليه (وأن تعفوا)

مبتدأ خبره (أقرب للتقوى)

والخطاب للأزواج والزوجات

على سبيل التغليب ذكره الزجاج أي عفو الزوج بإعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة بإسقاطه كله خير لها أو للأزواج (ولا تنسوا يعني

الفضل) التفضل (بينكم) أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض (إن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على تفضلكم (حافظوا على الصلوات)

يعني الخمس المكتوبات أمر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها وإتمام أركانها وفعلها في أوقاتها وإقامتها في أول الوقت (والصلاة الوسطى) تأنيث الأوسط ووسط الشيء خيره وأعدله وقيل الوسطى بمعنى الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وجعل مثبت الوسطى لأنها أوسط الصلوات

(فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى) وقد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب * الأول أن الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال الشافعي ويدل على ذلك أن مالكا بلغه أن علي بن أبي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الصبح أخرجه مالك في الموطأ وأخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولأنها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا الليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها ولأنها تأتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف وفتور الأعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولأن الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولأن الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثاني أنها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبي سعيد الخدري ورواية عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك في الموطأ عن زيد والترمذي عنهما تعليقا وأخرجه أبو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولأن صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولأنها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر * المذهب الثالث أنها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة وهو قول أبي عبيدة السلماني والحسن البصري وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الأحاديث فيه قال وإنما نص على أنها الصبح لأنه لم تبلغه الأحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب وفي رواية يوم الخندق ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر أخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن أبي يونس مولى عائشة قال أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت إذا بلغت هذه الآية فآذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن حفصة نحو ذلك ولأن صلاة العصر تأتي وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الأمر بالمحافظة عليها أولى ولأنها تأتي بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر وصلاتي ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والأمر بالمحافظة

داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها (والصلاة الوسطى) أي الوسطى بين الصلوات أي الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور ولقوله عليه السلام يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لأنها في وسط النهار أو صلاة الفجر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل أو صلاة المغرب لأنها بين الأربع والمثنى ولأنها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهرا وصلاة العشاء لأنها بين وترين أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل

والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله أخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر أي قدموها في أول وقتها (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر أهله نقص وسلب أهله وماله فبقي فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله ✽ المذهب الرابع أنها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وحجة هذا المذهب أن صلاة المغرب تأتي بين بياض النهار وسواد الليل ولأنها أزيد من ركعتين كما في الصبح وأقل من أربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولأن صلاة الظهر تسمى الأولى لأن ابتداء جبريل كان بها وإذا كانت الظهر أولى الصلوات كانت المغرب هي الوسطى ✽ المذهب الخامس أنها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شيء وإنما ذكرها بعض المتأخرين وحجة هذا المذهب أنها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولأنها أثقل صلاة على المنافقين ✽ المذهب السادس أن الصلاة الوسطى هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها لأن الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس في الآية ذكر بيانها وإذا كان كذلك أمكن أن يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس إنما هي الوسطى أبهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على أداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان وأخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم في جميع أسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين إن رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال أرأيت لو علمتها بعينها أكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع إنك إن حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الأقوال كلها قولان قول من قال إنها الصبح وقول من قال إنها العصر وأصح الأقوال كلها أنها العصر للأحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى أعلم ۞ وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أي طائعين فهو عبارة عن إكمال الطاعة وإتمامها والاحتراز عن إيقاع الخلل في أركانها وسننها قيل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل أمن هو قانت ولما أمر بالمحافظة على الصلوات وجب أن يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل إنما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام أخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت أخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا إلا ناسيا ۞ قوله عز وجل (فإن خفتم فرجالا) أي رجالة (أو ركبانا) يعني على الدواب جمع راكب والمعنى إن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من إتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان أحدهما أن يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى في موضعه فإذا التحم القتال ولم يمكن تركه لأحد فمذهب الشافعي أنهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الأرجل إلى

(وقوموا لله) في الصلاة (قانتين) حال أي مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله في قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما أو مطيلين القيام (فإن خفتم) فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) حال أي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (أو ركبانا) وحدانا بإيماء ويسقط عنه التوجه إلى القبلة

القبلة والى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال أبو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعدما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الآية وأجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط أما الخوف الحاصل لا في القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو أو قصده سبع هائج أو غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة أمن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا أو ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك الا انه لما ثبت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة أخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي أربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة أخرى يأتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث ۞ وقوله تعالى (فاذا أمنتم) يعني من خوفكم (فاذكروا الله) أي فصلوا لله الصلوات الخمس تامة بأركانها وسننها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيأ ولم نصل الى معرفة شئ فله الحمد على ذلك ۞ قوله عز وجل (والذين يتوفون منكم) يعني يا معشر الرجال (ويذرون أزواجا) يعني زوجات (وصية لازواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (متاعا الى الحول) أي متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه (غير اخراج) أي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة ومعه أبواه وامرأته وله أولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أبويه وأولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبتين في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل أن يوصي بذلك فدلت هذه الآية على مجموع أمرين أحدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين أما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع أو الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء ۞ وقوله تعالى (فان خرجن فلا جناح عليكم) يعني يا معشر أولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان أحدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله

(فاذا أمنتم) فاذا زال خوفكم (فاذكروا الله) فصلوا صلاة الامن (كما علمكم) أي ذكرا مثل ما علمكم (ما لم تكونوا تعلمون) من صلاة الامن (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم) بالنصب شامي وأبو عمرو وحمزة وحفص أي فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع أي فعليهم وصية (متاعا) نصب بالوصية لانها مصدر أو تقديره متعوهن متاعا (الى الحول) صفة لمتاعا (غير اخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاع والمعنى ان حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بان تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا في أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا الى قوله أربعة أشهر وعشرا والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء (فان خرجن) بعد الحول (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا

[illegible] ثم نسخ الله

ذلك بقوله [illegible] أربعة أشهر وعشرا (والله عزيز) أي غالب في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه

(حكيم) فيما حكم من الشرائع وبين من الأحكام ﴿ قوله عز وجل (وللمطلقات متاع بالمعروف)

انما أعاد الله تعالى ذكر المتعة هاهنا لزيادة معنى وذلك ان في غيرها بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية

بيان أن لجميع المطلقات المتعة وقيل انه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن الى قوله حقا على

المحسنين قال رجل من المسلمين ان أحسنت فعلت وان لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله تعالى (وللمطلقات متاع

بالمعروف) يعني المتعة للمطلقات وقال تعالى (حقا على المتقين) يعني الذين يتقون الشرك وقد

تقدم أحكام المتعة ﴿ قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم أزواجكم

أيها المؤمنون وكما عرفتكم أحكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات كذلك أبين لكم

سائر أحكامي في آياتي التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) أي لكي

تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والأحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم اه ﴿ قوله عز وجل (ألم تر الى

الذين خرجوا من ديارهم) قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت

طائفة منها وبقيت طائفة فهلك الذين خرجوا وهلك أكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين

خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا أحزم منا أو لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع

الطاعون ثانية لنخرجن الى أرض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى

نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وملك آخر من أعلاه أن

موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر أنه خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فأخبره عبد الرحمن

ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها

فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني

اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملك

ان الارض التي نأتيها بها الوباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه

فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا

أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل

واحد فما أتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم

فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى ألم تر أي ألم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من رؤية القلب قال

أهل المعاني هو تعجيب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول ألم تر الى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله

ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه ﴿ قوله تعالى (وهم ألوف) قيل هو من العدد واختلفوا

في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون

ألفا وأصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف

جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع ألف والاول أصح قالوا فأتى عليهم

مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل ابن بوذي وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى

وذلك ان القيم بأمر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده

حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعدما كبرت وعقمت فوهب

الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء

الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فأوحى الله تعالى اليه أتريد أن أريك آية قال نعم يا رب فأحياهم

الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل ان يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه أحياهم الله تعالى بعد ثمانية

أيام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك

(والله عزيز حكيم) [illegible] حكيم (وللمطلقات متاع) أي نفقة العدة (بالمعروف) حقا على المتقين (على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) هو في موضع الرفع لانه مبتدأ ولان أريد بالمتعة ما أريد بالمطلقة المذكورة وهي على سبيل الندب (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم يرو لم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) من قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) في موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهي جمع ألف لا آلف

[illegible] (فقال لهم الله موتوا) [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال الله تعالى لا [illegible] الموتة الأولى [illegible]
[illegible] كان معجزة من معجزات [illegible] ومعجزات الأنبياء
خوارق العادات [illegible] الا الموتة الأولى [illegible] معجزات [illegible] الا الموتة
الأولى التي ليست من معجزات الأنبياء ولا من خوارق العادات [illegible] هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة
عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيها احتجاج على
منكري البعث أيضا إذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره أنه أماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو تعالى قادر
على أن يحييهم يوم القيامة ۞ وقوله تعالى (حذر الموت) أي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل إنهم
أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل أنهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل
أن يكون ذلك أمر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم أحياهم) يعني بعد موتهم (إن الله لذو فضل
على الناس) يعني أن الله تعالى تفضل على أولئك الذين أماتهم بإحيائهم لأنهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم
بإعادتهم إلى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين
بفضله يوم القيامة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني أن أكثر من أنعم الله عليه لا يشكره أما الكافر
فإنه لم يشكره أصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره ۞ قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) قيل هو
خطاب للذين أحيوا أحياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه إضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في
سبيل الله وقيل هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم
ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد (واعلموا أن الله سميع) يعني لما يقوله المتعلل عن القتال (عليم)
بما يضمره ۞ قوله عز وجل (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان
ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لأنهم يعملون لطلب
الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ قال أمية بن أبي الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا ۞ أو سيئا أو مدينا كالذي دانا

وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع إليه مثله ومعنى الآية
من ذا الذي يقدم لنفسه إلى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده إلى أعمال
البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله
إن الذين يؤذون الله أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف أطعمك وأنت
رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث
واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الإنفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة
التطوع لأن الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون إلا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود
قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وإن الله يريد منا القرض قال النبي صلى

[illegible] فضل الله (ثم أحياهم) ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه [illegible] عطف على [illegible] تقديره [illegible] ثم أحياهم وإنما كان [illegible] معنى قوله فقال لهم الله موتوا فماتوا كأنه قيل فأماتهم وكان عطفا عليه معنى (إن الله لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم النشور (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ذلك والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله وهو قوله (وقاتلوا في سبيل الله) فحرض على الجهاد بعد الإعلام لأن الفرار من الموت لا يغني وهذا الخطاب لأمة محمد عليه السلام أو لمن أحياهم (واعلموا أن الله سميع) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بما يضمرونه (من) استفهام في موضع رفع بالابتداء (ذا) خبره (الذي) نعت لذا أو بدل منه (يقرض الله) صلة الذي سمى ما ينفق في سبيل الله قرضا
لأن القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد سمي به لأن المقرض يقطعه من ماله فيدفعه إليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفأر
والانقراض فنبههم بذلك على أنه لا يضيع عنده وأنه يجزيهم عليه لا محالة (قرضا حسنا) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة
في الجهاد لأنه لما أمر بالقتال في سبيل الله ويحتاج فيه إلى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد

الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال ناولني يدك فناوله يده قال فاني قد أقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد أقرضته ربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله أي ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع والاقرب حسنا يعني محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة (فيضاعفه له) يعني ثواب ما أنفق (أضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما أبهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق أخبر أنه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الانفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق في البر كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الامة (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الملا من بني اسرائيل) الملأ أشراف القوم ووجوههم وأصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط (من بعد موسى) أي من بعد موت موسى أو من بعد زمنه (اذ قالوا) يعني أولئك الملأ (لنبي لهم) اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون ابن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون لان أمه دعت الله أن يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال أكثر المفسرين هو أشمويل بن بالي وقيل هو ابن هلقانى قيل انه من ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل

(ذكر الاشارة الى القصة)

كان سبب مسئلة أولئك الملا لذلك النبي أنه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده في بني اسرائيل يوشع ابن نون يقيم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمروهم بالعمل بأحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته أشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام أسلمته لتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ

(فيضاعفه له) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع أبو عمرو ونافع وحمزة وعلي عطفا على يقرض أو هو مستأنف أي فهو يضاعفه فيضعفه شامي فيضعفه مكي (أضعافا) في موضع المصدر (كثيرة) لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة (والله يقبض ويبسط) يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة ويبسط حجازي وعاصم وعلي (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (ألم تر الى الملا) الاشراف لانهم يملؤن القلوب جلالة والعيون مهابة (من بني اسرائيل) من للتبعيض (من بعد موسى) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (اذ قالوا) حين قالوا (لنبي لهم) هو شمعون أو يوشع أو اشمويل

وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا أبتاه رأيتك تدعوني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) أي فرض (عليكم القتال) يعني مع ذلك الملك (أن لا تقاتلوا) يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه (قالوا ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول أن والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل كذا ولكن تقول مالك لا تفعل كذا قلت دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك أن لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله مالكم لا تؤمنون وقيل معناه ومالنا في أن لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هازائدة ومعناه ومالنا لا نقاتل في سبيل الله (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وأبنائهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا لنبيهم انا انما كنا نزهد في الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا وأولادنا ۞ قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) في الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) أي أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله (الا قليلا منهم) يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي في قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال ۞ قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فأتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام في طلبها فمرا على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمير ليرشدنا أو ليدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله تعالى ان أملكك عليهم فقال طالوت أوما علمت ان سبطي من أدنى أسباط بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا أيها الناس ان الله ملك طالوت فأتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شان طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي من أين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن أحق

(في سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبي (هل عسيتم) عسيتم حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (أن لا تقاتلوا) والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الامر كما أتوقعه انكم لا تقاتلون وتجبنون فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه (قالوا ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله) وأي داع لنا الى ترك القتال وأي غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الواو في وقد للحال وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي أجيبوا الى ما تمسهم (تولوا) أعرضوا عنه (الا قليلا منهم) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت) هو اسم أعجمي كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (ملكا) حال (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له (ونحن احق

[illegible] (ولم يؤت سعة من المال) [illegible] حيث هو احق بالملك [illegible]
[illegible] (٢٤٦) [illegible] [illegible]

[illegible] انما انكروا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فكان سبط النبوة سبط لاوى
ابن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود
وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما انما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب
أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعني
انه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعني اشمويل النبي (ان الله اصطفاه عليكم) أي اختاره عليكم [illegible]
بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بني اسرائيل
أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا الامر فاسد وان المستحق
للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم) وذلك انه كان أعلم بني اسرائيل وقيل
انه أوحي اليه حين أوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب (والجسم) يعني بالطول وذلك انه كان أطول من
الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم
بالحروب والقوة على الاعداء بهما يستحق المملكة (والله يؤتي ملكه من يشاء) يعني ان الله تعالى لا اعتراض
عليه لاحد في فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعني ان الله تعالى واسع الفضل والرزق
والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله
واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع
ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى (عليم) يعني انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير
نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان ۞ قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن
يأتيكم التابوت) وذلك أنهم سألوا اشمويل النبي فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
* وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه
صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين فكان
عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه أولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان
أكبر أولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه
التوراة ومتاعا من متاعه ثم كان عنده الى أن مات ثم تداوله أنبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل وكان في
التابوت ما ذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكينة من ربكم) واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن أبي
طالب هي ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهرة له رأس
كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا
اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا
وقال ابن عباس هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هي روح من الله
تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات
التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان
التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول أولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون اليه فهو سكينة
فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شيء يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب
قول وتضعيف آخر ۞ وقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعني موسى وهرون أنفسهما
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه
واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هرون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس

[illegible] وكان رجلا
[illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] (قال ان
الله اصطفاه عليكم) اختاره
[illegible] [illegible]
[illegible] كانه اى
اختاره عليكم وهو اعلم
بالمصالح منكم ولا اعتراض
على حكمه ثم ذكر مصلحتين
انفع مما ذكروا من النسب
والمال وهما العلم المبسوط
والجسامة فقال (وزاده
بسطة) مفعول ثان (في
العلم والجسم) قالوا كان
اعلم بني اسرائيل بالحرب
والديانات في وقته واطول
من كل انسان برأسه
ومنكبه والبسطة السعة
والامتداد والملك لابد ان
يكون من اهل العلم فان
الجاهل ذليل مزدرى غير
منتفع به وان يكون جسيما
لانه اعظم في النفوس
واهيب في القلوب (والله
يؤتي ملكه من يشاء) اى
الملك له غير منازع فيه وهو
يؤتيه من يشاء ايتاءه
وليس ذلك بالوراثة (والله
واسع) اى واسع الفضل
والعطاء يوسع على من ليس
له سعة من المال ويغنيه
بعد الفقر (عليم) بمن
يصطفيه للملك فثم طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) اى صندوق التوراة وقيل
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون (فيه سكينة من ربكم) سكون وطمأنينة (وبقية)
هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هرون عليهما السلام (مما ترك آل موسى وآل هرون) اى مما تركه

[illegible] كان فيه عصا موسى
[illegible] وكان التابوت عند بني اسرائيل
[illegible] وكانوا اذا حضروا
القتال [illegible]
[illegible]
[illegible] القربان شيئا
[illegible] الذى كان
[illegible] أن انطلق
الى عيلى وقل له منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن أن يحدثا فى قربانى وقدسى شيئا وأن يعصيانى
فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك واياهما فأخبر اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم
من حولهم فأمر عيلى ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيئوا
للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل فأخبره أن الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل التابوت
قال أخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج أمر بنى اسرائيل وتفرقوا
الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعنى اشمويل
ان آية ملكه يعنى علامة ملكه التى تدل على صحته أن يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على
ما ذكره أصحاب الأخبار ان الذين أخذوا التابوت من بنى اسرائيل أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها
ازدود فجعلوه فى بيت أصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه
ووضعوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح الصنم ملقى تحت
التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوا التابوت من بيت الأصنام ووضعوه فى ناحية من مدينتهم
فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بنى
اسرائيل لا يقوم له شئ فأخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك الناحية فأرا فكانت الفأرة تبيت
مع الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما فى جوفه فأخرجوه الى الصحراء ودفنوه فى مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك
أخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بنى اسرائيل كانت عندهم وهى من بنات الانبياء
لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا
عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين أربعة
أملاك يسوقونهما فأقبلا حتى وقفا على أرض بنى اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت
فى أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل ورجعا الى أرضهما فلم يرع بنى اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا
وحمدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) أى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء
والأرض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة فى السماء فلما
ولى طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت فى التيه خلفه موسى عند يوشع بن
نون فبقى هناك فأقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته فى دار طالوت فأصبح فى داره فأقروا بملكه (ان فى ذلك لآية
لكم) يعنى قال لهم نبيهم اشمويل ان فى مجئ التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعنى علامة ودلالة على صدق
فيما أخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعنى مصدقين بذلك قال المفسرون فلما
جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهب للخروج الى الجهاد فأسرعوا الطاعة وخرجوا معه وذلك قوله
تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) أى خرج وأصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج
طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة وعشرون ألفا ولم
يتخلف عنه الا كبير لكبره أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا فى النصر

موسى وهرون والآل هما أنفسهم والشأن مقحم (تحمله الملائكة) يعنى التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة فى موضع الحال وكذا فيه سكينة ومن ربكم بعث لكنه وكما نزلت بعد أيضا (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) ان فى رجوع التابوت اليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين (فلما فصل طالوت) خرج (بالجنود) من بلده الى جهاد العدو وبالجنود فى موضع الحال اى مختلطا بالجنود وهم ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا

(قال إن الله مبتليكم) مختبركم أي معاملكم معاملة المختبر (بنهر) وهو نهر فلسطين ليتميز المحقق في الجهاد من المعذر (فمن شرب منه) كرعا (فليس مني) فليس من أشياعي أو ليس [illegible] (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه (فإنه مني) [illegible] واستثنى (إلا من اغترف) من قوله فمن شرب منه (٢٤٩) [illegible] فليس مني والله [illegible] الا [illegible]

(غرفة بيده) [illegible] وقرئ بضم الغين والغرفة بالضم المغروف وبالفتح المرة والغرفة بالمعنى المصدري [illegible] والقليل عليه (فشربوا منه) أي فكرعوا (إلا قليلا منهم) وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (فلما جاوزه) أي النهر (هو) طالوت (والذين آمنوا معه) أي القليل (قالوا لا طاقة لنا اليوم) أي لا قوة لنا (بجالوت) هو جبار من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) يوقنون بالشهادة قيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش (كم من فئة قليلة) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غلبت) خبرها (فئة كثيرة بإذن الله) بنصره (والله مع الصابرين) بالنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده) خرجوا لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) أصبب (علينا صبرا) على القتال (وثبت أقدامنا) بتقوية قلوبنا وإلقاء ابشر الرعب في صدور عدونا (وانصرنا على القوم الكافرين) أعنا عليهم (فهزموهم) أي طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده (بإذن الله) بقضائه (وقتل داود جالوت) كان ايشا أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الله الى نبيهم ان داود هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت

[illegible] الى النهر [illegible] وكان [illegible] فسألوا [illegible] ان يجري لهم نهرا فقال طالوت (إن الله مبتليكم) أي مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بذلك (بنهر) قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل نهر بين الأردن وفلسطين (فمن شرب منه فليس مني) أي فليس من أهل ديني وطاعتي (ومن لم يطعمه) أي لم يذقه (فإنه مني) يعني من أهل طاعتي (إلا من اغترف غرفة بيده) قرئ بفتح الغين وقيل الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه) يعني من النهر (إلا قليلا منهم) قيل هم أربعة آلاف لم يشربوا وقيل هم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البراء بن عازب قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة أخرجه البخاري قيل البضع ههنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر ألقي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما أمره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل أولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزه هو) يعني جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه) يعني أولئك القليل (قالوا) يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى وكانوا أهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصي فلما رأوا العدو قال المنافقون (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فأجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون أهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فأجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده (قال الذين يظنون) أي يستيقنون ويعلمون (أنهم ملاقوا الله) أي ملاقو ثواب الله ورضوانه في الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة ۞ قوله عز وجل (ولما برزوا) يعني طالوت وجنوده المؤمنين (لجالوت وجنوده) يعني الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعني المؤمنين أصحاب طالوت (ربنا أفرغ) أي اصبب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) أي قو قلوبنا لتثبت أقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين (فهزموهم باذن الله) يعني ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فأفرغ عليهم الصبر وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضائه وارادته وأصل الهزم في اللغة الكسر أي كسروهم وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا أبو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيأ الا صرعته فقال له أبوه

أشر على فإن أشد رجل وأقتل من اقتتل ثم أمر به فحمل فقال ما أشير عليك بين الجبال وجدت أعمارا منا وكنت وأحدث بانه فإن بغي فقال له أترانا أشر على فإن هذا شر يريد الله فيه ثم أمر بما آخر فقال له أما كان الاشي بين الجبال لا يقتل الا حسن فقال إني أشرف عليك فأخبر أهل كه الله فقال لا وأرسل جالوت الجبار الى طالوت ان ابرز لي أو أبرز الى من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وأشركته في ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله في ذلك فدعا الله فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع هذا القرن على رأسه سال الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل فجربهم فلم يوافقه أحد منهم فأوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض على بنيك فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال السواري فجعل يعرضهم واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيئا فقال لايشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال صدق الله يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا يسمى داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا سقيما أزرق أمعر مصفر اللون فدعاه طالوت ويقال انه خرج اليه فوجد الوادي وقد سال الوادي بماء وهو يحمل شاتين شاتين يجيز بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل لا شك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه ففاض فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل آنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجيء الاسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من الغنم فأقوم فأفتح لحييه عنها وأخرجها من قفاه فأخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هرون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال يا داود احملني فاني حجر موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فأعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شأنك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرني ربي لم يغن هذا السلاح عني شيئا وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود مخلاته وتقلدها وأخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو بيده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وأنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وأنت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام أو يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابراهيم وأخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحق وأخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب وأخرج حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وأدار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب انف البيضة فخالط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني فقال له أتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء فقال لا أكلفك الا ما تطيق أنت رجل جريء وفي جبالنا أعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتي رجل وجئتني

[illegible] ماتى علمته [illegible]
طالوت [illegible] فقال ادفع إلي امرأتي [illegible] ملكك فقال [illegible] داود [illegible]
السلام وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف [illegible]
ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يعمل شيئا فقال إن رجلا طلبت
منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني ثأره فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم إن داود أتاه
ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله الحجاب ففتح الأبواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند
رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها
فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي
وما أنا بالذي آمنه فلما كان من الليلة القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق
وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح
طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم إن طالوت ركب يوما فوجد
داود يمشي في البرية فقال اليوم أقتله وركض في أثره فاشتد داود في عدوه وكان إذا فزع لم يدرك فدخل غارا
فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال لو
كان دخل هنا لخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى الجبل المتعبدين فتعبد معهم
وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلا قتله فقتل خلقا
كثيرا من العباد والعلماء حتى أتي بامرأة تعلم الاسم الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال
لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه
الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور ويبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة إلا أخبرني بها فلما كثر
ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما رضيت أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجه
الخباز إلى طالوت لما رأى من حاله وقال ما لك أيها الملك فأخبره وقال هل تعلم لي توبة أو تعلم في الأرض عالما
أسأله عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك إن دللتك على عالم يوشك أن تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فأخبره
أن تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق بي إليها لأسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له
الخباز أيها الملك إنها إذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه ألست تعلمين حقي
عليك قالت بلى قال فإن لي إليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة فلما
سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما أفاقت قالت والله ما أعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها إلى
قبر أشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الأعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب
على رأسه فلما نظر إلى ثلاثتهم قال ما لكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسألك هل
له من توبة فقال أشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم أدع من الشر شيئا إلا فعلته وجئت أطلب التوبة
فقال أشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخلى من ملكك
وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم
ثم إن أشمويل سقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى
سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم أرأيتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تفدونني منها
فقالوا بلى نفديك بما نقدر عليه قال فإنها النار إن لم تفعلوا ما آمركم به قالوا أعرض علينا ما أردت فذكر

لهم

[illegible]

[illegible] (وآتاه الله الملك والحكمة) يعني النبوة [illegible] كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) أي يعني صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والألحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوت داود وكان إذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة ويركد الماء الجاري وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لأنه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلم من الله وقال ابن عباس هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة إلا برأ وكانوا أيضا يتحاكمون إليها بعد داود إلى أن رفعت فمن تعدى على صاحبه وأنكر حقا أتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده إلى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة أنكرها فتحاكما إلى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة فقال صاحبه ما أعرف لك عندي وديعة فإن كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة أمسك عكازتي فأخذها الرجل منه وقام المنكر إلى السلسلة وقال اللهم إن كنت تعلم أن الوديعة التي يدعيها قد وصلت إليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة ﴿ قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعني ولولا أن الله يدفع بعض الناس وهم أهل الإيمان والطاعة بعضا وهم أهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار على الكفار والفجار (لفسدت الأرض) يعني لهلكت بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني أن دفع الفساد بهذا الطريق إنعام وإفضال عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية وهي التابوت وإهلاك الجبابرة على يد صبي (نتلوها عليك بالحق) أي باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم (وإنك لمن المرسلين) يعني حيث تخبر بهذه الأخبار العجيبة والقصص القديمة من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار فدل ذلك على أنك من المرسلين وأن الذي تخبر به وحي من الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (تلك الرسل) يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة لمن أوجب التسوية بين الأنبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة وأجمعت الأمة على أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض وأن نبينا محمدا صلى الله

[illegible] الأرض) أي ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) بإزالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة في مسألة الأصلح (تلك) مبتدأ خبره (آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره على الجبابرة على يد صبي (نتلوها) حال من آيات الله والعامل فيه معنى الإشارة أو آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر (عليك بالحق) باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك (وإنك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله (تلك الرسل) إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم إلى داود أو التي ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فضلنا بعضهم على بعض) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الإيمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الإيمان ثم بين ذلك بقوله

(منهم من كلم الله) أي كلمه الله تعالى يعني موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) أي ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل

عليه السلام كما قال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا (منهم) أي من
الرسل (من كلم الله) أي كلمه الله يعني موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
بعثه إلى الناس كافة وفضله بما فضل به الأنبياء فضلا لهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات
فما أوتي نبي من الأنبياء آية أو معجزة إلا وأوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثلها وفضل على
غيره من الأنبياء بآيات ومعجزات أخر مثل انشقاق القمر بإشارته وحنين الجذع الذي حن عند
مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم والشهادة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من
الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة وأعظمها وأظهرها معجزة القرآن العظيم الذي عجز أهل الأرض
عن معارضته والإتيان بمثله فهو معجز باق إلى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته
وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا
وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة
وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض
مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلائق كافة وختم بي النبيون فإن قلت لم ذكره على سبيل الرمز والإشارة ولم
يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الإبهام والرمز من تفخيم فضله وإعلاء قدره صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بأنه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئا فعله بعضكم
أو أحدكم ويريد نفسه فيكون أفخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة
ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ۞ وقوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) يعني الحجج والأدلة
الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى (وأيدناه بروح القدس) أي
وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه إلى أن رفعه إلى عنان السماء السابعة فإن قلت لم خص موسى
وعيسى بالذكر من بين سائر الأنبياء قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى
وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة
أيضا فلما أوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان
من الأنبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق
في الفضل لأنه أعظم الأنبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ولو شاء
الله) أي ولو أراد الله وأصل المشيئة الإرادة (ما اقتتل الذين من بعدهم) يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله
(من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه
(ولكن اختلفوا) يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) أي ثبت على إيمانه بالله ورسوله
بفضل الله (ومنهم من كفر) أي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل (ولو شاء الله ما اقتتلوا)
أي ولو أراد الله أن يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعني أنه
تعالى يوفق من يشاء لطاعته والإيمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه
وفعله سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال
طريق مظلم فلا تسلكه فأعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فأعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا
تفتشه ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل

أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الأنبياء من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر وأكبرها القرآن لأنه المعجز الباقي على وجه الدهر وفي هذا الإبهام تفخيم وبيان أنه العلم الذي لا يشتبه على أحد والمتميز الذي لا يلتبس وقيل أريد به محمد وإبراهيم وغيرهما من أولي العزم من الرسل (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك (وأيدناه بروح القدس) قويناه بجبريل أو بالإنجيل (ولو شاء الله ما اقتتل) أي ما اختلف لأنه سببه (الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم البينات) المعجزات الظاهرات (ولكن اختلفوا) بمشيئتي ثم بين الاختلاف فقال (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) بمشيئتي يقول الله أجريت أموري على هذا أي لم يجتمع لأحد منهم طاعة جميع أمته في حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد أي لو شئت أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا إذ
لا يجري في ملكي إلا ما يوافق مشيئتي وهذا يبطل قول المعتزلة لأنه أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون اراد
شاء أن لا يقتتلوا فاقتتلوا (ولكن الله يفعل ما يريد) أثبت الإرادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم)

[illegible] (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) أي لا فدية فيه [illegible]

[illegible]

[illegible] (ولا خلة) [illegible] (ولا شفاعة)

[illegible]

[illegible] (والكافرون هم الظالمون) [illegible] قوله عز وجل

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

(م) (في فضل هذه الآية الكريمة) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي قوله إن لكل شيء سناما السنام كل شيء أعلاه وسنام البعير والمراد به تعظيم هذه السورة وقوله السيد الفاضل في قومه والشريف الكريم وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة آي القرآن أي أفضله (م) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم أخرجه أبو داود وقال العلماء إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة فهذه أصول الأسماء والصفات وذلك لأن الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان أعظم الأذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني قالا لأن تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآيات أو السور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع إلى عظم أجر القارئ أو جزيل ثوابه وقول إن هذه الآية أو هذه السورة أعظم أو أفضل بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وأما التفسير فقوله عز وجل الله لا إله إلا هو نفي الإلهية عن كل ما سواه وأثبت الإلهية سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم إلا زيد فإنه أبلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي على الأبد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الأحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شيء وتأويله أنه تعالى قائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغيير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت القائم على الشيء (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لأن النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لأن هذه الأشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وأن ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات

[illegible] هو ماض في كل [illegible] (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) أي [illegible] لا تشترون [illegible] من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم أخلاؤكم به (ولا شفاعة) أي للكافرين فأما المؤمنون فلهم شفاعة أو إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) أنفسهم بترك التقديم ليوم حاجتهم أو الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكي وبصري (الله لا إله إلا هو) لا مع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه في موضع الرفع خبر المبتدأ وهو الله (الحي) الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه (لا تأخذه سنة) نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور (ولا نوم) عن المفضل السنة ثقل في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما وقد أوحى إلى موسى عليه السلام قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا

[illegible] لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل
عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه
بصره [illegible]
[illegible]
[illegible] على العقل [illegible]
[illegible] القسط [illegible]
أعمال العباد [illegible] وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق [illegible]
على من يشاء ويرفعه أي يوسعه على من يشاء وقوله يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار يعني أن
الملائكة يصعدون بأعمال العباد في الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه
في أول الليل وقوله حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه سبحات بضم
السين المهملة والباء الموحدة [illegible] جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه
والحجاب أصله في اللغة المنع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد
والمراد به هنا المانع من رؤيته وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة
والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط
بجميع الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو أزال المانع وهو
الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا
الحديث والله أعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أن موسى عليه السلام
سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثاً فلا يتركوه ينام
ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما قال فجعل ينعس وينتبه وهما في يديه في
كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرى فكسرهما قال معمر إنما هو مثل ضربه الله تعالى
له يقول فكذلك السموات والأرض ورواه عن أبي هريرة مرفوعاً قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض
العلماء إن صح هذا الحديث فيحمل على أن هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من
موسى لأن الأنبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال
والله تعالى أعلم ۞ قوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) يعني أن الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك
ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فإن قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات قلت
لما كان المراد إضافة كل ما سواه إليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب
مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) أي بأمره وهذا استفهام إنكاري والمعنى
لا يشفع عنده أحد إلا بأمره وإرادته وذلك لأن المشركين زعموا أن الأصنام تشفع لهم فأخبر أنه لا شفاعة
لأحد عنده إلا ما استثناه بقوله إلا بإذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الأنبياء
والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) يعني ما بين أيديهم من الدنيا وما
خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لأنهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم
ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه وبين أيديهم من خير أو شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود
من هذا أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشيء
من علمه) يقال أحاط بالشيء إذا علمه وهو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فإذا علمه وقف على جميعه
في قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى أن أحداً لا يحيط بمعلومات الله تعالى (إلا بما شاء) يعني أن
يطلعهم عليه وهم الأنبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلاً على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر

(ما في السموات وما في الأرض) ملكاً وملكاً (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء (ولا يحيطون بشيء من علمه) من معلومه يقال في الدعاء اللهم اغفر لنا علمك أي معلومك (إلا بما شاء) إلا بما علم

على

(وسع كرسيه السموات والارض) [illegible] الكرسي [illegible]

[illegible] كرسيه [illegible] الذي هو كرسي [illegible] الحسن [illegible]

العرش في العظم وما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة [illegible]

[illegible] (ولا يؤده) ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلي) [illegible]

[illegible] العظيم [illegible]

الكرسي [illegible] (٢٨٥) [illegible]

الكرسي [illegible] ولا يشغله [illegible] أحوال الخلق والمؤانسة [illegible] وعلمه بالمعلومات كلها [illegible] جلاله وعظم قدره [illegible] فضل هذه الآية [illegible] في فضلها ما ورد فيه ما روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات التي حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وقال ما قرئت

هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وقال من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث اليه ملك يحرسه حتى يصبح وقال من قرأ هاتين الآيتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح وان قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي آية الكرسي وأول حم المؤمن الى اليه المصير لاشتمالهما على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان أشرف العلوم علم التوحيد (لا اكراه في الدين) أي لا اجبار على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل هو اخبار في معنى النهي وروي أنه كان لانصاري ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله أيدخل بعضي في النار وأنا أنظر فنزلت

[illegible] (وسع كرسيه السموات والارض) [illegible] التي [illegible]

[illegible] الكرسي [illegible] الكرسي

[illegible] والكرسي [illegible]

على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على أربعة أقوال أحدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي اسم لشيء واحد [illegible] القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة أبي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وغلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز (ولا يؤده) أي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه (حفظهما) أي حفظ السموات والارض (وهو العلي) أي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب أن يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعني انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء أعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام ۞ قوله عز وجل (لا اكراه في الدين) سبب نزول هذه الآية فيما روي عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا واخواننا فنزلت الآية لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

[illegible] (قد تبين الرشد من الغي) تميز الايمان من الكفر بالآيات [illegible]
[illegible] (فمن يكفر بالطاغوت) [illegible] والأصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك) طلب (بالعروة) أي المستمسك [illegible]
(الوثقى) تأنيث الأوثق [illegible] (لا انفصام لها) لا انقطاع لها [illegible] والمعنى [illegible] السامع كأنه ينظر اليه [illegible] فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة (والله سميع) بالاقرار (عليم) بالاعتقاد (الله ولي الذين آمنوا) أرادوا أن يؤمنوا أي ناصرهم ومتولي أمورهم (يخرجهم من الظلمات) من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها (الى النور) الى الايمان والهداية ووحد لاتحاد الايمان (والذين كفروا) مبتدأ والجملة وهي (أولياؤهم الطاغوت) خبره (يخرجونهم من النور الى الظلمات) وجمع لأن الطاغوت في معنى الجمع يعني والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشيطان يخرجهم من نور البينات الذي يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم أعجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة خبر ابراهيم عليه السلام نمرود الذي كان يدعي الربوبية بقوله (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) في معارضته ربوبية ربه والهاء في ربه يرجع

[illegible] أصحابك فلما شاوركم [illegible] أن اختاروهم فأنتم منهم [illegible] وقيل كان لرجل من الأنصار ابنان [illegible] فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى [illegible] فلزمهما أبوهما وقال لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في أهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية فلم يكرهوا على الاسلام وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام أو القتل ونزل في أهل الكتاب لا إكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل ان الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا إكراه في الدين فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون الا أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا إكراه في الدين أي دين الاسلام ليس فيه إكراه عليه (قد تبين الرشد من الغي) يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) أي ويصدق بالله أنه ربه ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه اشارة الى أنه لابد للكافر أن يتوب أولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) أي لا انقطاع لها حتى توصله الى الجنة والمعنى أن المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه (والله سميع) يعني أنه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت أي بالشهادتين (عليم) عالم بما عمله من الأعمال وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم ۞ قوله عز وجل (الله ولي الذين آمنوا) أي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي أمورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) أي من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولأن الظلمة تحجب الأبصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان أدلته (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) أي من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبصحة نبوته قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار سمي منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان يعني صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك اذا أوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني الكفار والطاغوت أهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) يعني هل انتهى اليك يا محمد

الى ابراهيم [illegible] (أن آتاه الله الملك) لأن آتاه الله الملك [illegible] أو وقت [illegible]

المعرفة [illegible] (اذ قال) [illegible] أن آتاه [illegible] (ابراهيم ربي) [illegible]

[illegible] (قال) نمرود (أنا أحيي وأميت) [illegible]

[illegible] ابراهيم [illegible] كيف [illegible] والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية (أن آتاه الله الملك) أي لأن آتاه الله الملك فطغى وتجبر [illegible] ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الأصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا أتاه أحد يمتار منه سأله من ربك فيقول أنت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لأهله الطعام فأتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر على كثيب من رمل أعفر فأخذ منه تطييبا لقلوب أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام أجود ما رآه أحد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من أين هذا وكان عهده بأهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك أن آمن بي وأتركك على ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في رأسه أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب أربعمائة سنة مدة ملكه حتى أماته الله عز وجل (اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت (قال) يعني قال نمرود (أنا أحيي وأميت) قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة أخرى لا عجزا عن نصرة حجته الأولى فانها كانت لازمة لأنه أراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم أن يقول لنمرود فأحي من أمت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة أخرى أوضح من الأولى لما رأى من قصور فهمهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض اللفظ بمثله ونسي اختلاف الفعلين (قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف أنه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه أن يقول لابراهيم سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لأنه خاف أنه لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحته ونمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعن

[illegible] (قال ابراهيم) عليه السلام (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) وهذا ليس بانتقال من حجة الى حجة كما زعم البعض لأن الحجة الأولى كانت لازمة ولكن لما عاين اللعين حجة الاحياء بتخلية واحد وقتل آخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا أهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب الى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى الى غير جهة حركة النمل فقال ان ربي يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو أهون (فبهت الذي كفر) تحير ودهش (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم وقالوا كيف لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لأن الله تعالى صرفه عنه وقيل انه كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله أنا أحيي وأميت أن الذي ينسب اليه الاحياء والاماتة أنا لا غيري والآية تدل على اباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لأنه قال ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والمحاجة تكون بين اثنين فدل على ان ابراهيم حاجه أيضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولأنا أمرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيده واذا دعوناهم الى ذلك لا بد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون الا بعد المناظرة كذا في شرح التأويلات

[illegible] قوله عز وجل (أو كالذي مر على قرية) [illegible] معطوفة على الآية التي قبلها [illegible]

[illegible] أو كالذي مر على قرية [illegible] كالذي [illegible]

ابراهيم [illegible] أو كالذي مر على قرية [illegible] الكاف [illegible]

[illegible] واختلفوا في ذلك المار [illegible]

[illegible] والله تعالى لا [illegible] الكافر [illegible]

[illegible] في حق الكافر وانما يستعمل في حق الانبياء وقال [illegible] وعكرمة والضحاك والسدي هو

عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو أرمياء بن حلقيا من سبط هارون [illegible]

[illegible] منكري البعث قدرة الله تعالى على احيائه [illegible] لا يعرف [illegible] على القرية

[illegible] أن يكون ذلك المار هو عزير ويجوز أن يكون ارمياء وفي هذه القصة دلالة على نبوة نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم لانه أخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو أمي لم يقرأ الكتب المتقدمة

واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء عمارتها

وقيل هي القرية التي أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هي دير سابر آباد وقيل

سلماباد وقيل هي دير هرقل وقيل قرية العنب هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هي دير سابر آباد

موضع كان بفارس وسلماباد محلة أو قرية من نواحي جرجان وقيل أبطامن نواحي همدان ودير هرقل

بكسر أوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين

خرجوا من ديارهم وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم حزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى

أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها هي التي عندها أحيا الله حمار عزير (وهي خاوية على

عروشها) أي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت أولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال

أنى يحيي هذه الله بعد موتها) فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف أيضا حمله على

الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل

الانكار لقدرة الله تعالى أو كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه السلام

رب أرني كيف تحيي الموتى ومعنى أنى يحيي هذه الله أي متى يحيي هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فأحب

الله أن يريه آية في نفسه وفي احياء تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روى عن وهب بن منبه ان الله

تعالى بعث ارمياء الى ناشية بن أموص ملك بني اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث

في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى الى ارمياء ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم أحداثهم

وادعهم الي فقال ارمياء يارب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني

ألهمك فقام ارمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب

الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل اني أحلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم

ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى

الله تعالى اليه اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء ذلك

صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاءه ناداه يا ارمياء أشق عليك

ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكني قبل ان أرى في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي

لا أهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث

موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني اسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال

ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية

وتماديا في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم

بختنصر البابلي فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى الخبر الى ملك بني

اسرائيل

(أو كالذي مر) معناه أو أرأيت مثل الذي مر فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر والمار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي والاكثر أنه عزير أراد أن يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وأنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي (على قرية) هي بيت المقدس حين خربه بختنصر وهي التي خرج منها الالوف (وهي خاوية على عروشها) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قال أنى يحيي) أي كيف (هذه) أي أهل هذه (الله بعد موتها)

اسرائيل وقال لارمياء أين ما وعدك ان الله تعالى أوحى اليك فهو النار ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما
قرب الأجل بعث الله تعالى الى ارمياء ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له ارمياء من أنت
قال أنا رجل من بني اسرائيل أتيتك استفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم آت اليهم الا احسانا ولا يزيدهم
اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال ارمياء أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف
الملك فمكث اياما ثم أقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارمياء من أنت قال أنا الرجل الذي
أتيتك في شأن أهلي فقال له ارمياء أما طهرت أخلاقهم بعد فقال يا نبي الله والذي بعثك
بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قد أتيتها اليهم وأفضل فقال ارمياء ارجع الى
أهلك وأحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك من عنده فلبث اياما وقد نزل بختنصر
بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارمياء يا نبي الله أين ما وعدك الله فقال اني بربي
واثق ثم أقبل ذلك الملك الى ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده
فقعد بين يديه فقال له ارمياء من أنت قال أنا الذي جئتك في شأن أهلي مرتين فقال ارمياء أما آن لهم أن
يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله ان كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فاليوم
رأيتهم على عمل لا يرضي الله تعالى فقال له ارمياء على أي عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى
فغضبت لله عز وجل فأتيتك لأخبرك وأنا أسألك بالله الذي بعثك بالحق أن تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال
ارمياء ثم يا مالك السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على عمل
لا ترضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس
فالتهب مكان القربان وأحرقت سبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك ارمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على
رأسه وقال يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذي وعدتني به فنودي انهم لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك
ودعائك عليهم فاستيقن ارمياء انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارمياء حتى
خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب
بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم
أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بني اسرائيل من صغير
وكبير فاختار منهم سبعين ألف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة
وكان في أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا
قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشام فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله ببني اسرائيل بظلمهم فلما
ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل أقبل أرمياء على حماره ومعه عصير عنب في ركوة وسلة
تين حتى غشي ايلياء وهي أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان
المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قدم بسبايا بني اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال
وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة
فطاف بالقرية فلم ير أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل
فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد
موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان ارمياء ربط حماره بحبل
جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقي عصيره وتينه
عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة
سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك
فتعمر بيت المقدس وايلياء حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف
عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل

وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كأحسن ما كانوا فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يأمرك أن تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يأمرك أن تحيي فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارمياء فهو يدور في الفلوات فذلك قوله تعالى (فأماته الله مائة عام) أصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها (ثم بعثه) أي ثم أحياه وأصله من بعثت الناقة اذا أقمتها من مكانها (قال كم لبثت) يعني قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل أن أبعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما أحياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعني ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم قال) يعني قال الله له وقيل قال الملك له (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعني التين الذي كان معه قبل موته (وشرابك) يعني العصير (لم يتسنه) يعني لم تغيره السنون التي أتت عليه فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن (وانظر الى حمارك) أي وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر (ولنجعلك آية للناس) قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب أسود الرأس واللحية وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال أنشر الله الميت انشارا يعني أحياه وقرئ بالزاي ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشيء رفعه وازعاجه يقال نشزته فنشز أي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الآية فقال الاكثرون انه أراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى أحيا عزيرا أو ارمياء على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى المكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فأقبل اليه يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى أماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله أول ما أحيا منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده ميتا وفي الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى الى محلته فأنكره الناس وأنكرهم الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رأيت أحدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال أنا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة

فأماته الله مائة عام ثم بعثه) أي أحياه (قال) له ملك (كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد وروي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك) روي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا اي عاملته سنة أو واو لان الاصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وباثباتها في الوقف حمزة وعلي (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه أو وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل الواو عطف على محذوف اي لتعتبر ولنجعلك قيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب (وانظر الى العظام) أي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشزها) نحركها ونرفع بعضها الى بعض سنة للتركيب ننشرها بالراء حجازي وبصري نحييها (ثم نكسوها) أي العظام (لحما) جعل اللحم كاللباس مجازا

سنة ولم نسمع له بذكر فقال انى عزير ان الله تعالى أماتنى مائة سنة ثم أحيانى فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله أن يرد على بصرى حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت أشهد أنك عزير وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم فدعا لى عزير ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى وزعم ان الله تعالى قد أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فرآها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة فأتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال انى عزير وقد بعثنى الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة فى قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتى القصة فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى

۞ وقوله تعالى (فلما تبين له) يعنى فلما اتضح له عيانا ما كان يستنكره من احياء القرية ورآه عيانا فى نفسه (قال اعلم) قرئ مجزوما موصولا على الامر يعنى قال الله اعلم وقرئ أعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذى قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك عيانا قال أعلم (أن الله على كل شئ قدير) يعنى الاماتة والاحياء ۞ قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى) اختلفوا فى سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهى جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فأكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب انى قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف الدواب فارنى كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى (قال أولم تؤمن) يعنى أولم تصدق (قال بلى) يارب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبى) أى ليسكن قلبى عند المعاينة أراد ابراهيم عليه السلام أن يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا فى احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه أحب أن يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى فى الجنة ويطلبونها ويسألونه فى دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك أحب ابراهيم أن يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت فقال نمرود أنا أحيى وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود أنت عاينته فلم يقدر ابراهيم أن يقول نعم فانتقل الى حجة أخرى ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بقوة حجتى فاذا قيل أنت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فأذن له فأتى ابراهيم ولم يكن فى الدار فدخل داره وكان ابراهيم من أغير الناس وكان اذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد فى الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له من أذن لك أن تدخل دارى فقال أذن لى رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت أبشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيى الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بانك اتخذتنى خليلا وتجيبنى اذا دعوتك

(فلما تبين له) فاعله مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شئ قدير (قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقولهم ضربنى وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعنى أمر احياء الموتى قال أعلم على لفظ الامر حمزة وعلى أى قال الله له اعلم أو هو خاطب نفسه (واذ قال ابراهيم رب أرنى) بصرنى (كيف تحيى الموتى) موضع كيف نصب بتحيى (قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) وانما قال له أولم تؤمن وقد علم انه أثبت الناس ايمانا ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفى معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضرورى واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب

وإليه يؤول (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم
إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي
إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي [illegible]
[illegible] أحق بالشك من ابراهيم [illegible]
[illegible] ابراهيم [illegible]
[illegible] أحق به من ابراهيم [illegible]
[illegible] وقال الخطابي
ليس في قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما
يقول إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فابراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع
والهضم من النفس وكذلك قوله ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي وفيه الإعلام أن المسألة من
ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا
يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال الرسول
صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم ومعناه أن هذا الذي تظنونه شكا أنا أولى به فإنه ليس
بشك وإنما هو طلب لمزيد اليقين وأعاد رجاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا
وأدبا أو قبل أن يعلم أنه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وإذ قال ابراهيم أي
واذكر يا محمد إذ قال ابراهيم وقيل إنه معطوف على قوله ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه والتقدير ألم تر إلى
الذي حاج ابراهيم في ربه ألم تر إذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال بلى قال الله لابراهيم أولم تؤمن
الألف في أولم تؤمن ألف إثبات وإيجاب كقول جرير ألستم خير من ركب المطايا أي أنتم كذلك والمعنى
أولست قد آمنت وصدقت أني أحيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سألتك ذلك
ارادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لأرى من آياتك وأعلم أنك قد
أجبتني (قال فخذ أربعة من الطير) قيل أخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فإن قلت لم
خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لأن الطير صفته الطيران في السماء والارتفاع في الهواء
وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو والوصول إلى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته
فإن قلت لم خص هذه الأربعة الأجناس من الطير بالأخذ قلت فيه إشارة ففي الطاوس إشارة إلى ما في الإنسان
من حب الزينة والجاه وفي النسر إشارة إلى شدة الشغف بالأكل وفي الديك إشارة إلى شدة الشغف بحب
النكاح وفي الغراب إشارة إلى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الإنسان من هذه الأوصاف
وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق أعلى الدرجات في الجنة وفاز بنيل السعادات
(فصرهن) قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه أملهن (إليك) ووجههن
وقيل معناه اجمعهن واضممهن إليك فمن فسره بالإمالة والضم قال فيه إضمار ومعناه فصرهن إليك ثم قطعهن
فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) لأنه يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى ابراهيم
صلى الله عليه وسلم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وأن يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم
أمره أن يجعل على كل جبل منهن جزأ واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء وأن يجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل
جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه
سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين بإذن الله تعالى فجعلت كل
قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يطير إلى العظم
الآخر وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء بغير

(قال فخذ أربعة من الطير)
طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
(فصرهن إليك) وبكسر
الصاد حمزة أي أملهن
واضممهن إليك (ثم اجعل
على كل جبل منهن جزأ)
ثم جزئهن وفرق أجزاءهن
على الجبال التي بحضرتك
وفي أرضك وكانت أربعة
أجبل أو سبعة جزأ بضمتين
وهمز أبو بكر

(ثم ادعهن) [illegible] (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن [illegible]
أرجلهن [illegible] أمر [illegible] ويخلط ريشها ودماءها ولحومها [illegible]
أن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين [illegible]
[illegible] فجعل كل جزء (١٩٣) يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها (واعلم أن الله عزيز) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) فيما يدبر لا يفعل الا بالحكمة ونظر من على قدرته على الاحياء حث على الانفاق في سبيل الله وما للمنفق في سبيل الله في نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) لا بد من حذف مضاف أى مثل نفقتهم (كمثل حبة) أو مثلهم كمثل باذر حبة (أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر والممثل به موجود في الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على ان التمثيل يصح وان لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع اقراء (والله يضاعف لمن يشاء) اى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعف شامى ومكى (والله واسع) واسع الفضل والجود (عليم) بنيات المنفقين (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا) هو ان يعتد على من أحسن اليه باحسانه ويريه أنه اصطنعه واوجب عليه حقا وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها (ولا أذى) هو ان يتطاول عليه بسبب ما اعطاه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من

[illegible] سعيا [illegible]
[illegible] (يأتينك سعيا) وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي
[illegible] الطيران لأن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير
تلك الطيور وأن أرجلها غير سليمة [illegible]
والمراد بالسعي الطيران [illegible] لأنه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة (واعلم أن
الله عزيز) يعني أنه تعالى غالب على جميع الأشياء لا يعجزه شيء (حكيم) يعني في جميع أموره ﴿ قوله
عز وجل (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل أراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في
جميع أبواب الخير ويدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله (كمثل حبة) أى كمثل زارع حبة (أنبتت) يعني أخرجت تلك الحبة (سبع
سنابل) جمع سنبلة (في كل سنبلة مائة حبة) فان قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل
بها قلت ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا يضرب المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة
ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب
للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه
فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الآخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد
عشرة ومائة وسبعمائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه
يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله
(والله واسع) أى غني يعطي الغنى عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة على الجود والافضال (عليم)
يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه ﴿ قوله
عز وجل (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما
عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن
سمرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها
ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فأنزل الله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وأما عبد الرحمن
فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت
لنفسي ولعيالي اربعة آلاف واربعة آلاف أقرضتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في
حوائجهم ومؤنتهم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) اى لا يتبع نفقته التي أنفقها عليهم بالمن والأذى
والمن أن يمن عليه بعطائه فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والأذى هو أن يعيره
فيقول كم تسأل وانت فقير أبدا وقد بليت بك وأراحني الله منك وأمثال ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة
النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر

فمن علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ماهو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان أبي يقول اذا أعطيت رجلا شيأ ورأيت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن

زاد معروفك عندي عظما * انه عندك مستور حقير

تتناساه كأن لم تأته * وهو في العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

أتيت قليلا ثم أسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

وأما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فنقول ان هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم بجميع ماهم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما ۞ وقوله تعالى (لهم أجرهم) يعني ثوابهم (عند ربهم) يعني في الآخرة (ولا خوف عليهم) يعني يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعني على ما خلفوا من الدنيا (قول معروف) اى كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعده بها وقيل دعاء صالح تدعو له بظهر الغيب (ومغفرة) اى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده (خير من صدقة) يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي تدفعها الى الفقير (يتبعها أذى) وهو ان يعطي الفقير الصدقة ثم يمن عليه بها او يعيره بقول أو يؤذيه بفعل (والله غني) أي مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الغني الذي لا يحتاج الى أحد وليس كذلك الا الله تعالى (حليم) يعني أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعني أجور صدقاتكم (بالمن والاذى) يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كالذى) أي كابطال الذي (ينفق ماله رئاء الناس) أي مراآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به (فمثله) أي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر أعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي (عليه تراب) أي على ذلك الصفوان تراب (فأصابه وابل) يعني المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شئ عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقته يؤذي الناس يرى الناس ان لهؤلاء أعمالا في الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) أي لا يقدرون على ثواب شئ مما عملوا في الدنيا (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني الذين سبق في علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك

المدخول فيه بقوله ثم استقاموا (لهم أجرهم عند ربهم) اى ثواب انفاقهم (ولا خوف عليهم) من بخس الاجر (ولا هم يحزنون) من فوته أو لا خوف من العذاب ولا حزن بالفوت الثواب وانما قال هنا لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لان الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غني) لا حاجة له الى منفق يمن ويؤذي (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم أكد ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير ابطالا مثل ابطال الذي (ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) أي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة ورئاء مفعول له (فمثله كمثل صفوان عليه تراب) مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بحجر أملس كان عليه تراب (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقيا من التراب الذي كان عليه (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) لا يجدون ثواب شئ مما أنفقوا أو الكاف في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق وانما قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق لانه أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق (والله لا يهدي القوم الكافرين) ما داموا مختارين الكفر

(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم) أي وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه اذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أي للابتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله (كمثل جنة) بستان (بربوة) مكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامي (أصابها وابل فآتت أكلها) ثمرتها أكلها نافع (١٩٥) ومكي وأبو عمرو (ضعفين) مثلي ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل (فان لم يصبها وابل فطل) فطر صغير القطر يكفيها الكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد ان يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده (والله بما تعملون بصير) يرى أعمالكم على اكثار واقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء واخلاص الهمزة في (أيود أحدكم) للانكار (ان تكون له جنة) بستان (من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له) لصاحب البستان (فيها) في الجنة (من كل الثمرات) يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات (وأصابه الكبر) الواو للحال ومعناه ان تكون له جنة وقد أصابه الكبر والواو في (وله ذرية ضعفاء) أولاد صغار للحال أيضا والجملة في موضع الحال من الهاء في أصابه (فأصابها اعصار) ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود (فيه) في الاعصار وارتفع (نار) بالظرف اذ جرى الظرف وصفا للاعصار (فاحترقت) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة

أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ﴿ قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضا الله (وتثبيتا من أنفسهم) يعني على الانفاق في طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه أن أنفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما أنفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة أموالهم وينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك أو رياء أمسك (كمثل جنة) أي بستان قال الفراء اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هي المكان المرتفع عن الارض المستوي لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها أحسن وأزكى اذا كان اباها من الماء ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا أصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت أشجارها (أصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض (فآتت أكلها ضعفين) أي فأعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت في سنة من الريع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل أضعفت فحملت في السنة مرتين (فان لم يصبها وابل فطل) أي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص في انفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تربيع وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا أو كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت (والله بما تعملون بصير) يعني انه تعالى لا تخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي ﴿ قوله عز وجل (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى أيود يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب انما خصهما بالذكر لانهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه (تجري من تحتها الانهار) يعني ان جري الانهار فيهما من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (وأصابه الكبر) يعني صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون له جنة حال ما أصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعني له أولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فأصابها) يعني أصاب تلك الجنة (اعصار فيه نار فاحترقت) الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته اعصار فيه نار فأحرقها وهو أحوج ما يكون

أليها فعل فى قلبه من الغم والحسرة مالا يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لا يجد ما يعود به على أولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين بعجزة لا حيلة بأيديهم فكذلك حال من أتى يوم القيامة بأعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو فى غاية الحاجة اليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق أعماله كلها (كذلك يبين الله لكم الآيات) يعنى كما بين الله تعالى لكم أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك (لعلكم تتفكرون) أى فتتعظوا وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعنى فى زوال الدنيا واقبال الآخرة ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من أصابه بحق بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار أخرجه الترمذى المتخوض الذى يأخذ المال من غير وجه كما يخوض الانسان فى الماء يمينا وشمالا (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام (خ) عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذى والنسائى واختلفوا فى المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل *(المسئلة الاولى)* ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة فى مال التجاره وقال داود الظاهرى لا تجب الزكاة بحكم التجارة فى العروض الا أن ينوى به التجارة فى حال تملكه ودليل الجمهور ماروى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذى يعد للبيع أخرجه أبو داود وعن أبى عمرو بن حماس ان أباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقى ادمة أحملها فقال عمر ألا تؤدى زكاتك يا حماس فقلت مالى غير هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فأخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا أو مائتى درهم أخرج منه ربع العشر *(المسئلة الثانية)* فى قوله تعالى (ومما أخرجنا لكم من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل ماخرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة فى النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكاة فى كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ماروى عن معاذ انه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهى البقول فقال ليس فيها شئ أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند أهل العلم انه ليس فى الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد

(كذلك) كهذا البيان الذى بين فيما تقدم (يبين الله لكم الآيات) فى التوحيد والدين (لعلكم تتفكرون) فتتنبهوا (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة فى اموال التجارة (ومما أخرجنا لكم من الارض) من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات

السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني في أحكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن المغيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثرم في سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون وتجب في الثمار عند بدو الصلاح وهو أن يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفي الحب بعد الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية *(المسئلة الثالثة)* يجب اخراج العشر فيما سقي بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقي بنضح أو سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر أخرجه البخاري ولابي داود والنسائي قال فيما سقت السماء والانهار والعيون أو كان بعلا العشر وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر قال أبو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه وقال وكيع هو الذي ينبت من ماء السماء قوله أو كان عثريا أراد به القوي من الزرع وهو البعل وقد فسر في لفظ الحديث والنضح هو الاستقاء وكذلك السانية وهي الدابة التي يستقى عليها سواء كانت من الابل أو البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة أوسق والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر في كل قليل أو كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمسة أواق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة وفي رواية ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر أو حب صدقة أخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة أخرجاه في الصحيحين ﴿وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) أي ولا تقصدوا الخبيث يعني الردي من أموالكم (منه تنفقون) أي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم اذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر أو التمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو أن أحدكم أهدي اليه مثل ما أعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فأنزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني تتصدقون (ولستم بآخذيه) يعني ذلك الشئ الخبيث الردئ (الا أن تغمضوا فيه) الاغماض في اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو أن لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء ولو أهدي ذلك ما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردئ لان أهل السهمان شركاء له فيما عنده وان كان كله رديئا فلا بأس باعطاء الردئ (واعلموا أن الله غني) يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها (حميد) أي محمود في أفعاله وقيل حميد بمعنى حامد أي أحمدكم على ما تفعلونه من الخير ﴿قوله عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء

(ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الردي *(منه تنفقون)* تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال أي ولا تيمموا الخبيث منفقين أي مقدرين النفقة (ولستم بآخذيه) وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم (الا أن تغمضوا فيه) الا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (واعلموا أن الله غني) عن صدقاتكم (حميد) مستحق الحمد أو محمود (الشيطان يعدكم) في الانفاق (الفقر) ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل في الخير والشر

الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول الرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى أن يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لان البخل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم (وفضلا) يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فأما لمة الشيطان فوسوسة وأما لمة الملك فالهام من الله تعالى (والله واسع) أي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه (عليم) يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أنفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم يغض ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعى عليك قوله ولا توعي أي لا تشحي فيشح الله عليك أي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل أنفقي ولا تعدي ولا تشحي ۞ قوله عز وجل (يؤتي الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وانما نزلت في أهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر * أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم * أي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام أو ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعني ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم معناه فقد أوتي أي خير كثير (وما يذكر الا أولو الالباب) أي وما يتعظ بما وعظه الله الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه ۞ قوله عز وجل (وما أنفقتم من نفقة) يعني فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها (أو نذرتم من نذر) يعني به ما أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر أن يوجب الانسان على نفسه شيأ ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا وأصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين

(ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر المأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) في الانفاق (مغفرة منه) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وان يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو ثوابا عليه في الآخرة (والله واسع) يوسع على من يشاء (عليم) بأعمالكم ونياتكم (يؤتي الحكمة من يشاء) علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل الى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل (ومن يؤت الحكمة) ومن يؤت يعقوب أي ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم أي أوتي أي خير كثير (وما يذكر الا أولو الالباب) وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) في سبيل الله أو في سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) في طاعة الله أو في معصيته

مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله علي صوم أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو أن يقول نذرت لله لا أفعل كذا ثم يفعله أو يقول لله علي نذر من غير تسمية شئ فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا أطاقه فليف به أخرجه أبو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم أخرجه النسائي (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سببا نهى عن النذر كون الناذر يصير ملتزما مالا فيأتي به تكلفا من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتي به على سبيل المعاوضة عن الامر الذي طلبه فينقص أجره وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر يرد القدر أو يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا يأتي بخير معناه انه لا يرد شيأ من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج معناه انه لا يأتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتي بها في مقابلة شئ يريده كقوله ان شفى الله مريضي فلله علي كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله أعلم ۞ وقوله تعالى (فان الله يعلمه) أي يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما أنفقتم لانه اسم فهو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما (وما للظالمين) يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من أنصار) أي من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم ۞ قوله عز وجل (ان تبدوا الصدقات) أي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع (فنعما هي) أي فنعمت الخصلة هي وقيل فنعم الشئ هي وقيل معناه فنعم شيأ ابداء الصدقات (وان تخفوها) أي تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) أي وتعطوها الفقراء في السر (فهو خير لكم) يعني اخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع أفضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك أبعد من الرياء وأقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر أيضا فائدة ترجع الى الفقير الآخذ وهي انه اذا أعطي في السر زال عنه الذل والانكسار واذا أعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر أفضل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أخرجاه في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ممن قد أمن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله أو يكون ممن يقتدى به في أفعاله فاذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فاظهار اخراجها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولكن في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الآية

(فان الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو ينذرون في المعاصي أو لا يفون بالنذور (من أنصار) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعما هي) فنعم شيأ ابداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هي فنعما هي بكسر النون واسكان العين أبو عمرو ومدني غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي وبكسر النون والعين غيرهم (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء (فهو خير لكم) فالاخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر في الفرائض أفضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه أفضل والمتطوع ان أراد أن يقتدى به كان اظهاره أفضل

(ونكفر) بالنون و جزم الراء مدني وحمزة وعلي و بالياء ورفع الراء شامي وحفص و بالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عنكم من سيآتكم) والنون على معنى نحن نكفر (والله بما تعملون) من الابداء والاخفاء (خبير) عالم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدي من يشاء) أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وانما ذلك الى الله (وما تنفقوا من خير) من مال (فلانفسكم) فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله أي رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله أو هذا نفي معناه النهي أي ولا تنفقوا لا ابتغاء وجه الله (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على أحسن الوجوه وأجملها (وأنتم لا تظلمون) ولا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيأ أي لم تنقص الجار في (للفقراء) متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدا محذوف أي هذه الصدقات للفقراء (الذين أحصروا في سبيل الله) هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الارض) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفة يتعلمون القرآن بالليل و يرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى

واردة في زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون بأحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة وغيرها ۞ وقوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيآتكم قال ابن عباس جميع سيآتكم وقيل ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من سيآتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعني من اظهار الصدقة واخفائها ۞ قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق عليهم فأعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية اعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) أي من مال (فلانفسكم) أي ما تفعلوا تنفعوا به أنفسكم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهي أي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله انه قد علم أن مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء أهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى أهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدي اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون شيأ من ثواب أعمالكم ۞ قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم فكأنه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوا أربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل و يرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل أتاهم به اذا أمسى ۞ وقوله (الذين أحصروا في سبيل الله) يعني هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا أنفسهم على طاعة الله (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب

وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم أصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أي يظن من لم يختبر حالهم انهم أغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم أغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة (تعرفهم بسيماهم) السيما والسيمياء والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هنا فقيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي أثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة ألوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر (لا يسألون الناس الحافا) يعني الحاحا قيل اذا كان عنده غداء لا يسأل العشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس أصلا لانه قال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك انهم لا يسألون البتة ولانه قال تعالى تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس بصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح وقيل يا رسول الله ما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد الحف أخرجه أبو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله أربعون درهما فهو ملحف أخرجه النسائي (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) يعني ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليها ففيه حث على الصدقة والانفاق والطاعة ﴿قوله عز وجل (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن ابن عوف بدنانير كثيرة الى أهل الصفة وبعث علي بن أبي طالب في الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الآية اشارة الى ان صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الآية عامة في الذين ينفقون أموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها أصحاب الحاجات والفاقات (فلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (الذين يأكلون الربوا) أي يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يؤكل انما

التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسئلة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجوه ورثاثة الحال (لا يسألون الناس الحافا) الحاحا قيل هو نفي السؤال والالحاح جميعا كقوله
*على لاحب لا يهتدى بمناره
يريد نفي المنار والاهتداء به والالحاح هو اللزوم وأن لا يفارق الا بشيء يعطاه وفي الحديث ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف وقيل معناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) لا يضيع عنده (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) هما حالان أي مسرين ومعلنين يعني يعممون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية أو في علي رضي الله عنه لم يملك الا أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا) هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع

يصرف في المأكول ثم يؤكل فنبع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وأصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة في المال (لا يقومون) يعني من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) أي يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط التي تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس بأخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء الرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوي بسند الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم أي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين أي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط في الشهوة بالطعام من الجوع ﴿ قوله عز وجل (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا) أي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) يعني وأحل الله لكم الارباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد أن يعترض عليه في شيء مما أحل أو حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيأ بغير عوض أما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا أو شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

(فصل في حكم الربا) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها أحدها ان الربا يقتضي أخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة

الخلق

(لا يقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) أي المصروع لانه تخبط في المعاملة تفوزي على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء (من المس) من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع أو بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب (بأنهم) بسبب انهم (قالوا انما البيع مثل الربوا) ولم يقل انما الربا مثل البيع مع ان الكلام في الربا لا في البيع لانه جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه

الخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك * (المسئلة الثانية) * اعلم ان الربا في اللغة والزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد او استزاد فقد أربى وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد او استزاد فقد أربى الا ما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة أشياء وهي النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى أن الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى أنه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي الى انه ثبت بعلة الوزن فأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الاربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فأثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فأثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله أرسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فأخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا أخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فاني كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال اني أخاف أن يضارع أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا أو مطعوما * (المسئلة الثالثة) * الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع أحد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فان باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو كان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا

بيد والله أعلم * (المسألة الرابعة) * في القرض وهو من أقرض شيأ وشرط عليه أن يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك قال بلغني ان رجلا أتى ابن عمر فقال اني أسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك في الموطا قال فان لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز ويدل على ذلك ما روي عن مجاهد أن ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فأبى أن يأخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة أخرجه مالك في الموطا ۞ وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) أي تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تأنيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شيء واحد (فانتهى) أي عن أكل الربا (فله ما سلف) أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له (وأمره الى الله) يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى أكل الربا وقيل معناه وأمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شيء وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم أكل الربا ثم يأكله فأمره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعني الى أكل الربا بعد التحريم مستحلا له (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ۞ قوله عز وجل (يمحق الله الربا) أي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة (ويربي الصدقات) أي يزيدها ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم والبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لأكل الربا (أثيم) يعني متماد في الاثم وفيه نهي عنه وان من أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل أن يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين ۞ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا) يعني صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعني التي أمرهم الله بها (وأقاموا الصلاة) يعني المفروضة بأركانها وحدودها في أوقاتها (وآتوا الزكاة) يعني المفروضة عليهم في أموالهم (لهم أجرهم عند ربهم) أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما كان وقت الجداد قال صاحب التمر لهما ان أنتما أخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيما رواه جابر من أفراد مسلم الا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت في أربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الفريقين وكان

(فمن جاءه موعظة من ربه) من بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا (فانتهى) فتبع النهي وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره الى الله) يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره اليكم شيء فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى استحلال الربا عن الزجاج أو الى الربا مستحلا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية في تخليد الفساق (يمحق الله الربا) يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه (ويربي الصدقات) ينميها ويزيدها أي يزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب كل كفار) عظيم الكفر باستحلال الربا (أثيم) متماد في الاثم بأكله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا) أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا

ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أى خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا أى واتركوا ما بقى من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقى لكم ما فضل على رؤس أموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا (فان لم تفعلوا) أى لم تتركوا ما بقى من الربا بعد نهيه (فأذنوا) قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فأعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعانى حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا فى معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة فى الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من أصر على أكل الربا وعلم به الامام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى أن تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع أى تاب والا ضرب عنقه (وان تبتم) أى ان تركتم أكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعنى لا تظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفى ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا يعنى لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس أموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا أخرونا الى أن تدرك الغلات فأبوا ان يؤخروهم فانزل الله عز وجل (وان كان ذو عسرة) يعنى وان كان الذى عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال وأعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه فى دينه (فنظرة) أى فامهال وتأخير (الى ميسرة) أى الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذى يؤديه فى دينه واختلفوا فى حكم الآية هل الانظار مختص بالربا أم هو عام فى كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدى أن الآية فى الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وأمر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول فى كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك فى الربا وان الله تعالى قال فى كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثانى وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام فى كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما فى جميع المعسرين (وان تصدقوا خير لكم) يعنى وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس أموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعنى ان التصدق خير لكم وأفضل لان فيه الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى

❁(فصل فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والامر بقضائه)❁ (م) عن أبى قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر قال آلله قال آلله قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه (م) عن أبى اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاه أخرجه أبو داود (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل عنه ومن أخذ اموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظلم زاد فى رواية واذا اتبع أحدكم على ملئ فليتبع

(ان كنتم مؤمنين) [illegible] الايمان فان دليل [illegible] امتثال المأمور به (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فاعلموا [illegible] من أذن بالشئ اذا علم [illegible] قراءة الحسن فأيقنوا فآذنوا حمزة وأبو بكر غير ابن غالب فأعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو اعسار (فنظرة) فالحكم أو فالامر نظرة أى انتظار (الى ميسرة) يسار ميسرة نافع وهما لغتان (وأن تصدقوا) بالتخفيف عاصم اى تتصدقوا برؤس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف احدى التاءين والتشديد على الادغام (خير لكم) فى القيامة وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعملوا

...) ترجعون أبو عمرو وقرأ بجمع ...

(ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه (ق) عن أبي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال أوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم أحسنكم قضاء وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بأفضل من سنه (م) عن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال أرأيت ان قتلت في سبيل الله اتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه النسائي ۞ قوله عز وجل (واتقوا) اي وخافوا (يوما ترجعون فيه الى الله) قرئ بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (وهم لا يظلمون) اي في ذلك اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا أباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين أو داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص أحد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكره لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا (الى اجل مسمى) يعني الى مدة معلومة الاول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد أو نحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند أكثر أهل العلم (ق) عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمر العام والعامين فقال لهم من اسلف في تمر ففي كيل معلوم او وزن معلوم الى اجل معلوم ۞ وقوله تعالى (فاكتبوه) اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك أو سلما أو قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) اي بالحق

آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين وثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما أو احدا وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات (ثم توفى كل نفس ما كسبت) اي جزاء ما كسبت (وهم لا يظلمون) بنقصان الحسنات وزيادة السيآت (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) اي اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا (الى أجل مسمى) مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج وانما احتيج الى ذكر الدين ولم يقل اذا تداينتم الى أجل مسمى ليرجع الضمير اليه في قوله (فاكتبوه) اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال وانما أمر بكتابة الدين لان ذلك أوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم المضمون الى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه اطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم (وليكتب بينكم) بين المتداينين (كاتب بالعدل) هو متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب من

من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هى حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذى عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها (ولا يأب) اى ولا يمتنع (كاتب أن يكتب) واختلفوا فى وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة ممن هو من اهلهما وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبى فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضى حاجة أخيه المسلم و يشكر تلك النعمة التى انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) اى كما شرعه الله وامر به (فليكتب) وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص و يكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحد الخصمين بالاحتياط دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التى يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء (وليملل الذى عليه الحق) يعنى ان المطلوب الذى عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعنى الملى (ولا يبخس) اى ولا ينقص (منه) اى من الحق الذى وجب (شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها) اى جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعى السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه (او ضعيفا) يعنى شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون (أو لا يستطيع أن يمل هو) يعنى لخرس أو عى أو عجمة فى كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل ماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وليه) يعنى ولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه فى صحة الاقرار وقال ابن عباس أراد بالولى صاحب الدين يعنى ان عجز الذى عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه (بالعدل) اى بالصدق (واستشهدوا شهيدين) يعنى وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد (من رجالكم) يعنى من اهل ملتكم يعنى من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وهذا نص يقتضى ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذن له فى ذلك حرم عليه الذهاب الى أداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) اى فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان) أى فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال جائزة فى الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا فى غير الاموال فذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال فى سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى أن غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعى الى أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين أو شهادة أربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة فى العقوبات والحدود ۞ وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعنى من كان مرضيا عندكم فى دينه وأمانته

وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع واحد من الكتاب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب (فليكتب) تلك الكتابة لا يعدل عنها (وليملل الذى عليه الحق) ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان (وليتق الله ربه) وليتق الله الذى عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا لكل حقه (ولا يبخس منه شيأ) ولا ينقص من الحق الذى عليه شيأ فى الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه (فان كان الذى عليه الحق سفيها) اى مجنونا لان السفه خفة فى العقل أو محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا (أو لا يستطيع أن يمل هو) لعى به او خرس أو جهل باللغة (فليملل وليه) الذى يلى أمره ويقوم به (بالعدل) بالصدق والحق (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا (فان لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان شهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون من الشهداء) ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على أن غير المرضى ساقط.

(أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) [illegible] الشهادة فتذكرها الاخرى أن تضل احداهما على الشرط فتذ
بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله منه فتذكر مكي وبصري من الذكر لا من الذكر (ولا يأبى الشهداء اذا مادعوا) لاداء الشها
أو التحمل لئلا تتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن فالاول للفرض والثاني للندب (ولا
تسأموا) ولا تملوا قال الشاعر
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم
والضمير في (ان تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أي حال كان الحق من صغر أو كبر وفيه دلالة جواز السلم في الثياب لان ما يكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وانما يقال في الذرعي ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا أو مشبعا (الى أجله) الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر أي ذلك الكتب (أقسط) أعدل من القسط وهو العدل (عند الله) ظرف لاقسط (وأقوم للشهادة) وأعون على اقامة الشهادة وبني فعلا التفضيل أي أقسط وأقوم من أقسط وأقام على مذهب سيبويه (وأدنى أن لا ترتابوا) وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك في المقدار والصفات واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك وألف أدنى منقلبة من واو لانه من الدنو (الا أن تكون تجارة حاضرة) عاصم أي الا أن تكون التجارة تجارة أو الا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره وانما
تجارة حاضرة على كان التامة أي الا ان تقع تجارة حاضرة أو هي ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر (تديرونها) وقوله (بينكم) ظرف لتديرونها
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) يعني الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوها لانه
لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين

والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة
والمروأة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو
وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي
يكذب على الله أولى بان ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل
شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولا قول المجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا
تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء
والعدالة شرط وهو أن لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهي ما تتصل
بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان
الرجل يظهر في نفسه شيأ مما يستحي أمثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء
التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه ولا في
حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى
نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا و
ذي غمر على أخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع
التابع أخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من
ضيع شيأ من أوامر الله أو ارتكب شيأ مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع
هو السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل
البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين ٢ بكسر الظاء المتهم ۞ وقوله تعالى (ان تضل احداهما) أي تنسى
احدى المرأتين (فتذكر احداهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام
الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك
الذكرى وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان
شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول أصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا) يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا أمر ايجاب
عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير في جميع
الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة وأدائها ومعنى الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة
التي تحملوها وقيل الآية في الامرين جميعا يعني في التحمل والاداء والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد
بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء (ولا تسأموا) أي ولا تملوا ولا تضجروا (أن تكتبوه) الضمير
راجع الى الحق أو الدين (صغيرا) كان (أو كبيرا) يعني قليلا كان الحق أو الدين أو كثيرا (الى أجله) يعني
الى محل الحق والدين (ذلكم) يعني ذلك الكتاب (أقسط عند الله) يعني أعدل عند الله لانه أمر به واتباع
أمره أعدل من تركه (وأقوم للشهادة) يعني ان الكتابة تذكر الشهود (وأدنى ألا ترتابوا) يعني وأحرى
وأقرب الى أن لا تشكوا في الشهادة (الا أن تكون تجارة حاضرة) أي الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد
(تديرونها بينكم) أي فيما بينكم ليس فيها أجل (فليس عليكم جناح) أي لا ضرر عليكم (أن
لا تكتبوها) يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح

٢ قوله بكسر الظاء كذا في النسخ بايدينا والصواب بفتح الظاء اه

واغا رخص الله تعالى فى الكتابة والاشهاد فى هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجرى بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه فى ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد (وأشهدوا اذا تبايعتم) يعنى فيما سوى التجارة الحاضرة بالاشهاد فيه واختلفوا فى هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد فى صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته وقيل هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ۞ وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهى عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملى عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق وكذلك الشاهد وقيل أصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعى ان الله أمركما أن تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وأمر أن يطالب غيرهما (وان تفعلوا) يعنى ما نهيتم عنه من الضرار (فانه فسوق بكم) أى معصية وخروج عن الامر (واتقوا الله) اى خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويعلمكم الله) يعنى ما يكون ارشاد لكم فى أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم فى أمر الدين (والله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شئ من ذلك ۞ قوله عز وجل (وان كنتم على سفر) أى فى سفر (ولم تجدوا كاتبا) يعنى ولم تجدوا آلات الكتابة (فرهن) جمع رهن وقرئ فرهان (مقبوضة) يعنى فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم وأصل الرهن الدوام يقال رهن الشئ اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما أخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان فى السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبى الشحم اليهودى على طعام أخذه الى أجل ولم يكن ذلك فى سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن فى الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا فى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجاب الجمهور عن ظاهر الآية بان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعنى ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شئ من الحق باقيا ۞ قوله تعالى (فان أمن بعضكم بعضا) يعنى فان كان الذى عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيأ لحسن ظنه به (فليؤد الذى اؤتمن أمانته) يعنى فليؤد المديون الذى عليه الحق الذى كان أمينا فى ظن الدائن الذى هو صاحب الحق أمانته يعنى حقه سمى الدين أمانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث أمن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذى ائتمنه وان يؤدى اليه حقه الذى ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيأ ثم زاد ذلك تاكيدا بقوله (وليتق الله ربه) أى المديون فى أداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن

(واشهدوا اذا تبايعتم) امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لانه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف أو أريد به واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولا يضارر والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد (وان تفعلوا) وان تضاروا (فانه) فان الضرار (فسوق بكم) مأثم (واتقوا الله) فى مخالفة أوامره (ويعلمكم الله) شرائع دينه (والله بكل شئ عليم) لا يلحقه سهو ولا قصور (وان كنتم) أيها المتداينون (على سفر) مسافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهن) فرهان مكى وأبو عمرو أى فالذى يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن فى الاصل مصدر سمى به ثم كسر تكسير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد لان السفر شرط تجويز الارتهان وقوله (مقبوضة) يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك ان الرهن يصح بالايجاب والقبول بدون القبض (فان أمن بعضكم بعضا) فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن (فليؤد الذى اؤتمن أمانته) دينه وائتمن افتعل من الامن وهو حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه (وليتق الله ربه) فى انكار حقه

(ولا تكتموا الشهادة) هذا خطاب للشهود (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه يأثم قلبه او بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان وانما أسند الى القلب وحده والجملة هي الآثمة لا القلب وحده لان كتمان الشهادة أن يضمرها في القلب ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا مكتسبا بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولان القلب رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم في أصل نفسه وملك

أشرف مكان منه ولان أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ألا ترى ان أصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واظهارها (عليم) لا يخفى عليه شئ (لله ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) يعني من السوء (يحاسبكم به الله) يكافئكم ويجازكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع عنه بمانع ليس باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أي بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا واعف قيل لا لقوله عليه السلام ان الله عفا عن أمتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان المؤاخذة في العزم ثابتة واليه مال الشيخ ابو منصور وشمس الائمة الحلواني رحمهما الله والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رضي الله عنها ما هم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي اكثر التفاسير انه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضي الله عنهم وقالوا انؤاخذ بكل ما حدثت به انفسنا فنزل قوله آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار

ظلمه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعني اذا دعيتم الى اقامتها وأدائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعني الشهادة (فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه والآثم الفاجر وانما أضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك أضيف الاثم الى القلب قيل ما أوعد الله على شئ كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها ﴿قوله عز وجل (لله ما في السموات وما في الارض) ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق وأجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوه أي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا أي تظهروا ما في أنفسكم يعني من ولاية الكفار أو تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب أكثر العلماء الى أن الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فأنزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم

واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم أخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به أو يتكلموا به وفي رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد أسر عملا أو أعلنه من حركة بجارحة وهمة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما أخفوه أخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن أمية انها سألت عائشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم في معنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم يعني مما عزمتم عليه أو تخفوه أي ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما أخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر أو خفي ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله أي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا للفضل ويعذب الكافرين اظهارا للعدل يروى عن ابن عباس ويدل عليه أنه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه أيضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجاه في الصحيحين ۞ وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (والله على كل شئ قدير) يعني انه تعالى قادر على كل شئ كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا ۞ قوله عز وجل (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الانبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق

(فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) برفعهما شامي وعاصم أي فهو يغفر ويعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالادغام أبو عمرو وكذا في الاشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ لان الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم (والله على كل شئ) من المغفرة والتعذيب وغيرهما (قدير) قادر (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه

والمؤمنون) ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في (كل) راجعا الى الرسول والمؤمنون أي كلهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) ووقف عليه وان كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم ومن خبر المبتدا الثاني والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلي يعني القرآن أو الجنس (لا نفرق) أي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل (بين أحد من رسله) أحد في معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الا على اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد (وقالوا سمعنا) أجبنا قولك (وأطعنا) أمرك (غفرانك) أي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر (ربنا واليك المصير) المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاستثناء في الايمان وعلى بقاء الايمان لمرتكب الكبائر (لا يكلف الله نفسا) يحكي عنهم أو مستأنف (الا وسعها) الا طاقتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التأويلات وقال صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الانسان أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الاقتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر وتتكلف للخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) تركنا أمرا من أوامرك سهوا (أو أخطأنا) الذي

الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) أي وصدق المؤمنون بذلك أيضا (كل) أي كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فهذه أربع مراتب من أصول الايمان وضرورياته فاما الايمان بالله فهو أن يؤمن بان الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شيء وأما الايمان بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله وأما الايمان بكتبه فهو ان يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه وأما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وأمناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم أفضل الخلق وان بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وأجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شيء آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لا نفرق بين أحد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفي الآية اضمار تقديره وقالوا يعني المؤمنين لا نفرق بين أحد من رسله (وقالوا سمعنا وأطعنا) يعني سمعنا قولك وأطعنا أمرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به وأطعناه فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه (غفرانك ربنا) أي نسألك غفرانك ربنا أو يكون المعنى اغفر اغفرانك ربنا (واليك المصير) يعني قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه فقال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير ۞ قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) قيل يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل أن يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كأن ذلك ما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها ولا يتعبدها بما لا تطيق (لها ما كسبت) يعني للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) يعني من الشر عليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية ان الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره ۞ قوله عز وجل (ربنا لا تؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا أي لا تعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسيء قد أمكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكأنه أعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به (ان نسينا أو أخطأنا) ٢ فيه وجهان أحدهما انه من النسيان

٢ قوله فيه وجهان لم يذكر الا وجها واحدا ولعله اكتفى عن الثاني بما ذكره في الجواب عن الايراد الذي أورده ومع ذلك فيه ما فيه اه مصححه

الذى هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما أمروا به أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت أليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين * أما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر ازالته عنه ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو أو ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفو له عن ذلك وأما الضرب الثانى فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها أو ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثانى من الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغى فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطأ فى قوله أو أخطأنا فعلى وجهين أيضا * أحدهما ان يأتى العبد ما نهى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه * الوجه الثانى أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بأن له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فأخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والآصار التى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن أمثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد أجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعنى لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين * أحدهما ما ليس فى قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى لا يكلف الله به عبده بحال * الوجه الثانى من تكليف ما لا يطاق هو ما فى قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان فى ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذى سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل فى قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) أى تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا (واغفر لنا) أى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا) أى تعمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه

ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما فى الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عبأ يأصر حامله أى يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك (كما حملته على الذين من قبلنا) كاليهود (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا (واعف عنا) امح سيآتنا (واغفر لنا) واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالاول للكبائر والثانى للصغائر (وارحمنا) بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا والاول من المسخ والثانى من الخسف والثالث من الغرق

وطلب المغفرة هو أن يستر عليه صونا له من الفضيحة كأن العبد يقول أطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاستره علي فإذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب (أنت مولانا) أي ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولي أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا أحمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار وأصل الاقتحام الولوج (ق) عن أبي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لنا كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة آل عمران)

مدنية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ قوله عز وجل (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم بحالهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بأمر طعامهم وشرابهم وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلي العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وأردية يقول من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الموت قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال

عبيده في الحديث من قرأ آمن الرسول الى آخره في ليلة كفتاه وفيه من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه من قيام الليل ويجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة والله أعلم

(سورة آل عمران)

نزلت بالمدينة وهي مائتا آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم الله) حركت الميم لالتقاء الساكنين أعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم ولا يصح أن يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها واثباتها غير جائز وأسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدأ (لا اله الا هو) خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله في الوجود الا هو وهو في موضع الرفع بدل من موضع لا واسمها (الحي القيوم) خبر مبتدأ محذوف أي هو الحي أو بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت

السم

ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد ألست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله ردا عليهم الم الله لا اله الا هو يعني ان كانت سنة زعمتكم يا معشر النصارى فى معرفة الاله فهو الله الذى لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان أحدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم أما الحى فى صفة الله تعالى فهو الدائم الباقى الذى لا يصح عليه الموت وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (بالحق) أى بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعنى لما قبله من الكتب فى التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شئ تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وأنزل التوراة والانجيل من قبل) أى من قبل القرآن فان قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما مفصلا فى أوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وأنزل التوراة والانجيل جملة واحدة (هدى للناس) يعنى ان انزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القرآن فى أول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام (وأنزل الفرقان) يعنى الفارق بين الحق والباطل قيل أراد به القرآن وانما أعاد ذكره تعظيما لشأنه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما أعاد ذكره ليبين انه تعالى أنزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى فى أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعنى الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) أى غالب لا يغلب (ذو انتقام) يعنى ممن كفر به والانتقام المبالغة فى العقوبة ﴿قوله عز وجل (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) أى لا يخفى عليه شئ من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذى يصوركم فى الارحام) التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف والارحام جمع رحم (كيف يشاء) يعنى الصور المختلفة المتفاوتة فى الخلقة ذكرا أو أنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى انه الذى يصوركم فى ظلمات الارحام صورا مختلفة فى الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه الملك بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار

(نزل) أى هو نزل (عليك الكتاب) القرآن (بالحق) حال أى نزله حقا ثابتا (مصدقا لما بين يديه) لما قبله (وأنزل التوراة والانجيل) هما اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة (من قبل) من قبل القرآن (هدى للناس) لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس (وأنزل الفرقان) أى جنس الكتب لان الكل يفرق بين الحق والباطل أو الزبور أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشأنه (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) أى فى العالم فعبر عنه بالسماء والارض أى هو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) من الصور المختلفة

(لااله الاهو العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تدبيره روى انه قدم وفد بنى نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبرهم أبوحارثة تخاصموا فى أن عيسى ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون انه لايكون ولد الاوهو يشبه أبا

قالوا بلى قال ألم تعلموا ان الله تعالى حى لايموت وعيسى يموت وان ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لايقدر على ذلك وانه لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء وعيسى لايعلم الاماعلم وانه صوّر عيسى فى الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية (هو الذى أنزل عليك الكتاب) القرآن (منه) من الكتاب (آيات محكمات) أحكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها (وأخر) وآيات أخر (متشابهات) مشتبهات محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولايجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شئ أو المحكم ماأمر الله به فى كل كتاب انزله نحو قوله قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك أن لا تعبدوا الااياه الآيات والمتشابه ماوراءه أومالايحتمل الاوجها واحدا وما احتمل أوجها أوماعلم تأويله ومالم يعلم تأويله أو الناسخ الذى يعمل به والمنسوخ الذى لايعمل به وانما لم يكن كل القرآن محكما لمافى المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولمافى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى فلا

فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضى خلقها قال يارب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب له ذلك فى بطن أمه وقيل ان الآية واردة فى الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول أكلت فى دارك كذا وصنعت كذا وانه أحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ماقدر على ذلك الا أنه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك وأخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذى لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء وانه المصور فى الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوّره فى الرحم فنبه بكونه مصورا فى الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لايخفى على الله عزوجل (لااله الاهو العزيز الحكيم) وهذا أيضا فى الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون ولدا لله وقد صوّره الله فى الرحم

قوله عزوجل (هو الذى أنزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (منه آيات محكمات) يعنى مبينات مفصلات أحكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن أم الكتاب) يعنى هن أصل الكتاب الذى يعوّل عليه فى الاحكام ويعمل به فى الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب قلت لان الآيات فى اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شئ واحد وقيل ان كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية يعنى ان كل واحد منهما آية (وأخر) جمع أخرى (متشابهات) يعنى ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله فى موضع آخر كله محكما فقال فى أوّل هود الر كتاب أحكمت آياته وجعله فى موضع آخر كله متشابها فقال تعالى فى الزمر الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله كله محكما أراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولاهزل وحيث جعله كله متشابها أراد ان بعضه يشبه بعضا فى الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التى فى آخر سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ونظيرها فى بنى اسرائيل وقضى ربك الاتعبدوا الااياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هى الناسخ والمتشابهات هى الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدى وقيل ان المحكمات مافيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ماسوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما أطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم مالايحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه مايحتمل أوجها وروى ذلك عن الشافعى وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هى الحروف المقطعة فى أوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له حيى بلغنا انك أنزل عليك الم فأنشدك الله أأنزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فانى أعلم مدة ملك أمتك هى احدى وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه أكثر هى احدى وستون ومائة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه أكثر هى مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه أكثر هى مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا

فلا ندرى أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه ما تتكرر ألفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهى والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال فان قلت انما أنزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان القرآن أنزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين أحدهما الايجاز والاختصار والموجز الذى لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثانى المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعانى وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع فى كلامهم فأنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأى الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثانى ان الله تعالى أنزل المتشابه لفائدة عظيمة وهى ان يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عباداتهم ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكر ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعانى وقد قيل فى عيب الغنى انه يورث البلادة وفى فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث أن أهل كل علم يجعلون فى علومهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك أذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعانى الغامضة كانوا على الواضح أقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى أنزل المتشابه فى كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الريب فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله أعلم بمراده ﴿وقوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) أى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا فى المعنى بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وقالوا ألست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة فى أوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا أولو الالباب فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم ﴿وقوله تعالى (ابتغاء الفتنة) أى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) أى تفسيره وأصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله وابتغاء تأويله أى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعنى تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه

(فأما الذين فى قلوبهم زيغ) ميل عن الحق وهم أهل البدع (فيتبعون ما تشابه) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق (منه ابتغاء الفتنة) طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب ان يؤولوه التأويل الذى يشتهونه (وما يعلم تأويله الا الله) أى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله

فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه وأبي بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل (والراسخون في العلم) أي الثابتون في العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سماهم الله راسخين في العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم في العلم هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم ونحن معتمدون في المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه فنه تفسير لا يسع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني ان تاويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يقول أنا من الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه أنا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون في القرآن شئ لا يعرفه أحد من الامة وفي المراد بالراسخين في العلم هنا قولان أحدهما انهم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والقول الثاني ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس (وما يذكر الا أولو الالباب) أي وما يتعظ بما في القرآن الا ذو والعقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا ۞ قوله عز وجل (ربنا لا تزغ قلوبنا) أي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا أي لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ (بعد اذ هديتنا) أي وفقتنا الى دينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) أي اعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (انك أنت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب في صفة الله تعالى انه تعالى يعطي كل أحد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكييف ولا لمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الامة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتأول بحسب ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد انه تحت قدرته وفي تصرفه لا انه حال في كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شئ ولا يفوته ما أراد منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين أصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهي أن الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات والله أعلم ۞ قوله عز وجل (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أي ليوم

قوله الا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يقولون آمنا به) وهو ثناء منه تعالى عليهم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقية ما أراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده قراءة أبي ويقول الراسخون وعبد الله ان تاويله الا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بان الراسخين في العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه أو بالكتاب (كل) من متشابهه ومحكمه (من عند ربنا) من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه (وما يذكر) وما يتعظ وأصله يتذكر (الا أولو الالباب) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل وقيل يقولون حال من الراسخين (ربنا لا تزغ قلوبنا) لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب (بعد اذ هديتنا) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه (وهب لنا من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت (انك أنت الوهاب) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أي قولوها وكذلك التي بعدها وهي (ربنا انك جامع الناس ليوم) أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم (لا ريب فيه) لا شك في وقوعه

القضاء وقيل اللام بمعنى في أي في يوم لا ريب فيه أي لا شك فيه انه كائن وهو يوم القيامة (ان الله لا يخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن أزغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد ﴿قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (لن تغني) أي لن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيا) أي من عذاب الله شيا وقيل من بمعنى عند أي عند الله شيا (وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) يعني لما جاءتهم بها الرسل (فأخذهم الله بذنوبهم) أي فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل في معنى الآية ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فأخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ﴿قوله عز وجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (الى جهنم) قيل أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستفزهم فاجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فأنزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون أي ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة الى جهنم (وبئس المهاد) أي الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم في النار ﴿قوله عز وجل (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفا على الذي قبله [٢] فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة قلت كل ما ليس بمؤنث حقيقي يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم

والكافرين من الدوائر المنقلب (ان الذين كفروا) برسول الله (لن تغني) تنفع أو تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذابه (شيا) من الاشياء (وأولئك هم وقود النار) حطبها (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغني أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك كداب بلا همز حيث كان ابو عمرو (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالا أي قد كذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أي جازيته عليه (والله شديد العقاب) شديد عقابه فالاضافة غير محضة (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يوم بدر (وتحشرون الى جهنم) من الجهنام وهي بئر عميقة وبالياء فيهما حمزة وعلي (وبئس المهاد) المستقر جهنم (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في فئتين التقتا) يوم بدر

[٢] قوله فيخرج على قول ابن عباس ليس بظاهر لان قولي ابن عباس في الآية التي قبل هذه انها في اليهود ولم يتقدم له قول انها في كفار قريش حتى يخرج هذا عليه اه مصححه

المؤنث فذكر الفعل وكل ماجاءمن هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ماأقول انكم ستغلبون في فئتين أي فرقتين وأصلها في الحرب لان بعضهم يفيء الى بعض أي يرجع التقتا يعني يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف ۞ وقوله تعالى (وأخرى كافرة) أي وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (يرونهم مثليهم) قرئ بالتاء يعني ترون أهل مكة ضعفي المسلمين يامعشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلي عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة أمثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو أن يكون الله تعالى أظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثاني هو الاصح قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين أو المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا في استقلال احداهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا في حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ماهم عليه ثم قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية أخرى عنه قال لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعني رأى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين في اعين المشركين في أول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثر الله المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى أن المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر أحوال في التكثير والتقليل وماذلك الا اظهار القدرة التامة وقوله تعالى (رأى العين) أي في رأي العين (والله يؤيد) أي يقوي (بنصره من يشاء ان في ذلك) يعني الذي ذكر من النصرة وقيل رؤية الجيش مثليهم (لعبرة) أي لآية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم (لاولي الابصار) لذوي العقول والبصائر ۞ قوله عز وجل (زين للناس) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق لجميع أفعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بان أعلم عباده زوالها ولان الله

تعالى

(فئة تقاتل في سبيل الله) وهم المؤمنون (وأخرى) وفئة أخرى (كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله اياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم ترونهم نافع أي ترون يامشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي انفسهم ولا يناقض هذا ماقال في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لانهم قللوا أولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما اجتمعوا كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة واظهار الآية ومثليهم نصب على الحال لانه من رؤية العين بدليل قوله (رأى العين) يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها (والله يؤيد بنصره من يشاء) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في أعين العدو (ان في ذلك) في تكثير القليل (لعبرة) لعظة (لاولي الابصار) لذوي البصائر (زين للناس) المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان

تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لها هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن أبي علي الجبائي من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه أهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له في ملكه ﴿ وقوله تعالى (حب الشهوات) يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشئ المشتهى (من النساء) انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولانهن حبائل الشيطان وأقرب الى الافتتان (والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمي قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود أو غير محدود على قولين أحدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن جبل ان القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وقال السدي هو أربعة آلاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدود وقال ربيع بن أنس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروي عن أبي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال أبو نصرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة أي المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة أو تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدأ بهما من بين سائر أصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض أي تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها أحد الا وجد في نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة أقوال القول الاول انها الراعية يقال أسمت الدابة وسومتها اذا أرسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها (والانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها (والحرث) يعني الزرع (ذلك) يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف (متاع الحياة الدنيا) أي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) أي المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى ﴿ قوله عز وجل (قل أؤنبئكم) أي أخبركم (بخير من ذلكم) يعني الذي ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار أراد أن يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى أخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا فشوقهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجري من تحتها

بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية (من النساء) والاماء داخلة فيها (والبنين) جمع ابن وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا أريد به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدون للدفاع (والقناطير) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور أو مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا (المقنطرة) المنضدة أو المدفونة (من الذهب والفضة) سمي ذهبا لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق والفض التفريق (والخيل) سميت بها لاختيالها في مشيها (المسومة) المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها (والانعام) هي الازواج الثمانية (والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحياة الدنيا) يتمتع بها في الدنيا (والله عنده حسن المآب) المرجع ثم زهدهم في الدنيا فقال (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) من الذي تقدم (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم فجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره (تجري من تحتها

الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقيل إن العبد إذا علم أن الله تعالى قد رضي عنه كان أتم لسروره وأعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعني أنه تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيبهم ويعطيهم الأجر الجزيل وقيل إنه تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعد لهم الجنات ۞ قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا إننا آمنا) أي صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) ۞ قوله عز وجل (الصابرين) يعني على أداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما أصابهم (والصادقين) يعني في أعمالهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والأفعال والنية فالصدق في القول هو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل إتمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه (والقانتين) يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعني أموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات (والمستغفرين بالأسحار) يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد طلمة الليل إلى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى إذا كان وقت السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فإذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وفي لفظ مسلم فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية أخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات قال أبو سليمان الخطابي إنما ينكر هذا الحديث من يقيس الأمور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذا صفة الأجسام فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالأسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين أنهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم أنهم يستغفرون بالأسحار وروي أن لقمان قال لابنه يا بني لا تكن أعجز من الديك فإنه يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول إنما سميت الصلاة استغفارا لأنهم طلبوا بفعلها المغفرة ۞ قوله عز وجل (شهد الله أنه لا إله إلا هو) قيل سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أحبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا فإنا نسألك عن شيء فإن أنت أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال اسألاني قالا فأخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية فأسلم الحبران وقيل إن هذه الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله وأظهر لأن معنى الشهادة تبيين وإظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه أعلم الله أنه لا إله إلا هو وذلك بيان

(الذين ...) ... ومن أزواج ... وتحصل التقوى لأنهم ... الشهوات ... أو ... لما ... من ... أن ... المستلذات ... (خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) أي رضا الله (والله بصير بالعباد) عالم بأعمالهم مجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد (ربنا إننا آمنا) إجابة لدعوتك (فاغفر لنا ذنوبنا) إنجازا لوعدك (وقنا عذاب النار) بفضلك (الصابرين) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (والصادقين) قولا بإخبار الحق وفعلا بإحكام العمل ونية بإمضاء العزم (والقانتين) الداعين أو المطيعين (والمنفقين) المتصدقين (والمستغفرين بالأسحار) المصلين أو طالبين المغفرة وخص الأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء ولأنه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وللإشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح (شهد الله) أي حكم أو قال (أنه) أي بأنه (لا إله إلا هو

[illegible] العزيز الحكيم (١٨) [illegible]

[illegible] الدالة [illegible] [illegible]

[illegible] أن لا [illegible]

[illegible] الأرض [illegible] شهد الله أنه لا إله إلا هو (والملائكة) أي وشهد الملائكة [illegible] بمعنى شهادة الله تعالى

الإخبار والإعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار والاعتراف بأنه لا إله إلا هو [illegible] كل واحد

من هذين الأمرين يسمى شهادة بمعنى إطلاق لفظ الشهادة عليهما (وأولوا العلم) أي وشهد أولو العلم أنه

لا إله إلا هو واختلفوا في أولي العلم فقيل هم الأنبياء عليهم السلام لأنهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار وقيل هم علماء مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله

ابن سلام وأصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح

ومعناه أنه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدبر له ومتعهد لأسبابه وفلان قائم بحق

فلان أي أنه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأرزاقهم ومجازيهم بأعمالهم (لا إله إلا هو) إنما كرره للتأكيد

وقيل إن الأول وصف وتوحيد والثاني رسم تعليم أي قولوا لا إله إلا هو وقيل فائدة تكرارها الإعلام بأن هذه

الكلمة أعظم الكلام وأشرفه فيستحب للعباد تكرارها والاشتغال بها فإنه من اشتغل بها فقد اشتغل

بأفضل العبادات (العزيز) أي الغالب الذي لا يقهر (الحكيم) يعني في جميع أفعاله (إن الدين عند الله

الإسلام) يعني أن الدين المرضي عند الله هو الإسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الإسلام دينا وفيه رد على

اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى أنه لا دين أفضل من

النصرانية فرد الله عليهم ذلك فقال إن الدين عند الله الإسلام وقرئ أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن الأولى

والمعنى شهد الله أنه لا إله إلا هو وشهد أن الدين عند الله الإسلام وأصل الدين في اللغة الجزاء يقال كما تدين

تدان ثم [illegible] الملة والشريعة ومعناه الانقياد والطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله

[illegible] الإسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة

وروى البغوي بسنده الثعلبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش

فكنت أختلف إليه فلما كانت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد

الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم قال الأعمش وأنا أشهد بما

شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة إن الدين عند الله الإسلام قالها مرارا قلت

لقد سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت إني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا أحدثك بها إلى

سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة فقال حدثني أبو

وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل إن لعبدي

هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة ۞ قوله عز وجل (وما اختلف الذين أوتوا

الكتاب) قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب

في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (إلا من بعد ما جاءهم العلم) يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع إن

موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من أحبار بني إسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف

يوشع بن نون فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين أوتوا

الكتاب وهم من أبناء أولئك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم العلم

يعني بيان ما في التوراة من الأحكام (بغيا بينهم) أي طلبا بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة

[illegible] الأرض [illegible] [illegible] [illegible] الأرض [illegible] [illegible] (لا إله إلا هو) [illegible] (العزيز الحكيم) رفع على الاستئناف أي هو العزيز [illegible] لهو [illegible] يعني أنه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن الحق (إن الدين عند الله الإسلام) جملة مستأنفة أن الدين على البدل من قوله أنه لا إله إلا هو أي شهد الله أن الدين عند الله الإسلام قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة ومن قال بعدها وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة إن لعبدي عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله (إلا من بعد ما جاءهم العلم) أنه الحق الذي لا محيد عنه (بغيا بينهم) أي ما كان ذلك الاختلاف إلا حسدا بينهم وطلبا منهم الرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق

لانه لا شبهة فى الاسلام وقيل هم اليهود واختلافهم فى توريتهم وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه السلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم فى أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله (ومن يكفر بآيات الله) بحججه ودلائله (فان الله سريع الحساب) سريع المجازاة (فان حاجوك) فان جادلوك فى ان دين الله الاسلام والمراد بهم وفد بنى نجران عند الجمهور (فقل أسلمت وجهى لله) أى أخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكا بان أعبده وأدعو الهامعه يعنى ان دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ فهو دفع المحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت أى أسلمت أنا ومن اتبعنى وحسن للفاصل ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والاعشى والبرجمى (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) بهمزتين كوفى يعنى انه قد أتاكم من البينات ما يقتضى حصول الاسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر أى أسلموا كقوله فهل انتم منتهون أى انتهوا (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى (وان تولوا فانما عليك البلاغ) أى لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى (والله بصير بالعباد) فيجازيهم على اسلامهم وكفرهم (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الانبياء (بغير حق) حال مؤكدة لان قتل النبى لا يكون حقا (ويقتلون الذين يأمرون) ويقاتلون حمزة (بالقسط) بالعدل (من الناس) أى سوى الانبياء قال عليه السلام قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا فى آخر النهار من ذلك اليوم (فبشرهم بعذاب أليم) دخلت الفاء فى خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم

وقيل نزلت فى نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعنى الانجيل واختلافهم كان فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى بان الله تعالى واحد أحد وأن عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعنى المعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ❁ قوله عز وجل (فان حاجوك) أى خاصموك يا محمد فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم بانه اتبع أمر الله الذى هم مقرون به بقوله (فقل أسلمت وجهى لله) أى انقدت له بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشئ فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل أى أخلصت عملى لله وقصدت بعبادتى الله (ومن اتبعن) يعنى ومن أسلم كما أسلمت أنا (وقل للذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والاميين) يعنى مشركى العرب (أأسلمتم) لفظه استفهام ومعناه أمر أى أسلموا (فان أسلموا فقد اهتدوا) يعنى الى الفوز والنجاة فى الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أتشهدون ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا قال الله تعالى (وان تولوا) أى أعرضوا (فانما عليك البلاغ) يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير بالعباد) يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن ❁ قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بآيات الله) يعنى يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) كان أنبياء بنى اسرائيل يأتيهم الوحى ولم يكن يأتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين بأحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط يعنى بالعدل من الناس روى البغوى بسند الثعلبى عن أبى عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى أن انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى كتابه وأنزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب أليم) انما دخلت الفاء فى قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه فى معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب أليم يوم القيامة وهذا محمول

على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان أسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (أولئك الذين حبطت) أي بطلت (أعمالهم في الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو أن لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة (ومالهم من ناصرين) يعني يمنعونهم من العذاب ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أنزلت في اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعني القرآن وذلك أن اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضا ان رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن أوفى وبحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهم الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) أي ليقضي بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فريق منهم) يعني الرؤساء والعلماء (وهم معرضون) يعني عن الحق وقيل الذي تولوا هم العلماء والذين أعرضوا هم الاتباع (ذلك بانهم) يعني ذلك التولي والاعراض انما حصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) تقدم تفسيره في سورة البقرة (وغرهم) أي وأطمعهم (في دينهم ما كانوا يفترون) أي يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل (فكيف اذا جمعناهم) أي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم (ليوم) أي في يوم (لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت) أي لا شك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل ان أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على

يعني من يكفر فبشرهم وهذا لان ان لا تغير معنى الابتداء فهي كالتحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع دخول الفاء (أولئك الذين حبطت أعمالهم) أي ضاعت (في الدنيا والآخرة) فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة (ومالهم من ناصرين) جمع لوفق رؤس الآي والا فالواحد النكرة في النفي يعم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا (٢٢٥) من الكتاب) يريد أحبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض أو للبيان (يدعون) حال من الذين (الى كتاب الله) أي التوراة أو القرآن (ليحكم بينهم) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم أو ليحكم النبي روى انه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت قال النبي عليه السلام على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فأبيا (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض دينهم (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) أي ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل وهي أربعون يوما أو سبعة أيام وذلك مبتدأ وبأنهم خبره (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) أي غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا الامدة يسيرة (فكيف اذا جمعناهم ليوم) فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت (لا ريب فيه) لا شك في كونه (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت (وهم) يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس (لا يظلمون) بزيادة في سيآتهم ونقصان في حسناتهم

(قل اللهم) الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم و بدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف و بقطع همزته في يا الله و بالتفخيم (مالك الملك) تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان أي يا مالك الملك (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) أي تنزعه فالملك الاول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي انه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك (وتعز من تشاء) بالملك (وتذل من تشاء) بنزعه منه (بيدك الخير) أي الخير والشر فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر ولان الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك (انك على كل شئ قدير) ولا يقدر على شئ أحد غيرك الا باقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية أو ملك القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من أمتي القانعون بالقوت يوما فيوما أو ملك قيام الليل وعن الشبلي الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكون أو بالقناعة وتذل باضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) فالايلاج ادخال الشئ في الشئ وهو مجازهنا أي تنقص من ساعات الليل وتزيد في النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد في الليل

سبأ نهم ۞ قوله عز وجل (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم في أمته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بني اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقيل ان الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أمنا بخير أي اقصدنا مالك الملك أي مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعي الملك أحد غيره وفي بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك اي جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتي الملك من تشاء) يعني النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة (وتنزع الملك ممن تشاء) يعني بذلك نزع النبوة من بني اسرائيل وايتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبي بعده ولم يشركه في نبوته ورسالته أحد وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعني من أبي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء يعني فارس والروم وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعني ابليس وجنوده الذين كانوا في الارض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعني اليهود بأخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعني محمدا وأصحابه دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعني أبا جهل واضرابه حين قتلوا وألقوا في قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) يعني النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذي أنكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم أعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافي أن يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه (انك على كل شئ قدير) يعني من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء ۞ قوله تعالى (تولج الليل في النهار) الآية لما ذكر الله تعالى أنه مالك الملك أردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفي ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل في النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو أن تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتولج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة

وقيل معناه ينقص من الليل ويزيد في النهار وينقص من النهار ويزيد في الليل فما نقص من أحدهما زاد في الآخر حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وبالعكس وقيل المراد أنه تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار عقيب ظلمة الليل والقول الأول أصح وأقرب إلى معنى الآية لأنه إذا نقص من الليل كان ذلك القدر زائدا في النهار وبالعكس وهو معنى الإيلاج (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) وهو أنه تعالى يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الإنسان وكذلك يخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذا الشجر والحيوان وقيل يخرج النبات الغض الأخضر من الحب اليابس ويخرج الحب من النواة وبالعكس وقيل معناه أنه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لأن المؤمن حي القلب والكافر ميته (وترزق من تشاء بغير حساب) يعني من غير تضييق ولا تقتير بل يبسط الرزق لمن يشاء ويوسعه عليه ﴿ قوله عز وجل (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الأحزاب يا رسول الله ان معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء يعني أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار أو يلاطفوهم لقرابة بينهم أو محبة أو معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان (ومن يفعل ذلك) يعني موالاة الكفار من نقل الأخبار إليهم وإظهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم (فليس من الله في شيء) أي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا أمر معقول من أن ولاية المولى معاداة أعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي إلا أن تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على إظهار إيمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم وقالوا إنما كانت التقية في جدة الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام والمسلمين فليس لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فقال سعيد ليس في الإسلام تقية إنما التقية في الحرب وقيل إنما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (ويحذركم الله نفسه) أي ويخوفكم الله أن تعصوه بأن ترتكبوا المنهي أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (وإلى الله المصير) يعني ان الله يحذركم عقابه إذا صرتم إليه في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (قل إن تخفوا ما في صدوركم) يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وإنما ذكر الصدر لأنه وعاء القلب (أو تبدوه)

(وتخرج الحي من الميت) الطير من البيضة أو المؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحي) البيضة من الطير أو الكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب) لا يعرف الخلق عدده ومقداره وإن كان معلوما عنده ثم ذكر [illegible] تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من (٢٧) عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد حيث كان مدني وكوفي غير أبي بكر (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو لصداقة قبل الإسلام أو غير ذلك وقد كرر ذلك في القرآن والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم في الإيمان (من دون المؤمنين) يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء لأن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان (إلا أن تتقوا منهم تقاة) إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أي إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد (وإلى الله المصير) أي مصيركم إليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله

(يعلمه الله) ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد (ويعلم ما في السموات وما في الأرض) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أي هو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيكون قادرا على عقوبتكم (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود والضمير في بينه اليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أي مسافة بعيدة أو باذكر ويقع ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود نعم الرفع جائز اذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الكثير وعن المبرد ان الرفع شاذ وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز أن يريد انه مع كونه محذرا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) محبة العبد لله ايثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الانس به وقيل هي اتباع النبي عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله الا ما خص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكر كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يحزن اذا أصيب ولا يفرح اذا أصاب ولا يخشى أحدا ولا يرجوه (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول) قيل هي علامة المحبة (فان تولوا) أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أي فان تتولوا (فان الله لا يحب الكافرين) أي لا يحبهم دخل

يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبدوه أي أظهروه بالحرب والمقاتلة له (يعلمه الله) أي يحفظه عليكم ويجازيكم به (ويعلم ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شئ في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم (والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شئ (وما عملت من سوء) أي تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء (تود) أي تتمنى (لو أن بينها وبينه) أي وبين ما عملت من السوء (أمدا بعيدا) أي مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه أمد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما كرره لتأكيد الوعيد (والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث أمهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه

۞ قوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فأنزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) يعني ان من غفر له فقد أزال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعني انه تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله عز وجل (قل أطيعوا الله والرسول) يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه كل أمر أو نهي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفرض ولزوم مجرى ما أمر الله به في كتابه أو نهى عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني وتعصوا محمدا فلن أقبل منكم (فان تولوا) أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لا يحب الكافرين) أي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني

(إن الله اصطفى آدم) أبا البشر (ونوحا) شيخ المرسلين (وآل إبراهيم) إسمعيل (٢٢٩) وإسحق وأولادهما (وآل عمران) موسى

دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني ﴿ قوله عز وجل (إن الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله هذه الآية والمعنى أن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام وأنتم يا معشر اليهود على غير دين الإسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم هو أبو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي سليمان الدمشقي أن اسم نوح السكن وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل إبراهيم) قيل أراد بآل إبراهيم إبراهيم نفسه وقيل آل إبراهيم إسمعيل وإسحق ويعقوب وذلك أن الله تعالى جعل إبراهيم أصلا لشعبين فجعل إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام أصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفاء وجعل إسحق أصلا لبني إسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولأمته النبوة والملك إلى يوم القيامة وقيل أراد بآل إبراهيم من كان على دينه (وآل عمران) واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون آل عمران موسى وهرون أو نفسه وقيل هو عمران بن أشيم بن أمون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل من نسلهم (على العالمين) أي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) أي اصطفى ذرية وأصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لأن الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وإنما سمي الآباء والأبناء ذرية لأن الله خلق بعضهم من بعض فالأبناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو ممن ذرأه الله تعالى أي خلقه (بعضها من بعض) أي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعني أن الله تعالى سميع لأقوال العباد عليم بنياتهم وإنما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا ﴿ قوله عز وجل (إذ قالت امرأت عمران) هي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن أشيم وليس بعمران أبي موسى لأن بينهما ألفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بني إسرائيل في ذلك الزمن وأحبارهم وملوكهم (رب إني نذرت لك ما في بطني محررا) أي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا محررا مني لك والنذر ما يوجبه الإنسان على نفسه والمعنى محررا أي عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا أشغله بشيء من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم إذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فإن أحب أقام فيها وإن أحب ذهب حيث شاء فإن اختار الخروج بعد أن اختار الإقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من أنبياء بني إسرائيل ومن علمائهم إلا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر إلا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والأذى فحررت أم مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره أصحاب السير والأخبار أن زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت إيشاع بنت فاقوذا وهي أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أختها إيشاع عند عمران وهي أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة إذ بصرت بطائر يطعم فرخا فحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم شديد من أجل ذلك فمات عمران قبل أن تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل مني) يعني فتقبل نذري والتقبل أخذ الشيء على الرضا وأصله من المقابلة لأنه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله إلا الطلب لرضا الله

وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان والعمرانان بينهما ألف وثمانمائة سنة (على العالمين) على عالمي زمانهم (ذرية) بدل من آل إبراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) مبتدأ وخبره في موضع النصب صفة الذرية يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهوذا ابن يعقوب ابن إسحق وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (إذ قالت) وإذ منصوب به أو بإضمار اذكر (امرأت عمران) هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم جدة عيسى وهي حنة بنت فاقوذا (رب إني نذرت لك) أوجبت (ما في بطني محررا) حال من ما وهي بمعنى التي أي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصا للعبادة يقال طين حر أي خالص (فتقبل مني) مدني وأبو عمرو والتقبل أخذ الشيء على الرضا

(انك أنت السميع العليم فلما وضعتها) الضمير لما فى بطنى وانما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة (قالت رب انى وضعتها أنثى) أنثى حال من الضمير فى وضعتها أى وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى وانما قالت هذا القول لان التحرير لم يكن الا للغلمان فاعتذرت بما نذرت وتحزنت الى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها أى والله أعلم بالشئ الذى وضعت وما علق به من عزائم الامور وضعت شامى وأبو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا فى القول وعلى الاول يوقف عند قوله أنثى وقوله والله أعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت لها والالام فيهما للعهد (وانى سميتها مريم) معطوف على انى وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان وانما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لان مريم فى لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وانى) مدنى (أعيذها بك) أجيرها (وذريتها) أولادها (من الشيطان الرجيم) الملعون فى الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها (فتقبلها ربها) قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) قيل القبول اسم ما يقبل به الشئ كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها أنثى فى ذلك أو بان تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى أختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبلها بذى قبول حسن أى بامر ذى قبول حسن وهو الاختصاص (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عيسى ما كان شجرته ثل عيسى فذاك أحسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر أو التقدير فنبتت نباتا

تعالى والاخلاص فى دعائه وعبادته (انك أنت السميع) يعنى لتضرعى ودعائى (العليم) يعنى بنيتى وما فى ضميرى ﴿ قوله عز وجل (فلما وضعتها) أى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو أن يكون غلاما (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتها أنثى) تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فى بطنها قبل أن تضعه (والله أعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى قال والله أعلم بالشئ الذى وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير أنها لما قالت رب انى وضعتها أنثى خافت أن تكون أخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت (وليس الذكر كالانثى) يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهبة الله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة الله تعالى وكانت مريم من أجل النساء وأفضلهن فى وقتها (وانى سميتها مريم) يعنى العابدة والخادمة وهو بلغتهم وأرادت بهذه التسمية أن يفضلها الله على اناث الدنيا (وانى أعيذها بك وذريتها) أى أمنعها وأجيرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة أم مريم لما فاتها ما كانت تطلب من أن يكون ولدها ذكرا فاذا هى أنثى تضرعت الى الله تعالى أن يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وأن يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخارى عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن فى الحجاب ﴿ قوله عز وجل (فتقبلها ربها بقبول حسن) يعنى ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل فى العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشئ قبولا اذا رضيته وقال أبو عمرو ليس فى المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم أسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو أن يرى الشئ ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعنى التقبل الذى بمعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا (وأنبتها نباتا حسنا) معناه وأنبتها فنبتت هى نباتا حسنا قال ابن عباس فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن أى سلك بها طريق السعداء وأنبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى اليوم ما ينبت المولود فى عام

(وكفلها) قبلها أو ضمن القيام بأمرها وكفلها كوفى أى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زكريا) بالقصر كوفى غير أبى بكر فى كل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا وغيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى دائم الذكر والتسبيح (كلما دخل عليها زكريا المحراب) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها الا هو وحده (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (ان الله يرزق من يشاء) من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هنالك) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب أو فى ذلك الوقت وقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولدها حنة فى الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية) ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع (طيبة) مباركة وانث لفظ الذرية

(وكفلها زكريا) قال أهل الاخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما تلى الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا أقلامهم فى الماء على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا أقلامهم التى كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت فى النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى أعلى وجرت أقلامهم مع جرى الماء الى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود وعليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها أم يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعنى الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعنى فاكهة فى غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال) يعنى زكريا (يا مريم أنى لك هذا) أى من أين لك هذه الفاكهة (قالت) يعنى مريم مجيبة لزكريا (هو من عند الله) يعنى من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهى صغيرة فى المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير فى المهد وقال محمد بن اسحق أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم فى وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها فى المحراب أنماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير سبب وفى هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على أن يأتى مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر أن يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه مع الكبر وطمع فى الولد وذلك ان أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعنى انه عليه السلام دخل محرابه وأغلق الابواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) يعنى انه قال يا رب اعطنى من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى

اجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (ان الله) بكسر الالف شامي وحمزة على اضمار القول أو لان النداء قول الباقون بالفتح اي بان الله (يبشرك) يبشرك وما بعده حمزة وعلي من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (بيحيى) هو غير منصرف ان كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا) حال منه (بكلمة من الله) اى مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة الله لان تكونه بكن بلا اب او مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه (وسيدا) هو الذي يسود قومه اى يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة وقال الجنيد هو الذي جاد بالكونين عوضا عن المكون (وحصورا) هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصر النفسه اى منعا لها من الشهوات (ونبيا من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من

والمراد بها الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) أي سامعه ومجيبه ﴿قوله عز وجل (فنادته الملائكة) يعني جبريل عليه السلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما له لأنه رئيس الملائكة وقل أن يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يازكريا (ان الله يبشرك بيحيى) أي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقيل لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعني عيسى بن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى أخبر الانبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان أم يحيى لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لام عيسى يامريم أشعرت انى حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيى يامريم اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى آمن بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شئ وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يابني سلمة قالوا اجد بن قيس على انا نبخله قال وأى داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه العفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو أليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وأيضا فان منصب النبوة يجل من أن يضاف الى أحد منهم نقص أو آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعني انه من أولاد الانبياء الصالحين ﴿قوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب) أي يارب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي أي ياسيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (أنى يكون لي غلام) يعني من أين يكون وكيف يكون لي غلام (وقد بلغني الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وأدركني الضعف فان قلت كيف أنكر

أصلاب الانبياء أو كائنا من جملة الصالحين (قال رب أنى يكون لي غلام) استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة زكريا لا تشكيك (وقد بلغني الكبر) كقولهم أدركته السن العالية أي أثر في الكبر وأضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون

زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به أكان شاكا في وعد الله أو في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من أي جهة يكون لي الولد أيكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز أن يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي وأجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فأما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتي عاقر) أي عقيم لا تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء ۞ قوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب اجعل لي آية) أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فازيد في العبادة والشكر لك (قال آيتك) أي علامتك على الذي طلبت معرفته (أن لا تكلم الناس) أي لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) أي مدة ثلاثة أيام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في أيام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من أعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشيء آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من أجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام (الا رمزا) يعني الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول أصح لموافقة أهل اللغة عليه (واذكر ربك كثيرا) وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة أمره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه (وسبح) أي وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشي والابكار) فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى ۞ قوله عز وجل (واذ قالت الملائكة) يعني جبريل عليه السلام (يا مريم ان الله اصطفاك) أي اختارك (وطهرك) يعني من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) أي واختارك (على نساء العالمين) أي عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني قلت ذكر العلماء في معناهما وجوها يتحصل منها الفرق فقيل في معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها أنثى ولم يجعل

بن الحبل لا تلقى النعمة بالشكر اذ لجئت (قال آيتك ألا تكلم الناس) أي لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام الا رمزا) الاشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب وأصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما أو هو استثناء منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) أي في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان مشتقا من السؤال والعشي من حين الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى (واذ) عطف على اذ قالت امرأة عمران أو التقدير واذكر اذ (قالت الملائكة يا مريم) روي انهم كلموها شفاها (ان الله اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك وربّاك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الافعال (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء

(يامريم اقنتي لربك) أديمي الطاعة أو أطيلي قيام الصلاة (واسجدي) وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) (٣٤) أي ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم (ذلك) اشارة الى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم (من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم) أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين أو هي الاقلام التي كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون (وما كنت لديهم اذ يختصمون) في شأنها تنافسا في التكفل بها (اذ قالت الملائكة) أي اذكر (يامريم ان الله يبشرك بكلمة) أي بعيسى (منه) في موضع جر صفة لكلمة (اسمه) مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر (المسيح) خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ أو لانه كان يمسح الارض بالسياحة لا يستوطن مكانا (عيسى) بدل من المسيح (ابن مريم) خبر مبتدأ محذوف أي هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه عن

ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب وأسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال أبو كريب وأشار وكيع الى السماء والارض قيل أراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نسائها ومعناه أنهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيي الدين النووي والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه (ق) عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام أفضل من المرق وثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذي ۞ قوله عز وجل (يامريم اقنتي لربك) أي قالت الملائكة لها شفاها أطيعي ربك وقيل معناه أطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه (واسجدي واركعي مع الراكعين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هي للجمع كأنه قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري أمرها أمرا عاما وحضها على فعل الخير فكأنه قال استعملي السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين أعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال أفضل وأتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة أي صلي مع المصلين في جماعة ۞ قوله عز وجل (ذلك من أنباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من أخبار الغيب (نوحيه اليك) أي نلقيه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم أخبار الامم الماضين الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعني يا محمد (لديهم) هنالك عندهم (اذ يلقون أقلامهم) يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لاجل الاقتراع (أيهم يكفل مريم) يعني يربيها ويقوم بمصالحها ٢ قيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان أبوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعني في كفالتها وتربيتها ۞ قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يامريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل ألقى الى فلان كلمة سرني بها أو أخبرني خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يامريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هذا قدر الله وقضاء الله يعني ان هذا الامر

٢ قوله قيل سبب منازعتهم الخ عليه قول ثالث وهو حصول الازمة لهم اه مصححه

عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام انما سمي كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما وجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى فلاجرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عائد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى وأما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذي يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق أو موضوع فقيل انه موضوع وأصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب وأصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى وأصله موشى أو ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الابرأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان فكأنه يمسح الارض أي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا أخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد ❁ وقوله تعالى (وجيها) أي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (في الدنيا والآخرة) أما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وأما وجاهته في الآخرة فبسبب علو رتبته عند الله وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعني عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم أعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس في المهد) يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل أوان الكلام ووقته والكلام الذي تكلم به هو ماذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وتكلم ببراءة أمه مما رماها به أهل الفرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا اخلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وأنا أسمع ولما تكلم ببراءة أمه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق (وكهلا) يعني ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة هو الذي اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي وخطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو في المهد ببراءة أمه وهي معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم أخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغيير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسين بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ٢ ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة (ومن الصالحين) يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم أوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعدما وصفه بالاوصاف العظيمة لان

(وجيها) ذا جاه وقدر (في الدنيا) بالنبوة والطاعة (والآخرة) بعلو الدرجة والشفاعة (ومن المقربين) برفعه الى السماء وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أي وثابتا من المقربين وكذا (ويكلم الناس) أي ومكلما الناس (في المهد) حال من الضمير في يكلم أي ثابتا في المهد وهو ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر (وكهلا) عطف عليه أي ويكلم الناس طفلا وكهلا أي ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء (ومن الصالحين) حال بضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات

٢ قوله ويقتل الدجال هذا لا يستفاد من نص عبارة الحسن اه مصححه

(قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى اذا أراد تكوين شئ كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله (٢٣٦) كن اخبارا عن سرعة تكوين الاشياء بتكوينه (و يعلمه) مدنى وعاصم وموضعه حال معطوفة

على وجيها الباقون بالنون على انه كلام مبتدا (الكتاب) أى الكتابة وكان أحسن الناس خطا فى زمانه وقيل كتب الله (والحكمة) بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان (والتوراة والانجيل ورسولا) أى ونجعله رسولا أو يكون فى موضع الحال أى وجيها فى الدنيا والآخرة ورسولا (الى بنى اسرائيل أنى) بأنى (قد جئتكم بآية من ربكم) بدلالة تدل على صدقى فيما أدعيه من النبوة (أنى أخلق لكم) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم انى نافع على الاستئناف (من الطين كهيئة الطير) أى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فانفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى (باذن الله) بامره قيل لم يخلق شيأ غير الخفاش (وأبرئ الاكمه) الذى ولد أعمى (والابرص وأحيي الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية

روى انه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون اليه فقالوا هذا سحر مبين فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا و يا فلان خبئ لك كذا وهو قوله ولبس

الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل فى جميع أقواله وأفعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات ﴿قوله عز وجل (قالت) يعنى مريم (رب) يعنى يا سيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل (أنى يكون لى ولد) أى من أين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) أى ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا فى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء و يصنع ما يريد وهو قوله (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى كما يريد (ونعلمه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة وأحكام الشرائع (والتوراة) يعنى التى أنزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى أنزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى اسرائيل) أى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان أول أنبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (انى قد جئتكم بآية من ربكم) يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا ما هذه الآية قال (انى أخلق) أى أصور وأقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته وأصلحته (فانفخ فيه) أى فى الطين المهيأ المصور (فيكون طيرا) قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما أنفخ فيه طائرا أو ما أخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من أكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان و يقال ان الانثى منه لها ثدى وتحيض ذكروا أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى أعمل هذا التصوير فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام (وأبرئ الاكمه والابرص) أى وأشفى الاكمه والابرص وأصححهما واختلفوا فى الاكمه فقال ابن عباس هو الذى ولد أعمى وقيل هو الاعمى وان كان أبصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين ألفا فمن أطاق أن يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (وأحيي الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه أخت عازر ان أخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام فاتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له وأما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (وأنبئكم) [illegible] (بما تأكلون)

[illegible] (وما تدخرون) [illegible] (في بيوتكم) [illegible]

[illegible] كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما أكل البارحة وما يأكل اليوم [illegible] وقيل كان في
الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك
كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا
صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هاهنا فقال
وما في هذا البيت فقالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل
فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في
المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا من طعام الجنة وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبؤوا ولا يدخروا لغد
فخانوا وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما أكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله
خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وهي اخباره عن المغيبات مع
ما تقدم من الآيات الباهرات من ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب
باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لأحد من البشر عليه الا الأنبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم
والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها
ويعتمد في أخباره عليها أما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها أو بواسطة
حساب الرمل أو نحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به وأما الكاهن فانه يستعين برئيه من الجن وقد يخطئ
أيضا في كثير مما يخبر به وأما أخبار الأنبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من
الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره
من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الأكمه والأبرص والاخبار عن الغيبيات (لآية لكم) أي لعبرة
ودلالة على صدق أني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل انه عطف
على قوله ورسولا وقيل انه عطف على أني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من
التوراة) وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق
بما أنزل الله من الكتب والشرائع والأحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة
(ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام
وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم أدعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لأحل
لكم بعض الذي حرم عليكم وأضع عنكم الآصار وذلك أن الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الأشياء
عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الجنايات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت
لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى أن جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت
عليهم وقال قتادة كان الذي جاءهم به عيسى ألين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى
لحوم الابل والثروب والشحوم وأشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم
وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من أحكام التوراة ورفع السبت ووضع الأحد وكان ذلك
كله بأمر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الأحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية
من ربكم) أي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعني يا معشر بني اسرائيل

(وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وما [illegible] الذي أو مستور به (ان في ذلك) مما سبق (لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة) أي قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم ما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك (وجئتكم بآية من ربكم) كرر للتأكيد (فاتقوا الله) في تكذيبي وخلافي

فيما أمركم به ونهاكم عنه (وأطيعون) يعني فيما أدعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما أدعوكم اليه هو قولي (ان الله ربي وربكم فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله ونصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم) يعني التوحيد ﴿قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم الكفر) أي وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله *(ذكر سبب القصة)* قال أهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بني اسرائيل وأمره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه وأخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم ما شأن زوجك أراه كئيبا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم أخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولي له لا يهتم لذلك فانا آمر ابني أن يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لا تبالي فانه قد أحسن الينا وأكرمنا فقال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابي خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من أرض أخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل أنا أخبرك ان عندي غلاما لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا ليدعونه ليستجيبن له في احياء ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي أليس أراه فقال عيسى ان أنا أحييته تتركني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد أكلنا هذا الملك حتى اذا دنا أجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فقاتلوه وظهر أمر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فاخذوا في أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعني عيسى عليه السلام (من أنصاري الى الله) أي مع الله وقيل معناه الى ان أبين أمر الله وأظهر دينه وقيل الى بمعنى في أي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لي (قال الحواريون نحن أنصار الله) وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال أفلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الماء فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا بأهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشئ بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى أعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحواريين وكانوا

(وأطيعون) في أمري (ان الله ربي وربكم) اقرار بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى (فاعبدوه) دوني (هذا صراط مستقيم) يؤدي صاحبه الى النعيم المقيم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (قال من أنصاري) مدني وهو جمع ناصر كاصحاب أو جمع نصير كاشراف (الى الله) يتعلق بمحذوف حال من الياء أي من أنصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه (قال الحواريون) حواري الرجل صفوته وخاصته (نحن أنصار الله) أعوان دينه

قصار بن وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وأنا خارج الى السفر ولا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فأريد ان تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله على ما أريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها قال وأين هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت علي الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى وأخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر وثوبا أسود حتى أخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال الناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من أثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا أصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير قال الحواريون نحن أنصار الله يعني أنصار دين الله ورسوله وأعوانه (آمنا بالله) أي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ (واشهد) يعني أنت يا عيسى (بأنا مسلمون) قيل معناه واشهد بأنا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمنا بما أنزلت) يعني قال الحواريون بعد اشهادعيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت يعني بكتابك الذي أنزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعني عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني الذين شهدوا للانبياء بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فاثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي أن يكون الشاهدون الذين سأل الحواريون أن يكونوا معهم لهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على أمته ۞ قوله عز وجل (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وأصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان أخرجه قومه هو وأمه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة وأظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة (ومكر الله) أي جازاهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين أرادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهودا ملك اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة ويقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها وألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا

(آمنا بالله واشهد) يا عيسى (بأنا مسلمون) انما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) أي رسولك عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم أو مع الذين يشهدون لك بالوحدانية أو مع أمة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس (ومكروا) أي كفار بني اسرائيل الذين أحس منهم الكفر حين أرادوا قتله وصلبه (ومكر الله) أي جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى الى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز اضافة المكر الى الله تعالى الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا في شرح التأويلات

وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لى ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذى فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذى دل عليه فقال أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذى ألقى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعنى ولم يصبنى الا خير وهذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم فى الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة فى الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعنى وهو أفضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدى ان اليهود حبست عيسى عليه السلام فى بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فألقى عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبى الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا قال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من أرض أورشلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله الى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين ۞ قوله عز وجل (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى) اختلفوا فى معنى التوفى هنا على طريقين فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا فى معناها وجوها الاول معناه انى قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وقبضته تاما والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثانى ان المراد بالتوفى النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية انى منيمك ورافعك الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفى حقيقة الموت قال ابن عباس معناه انى مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو فى قوله ورافعك الى لا تفيد الترتيب والآية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فأما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت فى الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال أبو بكر الواسطى معناه انى متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة فى زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفى أخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعنى روحه وبقى فى الارض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله انى متوفيك ورافعك الى فأخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثانى ان فى الآية تقديما وتأخيرا تقديره انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى الى الارض فى القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل فى الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن أبى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل

(والله خير الماكرين) أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (اذ قال الله) ظرف لمكر الله (ياعيسى انى متوفيك) أى مستوفى أجلك ومعناه أنى عاصمك من أن تقتلك الكفار ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (ورافعك الى) الى سمائى ومقر ملائكتى

فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد فى رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفى رواية كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفى رواية فأمكم منكم قال ابن أبى ذئب تدرى ما أمكم منكم قلت فأخبرنى قال فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفى أفراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هما كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبينه يعنى عيسى نبى وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل فى زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون أخرجه أبو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن فى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام قوله عز وجل (ومطهرك من الذين كفروا) يعنى مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعنى وجاعل الذين اتبعوك فى التوحيد وصدقوا قولك وهم أهل الاسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان أظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم أشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة (ثم الى مرجعكم) يعنى يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين فى الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى من الحق فى أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فأما الذين كفروا) يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغى من سائر اليهود والنصارى (فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى والذلة وأخذ الجزية منهم (والآخرة) أى وأعذبهم فى الآخرة بالنار (وما لهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من عذابنا (وأما الذين آمنوا) يعنى بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته (وعملوا الصالحات) يعنى عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم (فيوفيهم أجورهم) يعنى جزاء أعمالهم لا ينقص منه شئ (والله لا يحب الظالمين) أى لا يحب من ظلم غيره حقه أو وضع شيأ فى غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثنى عليهم بجميل ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذى ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (نتلوه عليك) أى نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما أضاف ما يتلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلا فاضافه اليه (من الآيات) يعنى من القرآن وقيل الآيات يعنى العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها أخبار لا يعلمها الا من يقرأ أو يكتب أو نبى يوحى اليه وأنت أمى لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحى السماوى الذى أنزل عليك (والذكر الحكيم) أى المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذى منه تنزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش ۞ قوله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية أجمع أهل التفسير ان هذه الآية نزلت

(ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان اذا استوفيته [illegible] مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن اذ الواو لا توجب الترتيب قال النبي عليه السلام ينزل عيسى خليفة على أمتى يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها أو متوفى نفسك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب (وجاعل الذين اتبعوك) أى المسلمين لانهم متبعوه فى أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فوق الذين كفروا) بك (الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفى أكثر الاحوال بها وبالسيف (ثم الى مرجعكم) فى الآخرة (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حفص (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ (نتلوه عليك) خبره (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (والذكر الحكيم) القرآن يعنى المحكم أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد بنى نجران هل رأيت ولدا بلا أب (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أى ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) قدره جسدا من طين وهى جملة مفسرة لحالة شبه عيسى

با دم ولا موضع لها اى خلق آدم من تراب ولم يكن له أب ولا أم فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من
الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن

في مباهلة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ماشأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلا أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انسانا قط من غير أب فأنزل الله تعالى ان مثل عيسى عند الله أي في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم في كونه خلقه من تراب من غير أب وأم ومعنى الآية أن صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم في كونه خلقه من تراب لا من أب وأم فمن أقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ في القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن في خلق آدم أعجب وأغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم في كونه خلقه من تراب أي قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) أي أنشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة وعلى هذا القول ذكروا في الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي أن يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق وأجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى أخبر بانه خلقه من تراب لا من ذكر وأنثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال اني أخبركم أيضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل أن يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال في الآية فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير أب ووجد آدم من غير أب ولا أم قلت هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير أب وأم أغرب في العادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وحكى ان بعض العلماء أسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيي الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما ❁ وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لامحالة (الحق من ربك) الذي أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) أي من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا أيها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ❁ قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) أي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعني بان عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أي هلموا والمراد منه المجيء وأصله من العلو بالرأي والعزم كما تقول تعال نتفكر هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أي يدع كل منا ومنكم أبناءه (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قيل أراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن

بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما (ثم قال له كن) أي أنشاه بشرا (فيكون) أي فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه (الحق من ربك) خبر مبتدا محذوف أي هو الحق (فلا تكن) أيها السامع (من الممترين) الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لانه عليه السلام معصوم من الامتراء (فمن حاجك) من النصارى (فيه) في عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذي (فقل تعالوا) هلموا والمراد المجيء بالعزم والرأي كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وأنفسكم) أي يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه عليه السلام لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب

والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أى لعنة الله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم فى أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان أبيتم الا الاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى تمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما رآهم أسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك فقال انى أنابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك فى كل سنة ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء فى المباهلة قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وافلاذ كبده وأحب الناس اليه لذلك ضمهم فى المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وألصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم فى الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق ومخالف انهم أجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها فى كتبهم ۞ قوله تعالى (ان هذا) يعنى الذى قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله (لهو القصص الحق) وأصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذى تتتابع فيه المعانى (وما من اله الا الله) انما دخلت من لتوكيد النفى والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفى جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له فى الالهية (وان الله لهو العزيز) أى الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعنى فى تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله عليم بالمفسدين) أى الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم ۞ قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد

فان أبيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فامنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا يا أبا القاسم رأينا ان لا نباهلك فصالحهم النبى على ألفى حلة كل سنة فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير وانما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لان ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق أو مخالف انهم أجابوا الى ذلك (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) منا ومنكم فى شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع (ان هذا) الذى قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) هو فصل بين اسم ان وخبرها أو مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لانه أقرب الى المبتدا منه وأصلها ان تدخل على المبتدا ومن فى (وما من اله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح فى لا اله الا الله فى افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز) فى الانتقام (الحكيم) فى تدبير الاحكام (فان تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا (فان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (قل يا أهل الكتاب) هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء) أى مستوية (بيننا وبينكم) لا يختلف فيها القرآن والتوراة

نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه دين الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا أي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء أي عدل لا تختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى أمر عدل نصف وهو أن لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع أحبارنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع أحدا في معصية الله (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عما أمرتهم به (فقولوا) أنتم لهؤلاء (اشهدوا بأنا مسلمون) أي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان أبا سفيان أخبره ان هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهو بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسيين و يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخاري وقد أخرجه باطول من هذا (٣) وفيه زيادة قوله اليريسيين وفي رواية الاريسين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله بن أريس رجل كان في الزمن الاول بعث الله نبيا فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى أتباع عبد الله بن أروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتجبرون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك ﴿ قوله عز وجل (يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة أنه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه وأخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف وسبعمائة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن

ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله وعن عدي ابن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع اعترف بأني أنا الغالب وسلم الي الغلبة (يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة

(٣) قوله وفيه زيادة قوله الخ غير ظاهر فان لفظ اليريسين الذي جعله زائدا هو المذكور في هذه الرواية والذي في شرح مسلم للنووي ان الرواية المشهورة الاريسيين وفيه الاريسين بفتح الهمزة وكسر الراء فيهما والاريسين بكسر الهمزة وتشديد الراء ثم قال وفي أول صحيح البخاري اليريسيين وفيه كلام آخر في تفسير هذه الكلمة منها انهم الملوك ولم يذكر أن الملوك تفسير المضموم الهمزة بل لم يذكر مضموم الهمزة وذكر أن اتباع ابن اريس اليهود والنصارى ولم يذكر ابن أروس وبهذا يعلم ما هنا وما هنالك اهـ مصححه

اسحق

اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الاسلام أيضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما وأجيب عنه بان الله عز وجل أخبر في القرآن بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (أفلا تعقلون) يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وهو موضع النداء يعني يا هؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى (حاججتم) أي جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم) يعني فيما وجدتم في كتبكم وأنزل عليكم بيانه في أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعني انه ليس في كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا (والله يعلم) يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم برأه الله عز وجل مما قالوا فيه وأعلمهم أن ابراهيم بريء من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعني مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو أحسن الاديان وأسهلها وأحبها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له ۞ قوله عز وجل (ان أولى الناس بابراهيم) يعني أخصهم به وأقربهم منه (للذين اتبعوه) يعني الذين كانوا في زمانه ومنواله واتبعوا شريعته (وهذا النبي) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعني هذه الامة الاسلامية (والله ولي المؤمنين) يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي أبي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين أخرجه الترمذي وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبي طالب واناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه أحد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر وألجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف [3] يرطمون بحزب الله وما أجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد

لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره (حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقاء وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم صلته ها أنتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدني وأبو عمرو (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه (وأنتم لا تعلمون) وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بانه بريء من دينهم فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كانه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح أو وما كان من المشركين كما لم يكن منهم (ان أولى الناس بابراهيم) ان أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب (للذين اتبعوه) في زمانه وبعده (وهذا النبي) خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام (والذين آمنوا) من أمته (والله ولي المؤمنين) ناصرهم

[3] قوله يرطمون الذي في كتب اللغة ان الرطانة في الكلام بالاعجمية وهذا ليس منه فلم يكن لهذه اللفظة معنى يفهم على الحقيقة اه مصححه

الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التى رضيها الله وهى السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشى ان ذلك حق وانه فى التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله تعالى قال جعفر أنا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانما أحب ان أجيب عن أصحابى فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشى سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا قد أبقنا من أربابنا فردنا عليهم فقال النجاشى أعبيد هم أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشى نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو ولا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشى ان كان قنطارا فعلى قضاؤه فقال عمرو ولا ولا قيراط فقال النجاشى فما تطلبون منهم قال كنا واياهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشى وما هذا الدين الذى كنتم عليه والدين الذى اتبعوه فقال جعفر أما الدين الذى كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذى تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشى يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشى بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشى أنشدكم الله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بى فقال النجاشى لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ على مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشى وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو أن يغضب النجاشى فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشى فما تقولون فى عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشى من سواكه قدر ما يقذى العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضى يقول آمنون من سبكم أو آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشى ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذى جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشى على عمرو وصاحبه المال الذى جاءوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكنى ولم يأخذ منى رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا فى خير جوار وأنزل الله عز وجل فى ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خصومتهم فى ابراهيم وهو فى المدينة ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ۞ قوله تعالى (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت فى معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة أى تمنت جماعة من أهل الكتاب يعنى اليهود لو يضلونكم يعنى عن دينكم ويردونكم الى الكفر (وما يضلون الا أنفسهم) لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين (وما يشعرون) يعنى ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمنى اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم (يا أهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفرون بآيات الله) يعنى القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة فى التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وأنتم تشهدون) يعنى ان نعته وصفته مذكور فى التوراة والانجيل وذلك ان أحبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض أظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون

(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا أنفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم (وما يشعرون) بذلك (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها (وأنتم تشهدون) تعترفون بانها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته فى الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون انها حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون

الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور وقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون الحرف الذي كتبوه بأيديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وأنه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس (وتكتمون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وانتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وأنتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب ﴿ قوله عز وجل (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم أهل الكتاب وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد في أمر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه الآية و وجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شئ لانه أول ما يواجه منه وانشدوا في معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

﴿ وقوله (لعلهم يرجعون) يعني عنه أي انا ألقينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف ﴿ قوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم التي أنتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم أي ردفكم (قل ان الهدى هدى الله) أي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم أصح دينا منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في أثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي أنتم عليه انما صار دينا بحكم الله وأمره فاذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي هدى اليه وأمر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله (ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وتكون ان بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى (أو يحاجوكم عند ربكم) يعني الا أن يحاجوكم أي اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم وقيل أو في قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحدا مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ

(وأنتم تعلمون) أنه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب) فيما بينهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أي القرآن (وجه النهار) ظرف أي أوله يعني أظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار (واكفروا آخره) واكفروا به في آخره (لعلهم يرجعون) لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله) ولا تؤمنوا متعلق بقوله (ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى أسلم أو ثبت على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله

(وان الهدى هدى الله [illegible] الذى [illegible] دينكم ولا تؤمنوا [illegible]
[illegible] وهو [illegible] الا ان يؤتى [illegible] كما ارى عندهم [illegible]
[illegible] (قل) [illegible] آخر [illegible] ان يؤتى احد

ما أوتيتم من العلم والكتاب
[illegible] كم الى [illegible]
[illegible]
آت [illegible]
الا [illegible]
من الكتاب [illegible]
[illegible]
[illegible] ما أوتيتم
لان يؤتى احد مثل ما أوتيتم
ولا [illegible] عندكم [illegible]
من يحاجكم عند ربكم
(والله واسع) اى واسع
الرحمة (عليم) بالمصلحة
(يختص برحمته) بالنبوة
او الاسلام (من يشاء والله
ذو الفضل العظيم ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه
بقنطار يؤده اليك) هو عبد
الله بن سلام استودعه رجل
من قريش ألفا ومائتي اوقية
ذهبا فاداه اليه (ومنهم من
ان تأمنه بدينار لا يؤده
اليك) هو فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش
دينارا فجحده وخانه وقيل
المأمونون على الكثير
النصارى لغلبة الامانة عليهم
والخائنون في القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم (الا
ما دمت عليه قائما) الا مدة
دوامك عليه يا صاحب الحق
قائما على رأسه ملازما له
يؤده ولا يؤده بكسر الهاء
مشبعة مكي وشامي ونافع
وعلي وحفص واختلس
ابو عمرو وفي رواية غيرهم بسكون الهاء (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لا يؤده (بانهم قالوا ليس علينا في الاميين يعني
سبيل) اى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى لا يتطرق علينا اثم وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من
اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم

[illegible] فى الكلام اختصار تقديره أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة
[illegible] بعد [illegible] فلا [illegible] قل يا محمد ان الهدى هدى
الله [illegible] كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء [illegible] ويحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين [illegible]
[illegible] أحدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر [illegible] قل يا محمد ان الهدى
هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية [illegible]
ما أوتيتم يا معشر المؤمنين فانه حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله
ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى
ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عز وجل
لا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا
تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا
وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعني قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام (بيد الله)
اى انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء) يعني الفضل الذى هو دين
الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب اليهود في قولهم ان يؤتى أحد
مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأصل
الفضل في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير (والله
واسع) اى ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) اى بمن يتفضل عليه وهو اهل الفضل (يختص برحمته)
يعني بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعني من خلقه وفيه دليل على
ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص والفاعل
أن يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم) قوله عز وجل (ومن اهل الكتاب
من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) الآية نزلت في اليهود أخبر الله
عز وجل ان فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن
المال القليل يقول منهم من يؤدي الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وان
قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس في هذه الآية أودع رجل من
قريش عبد الله بن سلام ألفا ومائتي اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان
تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل
من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لان
مذهبهم انه يحل قتل من خالفهم في الدين وأخذ ماله بأي طريق كان (الا ما دمت عليه قائما) قال ابن عباس
يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما
على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل اراد انه ان أودعته شيأ
ثم استرجعته منه في الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان أخرت استرجاع ما أودعته أنكره ولم يرده
عليك (ذلك) اى سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعني اليهود (ليس علينا في الاميين سبيل)

يعني انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج في أخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا في أخذها منهم باي طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعني اليهود (وهم يعلمون) يعني انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) اي ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفي ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من أوفى اي ولكن (من اوفى بعهده) اي بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي أنزل عليه وباداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة الى الموفي (واتقى) يعني الكفر والخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعني الذين يتقون الشرك (ق) عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي رواية اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية في أحبار اليهود ورؤسائهم ابي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن أخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التي كانوا يأخذونها من أتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا انه ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت في الاشعث ابن قيس وخصم له (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وأخرجه الترمذي وأبو داود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الآية في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها مالم يعطه (خ) عن عبد الله بن ابي اوفى ان رجلا أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وأيمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيأ يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشتري يأخذ شيأ أو يعطي شيأ فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لا خلاق لهم في الآخرة) أي

في كتابنا حرم وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا (٢٤٩) حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم

وجدوا ذلك في كتابهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك في كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون (بلى) اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من أوفى بعهده واتقى) جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده يرجع الى الله تعالى اي كل من أوفى بعهد الله واتقاه (فان الله يحب المتقين) اي يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء قيل نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي أهل الكتاب ويجوز أن يرجع الضمير الى من اوفى اي كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود وأخذ الرشوة على ذلك (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب

لاتصيب لهم في الآخرة ونعيمها او جميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعني كلاما يسرهم به أو ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) أي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) أي ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يداك (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللنسائي المنان بما أعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن أبي أمامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يا رسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك ﴿ قوله عز وجل (وان منهم) يعني من اليهود (لفريقا) يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (يلوون) أي يعطفون ويميلون وأصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها (ألسنتهم بالكتاب) يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدي ويحتمل أن يكون المعنى يلوون بألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا (لتحسبوه من الكتاب) يعني لتظنوا أن الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي أنزله الله على أنبيائه (وما هو من الكتاب) يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعني انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس فيه ﴿ قوله عز وجل (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام أن يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أن يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك ان أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله هذه الآية ما كان لبشر أي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع أن يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على

(ولا يكلمهم الله) بما يسرهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) نظر رحمة (ولا يزكيهم) ولا يثني عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم (وان منهم) من أهل الكتاب (لفريقا) هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف واللي الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والضمير في (لتحسبوه) يرجع الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (من الكتاب) أي التوراة (وما هو من الكتاب) وليس هو من التوراة (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم (وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهي السنة أو فصل القضاء (والنبوة ثم يقول) عطف على يؤتيه (للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني

حسب مذهب العرب فى جواز الاضمار اذا كان فى الكلام ما يدل عليه واختلفوا فى معنى الربانى فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الربانى الذى يرب الناس بصغار العلم وكباره وقيل الربانى العالم الذى يعمل بعلمه وقيل الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى وقيل الربانى الذى جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضى الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات ربانى هذه الامة قال سيبويه الربانى المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه الدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذى يرب العلم ويرب الناس أى يعلمهم ويصلحهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الربانى منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الربانى مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا أدعوكم الى أن تكونوا عبادا لى ولكن ادعوكم الى أن تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة أحسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هى عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرانية فهى تدل على الذى علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير ۞ وقوله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم او الدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه ۞ قوله عز وجل (ولا يأمركم) قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار أن أى ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء (ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) يعنى كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) انما قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا ولا يفعله ۞ قوله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر فى أقاصيصك اذ أخذ الله وقال الطبرى معناه واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله يعنى حين أخذ الله ميثاق النبيين وأصل الميثاق فى اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا فى معنى أخذ الميثاق وجهين أحدهما انه مأخوذ من الانبياء والثانى انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فذهب قوم الى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبى ان يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان أدركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان أدركوه فأخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الميثاق من النبيين فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول على وابن عباس وقتادة والسدى فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبيين وانما أطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب والنبيون منا وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع

هذه الامة يعنى الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الربانى العالم العامل (بما كنتم تعلمون الكتاب) كوفى وشامى أى غيركم غيرهم بالتخفيف (وبما كنتم تدرسون) أى تقرؤن والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير (ولا يأمركم) بالنصب عطفا على ثم يقول وجهه أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بى وبالرفع حجازى وأبو عمرو وعلى على ابتداء الكلام والهمزة فى (أيأمركم بالكفر) للانكار والضمير فى لا يأمركم وأيأمركم للبشر أو لله وقوله (بعد اذ أنتم مسلمون) يدل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك

أو المراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف وهو الأمم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز أن تكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به (ثم جاءكم) معطوف على الصلة والعائد منه الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به (رسول مصدق لما معكم) الكتاب الذي معكم (لتؤمنن به) بالرسول (ولتنصرنه) أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما آتيتكم حمزة وما بمعنى الذي أو مصدرية أي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل أي أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتينا كم مدني (قال) أي الله (أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري) أي قبلتم عهدي وسمي اصرا لانه مما يؤصر أي يشد ويعقد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا معكم على ذلك من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الايمان بالنبي الجائي (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفار (أفغير دين الله يبغون) دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين

الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين ﴿ وقوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقك لتفعلن لان أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه ﴿ وقوله (ثم جاءكم رسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها أحواله فاذا جاءت صفاته وأحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام قوله (لتؤمنن به) لام القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال البغوي قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح أخذ عليهم الميثاق في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري الآية وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا أخبرهم بعد ذلك ان الله أمر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرر هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق (قال أأقررتم) يعني قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا ان أخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصر له وان فسرنا بان أخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى أضاف أخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون أخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار وأضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتأكيده على الامم وطالبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالاشهاد (وأخذتم على ذلكم اصري) أي عهدي والاصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر أي يشد ويعقد (قالوا أقررنا) أي قال النبيون أقررنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا) يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني أنتم على أنفسكم وقيل على أممكم وأتباعكم الذين أخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان أصل الشهادة العلم والبيان (وأنا معكم من الشاهدين) يعني قال الله يا معشر الانبياء وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أتباعكم أو قال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم (فمن تولى) أي أعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فاولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن الايمان والطاعة ﴿ قوله عز وجل (أفغير دين الله يبغون) وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فانزل الله أفغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعني أفبعد أخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر أي أفغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم

الله على فعله لانه اعلم بمن يحتيث ... الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجها الى المعبود بالباطل (وله اسلم من في السموات والارض)
الانس والجن (طوعا) بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق
فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال اى طائعين ومكرهين (واليه ترجعون)
فيجازيكم على الاعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء في الثاني وفتح الجيم ابو عمرو لان الباغين هم المتولون
والراجعون جميع الناس
وبالتاء فيهما وفتح الجيم
غيرهما (قل آمنا بالله وما
انزل علينا) امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يخبر
عن نفسه وعمن معه بالايمان
فلذا وحد الضمير في قل
وجمع في آمنا او امر بأن
يتكلم عن نفسه كما يتكلم
الملوك اجلالا من الله لقدر
نبيه وعدى انزل هنا بحرف
الاستعلاء وفي البقرة بحرف
الانتهاء لوجود المعنيين اذ
الوحي ينزل من فوق وينتهي
الى الرسول فجاء تارة باحد
المعنيين واخرى بالآخر
وقال صاحب اللباب الخطاب
في البقرة للامة لقوله قولوا
فلم يصح الا الى لان الكتب
منتهية الى الانبياء والى
أمتهم جميعا وهنا قال قل
وهو خطاب للنبي عليه
السلام دون امته فكان
اللائق به على لان الكتب
منزلة عليه لا شركة للامة فيه
وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا
بالذي انزل على الذين آمنوا
(وما انزل على ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط) اولاد يعقوب
وكان فيهم انبياء (وما اوتي
موسى وعيسى والنبيون)
كرر في البقرة وما اوتي موسى
ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الايتاء حيث قال لما آتيتكم (من ربهم) من عند ربهم (لا نفرق بين احد منهم) في الايمان كما فعلت اليهود
والنصارى (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا (ومن يبتغ غير الاسلام) يعني التوحيد واسلام
الوجه لله أو غير دين محمد عليه السلام (دينا) تمييز (فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط
أسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) والواو في

الفاسقون (وله أسلم) أي خضع وانقاد (من في السموات والارض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع
بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة وإباء من النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل أسلم أهل
السموات طوعا وأسلم بعض أهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل أسلم المؤمن
طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم أخذ الميثاق حين قال ألست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة
قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل أسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة
والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى
الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما أمره أو نهاه عنه طوعا وأما الكافر فينقاد لله كرها في
جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (واليه ترجعون) قرئ بالتاء والياء والمعنى ان مرجع
الخلق كلهم الى الله يوم القيامة فيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا ۞ قوله عز وجل (قل آمنا بالله) لما ذكر
الله عز وجل في الآية المتقدمة أخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم بين
في هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير
في قوله قل وجمع في قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا
التكاليف من الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه أصحابه
فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما
قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل (وما أنزل علينا) يعني وقل يا محمد وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه
وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه أشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل (وما أنزل
على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر
لان أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا
أنبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (والنبيون) أي وما أوتي النبيون (من ربهم لا نفرق بين أحد منهم)
وذلك ان أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن أمته انه يؤمن بجميع الانبياء فان قلت لم عدي أنزل في هذه الآية بحرف
الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق
وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر (ونحن له مسلمون) أي موحدون
مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا ۞ قوله عز وجل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه) يعني ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح
ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه (وهو في الآخرة من الخاسرين) يعني الذين وقعوا في الخسار
وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على
الناس حج البيت فلم يحجوا ۞ قوله عز وجل (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) نزلت في اثني عشر
رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصاري وطعمة بن
أبيرق وحجوج بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي

صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله وأين يوفق للإيمان قوما كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم أي تصديقهم إياه وإقرارهم به وبما جاءهم من عند ربه (وشهدوا أن الرسول حق) يعني وبعد أن أقروا وشهدوا أن محمدا رسول الله إلى خلقه وأنه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها ثبتت النبوة (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم إلى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة إلى الجنة والثواب فإن قلت كيف قال في أول الآية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في آخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لأن قوله كيف يهدي الله قوما كفروا إنما هو مختص بأولئك المرتدين عن الإسلام ثم إنه تعالى عمم ذلك الحكم في آخر الآية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الإسلام والكافر الأصلي وإنما سمي الكافر ظالما لأنه وضع العبادة في غير موضعها (أولئك جزاؤهم) يعني الذين كفروا بعد إيمانهم (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها) أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحرث بن سويد الأنصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن إسلامه (وأصلحوا) أي وضموا إلى التوبة الأعمال الصالحة فبين أن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف إليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات (فإن الله غفور رحيم) أي غفور لقبائحهم في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل غفور بإزالة العذاب رحيم بإعطاء الثواب ❁ قوله عز وجل (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد إيمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد إقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني بإقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في أحد عشر رجلا من أصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الإسلام فلما رجع الحرث إلى الإسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فإن قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لأن الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن فإن الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال إن اليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس إنهم الذين ارتدوا وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فإن توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم أي

(وشهدوا أن الرسول حق) الحال ... وقد شهدوا أن الرسول أي محمدا حق أو العطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا (وجاءهم البينات) أي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي ما داموا مختارين الكفر أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفارا (أولئك) مبتدأ (جزاؤهم) مبتدأ ثان خبره (أن عليهم لعنة الله) وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك (والملائكة والناس أجمعين خالدين) حال من الهاء والميم في عليهم (فيها) في اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح (فإن الله غفور) لكفرهم (رحيم) بهم ونزل في اليهود (إن الذين كفروا) بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت أو نزل في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون (لن تقبل توبتهم) أي إيمانهم عند البأس لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا

ثم ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى لما وعد أن يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم علم أن المعنى الذى لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذى تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذى لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى (وأولئك هم الضالون) يعنى هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطؤا مناهجه ❁ قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحرث بن سويد حيا فى الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة فى جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا) أى قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك وكذلك لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد فى التغليظ لانه تصريح بنفى القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيأ فى الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن الكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله فى تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شئ من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق فى الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (أولئك) اشارة الى من مات على الكفر (لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما فى الارض من شئ أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيأ فأبيت الا الشرك لفظ مسلم ❁ قوله عز وجل (لن تنالوا البر) قال ابن عباس يعنى الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع فى فعل الخير يقال بر العبد ربه أى توسع فى طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل فى الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا أبرارا وتدخلوا فى زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدى الى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعنى من جيد أموالكم وأنفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو أن تنفق من مالك ما أنت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبى هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أى الصدقة أفضل قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ٣ ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا فى هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة أموالكم وعلى هذا القول قيل ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب فى اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شئ أنفقه المسلم من ماله مما يبتغى به وجه الله و يطلب ثوابه حتى التمرة فانه

بنى على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر ونزلة الفاء فيما تقدم يشعر بان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب (ذهبا) تمييز (ولو افتدى به) أى فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك فبل الواو لتأكيد النفى (أولئك لهم عذاب أليم) مؤلم (وما لهم من ناصرين) معينين دافعين للعذاب (لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر أو لن تكونوا أبرارا أو لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التى تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله مما يحبه ولو تمرة فهو داخل فى هذه الآية قال الواسطى الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلى عن الكونين وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا برى بكم الا ببركم باخوانكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يشترى اعدال السكر

٣ قوله ولا تمهل فى بعض النسخ ولا تهمل وقوله بعد الا وقد كان ليس آخر الحديث فانه مذكور فى غير هذا المحل وقد كان لفلان كذا اه مصححه

يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالي الى بيرحاء وانها صدقة لله عز و جل أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح أو قال ذلك مال رابح أرى أن تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للمبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح أي ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه و بيرحا اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابي طلحة وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فلما جاءت أعجبته فقال عمر ان الله عز و جل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما أعطاني الله تعالى فما كان شيء أحب الى من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا اني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة ابن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما أردت أن أتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كأن زيدا وجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال أما ان الله قد قبلها وروى ان أبا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم أوضع في حفرتي وقوله تعالى (وما تنفقوا من شيء) يعني من أي شيء كان من طيب تحبونه أو من خبيث تكرهونه (فان الله به عليم) أي يعلمه و يجازيكم به ۞ قوله عز وجل (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل والبانها وأنت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فأنزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعني ليس الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فانكر اليهود ذلك فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود أنكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم وأخبر أن كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده فقد حصل النسخ و بطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فألزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها و بطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه

ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها قال لان السكر أحب الي فاردت أن أنفق مما أحب (وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم) أي هو عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الاولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أي من أي شيء كان الانفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبي عليه السلام انك تدعى انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وألبانها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن نحله فقالت اليهود انها لم تزل محرمة في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم (كل الطعام) أي المطعومات التي فيها النزاع فان منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم (كان حلا لبني اسرائيل) أي حلالا وهو مصدر يقال حل الشيء حلا واذا استوى في صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم (الا ما حرم اسرائيل) أي يعقوب (على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) و بالتخفيف مكي و بصري وهو لحوم الابل وألبانها وكانا أحب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل وألبانها لتحريم اسرائيل ذلك على نفسه

صلى الله عليه وسلم كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما أخبر أن ذلك ليس في التوراة علم أن الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل أنواع الطعام أو سائر المطعومات كان حلاً أي حلالاً لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل وألبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم اخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روى عن الضحاك أن يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثنى عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح أحدهم وفي رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال أما اني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان أتيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجاً فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فأتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في آخرين أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان يعقوب رجلاً بطاشاً قوياً فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقاء أي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقاً ولا طعاماً فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له الاطباء أن يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبداً لله تعالى وسأل ربه أن يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراماً على بني اسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل أنواع الطعام حلالاً لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراماً عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا يأكله ولدي ولم يكن ذلك محرماً عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى أن قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً أو صب عليهم رجزاً وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على انفسهم اتباعاً لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فأتوا بالتوراة) يعني قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة (فاتلوها) اي فاقرؤها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعني فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى (فمن افترى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فري الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود (من بعد ذلك) اي من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرماً قبله

(قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) أمر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه ان ذلك كان محرماً في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام (من بعد ذلك) من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة

(فأولئك هم الظالمون) أي هم المستحقون للعذاب لأن كفرهم ظلم منهم لأنفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما نعى عليهم مما نطق به القرآن من تحريم مساويهم التي كانوا يرتكبونها (قل صدق الله) يعني قل صدق الله يا محمد فيما أخبر أن ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في ان سائر الاطعمة كانت محللة على بني اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما أنزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) أي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) أي لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه * قوله عز وجل (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فأنزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم اكذبهم الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة فذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقوله ان أول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه شيء آخر أو لم يحصل والمعنى ان أول بيت وضع للناس أي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج والطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف أضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي وأضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله وأما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان أحدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله ابن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه اذا مص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب أي تزيلها وسميت مكة أم رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها أو لان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت أم القرى لانها أصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء في كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين أحدهما انه أول في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارضين وفي رواية عنه أن الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بألفي عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو أول بيت بني على الارض وروي عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين في الارض أن يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت ٢ واسمه الضراح

وفيه تعريض بكذبهم أي ثبت ان الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهي ملة الاسلام التي عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لابراهيم ولمن تبعه (حنيفا) حال من ابراهيم أي مائلا عن الاديان الباطلة (وما كان من المشركين) ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (ان أول بيت وضع للناس) والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان أول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة وقيل أول من بناه ابراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الارض وقوله وضع للناس في موضع جر صفة لبيت والخبر (للذي ببكة) أي للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها

وأمر

٢ قوله واسمه الضراح الذي في القاموس ان الضراح البيت المعمور في السماء الرابعة اهـ مصححه

بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله (مباركا) كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره من الثواب وتكفير السيئات (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ومباركا وهدى حالان من الضمير فى وضع (فيه آيات بينات) علامات واضحات لا تلتبس على أحد (مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد أو لاشتماله على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على أن (ومن دخله كان آمنا) عطف بيان لآيات وان كان جملة ابتدائية أو شرطية من حيث المعنى لانه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والاثنان فى معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الاحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه فى طى الذكر قوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوى وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على انه لم يكن من شأنه ان يذكر شيأ من الدنيا فذكر شيأ هو من الدين وقيل فى سبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه وأمان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل فى الحل بقود أو ردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل أمنا من النار لقوله عليه السلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت

وأمر من فى الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وقال ابن عباس هو أول بيت بناه آدم فى الارض قيل ان آدم لما أهبط الى الارض استوحش وشكا الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقى ذلك البناء الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقى موضع البيت أكمة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فأمره ببنائه القول الثانى ان المراد من الاولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى أن رجلا قام الى على بن أبى طالب فقال ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع فى الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس يحج اليه وأول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل زاد البخارى فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعنى ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهى فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وهدى للعالمين) يعنى انه قبلة المؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التى لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه أو حجه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته ۞ قوله تعالى (فيه آيات بينات) أى فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا فى تفسير تلك الآيات فقيل هى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهى ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة فى الهواء بل ينحرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا تؤذى بعضها فى الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة بتومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا أهلكه الله كما أهلك أصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التى فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التى فيه كلها من الآيات ومنها ان الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والبانى هو ابراهيم الخليل والمساعد فى بنيانه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت ۞ قوله تعالى (مقام ابراهيم) يعنى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمى ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدى (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت

الآيات التي ذكر وقصد بقوله ان أول بيت وضع للناس هو حرمه في جميع الحرم عند أثر ان المراد به ومن
دخله كان آمنا يعني الحرم وذلك ببركة دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعني من أن
يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم أمن من القتل
والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا
ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فأمنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب أبو حنيفة
الى أن من وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا فالتجأ الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص أو الحد في
الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج
الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه في الحرم وأجمعوا على
انه لو قتل في الحرم أو سرق أو زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الآية ومن دخله
معظما له متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب
التي اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) أي ولله على الناس فرض حج البيت والحج
أحد أركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن
لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى الله عليه وسلم
الحج من أركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من
أهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

(فصل) في فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول بيت
وضع للناس مباركا يصلي فيه الكعبة قلت ثم أي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته
خطايا بني آدم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر
والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة
طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمرو
موقوفا (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد
الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن أبي سعيد الخدري ان النبي عليه السلام قال لا تشد
الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن أبي هريرة قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله
فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه (ق) عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة
وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث
ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد
والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا وقال الترمذي

سببهم بعيثة التيهم
(ولله على الناس حج البيت)
أي ولله على الناس فرض
الحج حج البيت كسر الحاء أبي
بكر وهو اسم وبالفتح مصدر
وقيل هما لغتان في مصدر
حج (من) في موضع جر على
انه بدل البعض من الكل
(استطاع اليه سبيلا)
فسرها النبي عليه السلام
بالزاد والراحلة والضمير
في اليه للبيت أو للحج وكل
ما أتى الى الشيء فهو سبيل
اليه ولما نزل قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت
جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم أهل الاديان كلهم
فخطبهم فقال ان الله تعالى
كتب عليكم الحج فحجوا
فآمنت به ملة واحدة وهم
المسلمون وكفرت به خمس
ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي
اليه ولا نحجه فنزل

هذا

هذا حديث غريب وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة
خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذي حديث غريب

(فصل) في أحكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الاسلام الخمسة
ويعتبر في وجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر
الأصلي ولو حج لم يصح لأن الكافر ليس من أهل القربة ولا يجب على المجنون ولا يجب على الصبي
والعبد ولو حج صبي يعقل أو حج عنه صح حجه تطوعاً ولا يسقط الفرض فإذا بلغ الصبي وعتق العبد يجب
عليهما حجة الاسلام ويجب عليهما أن يحجا ثانياً ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج
البيت من استطاع إليه سبيلاً ولو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام
والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون مستطيعاً بنفسه والآخر أن يكون مستطيعاً بغيره أما المستطيع
بنفسه فهو أن يكون قوياً قادراً على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد
والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لأنه ليس بمتصل وإنما المرفوع ما رواه إبراهيم بن
يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين
إبراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع إليه سبيلاً فقالت طائفة الآية
على العموم إذ لا نعلم خبراً ثابتاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا إجماعاً لأهل العلم يوجب أن نستثني من ظاهر
الآية بعضاً فعلى كل مستطيع الحج يجد إليه السبيل بأي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال
وروينا عن عكرمة أنه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك إذا كان شاباً صحيحاً فليؤجر نفسه بأكله وعقبه
حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على إطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي
وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن
جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان أحدهما
أن يكون الرجل مستطيعاً ببدنه واجداً من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج
والثاني لا يقدر أن يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه إذا أمره أن يحج عنه أو قادر على مال يجد من
يستأجر فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج أما حكم الزاد والراحلة فهو أن يجد راحلة تصلح له ووجد
من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلاً عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين إن كان
عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فإن خرجوا قبله أو أخروا
الخروج إلى وقت لا يصلون إلا بأن يقطعوا أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط أن يكون الطريق
آمناً فإن كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب الخفارة فلا يلزمه ويشترط أن تكون منازل
المياه مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فإن تفرق أهلها لجدب أو غارت مياهها
فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي أو لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج
عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطاً لوجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك
وأما المستطيع بغيره فهو أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه بأن كان زمناً أو به مرض لا يرجى برؤه وله مال
يمكنه أن يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه وإن لم يكن له مال وبذل له ولده أو أجنبي
الطاعة في أن يحج عنه لزمه الحج إن كان يعتمد على صدقه لأن وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند أبي حنيفة
لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من أوجب الحج ببذل الطاعة ما روي
عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم
تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق
الآخر قالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على
الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع أخرجاه في الصحيحين ۞ قوله تعالى (ومن كفر فإن الله غني

(ومن كفر) أي جحد فرضية
الحج وهو قول ابن عباس
والحسن وعطاء ويجوز أن
يكون من الكفران أي
ومن لم يشكر ما أنعمت
عليه من صحة الجسم
وسعة الرزق ولم يحج (فإن
الله غني

عن العالمين) يعني ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من أصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل انه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فان الله غني عن العالمين ﴿ قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) أي والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (تبغونها عوجا) يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فأما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفاء (وأنتم شهداء) قال ابن عباس يعني وأنتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب في التوراة وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا فقال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا

عن العالمين) مستغن عنهم [illegible] كيد والتشديد منها اللام وعلى أي انه حق واجب لله في رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تثنية المراد وتكريره ولان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراده في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال ان الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) الصد المنع (عن سبيل الله من آمن) عن دين حق علم انه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ومحل (تبغونها) تطلبون لها نصب على الحال (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك (وأنتم شهداء) انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل (وما الله بغافل عما تعملون) من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب

واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رأيت يوما أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال أما بعد الا أيها الناس انما أنا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى (ومن يعتصم بالله) أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) أي الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة ❁ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى

فعدتهم وتألفهم فأمر شابا من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس فعفل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي عليه السلام فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وألف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب أي من أين يتطرق اليكم الكفر (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية (وفيكم رسوله) وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه أو بكتابه أو هو حث لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) أرشد الى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أو هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد

هذا صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما انعم الله به عليه بالبال وأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وأنتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله أموركم تحسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ۞ قوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا) أي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمي الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه أيضا سبب يوصل اليه وفي افراد مسلم من حديث زيد بن أرقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا واني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي أمر به وأن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا) يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي أنتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال ۞ قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار كان الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقعت بينهما عداوة وقتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت أخي بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجده ونسبه فقدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعي أفضل من هذا قرآن أنزله الله عز وجل علي نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحيس أنس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع

(ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (جميعا) حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله (ولا تفرقوا) أى ولا تتفرقوا يعني ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) كانوا في الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألف بين قلوبهم بالاسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا اخوانا

بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال أنا
رسول الله قد بعثني الله الى العباد أدعوهم الى أن لا يشركوا بالله شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام
وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيس
حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن
معاذ ان هلك فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل موسم
فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن
عفراء ورافع بن مالك العجلانى وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله رضى الله
عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى اليهود قالوا نعم قال
أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم
القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل
أوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل
عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم
تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا انا قد تركنا
قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك
فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم
فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من
دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار
اثنا عشر رجلا وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلانى وذكوان بن عبد القيس
وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وأبو
الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ
من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فأمركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء
غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن
عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة
المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى
ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين
الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد
ابن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما بعد مشركان فأخذ أسيد بن حضير
حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسان فى الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه
قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان
ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما فى أنفسكما حاجة قال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان
كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه
القرآن فقالا والله لعرفنا الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف
تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام

واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر سعد الى أسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف أسيد على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما أحببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذى ذكره من بنى حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغنيت شيأ فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا انما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بينى و بينك من القرابة ما رمت هذا منى تغشانا فى دارنا بما نكره وقد كان قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك أحد منهم فقال له مصعب أوتقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة و جلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام فى وجهه قبل أن يتكلم من اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل عامدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى فى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل أسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك انه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهى بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة احدى نساء بنى النجار وأسماء بنت عمرو بن عدى أم منيع احدى نساء بنى سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلسنا أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال

أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناهما كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم فأخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا للبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا أزب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع أي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما حي من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا جابر أما تستطيع ان تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الي وقال والله لتنتعلنهما قال أبو جابر مه والله أحفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال فقلت لا أردهما قال والله يا أبا صالح لئن صدق الفأل لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها أظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها فأمرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فأول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ثم عامر ابن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم أعداء يعني قبل الاسلام فألف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فأصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يا معشر الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعني على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم (فانقذكم منها) أي نخلصكم بالايمان من الوقوع في النار (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير

(وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فانقذكم منها) بالاسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وأنث لاضافته الى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو فلهذا يثنى شفوان (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته) أي القرآن الذي فيه أمر ونهي ووعد ووعيد (لعلكم تهتدون) لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير

و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام في قوله ولتكن لام الامر أي لتكن منكم أمة دعاة الى الخير وقيل ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل أوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الامة في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن ادخال لفظ من في قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا والخير المذكور في الآية هو كل شئ يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن أمة أي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الحسن أولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره ۞ قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام ان يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال أبو أمامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم أخذ بيدي وقال ان بأرض منهم كثيرا وفي رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله أكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن ۞ وقوله تعالى (من بعد ما جاءهم البينات) يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم

(و يأمرون بالمعروف) عما استحسنه الشرع والعقل (وينهون عن المنكر) عما استقبحه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصي والدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له الا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته فانه يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا أو للتبيين أي وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك هم المفلحون) أي هم الاخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) بالعداوة (واختلفوا) في الديانة وهم اليهود والنصارى فانهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق (وأولئك لهم عذاب عظيم) ونصب

للمؤمنين من التفرق والخلاف عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه أخرجه أبو داود أراد بربقة الاسلام عقد الاسلام وأصله ان الربق حبل فيه عدة عرى يشد بها البهم الواحدة من العرا ربقة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بحبوحة الجنة توسطها والفذ هو الواحد ❁ قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان المؤمن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله وأما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيآت تحزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها ان أهل الموقف اذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من أهل السعادة واذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من أهل الشقاوة (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال أكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروى عن أبي ابن كعب انه قال أراد به الايمان يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان بالسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا أهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول أي رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي أصحابي فيقال لي لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلؤن عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول انه لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي لما سار الى الخوارج فقال علي أيها الناس اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم

(يوم تبيض وجوه) أي وجوه المؤمنين بالظرف وهولهم أو بعظيم أو باذكروا (وتسود وجوه) أي وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة (فاما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بعد ايمانكم) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبي وهو الظاهر أوهم المرتدون أو المنافقون أي أكفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا أو أهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)

أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيأ قال سمعته يقول وأهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من أهله فما يؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من أهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة ﴿وقوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففي رحمة الله) يعني ففي جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى (هم فيها خالدون) قيل انما كرر كلمة في لان في كل واحدة منهن معنى غير الاخرى المعنى انهم في رحمة الله وانهم في الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت (نتلوها عليك بالحق) اى بالمعنى الحق لان المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) يعني لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق العقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أخبر انهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وانه لا يظلم أحدا من خلقه (ولله ما في السموات وما في الارض) لما ذكر الله أنه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزا أو سلطانا أو يتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال أخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده واذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال (والى الله ترجع الامور) يعني والبه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحدا منهم ﴿قوله عز وجل (كنتم خير أمة) سبب نزول هذه الآية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ ابن جبل وسالم مولى حذيفة نحن أفضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعونا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشئ في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بأنكم خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم منذ أنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل أن يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم أى صرتم خير أمة فأما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال أنتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم ان بعدهم قوما

يشهدون

(وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) ففي نعمته وهي الثواب المخلد ثم استأنف فقال (هم فيها خالدون) لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وما الله يريد ظلما للعالمين) أي لا يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن (ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور) فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ترجع شامي وحمزة وعلي كان عبارة عن وجود الشئ في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة أو كنتم في علم الله أو في اللوح خير أمة أو كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير أمة موصوفين به

يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية
ويحلفون ولا يستحلفون (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني
أصحابي والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في
أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا
نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم
قال الزجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة
ونظيره قوله كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ
ولكنه عام في حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأصل الامة الجماعة المجتمعة على الشيء وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم
الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني
فقد أبى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم
على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار أخرجه الترمذي عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل
أخرجه أبو داود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي كمثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله
أخرجه الترمذي وله عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف
ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب
أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد
مناكبهم تزول قال الترمذي سألت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن أبي بكر
مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس في سائر الابواب عن أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم
من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذي (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف سماطين متماسكين آخذ بعضهم ببعض
حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن أبي امامة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل
ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي أخرجه الترمذي وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عمر
ابن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على
الامم حتى تدخلها أمتي ۞ وقوله تعالى (أخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع
الاعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت (خ)
عن أبي هريرة قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم
حتى يدخلوا في الاسلام وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير
من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود
منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم
والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك

(أخرجت) أظهرت (للناس) اللام تتعلق بأخرجت (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم بينت بالاطعام والالباس وجه الكرم فيه (بالمعروف) بالايمان وطاعة الرسول (وتنهون عن المنكر) عن الكفر وكل محظور

(وتؤمنون بالله) وتدومون على الايمان [illegible] التكذيب (ولو آمن أهل الكتاب) بمحمد عليه السلام (لكان خيرا لهم)
لكان الايمان خيرا لهم مما هم فيه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حب الرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة
والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الايمان به من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه
(وأكثرهم الفاسقون) المتمردون في الكفر (لن يضروكم الا أذى) الا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكن لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم اذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا وانما استؤنف ليؤذن ان الله لا ينصرهم قاتلوا أو لم يقاتلوا وتقدير الكلام أخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم انهم لا ينصرون وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسلط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار (ضربت) ألزمت (عليهم الذلة) أي على اليهود (أينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله) في محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره الا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله
(وحبل من الناس) والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) الفقر عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء أو خوف الفقر مع قيام اليسار (ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء

(وتؤمنون بالله) أي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله أمر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان ﴿ وقوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به (لكان خيرا لهم) يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعني من أهل الكتاب (المؤمنون) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من النصارى (وأكثرهم الفاسقون) أي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون ﴿ قوله عز وجل (لن يضروكم الا أذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لاسلامهم فأنزل الله تعالى لن يضروكم الا أذى يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الا أذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديدا أو اشاعة شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) يعني منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فأعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون أن يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد (أينما ثقفوا) أي حيثما وجدوا وصودفوا (الا بحبل من الله) يعني الا بعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة (وحبل من الناس) يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية ودل لان الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم) أي بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون

الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى ذلك الذى نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل ﴿قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وفى قوله ليسوا سواء قولان أحدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوى اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله الثابتة على الحق والقول الثانى ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه ﴿وقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر أحد الضدين يغنى عن ذكر الآخر قال أبو ذؤيب

دعانى اليها القلب انى لامرها * مطيع فلا أدرى أرشد طلابها

أراد أم غير رشد فاكتفى بذكر أحد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وأمة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم فى فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال ابن عباس قائمة أى مهدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة أى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة فى الصلاة (يتلون آيات الله) أى يقرؤن كتاب الله عز وجل (آناء الليل) يعنى ساعاته (وهم يسجدون) يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون فى السجود وقيل هى صلاة التهجد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه أراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخشوع سجودا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يريد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت فى اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان ايمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع أنبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصى واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون فى الخيرات) أى يبادرون اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب فى أمر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون فى الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى (وأولئك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) أى من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضى عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له أعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى

الانبياء بغير حق) ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ثم قال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده (ليسوا سواء) ليس أهل الكتاب مستوين (من أهل الكتاب) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة (أمة قائمة) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام أى استقام وهم الذين أسلموا منهم (يتلون آيات الله) القرآن (آناء الليل) ساعاته واحدها انى كمعى أو انو كقنو أو انى كنحى (وهم يسجدون) يصلون قيل يريد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف) بالايمان وسائر أبواب البر (وينهون عن المنكر) عن الكفر ومنهيات الشرع (ويسارعون فى الخيرات) يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون فى محل الرفع صفتان لامة أى أمة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع بالقيام به (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من الصالحين) من المسلمين أو من جملة الصالحين

وأولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين ﴿قوله عز وجل (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني أهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله تعالى أنهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل الخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين و يدخل فيه مؤمنو أهل الكتاب أيضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير أيها المؤمنون فلن تكفروه أي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه أو تمنعوه بل يشكره لكم و يجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا أهل الايمان والتقوى ﴿قوله عز وجل (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم أموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان أبا جهل كان كثير الافتخار بالاموال وأنفق أبو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر وأحد على المشركين وقيل ان الآية عامة في جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغني أي تدفع عنهم أموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا أولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شئ من ذلك في الآخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله عز وجل (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) قيل أراد نفقة أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل أراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل أراد نفقة المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لان انفاقهم المال اما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق و يعمل أعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع أعمال البر فلا ينتفع بما أنفق في الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد بما أنفق وجه الله تعالى فانه لا ينتفع بنفقته في الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين وأهل اللغة ان الصر البرد الشديد و به قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس و به قال ابن الانباري من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهي مهلكة أو حر فهي مهلكة أيضا (أصابت) يعني الريح التي فيها صر (حرث قوم) أي زرع قوم (ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه (فاهلكته) يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فاهلكته أو نار فاحرقته فلم ينتفع به أصحابه فان قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين و بين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان أحدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شئ وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعني بان لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) يعني انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم وأهلك حرثهم وقيل ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة

الذين صلحت أحوالهم عند الله و رضيهم (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو يخير غيرهم بالتاء وعدي يكفروه الى مفعولين وان كان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه أي فلن تحرموا جزاءه (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) أي من عذاب الله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) في المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما يتقربون به الى الله مع كفرهم (كمثل ريح) كمثل مهلك ريح وهو الحرث أو مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح (فيها صر) برد شديد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مبتدأ وخبر في موضع جر صفة لريح مثل (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر (فاهلكته) عقوبة على كفرهم (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة أو يكون الضمير للمنافقين أي وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين

للقبول

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) في موضع النصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون في فسادكم يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التمييز أو على حذف في أي في خبالكم (ودوا ما عنتم) أي عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله (قد بدت البغضاء من افواههم) لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم ان ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفي صدورهم) من البغض لكم (أكبر) مما بدا (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم (ها أنتم أولاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وأولاء موصول صلته تحبونهم والواو في (وتؤمنون بالكتاب كله) للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم وقيل الكتاب للجنس (واذا لقوكم قالوا آمنا) أظهروا كلمة التوحيد (واذا خلوا) فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به

القبول ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكر في سياق هذه الآية قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع أصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن أمره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين أي لا تتخذوا بطانة من دون أهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا أولياء ولا أصفياء من غير أهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى (لا يألونكم خبالا) يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان أصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ما عنتم) أي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) أي ظهرت العداوة من أفواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على أسرار المؤمنين (وما تخفي صدورهم) يعني من العداوة والغيظ (أكبر) أي أعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) يعني ما بين لكم فتتعظون به ۞ قوله تعالى (ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار اليهم في قوله (تحبونهم) والمعنى أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولا يحبونكم) يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الايمان وأنتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا لهم أسراركم ولا يحبونكم أي لا يفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعني وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعني ان الذين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) أي خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض أظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء

والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى (ان الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم ما فى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل فى جملة المقول أى أخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيأ من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى اياك على ما يسرون فانى أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم (ان تمسسكم حسنة) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة (تسؤهم) تحزنهم اصابتها (وان تصبكم سيئة) اضداد ما ذكرنا والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة (يفرحوا بها) باصابتها (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه (لا يضركم كيدهم شيأ) مكرهم وكنتم فى حفظ الله وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك لا يضركم مكى وبصرى ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لانه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغى أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم الا أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد ليس باهذا (ان الله بما تعملون) بالتاء سهل أى من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما أنتم أهله وبالياء غيره أى انه عالم بما يعملون فى عداوتكم فمعاقبهم عليه (واذ غدوت من أهلك) واذكر يا محمد اذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة والمراد غدوه من حجرة عائشة رضى الله عنها الى أحد (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وهو حال (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة والقتال

عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى به الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه وهى لكونها حالة فى القلب منتسبة اليه كنى عنها بذوات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل فى قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه فى قلوبهم ﴿ قوله عز وجل (ان تمسسكم) أى تصبكم أيها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى شئ ماساله على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب أى أصابه (حسنة) المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معايشكم (تسؤهم) أى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) أى مساءة من اخفاق سرية لكم أو اصابة عدو منكم أو اختلاف يقع بينكم أو غدر ونكبة ومكروه يصيبكم (يفرحوا بها) أى بما أصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعنى على أذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة (وتتقوا) أى تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه (لا يضركم) أى لا ينقصكم (كيدهم) أى عداوتهم ومكرهم (شيأ) أى لانكم فى عناية الله وحفظه (ان الله بما يعملون) قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط) أى عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شئ منه ﴿ قوله عز وجل (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين ان هذا كان فى يوم أحد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرى وقتادة والسدى والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن أيضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبرى الاول أصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبى والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما ان المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبى وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى وقال بعض أصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا أنا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرا فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولتها هزيمة ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان أقاموا أقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم فى الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما رأوه قد

ليس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وأصحابه الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبد الله بن أبي ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه أطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه ان أعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم أعداءهم فانهزموا أنتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين ألفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبد الله بن أبي ابن سلول بثلثمائة من أصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من أصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في ان تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله أن يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من أمر غزوة أحد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من أهلك أي واذكر اذ غدوت من أهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من أهلك فنص الله تعالى على انها من أهله تبوئ المؤمنين أي تنزل المؤمنين مقاعد للقتال أي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكرا للقتال (والله سميع) يعني لاقوالكم (عليم) يعني بنياتكم وما في ضمائركم ﴿ قوله عز وجل (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) أي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعه أبو جابر السلمي وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن أبي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا (والله وليهما) أي ناصرهما وحافظهما ومتولي أمرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشيء والآية تدل على ان الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم أضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق) عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم آية ناطقة مصرحة بان الله وليهم وان تلك الهمة

يشعاق بنبوتي (والله سميع عليم) سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله ابن أبي فاستشاره فقال أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط الا أصاب منا وما دخلوا علينا الا أصبنا منهم فقال عليه السلام اني رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلمة فاولتها هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فلم يزل به قوم ينشطون في الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يا رسول الله فقال عليه السلام لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال (اذ همت) بدل من اذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم (طائفتان منكم) حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان عليه السلام خرج الى أحد في ألف والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله (أن تفشلا) أي بان تفشلا أي بان تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور (والله وليهما) محبهما أو ناصرهما أو متولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمرهم بأن لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوّضوا أمورهم الا اليه قال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة فقال (ولقد نصركم الله ببدر) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة

كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أو ذكر بدرا بعد أحد ليجمع بين الصبر والشكر (وأنتم أذلة) لقلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوّهم زهاء ألف مقاتل والعدد فانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوّهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك يوم بدر اى نصركم الله وقت مقالتكم هذه أو بدل ثان من اذ غدوت على ان تقول لهم ذلك يوم أحد (ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) منزلين شامى منزلين أبو حيوة أى للنصرة ومعنى ألن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجىء بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر (بلى) ايجاب لما بعد لن أى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال (ان تصبروا) على القتال فانزل

(وتتقوا) خلاف الرسول عليه السلام (و يأتوكم) يعنى المشركين (من فورهم هذا) هو من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على شئ من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخى الامر المطلق على الفور لا على التراخى والمعنى ان يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم

التى هم وهاما أخرجتهم من ولاية الله تعالى ﴿قوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل من وكل أمره الى غيره اذا اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلوا الا عليه وأن لا يفوضوا أمرهم الا اليه ﴿قوله عز وجل (ولقد نصركم الله ببدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر (وأنتم أذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان أكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش فى حال الكثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعنى فى الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعنى بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته ﴿قوله عز وجل (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر أو يوم أحد على قولين أحدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكرههنا (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا أو مددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى ألن يكفيكم الى قوله مسوّمين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد أمدوا بالف من الملائكة وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول أيضا بان الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وظاهر هذا يقتضى ان الله نصرهم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد أكثر القول الثانى ان هذا الوعد بانزال الملائكة كان يوم أحد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب يتنبل له كلما فنى النبل أتاه به فنثره وقال ارم أبا اسحق ارم أبا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه فى سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وأيضا ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا أو ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر

فانزل الله يوم بدر ألفا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان
عدد المسلمين يوم أحد ألفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف
من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر وأجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بان الله
تعالى أمدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد
كرز للكفار قريش شق عليهم وعدوا بان عدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك وأجيب
عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا فانزل الله ألفا وفي يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فانزل الله ثلاثة
آلاف بان هذا تقريب حسن ولله ان يزيد ما شاء في أي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله تعالى بلى ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو أمدوا لم
يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق)
عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح
واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى أين قال ههنا وأشار الى
بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن أنس رضي الله عنه قال كأني أنظر الى الغبار
ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة
وقال عبد الله بن أبي أوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال أوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة
أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة
والنضير فيومئذ أمدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري وأولى
الاقوال بالصواب ان الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم
بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف ان صبروا
لاعدائهم واتقوا ولا دلالة في الآية على انهم أمدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله أمدهم وقد
يجوز أن لا يكون أمدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القرآن انهم أمدوا يوم
بدر بالف من الملائكة كما في سورة الانفال وأما يوم أحد فالدلالة على انهم لم يمدوا أبين منها بانهم أمدوا وذلك
انهم لو أمدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن أبي وقاص المتقدم في يوم
أحد وانه رأى ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم أصحابه يوم أحد وأما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من
قال ان هذا كان يوم بدر قال نظام الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم
أحد يقول نظم الآية ان الله ذكر قصة أحد ثم أتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فكذلك هو
قادر أن ينصركم في سائر المواطن ثم رجع الى قصة أحد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ومعنى
الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد أن يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة
القوة والاعانة يقال له أمده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد في الشر والامداد في
الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله
ويعزموا على الثبات بلى تصديق لوعد الله أي بلى نمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد لن يعني يكفيكم الامداد
بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا أي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم
ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من
فورهم من وجههم أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم
بدر لانهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة
آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى أمدهم بالف

عن اتيانهم يعني ان الله
تعالى يعجل نصرته لكم وييسر
فتحكم ان صبرتم واتقيتم

[illegible]

... على المسلمين ان كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك فقال النبي صلى الله عليه [وسلم]
للمسلمين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم ... [illegible]
يعني ... وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال بينا أنا أمتح من قليب
بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ثم ذهبت ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أ[شد]
منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل في ألف من الملائكة وكانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه و[سلم]
والريح الثالثة اسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت من بين ...
وهزم الله أعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في
الانفال وذكرها هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان ضم الالف الى ثلاثة و...
فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه الذي فيه ذكر الالف المفردة (مسومين) قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن [فتح]
الواو أراد أن الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا أنهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلا[مة]
يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفوني انني أنا ذاكم * شاك سلاحي في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيـ[لهم]
واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال ...
وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عليـ[هم]
عمائم صفر مرخاة على أكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ
نواصي خيلهم وأذنابها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة
تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم
بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بسيما القتال ۞ قوله تعالى (وما جعله
الله) يعني هذا الوعد والمدد (الا بشرى لكم) يعني بشارة بأنكم تنصرون فتستبشروا به (ولتطمئن)
أي ولتسكن (قلوبكم به) أي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله)
يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض أ[ن]
يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على
مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والعـ[لم]
والحكم وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد
نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا أي ليهلك طائفة من الذين كفروا وأوقع
معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعو[ن]
ومن حمل الآية على غزوة أحد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسو[ل]
الله صلى الله عليه وسلم (أو يكبتهم) أصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم [على]
وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أو الاهلاك أو اللعن والخزي (فينقلبوا خائبين) أي بالخيبة لم ينالوا
شيئا من الذي أملوه من الظفر بكم ۞ قوله عز وجل (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم)
اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر سنة أربع [من]
الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو
فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوا[ت]

[illegible] ... ثلاثة آلاف ... الاف ثم خمسة آلاف (وما جعله الله) الضمير يرجع الى الامداد الذي دل عليه ان يمدكم (الا بشرى لكم) أي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة (العزيز) الذي لا يغالب في أحكامه (الحكيم) الذي يعطي النصر لاوليائه ويبتليهم بجهاد أعدائه واللام في (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر الا من عند الله او بيمدكم ربكم (أو يكبتهم) أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله
(فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم (ليس لك من الامر شيء) اسم ليس شيء والخبر لك ومن الامر حال من شيء لانها صفة مقدمة

كلها

كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شئ الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن أبى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف زاد فى رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية سماهم فى رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا فى سببها فقيل ان عتبة بن أبى وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن أنس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه و يقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ وقيل أراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه أن أكثرهم يسلمون وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية فى النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر مصالح عبادى شئ الا ما أوحى اليك فان الله تعالى هو مالك أمرهم فاما ان يتوب عليهم و يهديهم فيسلموا أو يهلكهم و يعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلقى شئ الا ما وافق أمرى انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر أمرى فى ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم أو سيولد من بعضهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق فى علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم فى الدنيا وهو القتل والاسر وفى الآخرة وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض) هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شئ والمعنى انما يكون لمن له ما فى السموات وما فى الارض وليس ذلك الا لله تعالى وليس لاحد معه أمر (يغفر لمن يشاء) بفضله ورحمته (و يعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له فى حكمه ولا معارض له فى فعله (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يستر ذنوب عباده و يغفرها لهم و يرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو أدخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) أراد به ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدى قال له صاحب الدين زدنى فى المال حتى أزيدك فى الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم أصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله) يعنى فى أكل الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) أى لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة لان الفلاح

(أو يتوب عليهم) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم وليس لك من الامر شئ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ان الله تعالى مالك أمرهم فاما ان يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا (أو يعذبهم) ان أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شئ انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء أو بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى الا أن كقولك لالزمنك أو تعطينى حقى اى ليس لك من أمرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل أراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) مستحقون للتعذيب (ولله ما فى السموات وما فى الارض) اى الامر له لا لك لان ما فى السموات وما فى الارض ملكه (يغفر لمن يشاء) للمؤمنين (و يعذب من يشاء) الكافرين (والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) مضعفة مكى وشامى هذا نهى عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول اما ان تقضى حقى أو تربى وأزيد فى الاجل (واتقوا الله) فى أكله (لعلكم تفلحون)

يتوقف على التقوى فلو أكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان أكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) يعنى واتقوا أيها المؤمنون ان تستحلوا شيأ مما حرم الله فان من استحل شيأ مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قال بعضهم ان هذه الآية أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدى فى هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين (وأطيعوا الله) يعنى فيما أمركم به أونهاكم عنه من أكل الربا وغيره (والرسول) أى وأطيعوا الرسول أيضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق فى هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (لعلكم ترحمون) أى لكى ترحموا ولا تعذبوا اذا أطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة ۞ قوله عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) يعنى وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس أيضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن أبى طالب الى أداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) اى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعارا بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) أى عرض الجنة (السموات والارض) يعنى كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت بأوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل أرسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب والليل فى ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده أصحابه فقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر بن الخطاب أرأيتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا ان مثلها فى التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى فان قلت قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعد به الجنة ومذهب أهل السنة انها فى السموات واذا كانت الجنة فى السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها فى السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفى السماء هى أم فى الارض فقال أى أرض

الكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وفيه رد على المرجئة فى قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة وفى ذكره تعالى لعل وعسى فى نحو هذه المواضع وان قال أهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة) سارعوا مدنى وشامى فمن أثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هى الصلوات الخمس أو التكبيرة الاولى أو الطاعة أو الاخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات (عرضها السموات والارض) أى عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لانه فى العادة أدنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وما روى ان الجنة فى السماء السابعة أو فى وسماء

السماء العليا [illegible] الا انها [illegible] أو فى [illegible] قال فى المدارك [illegible] وان كان [illegible] عليها الا ان المراد انه بابه اليها

وسماء تسع الجنة قيل له فأين هي قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وأن جهنم تحت الأرضين السبع وقيل إن باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والأرض (أعدت للمتقين) أي هيئت للمتقين وفيه دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن ❁ قوله عز وجل (الذين ينفقون في السراء والضراء) يعني في العسر واليسر لا يتركون الانفاق في كلتا الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم في عرس أو حبس فإنهم لا يدعون الاحسان الى الناس فأول ما ذكر الله من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لأنه أشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت أعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله تعالى من عابد بخيل أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي ثيابه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فل هلم فقال أبو بكر يا رسول الله ذلك الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأرجو أن تكون منهم قوله أي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذلك الذي لا هلاك عليه وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ هو أن يمتلئ غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية أنهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم في أجوافهم وهذا الوصف من أقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء أخرجه الترمذي وأبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء (والعافين عن الناس) يعني اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل أراد بالناس المماليك لسوء أدب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عن ظلمهم وأساء اليهم وهو قريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل أن تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين في الآية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع اليه أو بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان أن تحسن لمن أساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة في

(أعدت) في موضع جر صفة لجنة أيضا أي جنة واسعة معدة (للمتقين) ودلت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقي من يتقي الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله أو من يتقي المعاصي فان كان المراد الثاني فهي لهم بغير عقوبة وان كان الاول فهي لهم أيضا في العاقبة ويوقف عليه ان جعل (الذين ينفقون في السراء والضراء) في حال اليسر والعسر مبتدأ وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك وان جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة أي أعدت للمتقين والتائبين فلا وقف فان قلت الآية تدل على أن الجنة معدة للمتقين والتائبين دون المصرين قلت جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدت هذه المائدة للأمير ثم قد يأكلها أتباعه ألا ترى انه قال واتقوا النار التي أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه أشق شيء على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت أعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة (والكاظمين الغيظ) والممسكين الغيظ عن الامضاء يقال كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا (والعافين عن الناس) أي اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه (والله يحب المحسنين) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون أو للعهد فيكون

هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد أعظم درجات الثواب ۞ قوله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضي الله عنه قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم اذا أذنب ذنبا أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت في نبهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين أحدهما أنصاري والآخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف أخاه الانصاري على أهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما أرادت المرأة ان تأخذه منه دخل على أثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فأتى به الى أبي بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال أبو بكر ويحك أما علمت ان الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فأنزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما أذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله تعالى (أو ظلموا أنفسهم) ظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو أي ذنب كان (ذكروا الله) يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا اجلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب ۞ وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها وأقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على أن لا يعودوا اليها وهذه شروط التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه وانه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على ما فعلوا) يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة أخرجه أبو داود وقال حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل (وهم يعلمون) قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وان لها ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروا غفر لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها

(فصل في فضل الاستغفار) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه ما شاء ان ينفعني واذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن أو قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الى آخر الآية أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة

الاحسان أن تحسن الى المسيء فان الاحسان الى المحسن متاجرة (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة متزايدة القبح ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (أو ظلموا أنفسهم) قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما (ذكروا الله) بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الآية (ومن يغفر الذنوب الا الله) من مبتدأ ويغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل من الضمير في يغفر والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب الا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب واشعار بأن الذنوب وان جلت فان عفوه أجل وكرمه أعظم (ولم يصروا على ما فعلوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال عليه السلام ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار (وهم يعلمون)

فوقها ولم يرفعوا ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم
الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب أخرجه أبو داود
(م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء
بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (ق) عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى
قال اذا أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي قال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا علم ان له ربا يغفر الذنب
و يأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى ان عبدي أذنب ذنبا فعلم ان له
ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا
فعلم ان له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت قد غفرت لك قال عبد الاعلى لا أدري أقال
في الثالثة أو الرابعة اعمل ما شئت عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان
السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ
لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل
هو ما عن لك منها أي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها والضم أشهر وهو ما يقارب
ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي
القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وقال
حديث حسن صحيح على شرط البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل ذنب عسى الله ان يغفره أو قال عسى ان يغفره الله الا من مات مشركا ومن قتل مؤمنا متعمدا أخرجه
أبو داود انتهى ❁ قوله عز وجل (أولئك) اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو
ظلموا أنفسهم الآية (جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار) معنى الآية ان المطلوب
بالتوبة أمران أحدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب
واليه الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار أي ذلك لهم ذخرا لا يبخس وأجرا لا يوكس (خالدين فيها)
أي في الجنات (ونعم أجر العاملين) أي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة ❁ قوله عز وجل (قد خلت من
قبلكم سنن) يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستئصال لانهم خالفوا الانبياء
والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة
الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل أمة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن أي شرائع
وقيل سنن أي أمم والسنة الامة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية
الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لاهلاكهم (فسيروا في
الارض) أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف أحوال الماضين بقوله (فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين) فرغب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى
الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه أيضا زجر للكافر عن كفره لانه اذا تأمل أحوال
الكفار واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له أثر في النفس كما قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وفي هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة أحد يقول فاني انما أمهلت
الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لهم في اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم وأوليائه
وهلاك أعدائه ❁ قوله تعالى (هذا) يعني القرآن وقيل هو اسم اشارة الى ما تقدم من أمره ونهيه ووعده
ووعيده (بيان للناس) يعني عامة (وهدى) يعني من الضلالة (وموعظة للمتقين) يعني خاصة وقيل في الفرق
بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة البيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان

حال من الضمير في ولم يصروا
أي وهم يعلمون انهم أساؤا
أو وهم يعلمون انه لا يغفر
ذنوبهم الا الله (أولئك)
الموصوفون (جزاؤهم
مغفرة من ربهم) بتوبتهم
(وجنات) برحمته (تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها
ونعم أجر العاملين) المخصوص
بالمدح محذوف أي ونعم أجر
العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات نزلت في تمار قال
لامرأة تريد التمر في بيتي تمر
أجود فأدخلها بيته وضمها
الى نفسه وقبلها فندم أو في
أنصاري استخلفه ثقفي
وقد آخى بينهما النبي عليه
السلام في غيبة غزوة فأتى
أهله لكفاية حاجة فرآها
فقبلها فندم فساح في الارض
صارخا فاستعتبه الله تعالى
(قد خلت) مضت (من
قبلكم سنن) يريد ما سنه الله
تعالى في الامم المكذبين من
وقائعه (فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين) فتعتبروا بها
(هذا) أي القرآن أو
ما تقدم ذكره (بيان
للناس وهدى) أي
ارشاد (وموعظة) ترغيب
وترهيب (للمتقين) عن
الشرك

كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون بهما دون غيرهم ﴿قوله عز وجل (ولا تهنوا ولا تحزنوا) نزلت يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تهنوا أي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لانهم في الجنة (وأنتم الاعلون) يعني بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الاعلون وقيل وأنتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وأنتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وأنتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) أي اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم الجراحة وبالضم ألم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم أيها المسلمون قرح يوم أحد (فقد مس القوم) يعني الكفار (قرح مثله) يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول أي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان أيام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا وأسروا سبعين وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين ٣ (خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزمهم الله قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر

(ولا تهنوا) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أو جرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم (وأنتم الاعلون) وحالكم انكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الاعلون بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة وان جندنا لهم الغالبون أو وأنتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر أو لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي أي ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة باعدائه أو بالاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة (ان يمسسكم قرح) بضم القاف حيث كان كوفي غير حفص وبفتحها غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها (فقد مس القوم قرح مثله) أي ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فانتم أولى ان لا تضعفوا (وتلك) مبتدأ (الايام) صفته والخبر (نداولها) نصرفها (بين الناس) أي نصرف ما فيها من النعم [illegible] تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كبيت الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

(قوله عن البراء الخ) رواه بالمعنى اذ رواية البخاري في غزوة أحد تغاير هذه لفظا اه مصححه

والحرب

والحرب سجال انكم ستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم الاتجيبوه فقالوا يارسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان

* ان لنا عزى ولا عزى لكم * فقال النبى صلى الله عليه وسلم الاتجيبوه قالوا يارسول الله ما نقول قال قولوا

* الله مولانا ولا مولى لكم * قال البغوى وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفى حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعنى انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أى ليعرفهم باعيانهم الا أن سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه ليعلم أولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعنى وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن أراد أن يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار فى المعركة واختلفوا فى معنى الشهيد فقيل الشهيد الحى لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وأرواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمى شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين) يعنى المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصى وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليمحص الله الذين آمنوا) أى وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم وأصل المحص فى اللغة التنقية والازالة (ويمحق الكافرين) أى يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم أنتم فهو محقهم واستئصالهم ۞ قوله عز وجل (أم حسبتم) أى بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا أيها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) وتنالوا كرامتى وثوابى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازى ظاهر الآية يدل على وقوع النفى على العلم والمراد وقوعه على نفى المعلوم والتقدير أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدى النفى فى الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز فى انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم فجرى النفى على العلم للايجاز على سبيل التوسع فى الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين أى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبرى يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم على ما أمر به (ويعلم الصابرين) يعنى فى الحرب وعلى ما نالهم فى ذات الله عز وجل من جراح وألم ومكروه وفى هذه الآية معاتبة لمن انهزم يوم أحد والمعنى أم حسبتم أيها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على ألم الجراح والضرب وثبتوا للعدو هم من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم ۞ قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) قال ابن عباس لما أخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك

الوجود (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين فى سبيله وهم المنافقون والكافرون (وليمحص الله الذين آمنوا) التمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعنى ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى لا تحسبوا (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ما علم الله فى فلان خيرا أى ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن أو جزم للعطف

على يعلم الله وانما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) خوطب به الذين

[illegible] ... تمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فأراهم الله يوم أحد فلم يلبثوا ان انهزموا الامن شاء الله منهم فأنزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت أى تطلبون أسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه أى من قبل ان تلقوا يوم أحد (فقد رأيتموه) يعنى رأيتم ما كنتم تتمنون والهاء فى رأيتموه عائدة على الموت أى رأيتم أسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين أيديكم (وأنتم تنظرون) قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس فى عينك علة أى رأيته رؤية حقيقية وقيل معناه وأنتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم ۞ قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال أهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا أو علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة ابن أبى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحنى فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فى مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا فى هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله وحمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال انى قد قتلت محمدا وصاح صارخ ألا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبى وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك أبى وأمى وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت أحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبى بن خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان أبى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول عندى رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فيقول النبى صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة

ثم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون [illegible] كرامة الشهادة [illegible] ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى المشركين وكان رأيه فى الاقامة بالمدينة يعنى وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل اخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصرانى فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته * ارمى ابن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وخرج صارخ قيل هو الشيطان ألا ان محمدا قد قتل ففشا فى الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحاز اليه طائفة من أصحابه فلامهم [illegible]

[illegible] (وما محمد الا رسول قد خلت) [illegible]

[illegible]

ثم استقبله وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلني محمد فاحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي أنا أقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلني بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبي الله قالوا وفشا في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم وقال أناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال قد عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الي أن اسكت فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فدينا بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما أن اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو أنبيائهم فعليكم أنتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فأكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا وأحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده * ببرهانه والله أعلى وأمجد * أغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهور يلوح ويشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو آخر الانبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) يعني أتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام أن الله تعالى بين أن موت محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان أتباعهم ثبتوا على دين أنبيائهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر (فلن يضر الله شيأ) يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه وكان علي يقول أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحبار الله وكان أشكرهم وأحبهم الى الله تعالى ۞ قوله عز وجل (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله)

بعثة الرسل تبليغ الرسالة ولزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه (أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا) وانما ضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا (وما كان) وما جاز (لنفس أن تموت الا باذن الله) أي بعلمه أو باذن ملك الموت في قبض روحه والمعنى ان موت الانفس محال أن يكون لا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو واعلام بان الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك

أي بأمر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا باذن الله تعالى وأمره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان أحدا لا يموت قبل أجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والجبن وفي الآية أيضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام أصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ (كتابا مؤجلا) يعني موقتاله أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن الله تعالى كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أو تقديمه أو تأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها ما نشاء على ما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا الغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) يعني من يرد بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد واعلم ان هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من أراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه أيضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله ۞ وقوله تعالى (وسنجزي الشاكرين) يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شئ عن الجهاد ولم يريدوا بأعمالهم الا الله تعالى والدار الآخرة ۞ قوله عز وجل (وكأين من نبي) أي وكم من نبي (قتل معه) وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله أوجه أحدها أن يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا كذلك الوجه الثالث أن يكون القتل نال الربيين لا النبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي أصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد وحجة هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير أنه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال ۞ وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع (فما وهنوا) أي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من ألم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان

والمقصود

(كتابا) مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد) بقتاله (ثواب الدنيا) أي الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) من ثوابها (ومن يرد ثواب الآخرة) أي اعلاء كلمة الله والدرجة في الآخرة (نؤته منها وسنجزي الشاكرين) وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد (وكأي) أصله أي دخل عليه كاف التشبيه وصارا في معنى كم التي للتكثير وكائن بوزن كاع حيث كان مكي (من نبي قاتل) قتل مكي وبصري ونافع (معه ربيون) حال من الضمير في قتل أي قتل كائنا معه ربيون (كثير) والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب (فما وهنوا) فما فتروا عند قتل نبيهم (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الامان من أبي سفيان

(والله يحب الصابرين) على جهاد الكافرين (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أى وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها (واسرافنا فى أمرنا) تجاوزنا حد العبودية (وثبت أقدامنا) فى القتال (وانصرنا على القوم الكافرين) بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الاقدام فى مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه أقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) أى النصرة والظفر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده (والله يحب المحسنين) أى هم محسنون والله يحبهم (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم) يرجعوكم الى الشرك (فتنقلبوا خاسرين) قيل هو عام فى جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم فى شئ حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وعن السدى ان تستكينوا لابى سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقال على رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم (بل الله مولاكم) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الرعب شامى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بما أشركوا بالله) بسبب اشراكهم أى كان السبب فى القاء الله الرعب فى قلوبهم اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يرد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وانما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر * أى ليس بها ضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا ولا ينجحر

والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء وأتباعهم لتقتدى هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد (والله يحب الصابرين) يعنى فى الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد فى طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع أوليائه وأصفيائه ۞ ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعنى قول الربيين (الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (واسرافنا فى أمرنا) يعنى ما أسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط فى الشئ ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت أقدامنا) لكى لا تزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى أنهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدى بهم فى هذه الطريقة الحسنة أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا (فآتاهم الله ثواب الدنيا) يعنى النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعنى الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعنى الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهى أنهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم أحد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على أعقابكم) يعنى يرجعوكم الى أمركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم فى الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعنى مغبونين فى الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) أى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين ۞ قوله عز وجل (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان أبا سفيان ومن معه ارتحلوا يوم أحد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب فى قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله (بما أشركوا بالله) يعنى انما كان القاء الرعب فى قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (ما لم ينزل به سلطانا) يعنى حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستضاء به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل

(ومأواهم) مرجعهم (النار وبئس مثوى الظالمين) النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الى المدينة قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أى حقق (اذ تحسونهم) تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه أبطل حسه بالقتل (باذنه) بأمره وعلمه (حتى اذا فشلتم) جبنتم (وتنازعتم فى الامر) أى اختلفتم (وعصيتم) أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم

بالغنيمة (من بعد ما أراكم ما تحبون) من الظفر وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (منكم من يريد الدنيا) أى الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع اخوانكم وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (ومنكم من يريد الآخرة) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم) أى كف معونته عنكم فغلبوكم (ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه يجازى على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه (ولقد عفا عنكم) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) بالعفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وانتصب (اذ تصعدون) بالعفو أو بصرفكم أو بليبتليكم أو تبالعون فى الذهاب فى صعيد الارض والاصعاد الذهاب

(ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار فى الدنيا وهو القاء الرعب والخوف فى قلوبهم بين حالهم فى الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار أى مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) أى المسكن الذى يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل فى جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها ۞ قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أحد الى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من الصحابة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعنى بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين فى الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر بأحد فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (اذ تحسونهم) يعنى اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل (باذنه) يعنى بعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم فى الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم أن الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض أى قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله ابن جبير أمير القوم فى نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعدما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعنى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين (منكم من يريد الدنيا) يعنى الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعنى الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد نزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعنى يا معشر المسلمين يعنى عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعنى ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعنى ولقد عفا الله عنكم أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم أيها المخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم أولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفى الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك ۞ قوله عز وجل (اذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم

تصعدون الارض بالابعاد فيها بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكروا (ولا تلوون على أحد) ولا تلتفتون [illegible]
وخوف عدوهم (والرسول يدعوكم) يقول الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة في موضع الحال (في أخراكم) في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم (٢٩٣) وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم
الاولى (فأثابكم) عطف على صرفكم أي فجازاكم الله (غما) حين صرفكم عنهم وابتلاكم (بغم) بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم أمره أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع (ولا ما أصابكم) ولا على مصيب من المضار (والله خبير بما تعملون) عالم بعملكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) ثم أنزل الله الامن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والأمنة الامن ونعاسا بدل من أمنة أو هو
مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والاصل أنزل عليكم نعاسا ذا أمنة اذ النعاس ليس هو الآمن ويجوز أن يكون أمنة
مفعولا له أو حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على انه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) يعني النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة وعلي أي
الامنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق واليقين

اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني
هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء
وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود
وهو الارتقاء من أسفل الى أعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية قولان
أحدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني أنه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب
(ولا تلوون على أحد) أي لا تعرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب
(والرسول يدعوكم في أخراكم) أي في آخركم ومن ورائكم يقول الي عباد الله أنا رسول الله من كر أي
رجع فله الجنة (فأثابكم غما بغم) يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم
غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في
الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فأصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء
فعله سواء كان خيرا أو شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب
كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه * اداهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والباء في قوله
غما بغم بمعنى مع أو بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا
بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من
القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا بأن محمدا صلى الله
عليه وسلم قد قتل فأنساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو أنهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة
أمره فجزاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل
المشركين عليهم والغم الثاني حين أشرف أبو سفيان عليهم وذلك ان أبا سفيان وأصحابه وقفوا بباب الشعب
فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأهمهم ذلك ﴿قوله تعالى﴾ (لكيلا) في
لفظة لا قولان أحدهما انها باقية على أصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا
عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) لان عفوه يذهب كل هم وحزن
وقيل معناه فأثابكم غما أنساكم الحزن على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقد روي انهم لما سمعوا بأن النبي صلى الله
عليه وسلم قد قتل نسوا ما أصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على
ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي أصابهم القتل
والهزيمة (والله خبير بما تعملون) أي هو عالم بجميع أعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها ﴿قوله
عز وجل﴾ (ثم أنزل عليكم) يا معشر المسلمين (من بعد الغم) الذي أصابكم (أمنة نعاسا) يعني أمنا
والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف
بعد باقيا والنعاس أخف من النوم والمعنى أعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان أمنكم امنا تنامون معه
لان الخائف لا يكاد ينام فأمنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس
تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن تغشاهم
النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه وأخرجه الترمذي عنه

(وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) ما بهم همهم الاهم انفسهم وبخلاصها الاهم الدين ولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم (يظنون بالله غير الحق) في حكم المصدر أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم (ظن الجاهلية) بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية او ظن اهل الجاهلية اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الامر من شئ) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل ان الامر) اى النصر والغلبة (كله لله) ولاوليائه المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للامر ولله خبر ان كله بصرى وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) خوفا من السيف (يقولون) في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) اى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة او صفة أخرى او حال اى قد أهمتهم انفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون او استئناف (قل لو كنتم في بيوتكم) اى من علم الله منه انه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين [illegible] كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم (وليبتلى الله ما في صدوركم) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص (وليمحص ما في قلوبكم) ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان

قال فغشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد وذكر نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق وفي رواية أخرى له قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أراهم وما منهم يومئذ أحد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف أرسل الله تعالى علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى ما أسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعنى المنافقين اراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فاوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب أمن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يعنى حملتهم أنفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهى قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعنى يظنون ان الله لا ينصر محمدا وأصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان أمره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير ظن الحق الذي يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) اى كظن اهل الجاهلية (يقولون) يعنى المنافقين (هل لنا) اى ما لنا (من الامر من شئ) وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين في هذه الواقعة وأشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن أبي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شئ وهو استفهام على سبيل الانكار أي ما لنا أمر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعنى ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شئ انما هو للمشركين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (ان الامر كله لله) يعنى النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يعنى من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذى أخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم تقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا وعن ابن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعنى التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قيل ان الذى قال هل لنا من الامر من شئ هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق والذى قال لو كان لنا من الامر شئ هو معتب ابن قشير (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) أى قضى عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعنى الى مصارعهم التى يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وأن يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيه (وليبتلى الله ما في صدوركم) اى وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم وقيل معناه ليبتلى أولياء الله ما في صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيما لشأن أوليائه المؤمنين (وليمحص ما في قلوبكم) قال قتادة أى يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القاء الامنة وصرف العدو واظهار

فحصل ذلك أو فعل ذلك بهما لم يجاوز الابتلاء والتمحيص (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها (ان الذين تولوا منكم) انهزموا (يوم التقى الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع ابى سفيان للقتال بأحد (انما استزلهم الشيطان) دعاهم الى الزلة وحملهم عليها (ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذى امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم احد الا ثلاثة عشر رجلا منهم ابو بكر وعلى وطلحة وابن عوف وسعد بن ابى وقاص والباقون من الانصار (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) كابن ابى واصحابه (وقالوا لاخوانهم) اى فى حق اخوانهم فى النسب او فى النفاق (اذا ضربوا فى الارض) سافروا فيها للتجارة او غيرها (او كانوا غزا) جمع غاز كعاف وعفى واصابهم موت أو قتل (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اللام يتعلق بلا تكونوا اى لا تكونوا كهؤلاء فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم او بقالوا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب (والله يحيى ويميت) رد لقولهم ان القتال يقطع الآجال اى الامر بيده قد يحيى المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على اعمالكم يعملون مكى وحمزة وعلى اى الذين كفروا (ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم) متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص الا فى هذه السورة كأنه اراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) ما بمعنى الذى والعائد محذوف وبالتاء حفص (ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله فى هذا الموضع مع تقدمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن غنى عن البرهان اطرح جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون تكذيب الكافرين ولا فى زعمهم ان من مات من

سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر ما فى قلوبكم يعنى من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعنى بالاشياء الموجودة فى الصدور وهى الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات ﴿قوله عز وجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) اى انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) أى طلب زلتهم كما يقال استعجله أى طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهى الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة فى قلوبهم لانه أمرهم بها (ببعض ما كسبوا) يعنى بعصيانهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا أن يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة فى الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعنى ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب فى هزيمته يوم أحد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعنى لمن تاب وأناب (حليم) لا يعجل بالعقوبة ولا يستأصلهم بالقتل ﴿قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعنى فى النفاق والكفر وقيل لاخوانهم فى النسب وكانوا مسلمين (اذا ضربوا فى الارض) يعنى اذا سافروا فى الارض لتجارة وغيرها (أو كانوا غزا) جمع غاز أى غزاة فى الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا فى الارض فماتوا أو كانوا غزا فقتلوا (لو كانوا عندنا) يعنى مقيمين (ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حسرة فى قلوبهم) يعنى غما وتأسفا (والله يحيى ويميت) هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيى والمميت هو الله تعالى فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس فى البيت وهل يحمى أحد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير أو شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله تعالى هو المحيى المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان أقام بينه عند أهله فلا تقولوا أنتم أيها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلأن يموت فى الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من أن يموت فى بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة) يعنى فى العاقبة (خير مما تجمعون) يعنى من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل فى سبيل الله أو الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) يعنى لالى الله الرحيم الواسع

الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون وفي الآخرة فيجازيكم بأعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله خوفا من ناره أمنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله تعالى شوقا الى جنته أناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من أسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون ۞ قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم أي سهلت لهم أخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى ألقى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعني جافيا (غليظ القلب) يعني قاسي القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) أي لنفروا عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم أحد عندك (فاعف عنهم) أي تجاوز عن زلاتهم وما أتوا يوم أحد (واستغفر لهم) أي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء في المعنى الذي من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما أحبوا أو كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده من أمته وقيل انما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الامة وانما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم في أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في أسارى بدر وهو من أمر الدين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة أنه قد يعزم الانسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح أمره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة

وشاور اذا شاورت كل مهذب * لبيب أخي حزم لترشد في الامر
ولا تك ممن يستبد برأيه * فتعجز أو لا تستريح من الفكر
ألم تر أن الله قال لعبده * وشاورهم في الامر حتما بلا نكر

۞ قوله تعالى (فاذا عزمت) يعني على المشاورة (فتوكل على الله) أي فاستعن بالله في أمورك كلها وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد على شيء الا على الله تعالى في جميع أموره وان المشاورة لا تنافي التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم ۞ قوله عز وجل (ان ينصركم الله) يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر

اخوانهم أو غزاة لو كان بالمدينة لما ماتوا ونهي للمسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فان الدنيا زاد المعاد فاذا وصل العبد الى المراد لم يحتج الى الزاد (٢٩٦) (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) ما كان منهم يوم أحد مما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) أي في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم أو لتقتدي بك أمتك فيها وفي الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت فلانا أظهرت ما عندي وما عنده من الرأي وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل أخذته من مأخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان ان القياس حجة (فاذا عزمت) فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على الارشد لا على المشورة (ان الله يحب المتوكلين) عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض في الامور اليه وقال ذو النون خلع الارباب وقطع الاسباب (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانه وهو ترك المعونة وهو من قولك ليس لك من يحسن اليك من

بدر (فلا غالب لكم) يعني من الناس لان الله تعالى هو المتولي نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم الى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) أي من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد في كل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ۞ قوله عز وجل (وما كان لنبي أن يغل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروي عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من أصحابه وقيل ان الاقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم فأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لنبي أن يكتم شيأ من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشئ في خفية يقال غل فلان يغل قرئ بفتح الياء وضم الغين أي وما كان لنبي أن يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا تليق به الخيانة لانها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته في شئ لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لنبي الغلول أراد ما غل نبي قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول واذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة أنهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي أن يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان أحدهما أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لنبي أن يخان أي تخونه أمته والثاني أن يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي أن يخون أي ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعني بالشئ الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشئ في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ في النار فيكلف أن ينزل اليه فيخرجه يفعل [illegible] الله [illegible] أي [illegible] يوم [illegible] وهو قوله تعالى (ث

بعد فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك (وما كان لنبي أن يغل) مكي وأبو عمرو وحفص وعاصم أي يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيأ من المغنم غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه في خفية ويقال أغله اذا وجده غالا والمعنى ما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى هذا لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فنزلت الآية (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) اي يأت بالشئ الذي غله بعينه حاملا له على ظهره كما جاء في الحديث او يأت بما احتمل من وباله واثمه (ثم

توفى كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب أو شرا فهو يجزى به يوم القيامة ويوفى جزاءه عمله (وهم لا يظلمون) يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازى كل على عمله

(فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد الغال) وقد تقدم ان أصل الغلول هو أخذ الشيء في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن أبي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيأ له الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم أهداه له أحد بني الضبيب وفيه اذ جاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذي لا يدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين أخرجه أبو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه أخرجه أبو داود ۞ قوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله) يعني وترك الغلول فلم يغل (كمن باء) أي رجع (بسخط من الله) يعني بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المفضي للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فأخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله أفمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعني الغال أو المتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله فمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم ... [illegible] ... ليسوا سواء بل هم درجات

توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاءها وافيا ولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله ومن يغلل بل جيء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا أو شرا مجزي موفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) اي جزاء كل على قدر كسبه (أفمن اتبع رضوان الله) اي رضا الله قيل هم المهاجرون والانصار (كمن باء بسخط من الله) وهم المنافقون والكفار (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع (هم درجات عند الله) هم متفاوتون كتفاوت الدرجات او ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتهم فيجازيهم على حسبها

عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواهم جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه ﴿ قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعني أحسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حي من أحياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من أن يكون له فيهم نسب وقيل أراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير بني آدم وقيل من أنفسهم يعني انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأفعاله يعرفون صدقه وأمانته فكان ذلك أقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وأنعم عليهم وأحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم أنقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلوا عليهم آياته) يعني يقرأ عليهم كتابه الذي أنزل عليه بعد ان كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شئ من الوحي السماوي (ويزكيهم) أي يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله تعالى (أولما أصابتكم مصيبة) يعني ما أصابهم يوم أحد (قد أصبتم مثليها) يعني ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في أول الامر يوم أحد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة (قلتم أنى هذا) أي من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار (قل هو من عند أنفسكم) يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وأيضا أمر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الاسارى وقد أمرك ان تخيرهم بين ان يضربوا أعناق الاسارى وبين أن يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه

بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسمعيل كما انهم من ولده والمنة في ذلك من حيث انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفي قراءة رسول الله من أنفسهم أي من أشرفهم (يتلوا عليهم آياته) أي القرآن بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شئ من الوحي (ويزكيهم) ويطهرهم بالايمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة (وان كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال) عمى وجهالة (مبين) ظاهر لا شبهة فيه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين (أولما أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو في موضع رفع صفة لمصيبة (قلتم أنى هذا) من أين هذا (قل هو من عند أنفسكم) لاختياركم الخروج من المدينة أو تركتكم المركز لما بسبب قلتم وأصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أحد

من قوله ولقد صدقكم الله وعده أو على محذوف كأنه قيل أأنتم كذا وقلتم حينئذ كذا (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر وعلى منعه (وما أصابكم) ما بمعنى الذى وهو مبتدأ (يوم التقى الجمعان) جمعكم وجمع المشركين بأحد والخبر (فباذن الله) فكائن باذن الله أى بعلمه وقضائه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) للمنافقين وهو كلام مبتدأ

(تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) أى جاهدوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون (او ادفعوا) أى قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم تقاتلوا للآخرة وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أى لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما أنتم فيه لخطأ رأيكم ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء النفس فى التهلكة (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعنى انهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) أى يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره والتقييد بالافواه للتأكيد ونفى المجاز (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين قالوا) أى ابن أبى وأصحابه وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا أو على الابدال من واو يكتمون أو نصب على الذم أو على البدل من الذين نافقوا أو جر على البدل من الضمير فى أفواههم أو قلوبهم (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وقعدوا) أى قالوا وقد قعدوا عن القتال (لو أطاعونا

هؤلاء

وسلم الناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا ان نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر لم يسنده البغوى وأسنده ابن جرير الطبرى فذلك معنى قوله قل هو من عند أنفسكم يعنى بأخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم (ان الله على كل شئ قدير) يعنى من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة ۞ قوله عز وجل (وما أصابكم) يعنى من القتل والجراح والهزيمة (يوم التقى الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد (فباذن الله) يعنى فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) أى ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذى أظهر الايمان بلسانه وأضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا فى الارض له بابان اذا طلب من أحدهما خرج من الآخر كذلك المنافق صنع له طريقين أحدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من أيهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل فى الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم اسلامى لم تك العرب تعرفه قبل الاسلام (وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا) المقول له عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وأصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى أحد فى ألف رجل حتى اذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس وقال ما ندرى علام نقتل أنفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى أخو بنى سلمة وهو يقول يا قوم أذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعنى المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أى لاجل دين الله وطاعته أو ادفعوا يعنى عن أموالكم وأهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قالوا) يعنى المنافقين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أى لو نعلم ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما تبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم (هم للكفر) يعنى المنافقين الى الكفر (يومئذ أقرب منهم للايمان) أى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهر وانما ظهر ومن المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظاهرون بكلمة الاسلام ويخفون الكفر (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) يعنى يظاهرون بألسنتهم الايمان وليس هو فى قلوبهم انما فى قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطأة القلب اللسان على شئ واحد وهو التوحيد (والله أعلم بما يكتمون) يعنى من النفاق (الذين قالوا لاخوانهم) نزلت فى عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه وفى المراد باخوانهم قولان أحدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون اخوانهم فى النسب لا فى الدين والقول الثانى ان المراد باخوانهم هم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا فى اخوانهم أو عن اخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ما قتلوا لانهم بعد ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبد الله بن أبى وأصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق (وقعدوا) يعنى عن الجهاد (لو أطاعونا) يعنى

قوله شوهت شئ [illegible] على المراهب

هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا يعني في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانصراف عنه (ما قتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعني قل لهم يا محمد (فادرؤا) أي فادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعني ان الحذر لا ينفع من القدر وفي الآية دليل على ان المقتول يموت بأجله خلافاً لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول أجله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال أكثر المفسرين انها نزلت في شهداء أحد ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه انه لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا اننا أحياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية أخرجه أبو داود (م) عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا * ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو وقد ذكره أبو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله أما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافاً للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب أهل السنة أيضاً قوله أرواحهم في جوف طير خضر أي يجعل الله أرواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بان الارواح أجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائراً ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله أعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مهتم فقال مالي أراك منكسراً قلت يا رسول الله استشهد أبي يوم أحد وترك عيالاً وديناً فقال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحداً قط الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك وكلمه كفاحاً وقال يا عبدي تمن علي أعطك قال يا رب تحييني فأقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهي بئر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن اسحق عن أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لا أقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام وأخبره بماله فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم

ما قتلوا) لو أطاعونا اخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) ان الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت أو معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلاً وهو القعود عن القتال فخذوا الى دفع الموت سبيلاً وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً ونزل في قتلى أحد (ولا تحسبن) شامي وحمزة وعلي وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (الذين قتلوا) قتلوا شامي (في سبيل الله أمواتاً

يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى
أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء
أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى
ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة
ابن أسماء بن الصلت ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وذلك فى صفر سنة أربع
من الهجرة بعد أحد بأربعة أشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم
فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان
أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن
ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة انى
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله
ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله
أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه
وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصية ورعلا وذكوان
فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا
عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى
سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما
الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى
أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال
الانصارى لكنى لا أرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن أمية
الضمرى أسيرا فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت
على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عمل أبى براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما أصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق فروى
محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع
بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن أبى براء ان عامر
ابن الطفيل أخفر ذمة أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزرى فى
كتاب جامع الاصول له فى قسم الاسماء فى ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبى صلى الله
عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج فى أصل اذنه أخذه منه مثل النار
فاشتد عليه ومات منه (ق) عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواما من بنى سليم الى بنى عامر
فى سبعين وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخا لام سليم واسمه حرام فى سبعين راكبا فلما
قدموا قال لهم خالى أتقدمكم فان أمنونى حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم منى قريبا
فتقدم فأمنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أومؤا الى رجل منهم فطعنه فأنفذه
فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم الا رجلا أعرج صعد الجبل قال همام
وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم
وكنا نقرأ ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا
على رعل وذكوان وبنى عصية الذين عصوا الله ورسوله وفى رواية ان رعلا وذكوان وبنى لحيان استمدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون

(الشهداء) بل هم أحياء (عند ربهم) مقربون عنده ذو زلفى (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الأحياء (٢٠٣) يأ [illegible]

بالنهار و يصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا وأسلم قال جاء ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان أولياء الشهداء وأهليهم كانوا اذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أى ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا تظن ظان ان الذين قتلوا في سبيل الله أموات يعنى كأموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله (بل أحياء) أى بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل حيا فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون أحياء في الآخرة أو يكون المراد انهم أحياء في الحال وعلى تقدير انهم أحياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية أو اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون أحياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم أحياء في الذكر وانهم يذكرون بخير أعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم أحياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى أثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء يعنى في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح أو للجسم والروح معا فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن أثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الارض كغيره وروى انه لما أراد معاوية أن يجرى الماء على قبور الشهداء أمر ان ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فأخرجناهم رطاب الابدان فأصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوى بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه ﴿ وقوله تعالى (عند ربهم) يعنى في محل كرامته وفضله (يرزقون) يعنى من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعنى بما أعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم (ويستبشرون) أى يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذى يحصل للانسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعنى من اخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فأخبرهم الله عز وجل أنى قد أنزلت على نبيى محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (ان لا خوف عليهم) يعنى في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر انهم أيضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثانى لانفسهم خاصة

لكونهم أحياء ويتنعمون بحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين) حال من الضمير في يرزقون (بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبي عليه السلام لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وقيل هذا الرزق في الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يبقى للتخصيص فائدة (ويستبشرون بالذين) باخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفيه ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم [illegible] الله وفضل) [illegible]

بعث الله [illegible] على الجد في الجهاد والرغبة في [illegible] الشهداء (ولا هم يحزنون [illegible]) [illegible]
[illegible] الكرامة

(وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) يعني كما انه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين

(فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه ٢ الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن ان أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهداء أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي مفرقا في موضعين (ق) عن أبي سعيد قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد أحدكم من القرصة أخرجه الترمذي والنسائي نحوه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه أبو داود ۞ قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال أكثر المفسرين ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد الا من حضر نا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة

(وان الله) عطف على النعمة والفضل وان الله على بالكسر على الاستئناف وعلى ان الجملة اعتراض (لا يضيع أجر المؤمنين) بل يوفر عليهم (الذين استجابوا لله والرسول) مبتدأ خبره الذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح

٢ قوله لا يخرجه الا جهادا الخ قال النووي في شرح مسلم هكذا هو في جميع النسخ جهادا بالنصب وكذا قال بعده وايمانا بي وتصديقا وهو منصوب على انه مفعول له وتقديره لا يخرجه المخرج ولا يحركه المحرك الا الايمان والجهاد والتصديق اه بحروفه

ابن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من أصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال (ق) عن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم قالت لعروة يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله كان قد أعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لقد أصبنا جل أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال أبو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله اني أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت أبياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

تردى بأسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل

اني نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذي اربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وحش يقابله * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنا محمدا رسالة وأحمل لكم ابلكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان أبا سفيان يوم أحد حين أراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا وأصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لي ان لا أخرج اليها وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم أحب الي من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم اني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل أضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن لي هذه القلائص وانطلق الى محمد فاثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال نعيم أين تريدون قالوا واعدنا أبا سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأي رأيتم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أفتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع

(من بعدما أصابهم القرح) الجرح روى ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبي أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (للذين أحسنوا منهم واتقوا) من للتبيين ومثلها في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (أجر عظيم) في الآخرة (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين استجابوا (ان الناس قد جمعوا لكم) روى ان أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي ان أرجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الاول نعيم وهو جمع أريد به الواحد أو كان له اتباع يثبطون مثل تثبيطه والثاني أبو سفيان وأصحابه (فاخشوهم) فخافوهم (فزادهم) أي المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم أو القول أو نعيم (ايمانا) بصيرة وايقانا (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله أي الذي يكفينا الله يقال احسبه الشئ اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه في معنى اسم الفاعل (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا بنعمة من الله) وهي السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الربح في التجارة وأصابوا بالدرهم درهمين

وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول أي أجابوا الله وأطاعوه في جميع أوامره وأطاعوا الرسول أيضا (من بعدما أصابهم القرح) يعني من بعدما نالهم من ألم الجراح (للذين أحسنوا منهم واتقوا) يعني أحسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه (أجر عظيم) يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة ﴿ قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه أحدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا أو قال قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد والوجه الثاني ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد أبي سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد أتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق أحد منكم (ان الناس) يعني أبا سفيان وأصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعني الجموع الكثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فاخشوهم) أي فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) أي كافينا الله هو الذي يكفينا أمرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شبع وري * أي يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل يعني ونعم الموكول اليه الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم وانه الذي يستقل بأمورهم كلها (خ) عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ﴿ قوله تعالى (فانقلبوا) أي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) أي بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) أي تجارة وربح وهو ما أصابوا في سوق بدر من الربح وقيل النعمة

(لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير في انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء (واتبعوا رضوان الله) بجرأتهم وخروجهم الى وجه العدو على اثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (انما ذلكم الشيطان) هو خبر ذلكم أي انما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو نعيم (يخوف أولياء[illegible] المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر (فلا تخافوهم) اى اولياءه (وخافون ان كنتم [illegible]منين) لان الايمان يقتضي أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافوني في الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما أبو عمرو في الوصل (ولا يحزنك) يحزنك في كل القرآن نافع الا في سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر (الذين يسارعون (٣٠٧) في الكفر) يعني لا يحزنوك لخوف أن يضروك ألا ترى الى قوله (انهم لن يضروا الله شيأ) اى اولياء الله يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة) اى نصيبا من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه والآية تدل على ارادة الكفر والمعاصي لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب في الآخرة لا تكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اى استبدلوه به (لن يضروا الله شيأ) هو نصب على المصدر اى شيأ من الضر والآية الاولى فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الاسلام والثانية في جميع الكفار أو على العكس (ولهم عذاب أليم ولا يحسبن) وثلاثة بعدها مع ضم الباء في يحسبنهم بالياء مكي وأبو عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدني وشامي الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الباقون الاوليان بالياء والاخريان بالتاء (الذين كفروا) فمن قرأ بالياء رفع اى ولا يحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره في قوله (انما نملي لهم خير لانفسهم) في موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خير الانفسهم وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالتاء نصب اى ولا تحسبن الكافرين وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين أي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين والاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما والآية حجة لنا على المعتزلة في مسئلتي الاصلح وارادة المعاصي (ولهم عذاب مهين) واللام في

منافع الدنيا الفضل ثواب الآخرة (لم يمسسهم سوء) أي لم يصبهم أذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بجراءتهم وخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعني انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا ۞ قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعني انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان ألقى ذلك في افواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله أولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين باوليائه وقيل معناه يعظم أولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا أمرهم (فلا تخافوهم) يعني فلا تخافوا اولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم (وخافون) اى فجاهدوا في سبيلي مع رسولي فاني وليكم وناصركم (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بوعدي انى متكفل لكم بالنصر والظفر ۞ قوله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لحربك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم (انهم لن يضروا الله شيأ) يعني بمسارعتهم في الكفر انما يضرون أنفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أولياء الله شيأ (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة) يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الآية دليل على أن الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكأنهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشتري من اعطاء شيء وأخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيأ) يعني باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا أنفسهم بذلك (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ۞ قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء والياء فمن قرأ بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير (انما نملي لهم) الاملاء الامهال والتأخير وأصله من الملوة وهي المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء في الاجل (خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) يعني انما نمهلهم ونؤخر في آجالهم ليزدادوا اثما (ولهم عذاب مهين) يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي

بكر عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وقال ابن الانبارى قال جماعة من أهل العلم أنزل الله عز وجل هذه الآية فى قوم يعاندون الحق سبق فى علمه أنهم لا يؤمنون فقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج من الله للخلق ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون أبدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى انه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا واثما وغيا ۞ قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال الكلبى قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك على دينك فهو فى الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتى فى صورها فى الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بى ومن يكفر بى فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا فى علمى لا تسألونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا نبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من أبى يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فأنزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فأظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا فى معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى المنافق من المؤمن الخالص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم أحد بالقاء الجميع فى الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا أظهر نفاقه وكفره وقيل فى معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل فى معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين فى أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع أولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى يفرق بينكم وبين من فى أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين فحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب فى قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد أخبرنا عمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر أو منافق لانه لا يعلم الغيب أحد غيره وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن الخالص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل فى معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) يعنى ولكن الله يصطفى ويختار من رسله من

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين لتأكيد النفى (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص عبر بحمزة وعلى والخطاب فى أنتم للمصدقين من أهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحى الى نبيه واخباره باحوالكم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) وما كان الله ليؤتى أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما فى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) أى ولكن الله يرسل الرسول فيوحى اليه ويخبره بان فى الغيب كذا وان فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول وان أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين

يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعني انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا أقر بجميع الرسل كان مقرا بأحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتتقوا) يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي وأطلعته على ما أشاء من غيبي وأعلمته بالمنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فلكم أجر عظيم) يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة ❁ قوله عز وجل (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم (بل هو) يعني البخل (شر لهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه أبو داود وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول ان أكثر العلماء ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره ❁ وقوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شدقاه وقيل انهما مضغتان في أصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين أسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن أبي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفذت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في أعناقهم أطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقد قال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي وفي رواية أبي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم

(فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص (وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) في الآخرة ونزل في مانعي الزكاة (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان (بل هو) أي البخل (شر لهم) لان أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) تفسير لقوله بل هو شر لهم أي سيجعل مالهم الذي منعوه عن الحق طوقا في أعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوق في عنقه فينهشه ويدفعه الى النار

فكتموه ولم ينطقوا به بألسنتهم ولم يخرجوه من أفواههم عوّضوا عن ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم ❁ قوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون وتبقى أملاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية ولله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله (والله بما يعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين ❁ قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فأنزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلو أن يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول أو قالوها استهزاء وأيهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله (سنكتب ما قالوا) يعني قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف أعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سنكتب ما قال هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله أسلافهم فنجازي كلا الفريقين بما هو أهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله أسلافهم وأوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الآية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم أيضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة في ضم قتلهم الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما أخوات في العظم وان هذا القول منهم ليس بأول ما ارتكبوه من العظائم وانهم أصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح (ونقول) يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) أي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) اي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر وأقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت أيديكم) انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا ان

(ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله والاصل في ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها (والله بما تعملون خبير) وبالياء مكي وأبو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقالوا ان اله محمد يستقرض منا فنحن اذا أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله انه لم يخف عليه وانه أعد له كفاءه من العقاب (سنكتب ما قالوا) سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف أو سنحفظه اذ الكتاب من الخلق ليحفظ ما فيه فسمي به مجازا وما مصدرية أو بمعنى الذي (وقتلهم الانبياء بغير حق) معطوف على ما جعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم أخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول (ونقول) لهم يوم القيامة (ذوقوا عذاب الحريق) أي عذاب النار كما أذقتم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما أضيف الى الله تعالى لانه بأمره كما في قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من عقابهم (بما قدمت أيديكم) أي ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصي والاضافة الى اليد لان أكثر الاعمال يكون بالايدي فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل الاستعارة ولانه يقال لمن أمر بشيء فاعله وذكر الايدي للتحقيق يعني انه فعل نفسه لا غيره بأمره اليد

البدلما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان أكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن ﴿قوله عز وجل (الذين قالوا ان الله عهد الينا) قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن صيف ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب من اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فأنزل الله تعالى الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني أمرنا وأوصانا في كتبه (أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى أمر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاي معجزة أتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من أعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انهما مما يتقرب به الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان أو الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم) يعني يا معشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذى قلتم) يعني ما طلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء وأراد بذلك فعل أسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل أسلافهم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعني هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) أى الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر أي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق (والكتاب المنير) أى الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل ﴿قوله عز وجل (كل نفس ذائقة الموت) يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه وقيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني آدم وأين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز وجل

أو نصب باضمار أعني أو رفع باضمار هم (ان الله عهد الينا) أمرنا في التوراة وأوصانا (ان لا نؤمن) بان لا نؤمن (لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) أى يقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فان جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان أكل النار القربان سبب الايمان للرسول الآتي به لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سواء (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) بالمعجزات سوى القربان (وبالذى قلتم) أى بالقربان يعني قد جاء أسلافكم الذين أنتم على ملتهم وراضون بفعلهم (فلم قتلتموهم) أى ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذين أتوا به ولم قتلتموهم (ان كنتم صادقين) في قولكم انما نؤخر الايمان لهذا (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) فان كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الامم بأنبيائها كذلك (جاؤا بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (والزبر) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامي (والكتاب) جنسه (المنير) المضيء وقيل هما واحد في الاصل وانما ذكرا لاختلاف الوصفين

فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير الهادي (كل نفس) مبتدأ والخبر (ذائقة الموت) [illegible] الابتداء بالنكرة [illegible] عموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم اياك [illegible] الخلق الى [illegible] على [illegible] الصبر وذلك [illegible]

مما أخذ منها لموعدها ان يردفيها أما أخذ منها فما أحد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل أن يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى (وانما توفون أجوركم) يعني توفون جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) يعني فمن نجا وأبعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بأنها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان أنه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفأس والقدر والقصعة ونحوها والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور ان لم يشتغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ﴿ قوله عز وجل (لتبلون) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أي لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الرديء وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر (في أموالكم) يعني بالابتلاء في الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق (وأنفسكم) يعني بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك أنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال قل فأتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني أترهنني نساءكم قال أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا قال له ترهنون أولادكم قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان يأتيه بالحرث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امرأته اني لاسمع صوتا كأنه صوت دم قال انما هو

(وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أي تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فان الدنيا ليست بدار الجزاء (فمن زحزح) بعد والزحزحة الابعاد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها (لتبلون) والله لتبلون أي لتختبرن (في أموالكم) بالانفاق في سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات (وأنفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على ان النفس هي الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا في شرح التأويلات (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا)

محمد ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف أمد يدي الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان أشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لي ان أعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد أصحاب السير والمغازي فاختلف عليه أسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى أهلنا وأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وأنزل الله عز وجل في شأن كعب بن الاشرف اليهودي لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير (وان تصبروا وتتقوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يعني وان تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي (فان ذلك من عزم الامور) أي من صواب التدبير الذي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمتم الاخذ به ۞ قوله تعالى (واذ أخذ الله) أي واذكر يا محمد وقت اذ أخذ الله (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (لتبيننه للناس) يعني ليبينن ما في الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله أوجب على علماء التوراة والانجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يكتمونه) يعني ولا يكتمون ذلك عن الناس (فنبذوه) يعني الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) أي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعني المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشترون) ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ولا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي ولابي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة لولا ما أخذ الله عز وجل على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت أريد أن تحدثني فقال أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت اما أن تحدثني واما أن أحدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين

كالطعن في الدين وصد من أراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك (وان تصبروا) على أذاهم وتتقوا مخالفة أمر الله (فان ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور أي مما يجب العزم عليه من الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن وبالياء مكي وأبو عمرو وأبو بكر لانهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أي لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة أو دفع أذية أو لبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار (واشتروا

(لاتحسبن) لرسول الله واحد المفعولين (الذين يفرحون) والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لاتحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين (بما أتوا) بما فعلوا وهي قراءة أبي رجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا وقرأ النخعي بما آتوا أي أعطوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) بمنجاة منه (ولهم عذاب أليم) مؤلم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا

حديثا ﴿ قوله عز وجل (لاتحسبن الذين يفرحون) قرئ بالتاء على الخطاب أي لاتحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى لايحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون قال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه (بما أتوا) يعني يفرحون بما فعلوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي ويحبون أن يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاص وأشيع وأشباههم من الأحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أي يقول الناس لهم علماء وليسوا بأهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن أهل الصوم والصلاة وأحبوا أن يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما أتوا من تبديلهم التوراة وأحبوا أن يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لأصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم وأحبوا أن يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أي فلا تظننهم بنجاة من العذاب الذي أعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من أحب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح وينسب الى العلم وليس هو كذلك ﴿ قوله عز وجل (ولله ملك السموات والأرض) يعني انه تعالى مالك لما فيهما يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن أغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والأرض من شيء كيف يكون فقيرا (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بامهالهم ﴿ قوله عز وجل (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) قال ابن عباس ان أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا أيها الناس فيما

فعلوا من تدليسهم فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لاتحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين وتوصلهم بذلك الى أغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه (ولله ملك السموات والأرض) فهو يملك أمرهما وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير (والله على كل شيء قدير) فهو يقدر على عقابهم (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات) لأدلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر (لأولي الألباب) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان العرض المحدث في الجواهر

يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا مالا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على خلقته [illegible] محدثها وذا قديم ولا لاحتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكي ان في بني اسرائيل من اذا عبد الله ثلاثين سنة أصابته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه [illegible]
[illegible]

خلقتهم وأنشأته من السموات والارض لمعاشكم وأرزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون أرزاقكم في النهار وتسكنون في الليل لراحة أجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا أولي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية يعني الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ باذني ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فأخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب وذكره ۞ قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب أخرجه الترمذي وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه أن يصلي على جنبه ويومئ برأسه ايماء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الآية وهو قوله تعالى وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال أكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل أحيانه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة أخرجه أبو داود الترة النقص وقيل هي هنا التبعة ۞ وقوله تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض) أصل الفكر اعمال الخاطر في الشئ وتردد القلب في ذلك الشئ وهو قوة مستطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ الله منزه أن يوصف بصورة فلذلك أخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا ان لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكر يذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء الزرع النماء وما جليت القلوب

(الذين) في موضع جر نعت لاولي أو نصب باضمار أعني أو رفع باضمار هم (يذكرون الله) يصلون (قياما) قائمين عند القدرة (وقعودا) قاعدين (وعلى جنوبهم) أي مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل في يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا أو المراد الذكر على كل حال لان الانسان لا يخلو عن هذه الاحوال وفي الحديث من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون في خلق السموات والارض) وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر

(ربنا ما خلقت هذا باطلا) أي يقولون ذلك وهو في محل الحال أي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن المكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا اشارة الى الخلق على أن المراد به المخلوق

بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) أي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات والارض قائلين ربنا (ما خلقت هذا باطلا) يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن أن تخلق شيأ عبثا لغير حكمة (فقنا عذاب النار) يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعاء فمن أراد أن يدعو فليقدم الثناء على الله أولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أي أهنته وأذللته وقيل أهلكته وقيل فضحته وأبلغت في ابذائه والخزي ضرب من الاستخفاف أو انكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد أخبر الله انه لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله انك من تدخل النار فقد أخزيته والمؤمن لا يخزى قلت قد ذكر العلماء في الجواب وجوها أحدها ما روي عن أنس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من يخلده وروي نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب أهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار أما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله تعالى فقد أخزيته الوجه الثاني في الجواب أن المدخل في النار مخزي في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد أخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته فقال وما أخزاه حين أحرقه بالنار ان دون ذلك لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من أدخل النار فقد أخزي بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك الخزي هو هتك المخزي وفضحته وقال ابن الانباري حمل الآية على العموم أولى من نقلها الى الخصوص اذ لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله أهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل معاني منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزي خزاية اذا استحيى واذا عمل عملا يستحيى منه ويخجل فيكون خزي المؤمن الذي يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه أن قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضي نفي الاخزاء مطلقا وانما يقتضي أن لا يحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبي وهذا النفي لا يناقضه اثبات الاخزاء في الجملة لاحتمال أن يحصل ذلك الاثبات في وقت آخر والله أعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها (من أنصار) يعني ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب ❁ قوله عز وجل (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) قال ابن عباس وأكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القرآن قال اذ ليس كل أحد لقي النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وأنواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان (أن آمنوا بربكم فآمنا) أي فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أي كبائر ذنوبنا (وكفر عنا سيآتنا) أي صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما تأكيدا لان الالحاح في الدعاء والمبالغة

أو الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا (سبحانك) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك فقنا (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أهنته أو أهلكته أو فضحته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه في أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تأديبه وان فوق ذلك لخزيا (وما للظالمين) اللام اشارة الى من يدخل النار والمراد الكفار (من أنصار) من أعوان وشفعاء يشفعون لهم كالمؤمنين (ربنا اننا سمعنا مناديا) تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع فاغنك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان والمنادي هو الرسول عليه السلام أو القرآن (ينادي للايمان) لاجل الايمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادي اذ لا منادي أعظم من منادي ينادي للايمان (أن آمنوا) بأن آمنوا أو أي آمنوا (بربكم فآمنا) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء في الايمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا (وكفر عنا سيآتنا) صغائرنا

فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الابرار) يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة أتباعهم وأشياعهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) يعني على ألسنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سألوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجا الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما أن الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجأ اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على ألسنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة) يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كأنهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل أن يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسألوا الله تعالى أن يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة (انك لا تخلف الميعاد) ۞ قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم) يعني أجاب دعاءهم وأعطاهم ما سألوه (أني) اى وقال لهم اني (لا أضيع عمل عامل منكم) يعني لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه (من ذكر أو أنثى) يعني لا أضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أنثى عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله ما أسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشئ فانزل الله تعالى أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب أخرجه الترمذي وغيره ۞ وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف أي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنساء في الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي) يعني المهاجرين الذين هجروا أوطانهم وأهليهم وآذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا أوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار (لأكفرن عنهم سيآتهم) يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولأغفرنها لهم (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) يعني

(ونوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أي على تصديق رسلك أو ما وعدتنا منزلا على رسلك أو على ألسنة رسلك وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب أو النصرة على الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لان معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد أو المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد غير مبين لمن هو أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا الى عدتك يؤيده قوله (ولا تخزنا يوم القيامة) أو هو اظهار للخضوع والضراعة (انك لا تخلف الميعاد) هو مصدر بمعنى الوعد (فاستجاب لهم ربهم) أي أجاب يقال استجاب له واستجابه (أني) باني (لا أضيع عمل عامل منكم) منكم صفة لعامل (من ذكر أو أنثى) بيان لعامل (بعضكم من بعض) الذكر من الانثى والانثى من الذكر كلكم بنو آدم أو بعضكم من بعض في النصرة والدين وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ الآيات (فالذين هاجروا) مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كأنه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارين الى الله بدينهم الى حيث يأمنون عليه فالهجرة كائنة في آخر الزمان كما كانت في أول الاسلام (وأخرجوا من ديارهم) التي ولدوا فيها ونشؤا (وأوذوا في سبيلي) بالشتم والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا مكي وشامي وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتأخير حمزة وعلي وفيه دليل على ان الواو لا توجب الترتيب والخبر (لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار) وهو جواب قسم محذوف (ثوابا) في موضع المصدر المؤكد يعني اثابة أو تثويبا (من عند الله) لان قوله لأكفرن عنهم

ولادخلناهم في سعي لا يبيدهم (والله عنده حسن الثواب) أي يختص به ولا يقدر عليه غيره وروى ان طائفة من المؤمنين قالوا ان أعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) والخطاب لكل أحد أو للنبي عليه السلام

ذلك الذي أعطاهم من تكفير سيآتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم (والله عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذي أعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر انه استجاب لهم ﴿ قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله تعالى هذه الآية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب (متاع قليل) أي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة (ثم مأواهم) يعني مصيرهم في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) أي وبئس الفراش هي ﴿ قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) أي جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعني من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعني من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع (خير للابرار) يعني ذلك الفضل والنعمة التي أعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي ﴿ قوله عز وجل (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم) قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى

والمراد به غيره ولان مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف أي تقلبهم في البلاد متاع قليل وأراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم) عن الشرك (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) النزل والنزل ما يقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام في لهم أو هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله) صفته (وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من

القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك أي لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت في ابن سلام وغيره من مسلمي أهل الكتاب أو في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين

الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمني أهل الكتاب وهذا القول أولى لانه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من أهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل اليكم يعني ويؤمن بما أنزل اليكم أيها المؤمنون يعني القرآن وما أنزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمأكل والرشا كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) اشارة الى من هذه صفته من أهل الكتاب (لهم أجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لانه سريع الحساب ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والاعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعد القتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط أخرجه مسلم (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على لأوائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة أعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النساء وهي مدنية)

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم (اتقوا ربكم) أي احذروا أمر ربكم ان تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام وانما أنث الوصف على لفظ النفس وان كان

وكبارهم وهو حال بعد حال اى غير مشترين (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) اى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون اجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لعلمه بالاعمال كل شئ (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على الدين وتكاليفه قال الجنيد رضي الله عنه الصبر حبس النفس على المكروه بنفي الجزع (وصابروا) اعداء الله في الجهاد اى غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا (ورابطوا) واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه ولعل لتغييب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا في محبتي وصابروا في نعمتي ورابطوا انفسكم في خدمتي لعلكم تفلحون تظفرون بقربي قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان اوفرقان من طير صواف تحاجان عن اصحابهما والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب *(سورة النساء)* [illegible]

وهو نفس آدم أبيكم (وخلق منها زوجها) معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حوّاء من ضلع من أضلاعه (وبث منهما) ونشر من آدم وحوّاء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة أي وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها أو على خلقكم والخطاب في يا أيها الناس الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حوّاء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي تقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدي الى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه في التراب (واتقوا الله الذي تساءلون به) والاصل تتساءلون فأدغمت التاء في السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفي على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف (والارحام) بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى أي واتقوا الارحام ان تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وبالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشيء واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا أو عالما (وآتوا اليتامى أموالهم) يعني الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم انتهى عنهم هذا الاسم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى أي الذين [illegible] بعد ما [illegible] أموالهم [illegible]

المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فانما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعني حوّاء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألقى عليه النوم ثم خلق حوّاء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن اليّ فمال اليها وألفها لانها خلقت منه واختلفوا في أي وقت خلقت حوّاء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها (وبث منهما) يعني نشر وأظهر من آدم وحوّاء (رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذي تساءلون به) انما كرر ذكر التقوى للتأكيد وانه أهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله وأحلف عليك بالله وأستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك أيضا الاحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه قوله ينسأ في أثره أي يؤخره في أجله (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت به وكلمته واذا أتاها القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر وأخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى ۞ قوله عز وجل (وآتوا اليتامى أموالهم) نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على أبيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء

والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذى مات أبوه واليتم فى اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن فى العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا أونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولا تتبدلوا) أى ولا تستبدلوا (الخبيث بالطيب) يعنى الخبيث الذى هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم واختلفوا فى هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردىء فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح فى مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو أخذه مستهلكا وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل أموالهم فنهوا عن ذلك (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) يعنى مع أموالكم وقيل معناه ولا تضموا أموالهم الى أموالكم فى الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن أكل مال اليتيم وأراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود (انه كان حوبا كبيرا) يعنى ان أكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الاثم ۞ قوله عز وجل (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى) يعنى وان خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله أو ما ملكت أيمانكم قالت يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك فى النساء الى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسىء صحبتها ويتربص بها الى أن تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وأنزل هذه الآية وقال عكرمة فى رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو أكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته الذى فى حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم الى أخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون فى النساء فيتزوجون ما شاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى فى أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى يقول فكما خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء فى الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص الله تعالى فى نكاح أربع فقال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) يعنى ما حل لكم من النساء واستدل أهل الظاهر بهذه الآية على وجوب

اليتامى بالحلال وهو مال اليتامى أولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) الى متعلقة بمحذوف وهو فى موضع الحال أى مضافة الى أموالكم والمعنى ولا تضموها اليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (انه) ان أكلها (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما (وان خفتم ألا تقسطوا) أى لا تعدلوا أقسط أى عدل (فى اليتامى) يقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم وأما أيتام فجمع يتيم لا غير (فانكحوا ما طاب لكم) ما حل لكم (من النساء) لان منهن ما حرم الله كاللاتى فى آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة لان ما يجىء فى صفات من يعقل فكانه قيل الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات أو كانوا يتحرجون من الولاية فى أموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع أن الجور يقع بينهن اذا كثرن فكأنه

النكاح قالوا لان قوله فانكحوا أمر والامر للوجوب وأجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم في هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه أمران العدل والوصف والواو بمعنى أو في هذا الفصل لانه لما كانت أو بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة أو وقيل ان الواو أفادت انه يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على أربع فأربع لانه يضم عددا وأجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد أن يزيد على أربع نسوة وان الزيادة على أربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها أحد من الامة ويدل على ان الزيادة على أربع غير جائزة وانه حرام ما روى عن الحرث بن قيس أو قيس بن الحرث قال أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعا أخرجه أبو داود * عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا أخرجه الترمذي قال العلماء فيجوز للحر أن يجمع بين أربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد أن ينكح أكثر من امرأتين وهو قول أكثر العلماء لانه خطاب لمن ولي وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد أن يتزوج بأربع نسوة واستدل بهذه الآية وأجاب الشافعي بان هذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم والعبد لا يملك شيأ فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى (فان خفتم) يعني فان خشيتم وقيل فان علمتم (ألا تعدلوا) يعني بين الازواج الاربع (فواحدة) يعني فانكحوا واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) يعني وما ملكتم من السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن (ذلك أدنى) أي أقرب (ألا تعولوا) معناه أقرب من أن لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى أن لا تعولوا أي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول أكثر المفسرين لان أصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك أدنى أن لا تضلوا وقال الشافعي رحمه الله تعالى معناه أن لا تكثر عيالكم وقد أنكر على الشافعي من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال أعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعي لانه انفرد به ولم يوافقه عليه أحد وانما قال هذه المقالة من أنكر على الشافعي وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الازهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ألا تعولوا أي لا تكثر عيالكم وروى الازهري عن الكسائي قال عال الرجل اذا افتقر وأعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهري وهذا يقوي قول الشافعي لان الكسائي لا يحكي عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري أن يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهري وبسط الامام فخر الدين الرازي في هذا الموضع من تفسيره ورد على أبي بكر الرازي ثم قال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن أبي حاتم قال كان الشافعي أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ألا تعيلوا بضم التاء وهو حجة للشافعي (وآتوا النساء صدقاتهن) قال الكلبي ومجاهد هذا خطاب للاولياء قال أبو صالح كان الرجل اذا زوج ايمه أخذ صداقها

قيل اذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من [illegible] الا تقسطوا في نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة أي أدركت (مثنى وثلاث ورباع) نكرات وانما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب على الحال من النساء أو مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فان قلت الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجيء بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جيء بأو مكانها لذهب معنى التجويز (فان خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الاعداد (فواحدة) فالزموا أو فاختاروا واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) سوى في اليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسري (أدنى ألا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ويحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم واعترض [illegible] بانه يقال أعال يعيل اذا كثر عياله وأجيب بأن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم [illegible] دونها [illegible] كثرت [illegible] المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من أعلام العلم [illegible] طريقة الكنايات (وآتوا النساء صدقاتهن)

مهورهن (نحلة) من نحله كذا اذا أعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أي يدين به يعني وآتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم (فان طبن لكم) للازواج (عن شئ منه) أي من الصداق اذ هو في معنى (٢٢٣) الصدقات (نفسا) تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا ولم يقل فان وهبن لكم اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة (فكلوه) الهاء يعود على شئ (هنيئا) لا اثم فيه (مريئا) لا داء فيه فسرهما النبي عليه السلام أو هنيئا في الدنيا بلا مطالبة مريئا في العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وهذه عبارة عن المبالغة في الاباحة وازالة التبعة هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة في الوقف وهمزهما الباقون وعن علي رضي الله عنه اذا اشتكى أحدكم شيأ فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا (ولا تؤتوا السفهاء) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء وأضاف الى الاولياء أموال السفهاء بقوله (اموالكم) لانهم يلونها ويمسكونها (التي جعل الله لكم قياما) أي قواما لابدانكم ومعاشا لاهلكم وأولادكم قياما بمعنى قياما نافع وشامي كما جاء عوذا بمعنى عياذا وأصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس

دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المرأة كان اذا زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها الا قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق الى أهله وقال الحضرمي كان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بتسمية المهر في العقد (ق) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار في العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا أصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج أمرهم الله تعالى بايتاء نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال (نحلة) يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهي أخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلة غير التمتع دون عوض مالي (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى (فان طبن) يعني النساء المتزوجات (لكم) يعني الازواج (عن شئ منه) يعني من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعني ما وهبنه لكم (هنيئا مريئا) يعني طيبا سائغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شئ والمريء المحمود العاقبة وفي الآية دليل على اباحة هبة المرأة صداقها وانها تملكه ولا حق للولي فيه ﴿ قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما بين أيديهم أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وأنفق عليه منه حتى يبلغ وانما أضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها وأصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل في الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذي يكون مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور في هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق أموالكم (التي جعل الله لكم قياما) يعني قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن أنت قيم أهلك أنفق عليهم

(وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فيأ كلها الانفاق
(واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وكل ما سكنت اليه النفس
لحسنه عقلا أو شرعا من
قول أو عمل فهو معروف
وما انكرته لقبحه فهو منكر
(وابتلوا اليتامى) واختبروا
عقولهم وذوقوا احوالهم
ومعرفتهم بالتصرف قبل
البلوغ فالابتلاء عندنا ان
يدفع اليه ما يتصرف فيه
حتى تتبين حاله فيما يجيء
منه وفيه دليل على جواز
اذن الصبي العاقل في التجارة
(حتى اذا بلغوا النكاح)
أي الحلم لانه يصلح للنكاح
عنده ولطلب ما هو مقصود
به وهو التوالد (فان آنستم
منهم) تبينتم (رشدا) هداية
في التصرفات وصلاحا في
المعاملات (فادفعوا اليهم
أموالهم) من غير تأخير
عن حد البلوغ ونظم هذا
الكلام ان ما بعد حتى الى
فادفعوا اليهم أموالهم
جعل غاية للابتلاء وهي
حتى التي تقع بعدها الجمل
كالتي في قوله حتى ماء دجلة
أشكل والجملة الواقعة
بعدها جملة شرطية لان اذا
متضمنة معنى الشرط وفعل
الشرط بلغوا النكاح
وقوله فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم أموالهم جملة
من شرط وجزاء واقعة
جوابا للشرط الاول الذي
هو اذا بلغوا النكاح فكأنه
قيل وابتلوا اليتامى الى وقت
بلوغهم واستحقاقهم دفع
أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص وهو الرشد في التصرف والتجارة الحسن
أو يفيد التقليل أي طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابي حنيفة رحمه الله في دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة

ولا تؤتوه مالك ومالك وأهلك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به
اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من
النار (وارزقوهم فيها) أي أطعموهم (واكسوهم) يعني ان يجب عليكم رزقه وكسوته لمن لزمته مؤنته وانما قال عن
ايتاء المال السفيه أمر ان يجري رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه أراد اجعلوا لهم
فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم
لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعني قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر في القلب ويزيل السفه
وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت أعطيتك وان غنمت قسمت لك
حظا وقيل معناه الدعاء أي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك
الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا أمين
عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم
وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل ۞ قوله عز وجل (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي
عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن أخي يتيم
في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في
عقولهم وأديانهم وحفظ أموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) اي مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) اي
ابصرتم وعرفتم (منهم رشدا) يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

(فصل) في احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل *(المسألة الاولى)* الابتلاء يختلف باختلاف احوال
اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان
كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه في احوال داره وتختبر المرأة
في امر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارا
وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس
منه الرشد *(المسألة الثانية)* قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال
الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع
تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ اجاب الشافعي
بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم
رشدا (فادفعوا اليهم اموالهم) وانما تدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه
الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب أن لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار
عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد *(المسألة الثالثة)* في بيان البلوغ وذلك باربعة
اشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء أما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء
فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية ويدل عليه ما روي
عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني ثم عرضت
عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فاجازني أخرجاه في الصحيحين وهذا قول أكثر أهل العلم وقال أبو
حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة والثاني الاحتلام
وهو انزال المني الدافق سواء أنزل باحتلام أو جماع فاذا وجد ذلك من الصبي أو الجارية حكم ببلوغه لقوله
تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما انبات الشعر

الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في أولاد المشركين لما روى عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في أولاد المسلمين فيه قولان أحدهما انه يكون بلوغا كما في أولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق أولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد أولاد المسلمين والرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم وأما الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لانها أقل مدة الحمل *(المسئلة الرابعة)* في بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان لماله مفسدا لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم أمر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن *(المسئلة الخامسة)* اذا بلغ الصبي أو الجارية وأونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج أو لم يتزوج وقال مالك ان كانت امرأة لا يدفع اليها المال مالم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج مالم تكبر وتجرب *(المسئلة السادسة)* اذا بلغ الصبي رشيدا زال عنه الحجر ثم عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين أحدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يحجر عليه لان حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ماروى عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع أرضا سبخة بستين ألف درهم فقال علي لآتين عثمان ولاحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك في بيعك فأتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه ۞ وقوله تعالى (ولا تأكلوها اسرافا) الخطاب للاولياء يعني يامعشر الاولياء لا تأكلوا أموال اليتامى بغير حق (وبدارا ان يكبروا) يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ۞ ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) أي فليمتنع من أكل مال اليتيم ولا يرزؤه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فليأكل بالمعروف) روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شيء ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروى عن عمر وابن عباس وابن جبير وأبي العالية وعبيدة السلماني وأبي وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني نزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لاضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا يأكله الا أن

(ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا) ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فاسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال وان يكبروا في موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز أن يكونا مفعولا لهما أي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قسم الامر بين أن يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغني يستعفف من أكلها أي يحترز من أكل مال اليتيم واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في أكله عن ابراهيم ماسد الجوعة ووارى العورة

(فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا [illegible]) بانهم تسلموها وقبضوها فانه أبعد من التهمة وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عند

يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فأما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيأ فان أخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيأ وروى أن رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا أفأشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر نسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف أن يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم وقوله تعالى (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) هذا أمر ارشاد وليس بواجب أمر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان أبعد من أن يدعى عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصي وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا به

قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) نزلت هذه الآية في أوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأته ويقال لها أم كجة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة فجاءت أم كجة امرأة أوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته منه شيأ وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو أمر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني الذكور من أولاد الميت وعصبته نصيب أي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث (وللنساء نصيب) يعني وللاناث من أولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر) يعني من المال المخلف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيأ فان الله تعالى قد جعل لبنات به نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في أولادكم الآية فلما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان أدفعا الى أم كجة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال

قوله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين (أولوا القربى) يعني القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارزقوهم منه) أي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهي رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهي الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول أبي موسى الاشعري والحسن وأبي العالية والشعبي وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر أمر وجوب أو ندب على قولين أحدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيأ من المال بقدر تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول اني لا أملك هذا المال وهو

التخاصم والتناكر (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب أو هو راجع الى قوله فليأكل بالمعروف أي ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى الى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير في منه يعود الى ما ترك (نصيبا) نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا (مفروضا) مقطوعا لابد لهم من أن يحوزوه روي ان أوس بن ثابت ترك امرأته أم كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت أم كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيأ فان الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم (واذا حضر القسمة) أي قسمة التركة (أولوا القربى) لهؤلاء ممن لا يرث (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فارزقوهم) فاعطوهم (منه) مما ترك الوالدان والاقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ

لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول
الولي أو الوصي اني لا أملك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لأعطيتكم وان يكبروا فسيعرفوا
حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب في مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا
تولوا اعطاءهم بأنفسهم وان كانوا صغارا أعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم
أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لأجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي
وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة الأعيان فاذا آل الأمر الى قسمة الأرضين والرقيق وما أشبه
ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والأواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحي من
قسمته والقول الثاني ان هذا الأمر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الأصح
الذي عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر
الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل في معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية
من لا يرث من الأقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الوصي أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم
مع ذلك قولا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولا معروفا) هو أن لا يتبع العطية بالمن والأذى ﴿ قوله تعالى
(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعني أولادا صغارا (خافوا عليهم) يعني الفقر قيل هذا
خطاب الذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان أولادك وورثتك
لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك اعتق وتصدق وأعط فلا يزالون به حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك
وأمرهم بأن يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما أنكم تكرهون بقاء
أولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الصغار من ماله
وحاصل هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لأخيك المسلم وكأنه لو كان هذا القائل
هو الموصي لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم
وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد أن يوصي بشيء فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك أموالك
لولدك فيمنعونه من الوصية لأقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل أن تكون خطابا لمن حضر أجله ويكون
المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت
قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث
كان المراد منها أن يوصي بالثلث أو بأقل منه اذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة انهم أوصوا
بالقليل لأجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد في
الصحيح الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسألونهم
بأكفهم وقيل هو خطاب لأولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال
اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود من الآية من كان في حجره يتيم فليحسن اليه
وليه أو وصيه وليفعل به ما يحب أن يفعل بأولاده من بعده (فليتقوا الله) يعني في الأمر الذي تقدم ذكره
(وليقولوا قولا سديدا) يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمره ان
يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يجحف في وصيته والقول السديد من الأوصياء
وأولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون أولاده ولا يؤذوهم بقول ولا فعل ﴿ قوله عز وجل (ان الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلما) قال مقاتل وابن حيان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي
مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يعني
حراما بغير حق (انما يأكلون في بطونهم نارا) يعني يأكلون يوم القيامة فسمي الذين يأكلون نارا بما يؤول
اليه أمرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه
ومن مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثنا

ثم نسخ بآية المواريث (وقولوا لهم قولا معروفا) عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف ان يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) المراد بهم الأوصياء أمروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما في حيزه صلة الذين أي وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الأوصياء ان يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيابني ويا ولدي (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين فهو مصدر في موضع الحال (انما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم (نارا) أي يأكلون ما يجر الى النار فكأنه نار روي انه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره

النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان أكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر أنواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني (وسيصلون سعيرا) يعني بأكلهم أموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من أكل أموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان أكل مال اليتيم بغير حق من أعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وارد على سبيل الاصلاح في أموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من أعظم القرب ۞ قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوأه علي فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية أخرى فنزلت يوصيكم الله في أولادكم وفي رواية أخرى فلم يرد علي شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في أم كحة امرأة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك بنتين وامرأة وأخا (ق) عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما أخذ مالهما ولم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط أمهما الثمن وما بقي فهو لك أخرجه الترمذي وقال السدي كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة وأخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا تتضمن احكام الفرائض وأصول قواعدها

(فصل في الحث على تعليم الفرائض) اعلم ان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وأفضلها ذكرا وهي ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها وأصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلمها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فاني مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب وأخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى وهو اول شيء ينزع من امتي اخرجه ابن ماجه والدارقطني

(فصل في بيان أحكام الفرائض) اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان

ومن فيه وأذنيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا (وسيصلون) شامي وأبو بكر أي سيدخلون (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (في أولادكم) في شأن ميراثهم وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) اي للذكر منهم اي من أولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد حال الاجتماع أي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على انه اتبعه حكم الانفراد قوله

عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام اولاب اولام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة أصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات وأولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض أخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض وأخذ الباقى بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض

(فصل) وأسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو أن يرث أحد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصباته يرثون المعتق والاسباب التى تمنع الميراث أربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن اسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم أخرجاه فى الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم وأديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث أيضا حتى لا يرث اليهودى من النصرانى ولا النصرانى من المجوسى والى هذا ذهب الزهرى والاوزاعى وأحمد واسحق لما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين أهل ملتين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث أهل ملتين شتى أخرجه أبو داود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل أو خطأ لما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث أخرجه الترمذى وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند أهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا أو خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو أن يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا أو انهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كان حياته يقينا بعد موته من ورثته

(فصل) والسهام المحدودة فى الفرائض المذكورة فى كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن ولد لاب وأم والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا أو بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام أو للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا فى مسئلتين احداهما زوج وأبوان والاخرى زوجة وأبوان فان للام فيهما ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من أولاد الام ذكرهم وأنثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن فى المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن أو اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان فى المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الام ذكرا كان أو أنثى

وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع اه

(فصل) روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وأنثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان أما الاول وهو حجب النقصان فهو أن الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس وأما الثاني وهو حجب الحرمان فهو أن الام تسقط الجدات وأولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بأربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن وأولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي وأحمد وأولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى أن الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فأقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد أحد من الاخوة والاخوات للاب والام أو للاب يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان لاب وأم أو لاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وأم أولى ثم العم لاب وأم ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن أحد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت لاب وأم أو لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام أو للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت وأخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين وأخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وأت ابن مسعود فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ثم قال أقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فأخبر أبو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم أخرجه البخاري وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله أي يعهد اليكم ويفرض عليكم في أولادكم يعني في أمر أولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده أشد من تعلقه بغيره ولهذا قدم ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث ضعف سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من أهل الفروض كالابوين أخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعني المتروكات من

(فان كن

نساء) أى فان كانت الاولاد نساء خلصا يعنى بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) خبر ثان لكان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) أى الميت لان الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت (وان كانت واحدة فلها النصف) أى وان كانت المولودة منفردة واحدة بالرفع على كان التامة والنصب أوفق لقوله فان كن نساء فان قلت قد ذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فما حكمهما وما لهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضى الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين ولانه قال فى آخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان أمس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما ولان البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان أحرى أن يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفى الآية دلالة على أن المال كله للذكر اذا لم يكن معه أنثى لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين وقد جعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فعلم ان للذكر فى حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير فى (ولابويه) للميت والمراد الاب والام الا أنه غلب الذكر (لكل واحد منهما السدس) بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس مبتدأ خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف (مما ترك ان كان له ولد) هو يقع على الذكر والانثى (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) أى مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما يبقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لان الاب أقوى من الام فى الارث بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كاملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها فان امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين ولامه السدس لتهمز بحمزة بعد همز مجاورة لكسرة الميم (فان كان له) أى للميت (اخوة فلامه السدس) اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا فلامه السدس والاخ الواحد لا يحجب والاعيان والعلات

الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعنى بنتين فصاعدا (فلهن ثلثا ما ترك) وأجمعت الامة على أن للبنتين الثلثين الا ما روى عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين وعنده ان فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة وأجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور أيضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفى حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثانى أن فى الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعنى فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما أعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتى سعد بن الربيع وهذا نص واضح فى المسئلة وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعنى البنت واحدة (فلها النصف) يعنى فرضا لها (ولابويه) يعنى أبوى الميت كناية عن غير مذكور وهما الوالدان (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعنى أن للاب والام مع وجود الولد أو ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك أبوين وولدا ذكرا واحدا كان أو أكثر أو ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقى من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقى بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعنى للميت (وورثه أبواه فلامه الثلث) يعنى ان الميت اذا مات عن أبوين وليس له وارث سواهما فان الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقى المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما أثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين أحد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة (فان كان له) يعنى للميت (اخوة) يعنى ذكورا أو اناثا (فلامه السدس) يعنى لام الميت سدس التركة اذا كان معها أخوة وأجمع العلماء على أن الاثنين من الاخوة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد والاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا فى

والاشياف فى حجب الام سواء (من بعد وصية يوصى بها) متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية (يوصى بها) وما بعده بفتح الصاد مكي وشامي وحماد ويحيى وافق الاعشى فى الاولى وحفص فى الثانية لمجاورة يورث وكسر الاولى لمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر الصاد من أي يوصي بها الميت (أو دين) والاشكال ان الدين مقدم على الوصية فى الشرع وقدمت الوصية على الدين فى التلاوة والجواب ان أو لا تدل على الترتيب ألا ترى انك اذا قلت جاءنى زيد أو عمرو كان المعنى جاءنى أحد الرجلين فكان التقدير فى قوله من بعد وصية يوصى بها أو دين من بعد أحد هذين الشيئين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وانما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام ألا ان الدين قبل الوصية ولانها تشبه الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع الدين (آباؤكم) مبتدأ (وأبناؤكم) عطف عليه والخبر (لا تدرون) وقوله (أيهم) مبتدأ خبره (أقرب لكم) والجملة فى موضع نصب بتدرون (نفعا) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو عليه حكمة ولو

الاخوين قال الاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا أن يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان فى لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا بني ان قومك حجبوها باخوين ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا فى أقل الجمع وفيه مقولان أحدهما ان أقل الجمع اثنان وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان أصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند العرب أول الجمع ومشهور فى كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبا كما والقول الثاني ان أقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فاذا ورد ذلك جاز فى اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيأ البتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن أبوين وأخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة أسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير أن يرثوا مع الاب شيأ معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام (من بعد وصية يوصى بها أو دين) يعني ان هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت فى ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين فى اللفظ لا فى الحكم لان لفظة أو لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما الى الآخر قال علي رضي الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على أن الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة ﴿قوله تعالى (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام فى قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض فاطوعكم لله من الآباء والابناء أرفعكم درجة فان كان الوالد أرفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لان أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له فى الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعتهما وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما وهو بمعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وأبناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم فى الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من يظن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له ولكن الله هو الذي يأمركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعني ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان عليما حكيما) يعني كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل أن يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفى معنى لفظة كان ثلاثة أقوال أحدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهد ثم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال

وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الاموال على غير حكمة والتفاوت فى السهام بتفاوت المنافع وأنتم لا تدرون لان تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب (فريضة) ونصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا (من الله ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فى كل ما فرض

لان صفات الله تعالى لايجوز عليها الزوال والتقلب ﴿ قوله عز وجل (ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين) هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى فى ميراث الزوجات من الازواج (ولهن) يعنى الزوجات (الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أودين) لما جعل الله فى الموجب النسبى حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله فى الموجب السببى للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فانهن يشتركن فى الربع أو الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولافرق بين الولد وولد الابن وولد البنت فى ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها ﴿ قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة) تقدير الآية وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة واختلفوا فى الكلالة فذهب أكثر الصحابة الى ان الكلالة من لاولد له ولا والد روى الشعبى قال سئل أبو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان أراه ماخلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال انى لاستحى من الله ان أرد شيأ قاله أبو بكر وهذا قول على وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة فى أصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشئ الواحد الذى يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولاد وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لاولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لان أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية التى نزلت فى آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا فى ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحى من الورثة وهو قول أبى بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثنى كلالة أى يرثنى ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد ورثة غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذى لاولد له ولا والد الحى والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال أبو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا يسألنى عن الكلالة وما أعضل باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم شئ ما أعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا وهذا طرف حديث ذكر فى الخمر (ق) عن معدان بن أبى طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال انى لا أدع بعدى شيأ أهم عندى من الكلالة ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ ماراجعته فى الكلالة وما أغلظ لى فى شئ ما أغلظ لى فى الكلالة حتى طعن باصبعه فى صدرى وقال ياعمر ألا يكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء وانى ان أعش اقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله ألا يكفيك آية الصيف أراد ان الله عز وجل أنزل فى الكلالة آيتين احداهما فى الشتاء وهى التى فى أول سورة النساء والآية الاخرى فى الصيف وهى التى فى آخر السورة وفيها من البيان ماليس فى آية الشتاء فلذلك أحاله عليها ﴿ وقوله تعالى (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس) أراد به

[illegible] (ولكم نصف ماترك أزواجكم) أى زوجاتكم (ان لم يكن لهن ولد) أى ابن أو بنت (فان كان لهن ولد) منكم أو من غيركم (فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أودين) والواحد والجماعة سواء فى الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين (وان كان رجل) يعنى الميت وهو اسم كان (يورث) من ورث أى يورث منه وهو صفة لرجل (كلالة) خبر كان أى وان كان رجل موروث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير فى يورث والكلالة تطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء (أو امرأة) عطف على رجل (وله أخ أو أخت) أى لام فان قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره قلت اما افراده فلان أو لاحد الشيئين وأما تذكيره فلانه يرجع الى رجل لانه مذكر مبدوء به أو يرجع الى أحدهما وهو مذكر (فلكل واحد منهما السدس)

فان كانوا أكثر من ذلك) من واحد (فهم شركاء في الثلث) لأنهم يستحقون بقرابة الام وهي لا ترث أكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر
منهم على الانثى (من بعد وصية يوصى بها (٣٣٤) أو دين) انما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالاول الوالدان والاولاد والثاني الزوجة
والثالث الزوج والرابع
الكلالة (غير مضار) حال
اي يوصى بها وهو غير مضار
لورثته وذلك بان يوصى
بزيادة على الثلث او لوارث
(وصية من الله) مصدر
مؤكد اي يوصيكم بذلك
وصية (والله عليم) بمن جار
او عدل في وصيته (حليم)
على الجائر لا يعاجله بالعقوبة
وهذا وعيد فان قلت اين
ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها
فان يضمر يوصى فينتصب
عن فاعله لانه لما قيل يوصى
بها علم ان ثم موصيا كما كان
رجال فاعل ما يدل عليه
يسبح لانه لما قيل يسبح له
علم ان ثم مسبحا فضمر يسبح
واعلم ان الورثة اصناف
اصحاب الفرائض وهم
الذين لهم سهام مقدرة
كالبنت ولها النصف
وللاكثر الثلثان وبنت
الابن وان سفلت وهي عند
عدم الولد كالبنات ولهما مع
البنت الصلبية السدس
وتسقط بالابن وبنتي الصلب
الا ان يكون معها او اسفل
منها غلام فيعصبها والاخوات
لاب وام وهن عند عدم
الولد وولد الابن كالبنات
والاخوات لاب وهن
كالاخوات لاب وام عند
عدمهن وتصير عصبة ان
[illegible] مع البنت او بنت
الابن و[illegible] من الاس
[illegible] وعند أبي حنيفة رحمه الله وولد الام فللواحد السدس وللاكثر الثلث وذكرهم
[illegible] وان سفل والاب والجد وللاب وله السدس مع الابن أو ابن الابن وان سفل

الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال تعالى وله أخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما أضافوا أحدهما الى الآخر وربما أضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى أيهما أريد ويجوز اسناده اليهما أيضا (فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) وهذا اجماع العلماء أن أولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء قال أبو بكر الصديق في خطبته الا ان الآية التي أنزل الله في أول سورة النساء من شأن الفرائض أنزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التي ختم الله بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال أنزلها الله في أولى الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ۞ وقوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها أو دين) تقدم تفسيره وبقي شيء من الاحكام نذكرها وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى الآية ما روي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد أن يوصي به أن يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة أخرجاه في الصحيحين ففي ظاهر الآية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روي عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه أبو داود ۞ وقوله تعالى (غير مضار) يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي بأكثر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه أو يقر بماله أو أكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله وذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذي وقال قتادة كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبائر لان مخالفة أمر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على أن ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة ۞ وقوله تعالى (وصية من الله) اي فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم) يعني انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور (حليم) يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم

ومع البنت أو بنت الابن وان سفلت السدس والباقي والجد وهو أبو الاب وهو كالاب عند عدمه الا في رد الام الى ثلث ما يبقى والام ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وان سفل أو الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من أي جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وان كثرت لام كانت أو لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه الربع * والعصبات وهم الذين يرثون ما بقي من الفرض وأولاهم الابن ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم أبوه وان علا ثم الاخ لاب وأم ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وأم ثم ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم أعمام الاب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتي

هو الصفوح مع القدرة المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة ۞ قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدود الان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ورضي بما قسم الله وحكم عليه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله (ويتعد حدوده) يعني ويتجاوز ما أمر الله تعالى به (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من أهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله أعلم ۞ قوله تعالى (واللاتي) هو جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة (يأتين الفاحشة) يعني يفعلن الفاحشة يقال أتيت أمرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك أجمعوا على أن الفاحشة ههنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم) قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج أي اطلبوا أربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام أي استمعوا شهادة أربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود أربعة سترا ستركم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعني الشهود بالزنا (فامسكوهن في البيوت) أي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا (حتى يتوفاهن الموت) يعني تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان في أول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فبقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم

فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة باخواتهن لا غيرهن * وذوو الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تلك) اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا الى معنى من ولفظها ندخله فيهما مدني وشامي (وله عذاب مهين) لهوانه عند الله ولا تعلق للمعتزلة بالآية فانها في حق الكفار اذ الكافر هو الذي تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال (واللاتي) هي جمع التي وموضعها رفع بالابتداء (يأتين الفاحشة) أي الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى (من نسائكم) من للتبعيض والخبر (فاستشهدوا عليهن) فاطلبوا الشهادة (أربعة منكم) من المؤمنين (فان شهدوا) بالزنا (فامسكوهن في البيوت) فاحبسوهن (حتى يتوفاهن الموت) أي ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) [illegible] (سبيلا) [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible]
[illegible] خذوا عني [illegible] قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام [illegible]

(فصل) اتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا فى ناسخها فذهب بعضهم الى أن ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى أن الآية منسوخة بآية الحد التى فى سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابى لم يحصل النسخ فى هذه الآية ولا فى الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن فى البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها وأجمع العلماء على جلد البكر الزانى مائة ورجم المحصن وهو الذى اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة فى نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا فى جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة الى أنه يجب الجمع بينهما وبه قال على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن واسحق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزانى الرجم وحده لان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وأما تغريب البكر الزانى ونفيه سنة فمذهب الشافعى وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال أبو حنيفة وحماد لا يقضى بالنفى أحد الا أن يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعى لا نفى على النساء ويروى مثله عن على قال لان المرأة عورة وفى نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعى وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان أبا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزانى عبدا فعليه جلد خمسين وفى تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان أصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزانى مجنونا أو غير بالغ فلا جلد عليه ۞ قوله عز وجل (واللذان) هو تثنية الذى (يأتيانها) يعنى يأتيان الفاحشة (منكم) يعنى من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر فى الاولى النساء وهذه للرجال لان الله تعالى حكم فى الآية الاولى بالحبس فى البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست فى البيت انقطعت مادة المعصية وأما الرجل فلا يمكن حبسه فى البيت لانه يحتاج الى الخروج فى اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزانى الاذية بالقول والفعل (فآذوهما) يعنى عيروهما بالقول باللسان وهو أن يقال له أما خفت الله أما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفى رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال (فان تابا) يعنى من الفاحشة (وأصلحا) يعنى العمل فيما يأتى (فأعرضوا عنهما) أى اتركوهما ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) يعنى انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان فى ابتداء الاسلام كان حد الزانى الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد أحصن وسواء فى هذا الحكم المسلم واليهودى لانه ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وقال أبو حنيفة لا رجم على اليهودى لان المشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج ۞ قوله تعالى (انما التوبة على الله) يعنى التوبة التى يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أى من الله وقال أهل المعانى ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين فى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيأ أنجز

(والذان) بتخفيف النون والزانية وبتشديد النون مكى (يأتيانها منكم) أى الفاحشة (فآذوهما) بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فان تابا) عن الفاحشة (وأصلحا) وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (ان الله كان توابا رحيما) يقبل توبة التائب ويرحمه قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى فى السحاقات والثانية فى اللواطين والتى فى سورة النور فى الزانى والزانية وهو دليل ظاهر لابى حنيفة رحمه الله فى انه يعزر فى اللواطة ولا يحد وقال مجاهد آية الاذى فى اللواطة (انما التوبة) هى من تاب الله عليه اذا قبل توبته أى انما قبولها (على الله) وليس المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكنه تأكيد للوعد يعنى انه يكون لا محالة كالواجب

الذى لا يترك (الذين يعملون السوء) الذنب لسوء عقابه (بجهالة) فى موضع الحال أى يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن

ميعاده وصدق فيه يعنى قوله على الله أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعنى الذنوب والمعاصى سميت سوأ لسوء عاقبته الذالم يتب منها (بجهالة) قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شئ عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمى جاهلا وسمى فعله جهالة وانما سمى من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمى جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتى الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعنى يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يعد فى زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب فى صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة أهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع فى كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخرجه الترمذى الغرغرة أن يجعل المشروب فى فم المريض فيردده فى الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوى بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى وقيل فى معنى الآية ان القريب هو أن يتوب الانسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فأولئك يتوب الله عليهم) يعنى يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيما) قال ابن عباس علم مافى قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما أتى تلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأناب عن قريب

﴿ قوله عز وجل (وليست التوبة للذين يعملون السيآت) قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثورى هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر أحدهم الموت) يعنى وقع فى النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال انى تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قيل قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا أهملوا أمرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم فى قوله أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وأيضا انه تعالى أخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه قلت ليس الامر على مازعموا فقد روى عن ابن عباس فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيآت يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى فى المؤمنين يعنى قوله انما التوبة على الله والوسطى فى المنافقين يعنى قوله وليست التوبة والاخرى فى الكافرين يعنى قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة فى المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة فى عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم

ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينظر الى ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر ومن للتبعيض أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا (فأولئك يتوب الله عليهم) عدة بانه يفى بذلك واعلام بان الغفران كائن لا محالة (وكان الله عليما) بعزمهم على التوبة (حكيما) حكم بكون الندم توبة (وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن) أى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا يستحق الثواب الا المختار

(ولا الذين يموتون) في موضع جر بالعطف على الذين يعملون السيئات أي ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون (وهم كفار) قال سعيد بن جبير الآية الاولى في المؤمنين والوسطى في المنافقين والاخرى في الكافرين وفي بعض المصاحف بلامين وهو مبتدأ خبره (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) أي هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الاصل أعددنا فقلبت الدال تاء * كان الرجل يرث امرأة مورثه بأن يلقي عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أي ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلي من الاكراه مصدر في موضع الحال من المفعول والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل (ولا تعضلوهن) وهو منصوب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن أو مجزوم بالنهي على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر واللام متعلقة بتعضلوا (الا أن يأتين بفاحشة) هي النشوز وايذاء الزوج وأهله بالبذاء الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع (مبينة) وبفتح الياء مكي وأبو بكر والاستثناء من أعم عام الظرف والمفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة وكانوا الجبل يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن) لقبحهن أو سوء خلقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه) في ذلك الشيء أو في الكره (خيرا كثيرا) ثوابا جزيلا أو ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأدنى الى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح واتصح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم [illegible] خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا رأى امرأة فأعجبته بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء وتزو

من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة في حق المؤمنين ۞ وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب (أولئك أعتدنا لهم) أي هيأنا لهم (عذابا أليما) ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين امنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) نزلت في أهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوي عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة وعلى خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي أصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا أموالهن كرها يعني وهن كارهات (ولا تعضلوهن) أي ولا تمنعوهن من الازواج وأصل العضل المنع (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) يعني لتضجر فتفتدي ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهي الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المرأة اذا نشزت أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ما ساق اليها وأخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع الى الكلام الذي قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك (فان كرهتموهن) يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عباس هو ان يرزق منها ولدا صالحا فيجعل الله في ولده خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الآية ندب الى امساك المرأة مع الكراهة لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء

[illegible] القليل (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أى تطليق امرأة وتزوج أخرى (وآتيتم احداهن) [illegible]
بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال (قنطارا) مالا عظيما كما مر فى آل عمران وقال عمر رضى الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت
امرأة أنتبع قولك أم قول الله وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد أعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيأ
أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) أى بينا والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أى

يتحير وانتصب بهتانا على الحال أى باهتين وآثمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الافضاء فقال (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أى خلا بلا حائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا فى الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث أنكر الاخذ وعلل بذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن أو قول النبى عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان فى أيديكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولما نزل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا الارث بهن كرها ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) وقيل المراد بالنكاح الوطء أى لا تطؤا ما وطئ آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوأة الاب بنكاح أو بملك يمين أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير
من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال (الا ما قد سلف) أى لكن ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به والاستثناء
منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا العقد فى الحال فقال (انه كان فاحشة) بالغة فى القبح (ومقتا) وبغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم
يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى (وساء سبيلا) وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى أول
السورة نكاح ما طاب أى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات المتبقيات وهن سبع من النسب

الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى وقيل فى معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن فربما جعل الله فى تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه ❁ قوله عز وجل (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال وأراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله فى الآية الاولى مضارة الزوجات اذا أتين بفاحشة وهى اما النشوز أو الزنا بين فى هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المرأة اذا أراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتيتم احداهن قنطارا) يعنى وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفى الآية دليل على جواز المغالاة فى المهور روى ان عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا فى مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفقه منك يا عمر وفى رواية امرأة أصابت وأمير أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس فى صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور أيسرها وأسهلها (فلا تأخذوا منه شيأ) يعنى من القنطار الذى آتيتموهن أو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك (أتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا) يعنى ظلما وقيل باطلا (واثما مبينا) يعنى أتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه فى الشرع والعقل ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيأ بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب فى ذلك فقال تعالى (وقد أفضى بعضكم الى بعض) أصل الافضاء فى اللغة الوصول يقال أفضى اليه أى وصل اليه ثم للمفسرين فى معنى الافضاء فى هذه الآية قولان أحدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعى لان عنده أن الزوج اذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثانى فى معنى الافضاء هو أن يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبى الافضاء أن يكون معها فى لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبى حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقيل هى كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهى الكلمة التى تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ❁ قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وروى انه لما توفى أبو قيس وكان من صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى اتخذتك ولدا وأنت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء (الا ما قد سلف) يعنى الا ما مضى فى الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما سماه فاحشة لان زوجة الاب فى منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من أقبح المعاصى (ومقتا) يعنى انه يورث المقت من الله وهو أشد البغض وغاية الخزى والخسارة (وساء سبيلا) أى وبئس ذلك

طريقة الا انه يؤدي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وأبو معيط ابن أبي عمرو بن أمية روى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه ﴿قوله عز وجل (حرمت عليكم امهاتكم) بين الله عز وجل في هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب أو نسب (خ) عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الآية فجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب أربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم أمهاتكم جمع أم واصلها أمهات أمات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امرأة رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبنت عبارة عن كل أنثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة أو درجات بإناث كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (وأخواتكم) جمع أخت وهي عبارة عن كل امرأة شاركتك في أصليك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام (وعماتكم) جمع عمة وهي كل امرأة شاركت أباك في أصليه وهن جميع أخوات الاب وأخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام أيضا وهي أخت أبي الام (وخالاتكم) جمع خالة وهي كل امرأة شاركت الام في أصليها فيدخل فيه جميع اخوات الام وأخوات أمهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب أيضا وهي أخت ام الاب (وبنات الاخ وبنات الاخت) وهي عبارة عن كل امرأة لاخيك أو لاختك عليها ولادة يرجع نسبها الى الاخ أو الاخت فيدخل فيهن جميع بنات أولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده أصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول أول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات وأول فصل من كل أصل بعده أصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه ＊ الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي أمك وبنتها أختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة أخرجاه في الصحيحين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانها ابنة أخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات أمهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع أحكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولا تجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام أخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين أخرجه مالك في الموطأ بأطول من هذا وأخرجه أبو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد العظم وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه وأقله ستة أشهر الشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات روي ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي ويدل على ذلك ما روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان أخرجه مسلم (م) عن أم الفضل ان النبي

وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال (حرمت عليكم أمهاتكم) والمراد تحريم نكاحهن عند البعض وقد ذكرنا المختار في شرح المنار والجدة من قبل الام أو الاب ملحقة بهن (وبناتكم) وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته (وأخواتكم) لاب وأم أو لاب او لام (وعماتكم) من الاوجه الثلاثة (وخالاتكم) كذلك (وبنات الاخ) كذلك (وبنات الاخت) كذلك ثم شرع في السبب فقال (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد وُلد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته وأخواته لابيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لابيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لام وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

صلى

[illegible] لا تحرم [illegible] (م) عن عائشة قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات
يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولها
فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن [illegible] واجمعوا على ان
هذا لا يتلى [illegible] وذهب جمهور العلماء الى أن قليل الارضاع وكثيره محرم وهو قول
ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة
وأحمد فى احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعى واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه
علق الحكم بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا وأجاب الشافعى ومن وافقه فى هذه المسئلة بأن السنة
والقرآن مفسرة له وقوله تعالى (وأمهات نسائكم) يعنى اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه أمها الاصلية
وجميع جداتها من قبل الاب والام كما فى النسب والرضاع أيضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل
العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد سواء دخل بها أو لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة
الى ان أم المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول على وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر
الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روى عن
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح
ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلا يحل له أن ينكح أمها دخل بها أو لم يدخل
أخرجه الترمذى وقوله تعالى (وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهى بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيته اياها فى
حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها
وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها أو ماتت قبل دخوله
بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج أمها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات وعلق تحريم
البنات بالدخول بالام وقوله تعالى (وحلائل أبنائكم) يعنى أزواج أبنائكم واحدتها حليلة والرجل
حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه فى ازار
واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء وجملته انه يحرم على الرجل أزواج
أبنائه وأبناء أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من أصلابكم) انما قال
من أصلابكم احترازا من التبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذى تبناه لانه كان فى صدر الاسلام
بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد
ابن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فأنزل الله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم وقال
تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم ۞ وقوله تعالى (وأن تجمعوا بين الاختين)
يعنى لا يجوز للرجل أن يجمع بين الاختين فى نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب أو رضاع
والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة أوجه أحدها أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو
تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا
جاز له نكاح أختها الوجه الثانى من صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان
يجمع بينهما فى الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة
الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هو أن يتزوج احداهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين

[illegible] (٣٤٤) [illegible]

[illegible] لكونهن [illegible] كأنكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) متعلق بربائبكم أى الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أى أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لان الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفى العامل وهذا لان النساء الاولى مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف فيه (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) فلا حرج عليكم فى أن تتزوجوا
بناتهن اذا فارقتموهن أو متن (وحلائل أبنائكم) جمع حليلة وهى الزوجة لان كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أو من الحلول (الذين من أصلابكم) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم وليس هذا لنفى الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع (وان تجمعوا بين الاختين) أى فى النكاح

فذهب بعض العلماء الى أنه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول أصح وأولى لما روي قبيصة ابن ذؤيب أن رجلا سأل عثمان عن أختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتهما آية وحرمتهما آية فأما أنا فلا أحب ان أصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال أما أنا فلو كان لي من الامر شيء لم أجد أحدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه علي بن أبي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك في الموطأ ﴿ وقوله تعالى (الا ما قد سلف) يعني لكن ما قد مضى فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحيما) وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان أنكحة الكفار صحيحة فلو أسلم عن أختين قيل له اختر أيتهما شئت ويدل على ذلك ما روي عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله اني أسلمت وتحتي أختان قال طلق أيتهما شئت أخرجه أبو داود * (فروع) * تتعلق بحكم الآية الاول لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخرجاه في الصحيحين قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أو لبن لو كان ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة أصناف ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها لو أراد أن يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على آباء الزاني ولا أبنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح أو بنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وفقهاء الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وأهل العراق ولو لمس امرأة أجنبية بشهوة أو قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يجعل ذلك كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان أحدهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثاني لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة ﴿ قوله تعالى (والمحصنات) يعني وحرمت المحصنات (من النساء) وأصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هي السابعة من النساء التي حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدري نزلت هذه الآية في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فتزوجن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (الا ما ملكت أيمانكم) يعني السبايا اللاتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى أوطاس فاصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود أراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقال عطاء أراد بقوله الا ما ملكت أيمانكم ان تكون أمته في نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه وقيل أراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن حرام عليكم الا ما ملكت أيمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعني حرمت عليكم أمهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم يعني

وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات أي وحرم عليكم الجمع بين الاختين (الا ما قد سلف) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (ان الله كان غفورا رحيما) وعن محمد بن الحسن رحمه الله ان أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امرأة الاب ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ما قد سلف (والمحصنات من النساء) أي ذوات الازواج لانهن أحصن فروجهن بالتزوج قرأ الكسائي بفتح الصاد هنا وفي سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها في جميع القرآن (الا ما ملكت أيمانكم) بالسبي وزوجها في دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أي اللاتي لهن أزواج الا ما ملكتموهن بسبيهن واخراجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي فتحل لكم حينئذ بعد الاستبراء (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم

كتب

كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا (وأحل لكم ما وراء ذلكم) يعني وأحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضي حل ما سوى المذكور من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم أصناف أخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بأمة والقادر على طول الحرة لم يجز له أن يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده أربع نسوة حرم عليه أن يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد فهذه أصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (أن تبتغوا بأموالكم) فيه اضمار تقديره وأحل لكم أن تبتغوا أي تطلبوا بأموالكم أي تنكحوا بصداق أو تشتروا بثمن وفي الآية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشيء فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم (محصنين) يعني متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعني غير زانين والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان أصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (فآتوهن أجورهن) يعني مهورهن وانما سمي المهر أجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار والدابة أجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشيء معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة وحرمها (م) عن سبرة بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أي ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة فروي عنه ان الآية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة أسفاح هي أم نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله أنا ما أفتيت باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة وروي انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها الا أجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا أعلم في الاسلام شيء أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة وقال أبو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول أهل العلم جميعا من أهل الحجاز والشام والعراق من أصحاب الأثر والرأي وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا غيره

الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله أي كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم (ما وراء ذلكم) ما سوى المحرمات المذكورة وأحل كوفي غير أبي بكر عطف على حرمت (ان تبتغوا) مفعول له أي بين لكم ما يحل مما يحرم لان تبتغوا أو بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر (بأموالكم) يعني المهور وفيه دليل على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لا يصلح مهرا وان القليل لا يصلح مهرا اذ الحبة لا تعد مالا عادة (محصنين) في حال كونكم محصنين (غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنياكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني (فما استمتعتم به منهن) فما نكحتموه منهن (فآتوهن أجورهن) مهورهن لان المهر ثواب على البضع سماه معنى النساء ومن للتبعيض أو للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن

قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله وأما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرائط التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين أي عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري أولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فآتوهن أجورهن يعني مهورهن (فريضة) يعني لازمة واجبة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال أراد انهما اذا عقدا عقدا الى أجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه (ان الله كان عليما) يعني بما يصلحكم أيها الناس في مناكحكم وغيرها من سائر أموركم (حكيما) يعني فيما يدبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل

(فصل في قدر الصداق وما يستحب منه) اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه ولا أنكح شيأ من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية أخرجه الترمذي ولابي داود نحوه (م) عن أبي سلمة قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا قالت أتدري ما النش قلت لا قالت نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في أقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز أن يكون مبيعا أو ثمنا جاز أن يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد واسحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيأ جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شئ فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى أهلك فانظر هل تجد شيأ فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شئ وان لبسته لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعي له فلما جاء قال ماذا معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرؤهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن وفي رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفي رواية فقد أنكحتكها بما معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي وفي هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال هل تجد شيأ وهذا يدل على جواز أي شئ كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له

(فريضة) حال من الاجور أي مفروضة أو وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض أو مصدر مؤكد أي فرض ذلك فريضة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهبه له من كله أو تزيد لها على مقداره أو فيما تراضيا به من مقام أو فراق (ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي به حفظت الانساب وقيل ان قوله فما استمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت

الا القليل التافه وفيه دليل على أنه يجوز أن يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعي ومنعه أصحاب الرأى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى فى صداق امرأة ملء كفيه سويقا أو تمرا فقد استحل أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن عامر عن أبيه أن امرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فأجازه أخرجه الترمذى وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر ❁ قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعنى فضلا وسعة وانما سمى الغنى طولا لانه ينال به من المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة (أن ينكح المحصنات) يعنى الحرائر (المؤمنات فمما ملكت أيمانكم) يعنى جارية أخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له أن يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى وفى الآية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين أحدهما أن لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة فى الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثانى هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعى وأحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر أن ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب أبى حنيفة الا أن يكون فى نكاحه حرة والسبب فى منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص فى حق الحر وفى حق ولده ولان حق السيد أعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان السيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا أن تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان فى نكاحه حرة وعند أبى حنيفة لا يجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول فى الحر وفى الآية دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان أو عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعى وقال أبو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين ❁ وقوله تعالى (والله أعلم بايمانكم) قال الزجاج أى اعملوا على الظاهر فى الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن فى الايمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعنى أنكم كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فأعلم الله تعالى ان ذلك أمر لا يلتفت اليه فلا يتداخلكم شموخ وأنفة من التزوج بالاماء فانكم متساوون فى النسب الى آدم وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وأنتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له أن يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد أن المؤمنين بعضهم أكفاء بعض (فانكحوهن باذن أهلهن) يعنى اخطبوا الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا فى جواز نكاح الامة (وآتوهن أجورهن) يعنى مهورهن (بالمعروف) يعنى من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه وآتوهن مهور أمثالهن وأجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما أضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن (محصنات) يعنى عفائف (غير مسافحات) يعنى غير زانيات (ولا متخذات أخدان) جمع خدن وهو الصاحب الذى يكون معك فى كل أمر

(ومن لم يستطع منكم طولا) فضلا يقال لفلان على فلان طول أى فضل وزيادة وهو مفعول يستطع (ان ينكح) مفعول الطول فانه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من طولا (المحصنات المؤمنات) حرائر المسلمات (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أى فلينكح مما ملكت من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم أى من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد فى النص للاستحباب بدليل ان الايمان ليس بشرط فى الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وفيه دليل لنا فى مسئلة الطول (والله أعلم بايمانكم) فيه تنبيه على قبول ظاهر ايمانهن ودليل على أن الايمان هو التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان المسموع لا يختلف (بعضكم من بعض) أى لا تستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير من التعيير بالانساب والتفاخر بالاحساب (فانكحوهن باذن أهلهن) ساداتهن وهو حجة لنا فى أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لانه اعتبر اذن الموالى لا عقدهم وانه ليس للعبد أو للامة أن يتزوج الا باذن المولى (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا اليهن مهورهن بغير مطل واضرار وملاك

مهورهن مواليهن فكان أداؤها اليهن أداء الى الموالى لانهن وما فى أيديهن مال الموالى والتقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف حال من المفعول فى وآتوهن (غير مسافحات) زوان علانية (ولا متخذات أخدان) زوان

ظاهر وباطن وأكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال تخدن المرأة وتخدينها يعني صحبها الذي يزني بها
في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات الاخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع
غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لا جرم ان الله
تعالى أفرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا (فاذا أحصن) قرئ بفتح الالف
والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسلمن وقرأ أحصن بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن
(فان أتين بفاحشة) يعني بزنا (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعني فعلى الاماء اللاتي زنين
نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد ويجلد العبد للزنا اذا زنى خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك
المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول أكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وقال
طاوس انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال فاذا أحصن والذي لم يتزوج ليس
بمحصن وأجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد
منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه
انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو
ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها
فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها
ولو بحبل من شعر أخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها أي لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء
في اللوم قال الشيخ محيي الدين النواوي وهذا البيع المأمور به في الحديث مستحب وليس بواجب عندنا
وعند الجمهور وقال داود وأهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشيء الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع
المأمور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيأ
ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه أو يصونها بهيبته أو بالاحسان
اليها أو يزوجها أو غير ذلك والله أعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشي العنت منكم) يعني الزنا
والمعنى ذلك لمن خاف أن تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعقبه
من المشقة وهي شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة
وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وأن تصبروا) يعني عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) يعني كيلا
يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم
حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون اليه ۞ قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام في قوله ليبين معناه أن
يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من أجل أن يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح
أموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) أي
ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) أي شرائع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها
كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل
معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) يعني ويتجاوز عنكم
ما أصبتم قبل أن يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا أمر
الشرائع والمصالح وأرشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما أمر به وبينه فلا جرم انه تعالى
قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعني بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم (حكيم) يعني فيما دبر من أمورهم
(والله يريد أن يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد أن يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل
معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير

سرا والاخدان الاخلاء في السر (فاذا أحصن) بالتزويج أحصن تحصن كوفي غير خلص (فان أتين بفاحشة) زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات)
أي الحرائر (من العذاب) من الحد يعني خمسين جلدة وقوله نصف ما على المحصنات يدل على انه الجلد لا الرجم لان الرجم
لا ينتصف وان المحصنات
هنا الحرائر اللاتي لم يزوجن
(ذلك) أي نكاح الاماء
(لمن خشي العنت منكم)
لمن خاف الاثم الذي تؤدي
اليه غلبة الشهوة وأصل
العنت انكسار العظم بعد
الجبر فاستعير لكل مشقة
وضرر ولا ضرر أعظم من
مواقعة المآثم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما هو
الزنا لانه سبب الهلاك
(وان تصبروا) في محل
الرفع على الابتداء أي
وصبركم عن نكاح الاماء
متعففين (خير لكم) لان
فيه ارقاق الولد ولانها خراجة
ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك
كله نقصان يرجع الى
الناكح ومهانة والعزة من
صفات المؤمنين وفي الحديث
الحرائر صلاح البيت
والاماء هلاك البيت (والله
غفور) يستر المحظور
(رحيم) يكشف المحذور
(يريد الله ليبين لكم) أصله
يريد الله أن يبين لكم فزيدت
اللام مؤكدة لارادة التبيين
كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد
اضافة الاب والمعنى يريد الله
أن يبين لكم ما هو خفي
عليكم من مصالحكم وأفاضل
أعمالكم (ويهديكم سنن
الذين من قبلكم) وان
يهديكم مناهج من كان
قبلكم من الانبياء والصالحين الطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويوفقكم للتوبة عما كنتم في
[illegible] خلاف (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) فيما شرع لهم (والله يريد أن يتوب عليكم) التكرير للتأكيد والتقرير والنقل

في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون أن تكونوا مثلهم (أن تميلوا) يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله أن يخفف عنكم) يعني ليسهل عليكم احكام الشرائع فهو عام في كل أحكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ۞ وقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) يعني في قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في أصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه أكل مال نفسه بالباطل ومال غيره أما أكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي وأما أكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في أكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة ۞ وقوله تعالى (الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكانت الا ههنا بمعنى لكن يحل أكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا أو يخير أحدهما الآخر فان خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع أخرجاه في الصحيحين ۞ وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال أنفسكم لانهم أهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهي للانسان عن قتل نفسه (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى أسفل قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها أي يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه أن لا يفعل شيأ يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا أنفسكم بأن تعملوا عملا ربما أدى الى قتلها (ان الله كان بكم رحيما) يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شئ تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل انه

(ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن (٣٤٧) الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (الا أن تكون تجارة) الا أن تقع تجارة تجارة كوفي الا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر لان أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والآية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة أو معنى القتل أكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه أو ولا تتبعوا أهواءها فتقتلوها أو لا تركبوا ما يوجب القتل (ان الله كان بكم رحيما) ولرحمته بكم نهاكم عن ما يضركم أو ما كتب عليكم ما كتب على من قبلكم وقيل معناه انه أمر بني اسرائيل بقتلهم أنفسهم

تعالى أمر بني اسرائيل بقتل أنفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى أقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس وأكل المال بالباطل لانهما مذكوران في آية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من أول السورة الى هنا (عدوانا وظلما) يعني بتجاوز الحد فيضع الشيء في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون أخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نصليه نارا) أي ندخله في الآخرة نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) أي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد ﴿ قوله عز وجل (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اجتناب الشيء المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته ✽ وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكبائر فمن ذلك ما روى عن أبي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت أخرجاه في الصحيحين (ق) عن أنس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قول الزور أو قال شهادة الزور (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية ان أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أبا الرجل أو أمه فيسب أباه أو أمه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود أكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعمائة أقرب وفي رواية الى السبعين أقرب الا أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شيء عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيأ منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر وقال علي بن أبي طالب كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيآت ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيآت الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيآت مقدماتها وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباه ذلك (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل

ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ومن يفعل ذلك) أي القتل أي ومن يقدم على قتل الانفس (عدوانا وظلما) لا خطأ ولا قصاصا وهما مصدران في موضع الحال أو مفعول لهما (فسوف نصليه نارا) ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك) أي اصلاؤه النار (على الله يسيرا) سهلا وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد وفي حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه

نكفر عنكم سيئاتكم) عن ابن مسعود رضي الله عنهما الكبائر كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه وعنه أيضا الكبائر ثلاث الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير
ما تنهون عنه وهو الكفر (وندخلكم مدخلا) مدخلا مدني وكلاهما بمعنى المكان والمصدر (كريما) حسنا وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين (٣٤٩) لكم والله يريد أن يتوب عليكم
يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفر أن يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة بالآية على ان الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى ان الكبائر غير مغفورة باطل لان الكبائر والصغائر في مشيئته تعالى سواء ان شاء عذب عليهما وان شاء عفا عنهما لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات فهذه الآية تدل على ان الصغائر والكبائر يجوز ان يذهبا بالحسنات لان لفظ السيئات ينطلق عليهما ولما كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق بتمني مال الغير وجاهه نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال
بقوله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما ينبغي
لكل من بسط في الرزق أو قبض فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه فالحسد أن يتمنى أن يكون ذلك الشيء له ويزول
عن صاحبه والغبطة ان يتمنى مثل ما لغيره وهو مرخص فيه والاول منهي عنه ولما قال الرجال نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر
النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما
اكتسبن) وليس ذلك على حسب الميراث

زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي
اليه وما دونه فهو من السيآت فقد ثبت بما تقدم من الادلة أن من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب
الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقوله
تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه هي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في
الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيئاتكم) يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لان أصل
التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا تكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في
الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما
بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا
اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم ۞ وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعني حسنا شريفا وهو الجنة
والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه ۞ قوله عز وجل (ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض) أصل التمني ارادة الشيء وتشهي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه
حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمني تقدير الشيء في النفس وتصويرها فيها وذلك قد يكون عن
تخمين وظن وقد يكون عن روية وأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن ارادة ما يعلم أو يظن
أنه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وانما لنا نصف الميراث
فأنزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل ان المسلمين والمسلمات وكانت أم
سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر
مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم أقوى
وأقدر على طلب المعاش منا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت
الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا
عليهن في الميراث وقالت النساء انا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف
من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمني على قسمين أحدهما أن يتمنى الانسان أن يحصل له مال غيره مع زوال
تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من
عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد في نفسه انه أحق بتلك النعمة من ذلك
الانسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم القسم الثاني أن يتمنى مثل مال غيره ولا يحب أن
يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لان تلك
النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين أو الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل
هلاكك في ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل أعلم بصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة
من عمل الآخرة وليقل اللهم أعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ۞ وقوله تعالى (للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من
الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في
الآخرة سواء لان الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في

الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسألة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يعين شيأ في الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء أن يكن رجالا وأن يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وأمرهن أن يسألوه من فضله فانه أعلم بمصالح عباده (ان الله كان بكل شيء عليما) يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل في الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له ۞ قوله تعالى (ولكل) يعني من الرجال والنساء (جعلنا موالي) يعني ورثة من بني عم واخوة وسائر العصبات (مما ترك) يعني يرثون مما ترك (الوالدان والاقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الموروثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي أي ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه وأقربوه والقول الاول أصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت أيمانكم) وقرئ عقدت بغير ألف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد أو هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية فيقول لمعاقده دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعني أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له وفي رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرأ والذين عقدت أيمانكم انما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى الاسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤتيه نصيبه أخرجه أبو داود وعلى هذا فلا نسخ أيضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة أخرجه مسلم ۞ وقوله تعالى (ان الله كان على كل شيء شهيدا) قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للمطيعين ووعيد للعصاة المخالفين ۞ قوله عز وجل (الرجال قوامون على النساء) نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك انه نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أفرشته كريمتي فلطمها

(واسألوا الله من فضله) فانه بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم يأمر بالمسألة الا ليعطي وفي الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا أعطي عبدي حتى يسألني وسلوا مكي وعلي (ولكل) المضاف اليه محذوف تقديره ولكل أحد أو لكل مال (جعلنا موالي) وراثا يلونه ويحرزونه (مما ترك الوالدان والاقربون) هو صفة لمال محذوف أي من مال تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالي تقديره يرثون مما ترك (والذين عاقدت أيمانكم) عاقدتهم أيديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو (فآتوهم نصيبهم) مع الفاء عقدت كوفي أي عقدت عهودهم أيمانكم والمراد به عقد الموالاة وهي مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضي الله عنهم وهو قولنا وتفسيره اذا أسلم رجل او امرأة لا وارث له وليس بعربي ولا معتق فيقول لآخر واليتك على انك تعقل عني اذا جنيت وترث مني اذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد ذلك ويرث الاعلى من الاسفل (ان الله كان على كل شيء شهيدا) أي هو عالم الغيب والشهادة وهو [illegible] وعد ووعيد (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتاني فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء اي مسلطون على تأديب النساء والاخذ على أيديهن قال ابن عباس أمروا عليهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها في طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويجتهد في حفظها ولما ثبت القيام للرجال على النساء بين السبب في ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بأمور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء ۞ ثم قال تعالى (وبما أنفقوا من اموالهم) يعني وبما أعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها اخرجه الترمذي (فالصالحات) يعني المحسنات العاملات بالخير (قانتات) أي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن في غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله أي النساء خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية ۞ وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعني بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج وأمرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وان اعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث أمرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان (واللاتي تخافون) اي تعلمون وقيل تظنون (نشوزهن) اي شرورهن وأصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى أمره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه أو لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى امره اذا أمرها دل ذلك على نشوزها على زوجها (فعظوهن) يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو أن يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما أنت عليه واعلمي أن طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن في المضاجع) يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش آخر (واضربوهن) يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعي الضرب مباح وتركه أفضل عن عمرو بن الاحوص أنه سمع

(بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير في بعضهم للرجال والنساء يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأي والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبي حنيفة رحمه الله والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا من أموالهم) وبان نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول (فالصالحات قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة اي اذ كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في قوله وعاشروهن بالمعروف او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك والثاني (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن طاعة الازواج والنشز المكان المرتفع والنبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما وان تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع امره (فعظوهن) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام [illegible] القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة (واهجروهن في المضاجع) في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع او هو ان يوليها ظهره في المضجع لانه لم يقل عن المضاجع (واضربوهن) ضربا غير مبرح امر بوعظهن أولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال ألا واستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية أي اسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق ﴿ وقوله (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) اى لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا اتين بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود قوله ولا تقبح اى لا تقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها وقال يضاجعها من آخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرت النساء على ازواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم أخرجه أبو داود اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله ذئرت يقال ذئرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه وأطاف بالشئ أحاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها للتأديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شئ أولى في هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان أبت هجر مضجعها فان أبت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز أما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل انه له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها أو يضربها عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته أخرجه أبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي أخرى حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجته فلتأته وان كانت على التنور أخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك الينا وله عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان أطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه أزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلي في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل أحد لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى ان الله متعال

(فان اطعنكم) بترك النشوز (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فازيلوا عنهن التعرض بالاذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الامر اى طلبته (ان الله كان عليا كبيرا) أى ان علت أيديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن أو ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع ثم

من أن يكلف عباده مالا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر على أن ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبره يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم أن تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم فأنتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم ﴿قوله تعالى (وان خفتم) يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن أي ظننتم (شقاق بينهما) يعني بين الزوجين وأصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه أو يكون أصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين مايشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا الى مالا يحل قولا وفعلا ﴿وقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام أو نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب أن يكون أمر الآحاد الامة سواء وجد الامام أو لم يوجد فللصالحين أن يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وأيضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل واحد أن يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من أهله وحكما من أهلها (ان يريدا اصلاحا) يعني الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعني بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي ما شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال علي فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما عليكما ان رأيتما أن تجمعا جمعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما أقرت به قال الشافعي والمستحب أن يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى أن يكون واحد من أهله وواحد من أهلها لان أقاربهما أعرف بحالهما من الاجانب وأشد طلبا للاصلاح فان كانا أجنبيين جاز وفائدة الحكمين أن كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح أو في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق أو طلاق أو خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل أو يفتدي حكم المرأة بشئ من مالها فللشافعي في ذلك قولان أحدهما أنه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج أن يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة أن يختلع بشئ من مالها الا باذنها وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تقر بمثل ما أقرت به فثبت أن تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاه ومعنى قول علي للزوج كذبت أي لست بمنصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ما أقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما في كتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث أنكرت أن تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة باصلاح حالهما في الوصلة ﴿وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعني ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد

خاطب الولاة بقوله (وان خفتم شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل مايشق على صاحبه أو يميل الى شق أي ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر مايدل عليهما وهو الرجال والنساء (فابعثوا حكما من أهله) رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما (وحكما من أهلها) وانما كان بعث الحكمين من أهلهما لان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن اليهم فيبرزان مافي ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير في (ان يريدا اصلاحا) للحكمين وفي (يوفق الله بينهما) للزوجين أي ان قصد اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك في وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الالفة والوفاق وألقى في نفوسهما المودة والاتفاق أو الضمير ان للحكمين أي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتم المراد أو الضميران للزوجين أي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة (ان الله كان عليما) بارادة الحكمين (خبيرا) بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق ... والله أعلم ...

الزوجين والمسكين ان سلكوا غير طريق الحق ﴿قوله عز وجل﴾ (واعبدوا الله) يعني وحدوه وأطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع أعمال القلوب وأعمال الجوارح (ولا تشركوا به شيأ) يعني وأخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره أو أراد بعمله غير الله فقد أشرك به ولا يكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير أو اسمه يعفور فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيأ فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما أوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيأ ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب أي متأكد قيامي به وقوله افلا أبشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك أصلح لهم وأحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي ترفع لهم به الدرجات في الجنة ﴿وقوله تعالى﴾ (وبالوالدين احسانا) تقديره وأحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد واعلم أن الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال أبوك وفي رواية قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم ادناك فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر أباك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو احدهما ثم لم يدخل الجنة ﴿قوله تعالى﴾ (وبذي القربى) اي وأحسنوا الى ذي القرابة وهو ذو رحمه من قبل أبيه وأمه (ق) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه قوله ينسأ له في أثره يعني يؤخر له في اجله وعمره ﴿وقوله تعالى﴾ (واليتامى والمساكين) اي واحسنوا الى اليتامى وانما أمر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر ﴿وقوله تعالى﴾ (والجار ذي القربى والجار الجنب) أي وأحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما اهدي قال الى أقربهما بابا منك (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدي اليها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشيء الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه

(واعبدوا الله) خصل العبودية أربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود (ولا تشركوا به شيأ) صنما وغيره ويحتمل المصدر أي اشراكا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بهما احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج (وبذي القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أوعم أوغيرهما (واليتامى والمساكين والجار ذي القربى) الذي قرب جواره (والجار الجنب) أي الذي جواره بعيد أو الجار القريب النسيب والجار

وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ۞ وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل هي المرأة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك * عن عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ۞ وقوله تعالى (وابن السبيل) يعني المسافر المجتاز بك الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه (ق) عن أبي شريح خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند أخيه حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء عنده يقريه به قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية أي يقري الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر أعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر وقوله أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه أي يوقعه في الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك ۞ وقوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) يعني المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية * عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة أخرجه الترمذي * عن رافع بن مكيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه ۞ وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس (فخورا) الفخور هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذي يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من أقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال في مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب الابل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بها ۞ قوله عز وجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب

الجنب الاجنبي (والصاحب بالجنب) أي الزوجة عن علي رضي الله عنه أو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر أو شريكا في تعلم علم أو غيره أو قاعدا الى جنبك في مجلس أو مسجد (وابن السبيل) الغريب أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن قراباته وجيرانه فلا يلتفت اليهم (فخورا) يعدد مناقبه كبرا فان عدها اعترافا كان شكورا (الذين يبخلون) نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من أو على الذم أو رفع على خبر مبتدا محذوف تقديره الذين هم يبخلون (ويأمرون الناس بالبخل) بالبخل حمزة وعلي وهما لغتان كالرشد والرشد أي يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخل ان يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح ان لا يأكل ولا يؤكل والسخاء ان يأكل ويؤكل والجود أن يؤكل ولا يأكل

ونافع بن أبي نافع وبحري بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك أمكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا الفقر وبخلوا بالمال (وأعتدنا للكافرين) يعني الجاحدين نعمة الله عليهم (عذابا مهينا) يعني في الآخرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ۞ قوله عز وجل (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) يعني للفخار والسمعة وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال انه كائن (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما سوّل له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار ثم وبخهم الله تعالى وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعني وأي شيء عليهم وأي وبال وتبعة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أي أي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعني لا يخفى عليه شيء من أعمال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم ۞ قوله عز وجل (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم أحدا شيأ من قليل ولا كثير فخرج الكلام على أصغر شيء يعرفه الناس (وان تك حسنة يضاعفها) يعني الحسنة بعشر أمثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى أجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيآتي بمثقال ذرة أحب الي من الدنيا وما فيها (م) عن أنس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا

(ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ويخفون ... اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته على عبده وبنى عامل الرشيد قصرا حذاء قصره فنم به فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر الى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) أي بهم سائرون به في الآخرة (والذين ينفقون أموالهم) معطوف على الذين يبخلون أو على الكافرين (رئاء الناس) مفعول له أي للفخار وليقال ما أجودهم لا لابتغاء وجه الله وهم المنافقون أو مشركو مكة (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) وأي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للعاق ما ضرك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ (وكان الله بهم عليما) وعيد (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) هي النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه أدخل يده في التراب ثم رفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة (وان تك حسنة) وان يك مثقال الذرة حسنة وانما أنث لتأنيث الخبر أو لاضافة المثقال الى مؤنث ... كان تامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال (يضاعفها)

يتقبل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا في اخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد من عند الله ألا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادي مناد على رؤس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا في أعماله الصالحات فأعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو أعلم بذلك أعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما أي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى سيآته ثم اكتبوا له كتابا الى النار أخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه وأسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها أي يجعلها أضعافا كثيرة (ويؤت من لدنه) يعني من عنده (أجرا عظيما) يعني الجنة والمعنى ويعط من عنده أجرا عظيما يعني عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال أبو هريرة اذا قال الله عز وجل أجرا عظيما فمن يقدر قدره ۞ قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يعني فكيف

يضاعف ثوابها بضعفها ممكن وشاء (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم

يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل أمة بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى بنبي كل أمة يشهد عليها ولها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم أو قال ما كنت فيهم شك أحد رواته ﴿ قوله تعالى (يومئذ) يعني يوم القيامة (يود) أي يتمنى (الذين كفروا) يعني بمحمد وانكروا وحدانية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعني فيما أمرهم به من توحيد الله عز وجل (لو تسوى بهم الارض) يعني لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا أن لن يبعثوا لانهم انما كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وأنهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال اني أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فأكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فأمهم علي في المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فعلى هذا في المراد بالصلاة قولان أحدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم أن هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها في غير أوقات الصلاة ثم

بأنه لما وهو بينهم (وجئنا بك) (٥٥٥) يا محمد (على هؤلاء) أي أمتك (شهيدا) حال أي شاهدا على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا (يومئذ) ظرف لقوله (يود الذين كفروا) بالله (وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى أو يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء أو تصير البهائم ترابا فيودون حالها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف احدى التاءين من تتسوى حمزة وعلي تسوى بادغام التاء في السين مدني وشامي (ولا يكتمون الله حديثا) مستأنف أي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضي الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلي بهم المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد نزل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) أي لا تقربوها في هذه الحالة (حتى تعلموا ما تقولون) أي تقرؤون وفيه دليل على ان ردة السكران ليست بردة لان قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان وما أمر النبي عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الايمان ولان الامة اجتمعت

نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه في الصحيحين ﴿ وقوله تعالى (ولا جنبا) يعني ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب وأصل الجنابة البعد سمي الذي أصابته الجنابة جنبا لانه يجتنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الا عابري سبيل) العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابري سبيل على قولين أحدهما ان المراد بالعبور وهو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه أو للدخول فيه مثل أن يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه أو يكون الماء في المسجد فيدخل اليه أو يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري واليه ذهب الشافعي وأحمد القول الثاني ان المراد من قوله الا عابري سبيل المسافرون والمعنى لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب الا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا أن يكون في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلي الى أن يجد الماء فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابري السبيل المسافرين منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب أبي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري والواحدي القول الاول ويدل على صحته وجهان أحدهما أن المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شئ الوجه الثاني أن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعني الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال

(فصل في أحكام تتعلق بالآية) اختلف العلماء في العبور في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد أيضا للجنب فمنعه أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيأ رجاء ان تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أحمد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من أصحاب الشافعي وأجاب أحمد عن حديث عائشة بانه في رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل أحمد لمذهبه بما روي عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة أخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج مذهب الجمهور بعموم الآية وبما روي عن أم سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب أيضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك أيضا ما روي عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه عن القرآن شئ ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن

على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره (ولا جنبا) عطف على وأنتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أي ولا تصلوا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب (الا عابري سبيل) صفة لقوله جنبا أي لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين (حتى تغتسلوا) الا أن تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن المتيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله وهو مروي عن علي رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله لا تقربوا الصلاة أي مواضع الصلاة وهي المساجد ولا جنبا أي ولا تقربوا المسجد جنبا الا عابري سبيل الا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة

جنبا وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيئاً أخرجه الدارقطني ويجب الغسل بأحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق أو بإيلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى أنه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك أعليها غسل قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل ﴿ وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض وأراد به المرض الذي يضر معه امساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض أعضائه جراحة أو به قروح يخاف من استعمال الماء التلف أو زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح تيمم للجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده أخرجه أبو داود والدارقطني ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتيمم قالوا اذا كان أكثر أعضائه أو بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بين الغسل والتيمم ﴿ قوله تعالى (أو على سفر) يعني أو كنتم مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلي ولا اعادة عليه لما روي عن أبي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو ذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا أبا ذر لأمك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأني ألقيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه جلدك فان ذلك خير أخرجه أبو داود العس قدح من خشب يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال أما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء ﴿ وقوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه ﴿ وقوله تعالى (أو لامستم النساء) قرئ هنا وفي سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير ألف واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين أحدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع أو بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في المس باليد فأما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز وأما قراءة من قرأ أو لامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لا تدل على المجامعة أيضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال أبو عبيدة في معناها هي أن يقول اذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى أو لامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

(وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط) أي المطمئن من الارض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث (أو لامستم النساء) جامعتموهن كذا عن علي رضي الله عنه وابن عباس

(فصل في أحكام تتعلق بالآية) وفيه مسائل *(المسألة الاولى)* واذا أفضى الرجل بشيء من بدنه الى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك في الموطأ قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد وأحمد واسحق اذا كان المس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هي الا أنت فضحكت أخرجه أبو داود وأجيب عن هذا الحديث بأنه ليس بثابت قال الترمذي انه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شيء وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء بالمس الا أن يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء بالمس بما روي عن عائشة انها قالت كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح أخرجاه في الصحيحين وأجاب من أوجب الوضوء بالمس عن هذا الحديث بأنه يحتمل أن يكون غمزه لها على حائل *(المسألة الثانية)* اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت والاخت أو أجنبية صغيرة فأصح القولين عنه أنه لا ينتقض الوضوء به والثاني انه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند أصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الآية في قوله أو لامستم النساء أو النظر الى المعنى في النقض بالمس وهو تحرك الشهوة فان أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان أخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان أو امرأة والملامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فأحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثاني انه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدي على أخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة أو سنها أو ظفرها فلا وضوء عليه *(المسألة الثالثة في الحدث)* وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط أو أثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شيء من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ أو يتيمم عند عدم الماء لما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط أخرجه في الصحيحين أما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقيء ونحوها فذهب قوم الى أنه لا وضوء من خروج هذه الاشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي لما روي عن أنس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدارقطني وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد واسحق واتفق هؤلاء على أن خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ما روي عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صببت له وضوءه أخرجه الترمذي وقال هو أصح

في هذه الآية * (المسألة الرابعة) * من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أو إغماء أو نوم لما روي
عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ أخرجه أبو داود وان
كان نائما متمكنا من ذلك النوم اليسير فانه مستقر أصل مقعده الى الأرض ولم يتمكن لما روي عن
أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الآخرة حتى تخفق رؤسهم ثم
يصلون ولا يتوضؤن أخرجه أبو داود وذهب قوم الى أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة
وبه شعبة وبه قال الحسن واسحق والمزني وذهب قوم الى انه ان نام قائما أو راكعا أو ساجدا أو على هيئة من هيئات الصلاة
فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي لما روي عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع
استرخت مفاصله أخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث * (المسألة الخامسة) * من نواقض
الوضوء مس الفرج من نفسه أو غيره فذهب قوم الى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس
وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الأوزاعي
والشافعي وأحمد واسحق غير أن الشافعي قال ينقض الوضوء اذا مس ببطن الكف والرجل والمرأة في ذلك
سواء ويدل على ذلك ما روي عن بسرة بنت صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره
فلا يصل حتى يتوضأ أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولأبي داود والنسائي نحوه * وعن أم حبيبة قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ أخرجه ابن ماجه وصححه أحمد وأبو زرعة
وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه
الوضوء أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم الى أن مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود
وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي
عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل كأنه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في
مس الرجل ذكره بعدما توضأ قال هل هو الا مضغة أو قال بضعة منه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي
نحوه بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بأن قدومه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في أول الهجرة وهو يبني المسجد وأبو هريرة من آخرهم اسلاما وقد روى انتقاض
الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وأيضا فان حديث طلق يرويه عنه
ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند أهل الحديث * وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)
اعلم ان التيمم من خصائص هذه الأمة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم أسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي
عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف
الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء أخرجه مسلم وكان
سبب بدء التيمم ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه
وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى الى
ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر
ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن
بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء
ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته أخرجاه في
الصحيحين قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم لموضع

(فلم تجدوا ماء) لم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول اليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو (فتيمموا) أي فالحكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة والجزاء الذي هو الأمر بالتيمم متعلق بهم جميعا فالمرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والمسافرون اذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة اذا لم يجدوه لبعض الاسباب فلهم أن يتيمموا لمستم حمزة وعلي (صعيدا) قال الزجاج هو وجه الارض ترابا كان أو غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن في سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض (طيبا) طاهرا

وهو

وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير أي أثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ما قبله والمعنى أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فطلبتم الماء للتطهر وابه فلم تجدوه يعني فأعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر بالماء فاذا أعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة أخرى وقال أبو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه أو عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال أبو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبالي أكان في الموضع تراب أولا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد قال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار فأما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وأبو عبيد في انه التراب وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت ليس بطيب ولنا أيضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتأتى ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وأيضا فانه يقال الغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما أشبهه وذهب أبو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج أبو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أي اقصدوا أرضا فوجب أن يكون هذا القدر كافيا وأجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض وأجيب عنه بما تقدم من الادلة ۞ وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب أكثر اهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك أن يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى ويفرق أصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل على ذلك ما روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن أبي

(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) قيل الباء زائدة

الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد على حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد على هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج فى الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على أبي جهيم بن الحرث فقال أبو جهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر فى حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ أن قال مر رجل فى سكة من سكك المدينة فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى فى السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني أن أرد عليك الا أني لم أكن على طهر وفى رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا أجود ما فى هذا الباب فان البيهقي أشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ما روى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بأكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم كلها الى المناكب والآباط ثم بطون أيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك وأحمد واسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روى عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم فى حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت فى الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفى رواية أن تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجاه فى الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض أهل اللغة من أطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع فى حد السرقة وقال ابو اسحق الزجاج حدها من أطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى أن الممسوح فى التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع فى حد السرقة ومن ذهب الى أن الممسوح فى التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح فى التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة فى الوضوء هي الممسوحة فى التيمم فيحمل المطلق الذى فى قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذى فى قوله تعالى فى آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

(فصل) وأركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح وأكمله ان ينوي استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء يجوز تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن

المسيب

(ان الله كان عفوا) بالترخيص والتيسير (غفورا) عن الخطأ والتقصير (ألم تر) من رؤية القلب وعدي بالى على معنى ألم ينته علمك اليهم أو بمعنى ألم تنظر اليهم (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل (ويريدون ان تضلوا) أنتم أيها المؤمنون (السبيل) اى سبيل الحق كما ضلوه

(والله اعلم) منكم (باعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم (وكفى بالله وليا) في النفع (وكفى بالله نصيرا) في الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز أو على الحال (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض أو يتعلق بقوله نصيرا اى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أو يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدأ ويحرفون صفته والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقيم صفته مقامه (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه في التوراة التي وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها من مقامه وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكر هنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على ما بينا من ازالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) امرك قيل أسروا به (واسمع) قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب اى اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيأ فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة

المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى أن يدخل وقت الصلاة الاخرى وأن يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار أو نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند أبي حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله أعلم ۞ وقوله تعالى (ان الله كان عفوا) يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا) ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة ويسرها عليهم لان من كانت عادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها كان اولى بان يرخص للعاجزين امر العبادة ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فأنزل الله تعالى ألم تر يعني ألم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني أعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال الشئ بشئ وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (أن تضلوا السبيل) يعني عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا الاسلام (والله أعلم باعدائكم) يعني انه سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تنتصحوهم فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره أحد (وكفى بالله نصيرا) يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه محذوف تقديره من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم) اى يتأولونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك انهم كانوا اذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بامر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت وقيل

معناه غير مقبول منك ما تدعو اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترضيه (وراعنا) أي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك أي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) أصله لويا لانه من لويت الشيء اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا (واسمع) يعني بدل قولهم لا سمعت (وانظرنا) يعني بدل قولهم راعنا أي انظر الينا (لكان خيرا لهم) يعني عند الله (وأقوم) يعني أعدل وأصوب (ولكن لعنهم الله) يعني طردهم وأبعدهم عن رحمته (بكفرهم) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني فلا يؤمن من اليهود الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك وأصروا على الكفر فأنزل الله هذه الآية وأمرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) أصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس ههنا وجهين أحدهما أن يحمل على حقيقته والثاني أن يحمل على مجازه أما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين (فنردها على أدبارها) يعني نجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاء وقيل ندبرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة وأما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على أدبارها يعني بتغيير أحوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى أذرعات وأريحا من أرض الشام من حيث جاؤوا وهو اجلاء بني النضير فان قلت قد أوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروى ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي أهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى ان أصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب أسلم وقال يا رب اسلمت مخافة أن يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن أحد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل

مستقبلة أو اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ... غير مسمع جوابا ... لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب و يحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قوله (وراعنا) يحتمل راعنا كلامنا اي ارقبنا وانتظرنا و يحتمل سبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا كانوا سخرية بالدين وهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (وطعنا في الدين) هو قولهم لو كان نبيا حقا لاخبر بما نعتقد فيه (ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا) ولم يقولوا وعصينا (واسمع) ولم يلحقوا به غير مسمع (وانظرنا) مكان راعنا (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) عند الله (وأقوم) وأعدل وأسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه أو الا ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا نزل (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) يعني التوراة (من قبل ان نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقب الآخر فردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أي من قبل ان نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم

ونكسوهم صغارهم وادبارهم (أونلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) اى نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت [illegible]

ان أريد الوجهاء أو الى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان معلقا بان لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم [illegible]

انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس أو باللعنة وهو قوله تعالى (أونلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) اى نجعلهم قردة كما فعلنا بأوائلهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية فى نلعنهم تعود الى المخاطبين فى قوله تعالى يا أيها الذين أوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن نطمس وجوها فنردها ونلعن أصحاب الوجوه فتجعل الكناية فى قوله أونلعنهم عن ذكر أصحاب الوجوه اذا كان فى الكلام دلالة عليهم ❁ وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولا) يعنى لا بد وأن يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شئ يريد أن يفعله وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والامر هنا فى موضع المأمور سمى امرا لانه عن أمره كان ❁ قوله عز وجل (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبرى معناه يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون فى الآية دلالة على أن اليهودى يسمى مشركا فى عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت فى وحشى وأصحابه وذلك لما قتل حمزة رضى الله عنه ورجع الى مكة ندم هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة فنزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عنى فلحق بالشام فكان به الى أن مات وقيل لما نزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء يعنى ويغفر مادون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام ففى الآية دليل على أن صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك ومن مات على الشرك فهو مخلد فى النار لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وفى الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز فى الحكمة أن يغفر لصاحب كبيرة وعند أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك أيضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الا عمله غير أنه مشرك قال عمر هو فى النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الا عمله غير أنه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس انى لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن على بن أبى طالب قال ما فى القرآن أحب الى من هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار قوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعنى يجعل معه شريكا غيره (فقد افترى) أى اختلق (اثما عظيما) يعنى ذنبا عظيما غير مغفور ان مات [illegible]

ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشأم فأتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما قبل ان يأتى اهله وقال ما كنت ارى ان أصل الى أهلى قبل ان يطمس الله وجهى ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه أو بلعنهم فان كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر فى اليهود (وكان أمر الله) أى المأمور به وهو العذاب الذى اوعدوا به (مفعولا) كائنا لا محالة فلا بد أن يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا (ان الله لا يغفر أن يشرك به) ان مات عليه (ويغفر مادون ذلك) اى مادون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران مادونه لمن لم يتب اى لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبى عليه السلام من لقى الله تعالى لا يشرك به شيأ دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله (لمن يشاء) لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال على رضى الله عنه ما فى القرآن

آية أحب الى من هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة [illegible] قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه أولى ان يغفر بالتوبة والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما [illegible] (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) كذب

عليه ﴿قوله عز وجل﴾ (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) نزلت في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الإنسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وذلك لأن التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى فلا تصلح التزكية إلا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح أو وصفها بزكاء العمل أو بزيادة الطاعة والتقوى أو بزيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الأشياء لا يعلمها إلا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومعنى يزكون أنفسهم يزعمون أنهم أزكياء لأنهم برؤا أنفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكي من يشاء) فيجعله زاكيا (ولا يظلمون فتيلا) يعني أن الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه أن الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل المفتول وسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين أصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد إلى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعني قولهم إنهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم أنفسهم (وكفى به) أي بذلك الكذب (إثما مبينا) ﴿قوله عز وجل﴾ (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت في كعب بن الأشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الأشرف على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم أهل مكة أنتم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا إلى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الأشرف لأهل مكة ليجيء منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب بن الأشرف إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى سبيلا نحن أم محمد فقال كعب اعرض علي دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فأنزل الله تعالى ألم تر يعني يا محمد إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الأشرف وأصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني سجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش وقيل الجبت اسم للأصنام والطاغوت شياطين الأصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هي زجر الطير وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا خرج لأمر زجر طيرا فإذا أخذ ذات اليمين مضى في حاجته وإذا أخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصا على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو أن يتطير بالشيء فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغي الإنسان وقيل الجبت هو حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود (ويقولون) يعني كعب بن الأشرف وأصحابه (للذين

كفروا)

كذبا عظيما استحق به عذابا أليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وحين قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى (بل الله يزكي من يشاء) إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل التزكية ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (ولا يظلمون) أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم (فتيلا) قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الأصابع من الوسخ (انظر كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم أنهم عند الله أزكياء (وكفى به) بزعمهم هذا (إثما مبينا) من بين سائر آثامهم (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعني اليهود (يؤمنون بالجبت) أي الأصنام وكل ما عبدوه من دون الله (والطاغوت) الشيطان (ويقولون للذين

كفروا) يعني لكفار قريش (هؤلاء) يعني أنتم يا هؤلاء (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعني طريقا (أولئك الذين لعنهم الله) يعني كعب بن الاشرف وأصحابه (ومن يلعن الله) يعني يطرده من رحمته (فلن تجد له نصيرا) يعني ينصره ﴿ قوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك) هذا استفهام انكار يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فأكذبهم الله تعالى وأبطل دعواهم (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الآية ووصفهم بالجهل في الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والنقير هو النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له ﴿ قوله عز وجل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أصل الحسد تمني زوال النعمة عمن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان أمة وحده يعني انه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع أولى والمراد بالفضل النبوة لانها أعظم المناصب وأشرف المراتب وقيل حسدوه على ما أحل الله من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعني انه قد حصل في أولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام ولم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني فلم يشغلهم عن النبوة ثم فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة فلما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا قادحا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا قادحا في نبوته (فمنهم) يعني من اليهود (من آمن به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليه كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من صد عنه) أي أعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا ﴿ قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عز وجل للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما أنزلت على رسولي محمد من آياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا أي ندخلهم نارا نشويهم فيها (كلما نضجت جلودهم) يعني احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب

كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) وذلك ان حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم الى محمد أقرب منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب أنتم أهدى سبيلا (أولئك الذين لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يعتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) وأم منقطعة ومعنى الهمزة الانكار أن يكون لهم نصيب من الملك (فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) أي لو كان لهم نصيب من الملك أي ملك أهل الدنيا أو ملك الله فاذن لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب) أي التوراة (والحكمة) الموعظة والفقه (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني ملك يوسف

وداود وسليمان عليهم السلام بعد الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه (فمنهم من آمن به) من اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته وأعرض عنه (وكفى بجهنم سعيرا) للصادين (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) ندخلهم (نارا كلما نضجت جلودهم) أحرقت (بدلناهم جلودا غيرها) أعيد [illegible] أهل الحق خلافا للكرامية وعن

فقال عمر القارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة (ق) عن أبي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها التبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاول غير ان الصناعة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحترق ويصل ألمها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما انضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد أخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد أحد أجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس أهل النار جلودا لا تألم لتكون زيادة في عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره ۞ وقوله تعالى (ليذوقوا العذاب) أي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته وانما أتى بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذي نالوه اخبارا بان احساسهم به في كل حال كاحساس الذائق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس (ان الله كان عزيزا) يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شئ ولا يمتنع عليه أحد (حكيما) يعني في تدبيره وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعني سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) يعني باقين فيها (أبدا) يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعني في الجنات (أزواج مطهرة) يعني مطهرات من الحيض والنفاس وسائر أقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) يعني كنينا ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ۞ قوله عز وجل (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) قال البغوي نزلت في عثمان ابن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان أكرهت ثم جئت ترفق فقال علي لقد أنزل الله عز وجل في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم فكان المفتاح معه الى ان مات ودفعه الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في أولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو أعلم انه رسول الله لم أمنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه أبو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه أهل مكة فأسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله أعلم وثبت في الصحيحين

عن

فضيل يجعل النضيج غير نضيج (ليذوقوا العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك (ان الله كان عزيزا) غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) فيما يفعل بالكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة) من الانجاس والحيض والنفاس (وندخلهم ظلا ظليلا) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهو ما كان طويلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل بقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقيل قد دخل في هذا الامر أداء الفرائض التي هي أمانة الله تعالى التي حملها الانسان وحفظ الحواس التي هي ودائع الله تعالى

من حديث ابن عمر قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى أناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية من رواية أبي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فأخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية أيضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يأمركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله أمره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها لولاة أمور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه من أمور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة أقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر أنواع العبادات القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما أنعم الله به عليه من سائر أعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وأمانة العين غضها عن المحارم وأمانة السمع ان لا يشغله بسماع شيء من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية أمانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعواري الى أربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك أيضا عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانة التي أمر الله عز وجل باداءها الى أهلها وروى البغوي بسنده عن أنس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ﴿ وقوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) يعني وان الله يأمركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة في الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه أن يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر أخرجه الترمذي ﴿ وقوله تعالى (ان الله نعما يعظكم به) أي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو أداء الامانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) يعني انه تعالى سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا أديتم الامانة فهو يبصر فعلكم ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم)

[illegible] فضيتم (ان تحكموا بالعدل) بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة ابن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضي الله عنه ان يرده اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فاسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في أولاد عثمان أبدا (ان الله نعما يعظكم به) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كانه قيل نعم شيأ يعظكم به أو موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أي نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل في الحكم وبكسر النون وسكون العين مدني وأبو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي (ان الله كان سميعا) لاقوالكم (بصيرا) باعمالكم ولما أمر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل أمر الناس بان يطيعوهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) أي الولاة أو العلماء لان أمرهم ينفذ

(ق) عن ابن عباس قال لما نزل قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم الآية قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار وقد أسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد أمنته وقد أسلم فقال خالد أتجير علي وأنا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه ان يجير الثانية على أمير فأنزل الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وأصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال أمره فيما أمر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضا لقوله تعالى وأطيعوا الرسول فأوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء في أولي الامر الذين أوجب الله طاعتهم بقوله وأولي الامر منكم يعني وأطيعوا أولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال أبو هريرة الامراء والولاة وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال علي بن أبي طالب حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره الا أن يؤمر بمعصية الله فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم أمراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس أيضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة أراد بأولي الامر أبا بكر وعمر لما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر أخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما روي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه رزين في كتابه وروى البغوي بسنده عن الحسن عن أنس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبري وأولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة أولي الامر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع ما أدى الى صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق ۞ وقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء) يعني اختلفتم في شيء من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) أي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني افعلوا ذلك الذي أمرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال قال العلماء في الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعني رد الحكم الى الله ورسوله خير (وأحسن تأويلا) يعني وأحمد عاقبة وقيل معناه ذلك أي ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله أحسن

على الامراء (فان تنازعتم في شيء) [illegible] فان اختلفتم أنتم وأولو الامر في شيء من أمور الدين (فردوه الى الله والرسول) أي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي ان الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحكي ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابي حازم ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله وأولي الامر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله أي القرآن والرسول في حياته والى أحاديثه بعد وفاته (ذلك) اشارة الى الرد أي الرد الى الكتاب والسنة (خير) عاجلا (وأحسن تأويلا) عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودي خصومة فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشي ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ليرشو فاحتكما الى النبي عليه السلام فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله

تأويلا

تأويلا منكم له وأعلم أحوال ﴿قوله عز وجل ﴿ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي أن يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمي اليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به أو أخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شئ كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى أبي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال أعظموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة أوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فأبوا أن يعطوه الا عشرة أوسق وأبى ان يحكم بينهم فأنزل الله عز وجل آيتي القصاص وأنزل هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية يدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي وقد أمروا أن يكفروا به يعني بالطاغوت لان الكفر بالطاغوت ايمان بالله عز وجل ﴿ويريد الشيطان ان يضلهم﴾ يعني عن طريق الهدى والحق ﴿ضلالا بعيدا واذا قيل لهم﴾ يعني للمنافقين ﴿تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول﴾ يعني هلموا الى حكم الله الذي أنزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به ﴿رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا وأي اعراض وانما أعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا ﴿قوله عز وجل ﴿فكيف اذا أصابتهم مصيبة﴾ يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا أصابتهم مصيبة يعجزون عنها ﴿بما قدمت أيديهم﴾ يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت أيديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر ذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة ﴿ثم جاؤك﴾ يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك ﴿يحلفون بالله ان أردنا﴾ أي ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك ﴿الا احسانا﴾ يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة ﴿وتوفيقا﴾ يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل

الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق ﴿يريدون﴾ حال من الضمير في يزعمون ﴿أن يتحاكموا الى الطاغوت﴾ أي كعب ابن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان أو جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله ﴿وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم﴾ عن الحق ﴿ضلالا بعيدا﴾ مستمرا الى الموت ﴿واذا قيل لهم﴾ للمنافقين ﴿تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول﴾ للتحاكم ﴿رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ يعرضون عنك الى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضي لهم ﴿فكيف﴾ يكون حالهم وكيف يصنعون ﴿اذا أصابتهم مصيبة﴾ من قتل عمر بشرا ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ﴿ثم جاؤك﴾ أي أصحاب القتيل من المنافقين ﴿يحلفون بالله﴾ حال ﴿ان أردنا﴾ ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك ﴿الا احسانا﴾ لا اساءة ﴿وتوفيقا﴾ بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا بالحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه

جاء أولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) يعني من النفاق (فاعرض عنهم) يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم (وعظهم) يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في أنفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا أي اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم سارا لهم بالنصيحة لانها في السر أنجع وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم في أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل احسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع أسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الآية أن يكون حسن الالفاظ حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب وأثر في النفوس ۞ قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا (الا ليطاع باذن الله) يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله أذن في ذلك وأمر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه اى طاعته تكون باذن الله لانه أذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من أرسلته اليهم وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم اليه (جاؤك) يعني جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة (فاستغفروا الله) يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك (واستغفر لهم الرسول) يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤك فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة (لوجدوا الله توابا رحيما) يعني لو أنهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم ۞ قوله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن أبيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله

وماخطر ببالنا انه يحكم [illegible] عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم [illegible] فأعرض عن قبول الاعتذار وعظ بالزجر والانكار وبالغ في وعظهم بالتخويف والانذار أو أعرض عن عقابهم وعظهم في عتابهم وبلغ كنه ما في ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما في جنانه وفي أنفسهم يتعلق بقل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) أي رسولا قط (الا ليطاع باذن الله) بتوفيقه في طاعته وتيسيره أو بسبب اذن الله في طاعته وبانه أمر المبعوث اليهم بان يطيعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق (فاستغفروا الله) من النفاق والشقاق (واستغفر لهم الرسول) بالشفاعة لهم والعامل في اذ ظلموا خبر ان وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (رحيما) بهم قيل جاء اعرابي بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك أستغفر الله من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك (فلا وربك) أي فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم (لا يؤمنون) أو التقدير فلا أي ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه

صلى الله عليه وسلم ثم قال الزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب هذه الآية نزلت فى ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة له وللانصارى فلما أحفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا فى ذلك * قوله فى شراج الحرة الشراج مسايل الماء التى تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحجراء الملبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تغير وقوله فلما أحفظ أى أغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعنى أصل الجدار وقوله فاستوعى له أى استوفى حقه فى صريح الحكم وهو ان من كان أرضه أقرب الى فم الوادى فهو أولى بأول الوادى وحقه تمام السقى فرسول الله صلى الله عليه وسلم أذن للزبير فى السقى على وجه المسامحة فلما أبى خصمه ذلك ولم يعترف بما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوى وروى انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصارى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم منى الصدق ولو أمرنى محمد ان أقتل نفسى لفعلت وقال مجاهد والشعبى نزلت هذه الآية فى بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعنى فيما اختلفوا فيه من الامور وأشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره فى الامر اذا نازعه فيه وأصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه فى بعض واختلط (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت) يعنى ضيقا مما قضيت وقيل شكا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا تسليما) يعنى وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك فى شئ من أمرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك ۞ قوله عز وجل (ولو أنا كتبنا عليهم) أى فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير فى عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) يعنى كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذى استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتى رجالا الايمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى ومن قال ان الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعنى رياء وسمعة والمعنى انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا النفر اليسير منهم وترك الاقل لامتحانهم بالصبر فتقديره الا أن يكون قليلا منهم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) يعنى ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعنى فى الدنيا والآخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (وأشد تثبيتا)

حرجا) ضيقا (مما قضيت) أى لا تضيق صدورهم من حكمك أو شكا لان الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا تسليما) وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها أى جعلها سالمة له أى خالصة وتسليما مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لا يكونوا مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (ولو أنا كتبنا عليهم) على المنافقين أى ولو وقع كتبنا عليهم (أن اقتلوا) ان هى المفسرة (أنفسكم) أى تعرضوا للقتل بالجهاد أو ولو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى اسرائيل من قتلهم أنفسهم (أو اخرجوا من دياركم) بالهجرة (ما فعلوه) لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدرى الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه (الا قليل منهم) قليل بالنصب على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من اتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه (لكان خيرا لهم) فى الدارين (وأشد تثبيتا) لايمانهم وأبعد عن الاضطراب فيه

يعنى تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك أقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا أجرا عظيما (ولهديناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعنى دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التى تؤدى الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذى يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدى الى الجنة ۞ قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم انى اذا ذكرت الآخرة أخاف لا أراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى أخاف ان دخلت الجنة كنت فى منزلة هى أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله فى الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعنى فى أداء الفرائض واجتناب النواهى والرسول أى ويطع الرسول فى السنن التى سنها فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق فى الدنيا وبدخول الجنة فى الآخرة (من النبيين) يعنى أن المطيعين مع النبيين فى الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء فى الجنة ومجالستهم لا أنهم يكونون فى درجتهم فى الجنة لان ذلك يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين تبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين فى هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبى بكر فانه هو الذى سمى بالصديق من هذه الامة وهو أفضل اتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد (والصالحين) جمع صالح وهو الذى استوت سريرته وعلانيته فى الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله فى سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين أبو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلى وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن أولئك) يعنى المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك (رفيقا) يعنى فى الجنة والرفيق الصاحب سمى رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن أنس ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شئ الا أنى أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشئ أشد فرحا بقول النبى صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فانا أحب النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى اياهم وان لم أعمل بأعمالهم ۞ وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعنى الذى أعطى الله المطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله عليما) يعنى بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة لفظ البخارى ولمسلم نحوه ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لانه به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل أن يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر

فالجواب

(واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) أى ثوابا كثيرا لا ينقطع (ولهديناهم صراطا) مفعول ثان (مستقيما) أى لثبتناهم على الدين الحق (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) كأفاضل صحابة الانبياء والصديق المبالغ فى صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة أو الذى يصدق قوله بفعله (والشهداء) والذين استشهدوا فى سبيل الله (والصالحين) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم (وحسن أولئك رفيقا) أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه (ذلك) مبتدأ خبره (الفضل من الله) أو الفضل صفته ومن الله خبر والمعنى ان ما أعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله (وكفى بالله عليما) بعباده وبمن هو أهل الفضل ودلت الآية على ان ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز كالاثر والاثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته [illegible] والمعنى احذروا واحترزوا من العدو

(ثبات) [illegible] جمع ثبة [illegible] (أو انفروا جميعا) [illegible]
أي مع النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] (وإن منكم لمن) اللام للابتداء [illegible] (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وإن
منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن أي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد
[illegible] وهم المنافقون [illegible] والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] منكم أي في الظاهر دون الباطن
[illegible] (فإن أصابتكم مصيبة) قتل أو هزيمة (قال) المبطئ (قد أنعم الله علي إذ لم أكن
معهم شهيدا) حاضرا فيصيبني مثل ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) فتح أو غنيمة (ليقولن) (٣٧٧) هذا المبطئ متلهفا على ما فاته
من الغنيمة لا طلبا للمثوبة (كأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنه (لم يكن) بالياء مكي وحفص (تكن) وبالتاء غيرهم (بينكم وبينه مودة) وهي اعتراض بين الفعل وهو ليقولن وبين مفعوله وهو (يا ليتني كنت معهم) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم مودة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن (فأفوز) بالنصب لأنه جواب التمني (فوزا عظيما) فآخذ من الغنيمة حظا وافرا (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها أي إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون

فأعلم أنه بما أنه لما كان الكل بقضائه وقدره كان الأمر بأخذ الحذر من قضائه أيضا ومقدوره (فانفروا ثبات)
أي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (أو انفروا جميعا) يعني أو اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى
الله عليه وسلم إلى جهاد عدوكم (وإن منكم لمن ليبطئن) نزلت في المنافقين وإنما قال منكم لاجتماعهم مع أهل
الإيمان في الجنس والنسب وإظهار كلمة الإسلام لا في حقيقة الإيمان والمعنى وإن منكم لمن ليتأخرن وليتثاقلن
عن الجهاد وهو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فإن أصابتكم مصيبة) أي قتل
وهزيمة (قال) يعني هذا المنافق (قد أنعم الله علي) يعني بالقعود (إذ لم أكن معهم) يعني مع المؤمنين
(شهيدا) يعني حاضرا في تلك الوقعة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أي فتح وغنيمة (ليقولن)
يعني هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أي معرفة ومودة في الدين والمعنى كأنه ليس من أهل
دينكم وذلك أن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر (يا ليتني كنت معهم) في تلك الغزوة التي غنم
فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) أي فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة ۞ قوله عز وجل (فليقاتل
في سبيل الله) هذا خطاب للمنافق أي فليخلص الإيمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين
المخلصين أي فليقاتل المؤمنون في سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أي يبيعون يقال
شريت يعني بعت لأنه استبدل العوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم
في الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لأهل الإيمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون
الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل)
أي فيستشهد (أو يغلب) يعني يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعني في كلا الحالتين الشهادة
أو الظفر نؤتيه فيهما (أجرا عظيما) يعني ثوابا وافرا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن
أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة لفظ مسلم ۞ قوله عز وجل
(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين
المستضعفين من أيدي الكفار وفيه دليل على أن الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ
حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والأذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس
يريد أن قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذى شديدا
وكان أهل مكة قد اجتهدوا أن يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالأذى لهم وكانوا مستضعفين في أيديهم

المخلصون أو يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بأن
يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف
نؤتيه أجرا عظيما) وعد الله المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مظفورا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله (وما لكم) مبتدأ وخبر
وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء وفي الإثبات للإنكار (لا تقاتلون في سبيل الله) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول ما لك
قائما والمعنى وأي شيء لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه (والمستضعفين) مجرور بالعطف على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص
المستضعفين أو منصوب على الاختصاص أي وأختص من سبيل الله خلاص المستضعفين من المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير
وخلاص المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين
أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد (من الرجال والنساء والولدان) ذكر الولدان تسجيلا بإفراط ظلمهم حيث بلغ

اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وأمهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) الظالم وصف القرية الا انه مسند الى أهلها فأعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها (واجعل لنا من لدنك وليا) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر ولما خرج محمد صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بانهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان فلا ولى لهم الا الشيطان بقوله (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى الكفار (ان كيد الشيطان) أى وساوسه وقيل الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) لانه غرور لا يؤل الى محصول أو كيده فى مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ماداموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فنزل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أى عن القتال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال) أى فرض بالمدينة (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير فى يخشون أى يخشون الناس مثل خشية الله أى مشبهين لاهل خشية الله (أو أشد خشية) هو معطوف على الحال أى أو أشد خشية من أهل خشية الله [illegible] أى ان قلت خشيتهم [illegible] كخشية الله [illegible] فات ام [illegible] مصيب لانه حصل

ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس فى قوله ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمى من المستضعفين وفى رواية ابن أبى مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمى ممن عذر الله أنا من الولدان وأمى من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبى الصغير (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) يعنى الظالم أهلها أنفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم أهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعنى وليا يلى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوى ﴿قوله عز وجل﴾ (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) يعنى فى طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) يعنى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعى فى الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيده ما كاد المؤمنين به من تخويفه أولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وحزبه واذا حال كان فى قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد الشيطان ﴿قوله عز وجل﴾ (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة) قال الكلبى نزلت فى عبد الرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن أبى وقاص وجماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ائذن لنا فى قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فانى لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعنى قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وأدوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) اى فرض عليهم جهاد المشركين أمروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعنى اذا جماعة من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعنى يخافون مشركى مكة (كخشية الله أو أشد خشية) او بمعنى الواو يعنى وأشد خشية

لهم مثلها وزيادة (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) هلا أمهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة فى فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شئ من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكى وحمزة وعلى ثم أخبر أن الحذر لا ينجى من القدر بقوله (أينما تكونوا يدرككم الموت) ما زائدة لتوكيد معنى الشرط فى اين (ولو كنتم فى بروج) حصون أو قصور (مشيدة) مرفعة (وان تصبهم حسنة) نعمة من خصب ورخاء (يقولوا هذه من عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية من قحط وشدة (يقولوا هذه من عندك) أضافوها اليك وقالوا هذه من عندك وما كانت الا بشؤمك وذلك أن المنافقين واليهود كانوا اذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى واذا أصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى بقوله (قل كل من عند الله) والمضاف اليه محذوف أى كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون) يفهمون (حديثا) فيعلمون ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (ما أصابك) يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبى عليه السلام والمراد غيره (من حسنة) من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه وامتنانا (وما أصابك من سيئة) من بلية ومصيبة (فمن نفسك) فمن عندك أى فبما كسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

(وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) يعنى لم فرضت علينا الجهاد (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يعنى هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) أى قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعنى ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) يعنى وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعنى اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تظلمون فتيلا) أى ولا تنقصون من أجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه وأشار يعنى بالسبابة فى اليم فلينظر بم ترجع ۞ قوله عز وجل (أينما تكونوا يدرككم الموت) نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية وقيل نزلت فى الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت يعنى ينزل بكم الموت فبين تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل فى سبيل الله وجهاد أعداء الله أفضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجى منه شئ بقوله (ولو كنتم فى بروج مشيدة) البروج فى كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هى المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) نزلت فى المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعنى المنافقين واليهود حسنة أى خصب فى الثمار ورخص فى السعر يقولوا هذه من عند الله يعنى من قبل الله (وان تصبهم سيئة) أى جدب فى الثمار وغلاء فى السعر (يقولوا هذه من عندك) يعنى من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد ومعنى من عندك أنت الذى جئتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) أى قل لهم يا محمد (كل من عند الله) يعنى الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فأما الحسنة فانعام من الله وأما السيئة فابتلاء منه (فما لهؤلاء القوم) أى فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا (لا يكادون يفقهون حديثا) يعنى لا يفقهون معانى القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها ۞ قوله تعالى (ما أصابك من حسنة) يعنى من خير ونعمة (فمن الله) يعنى من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك (وما أصابك من سيئة) يعنى من شدة ومكروه ومشقة وأذى (فمن نفسك) يعنى فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفى المخاطب بهذا الكلام قولان أحدهما انه عام وتقديره ما أصابك أيها الانسان والثانى انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبى صلى الله عليه وسلم برىء لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك أى عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبى ما أصابك من خير فالله هداك له وأعانك عليه وما أصابك من أمر تكرهه فبذنبك عقوبة لك لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة

لامقدرا حتى نسبوا اليك الشدة أو وأرسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة (وكفى بالله شهيدا) بانك رسوله وقيل هذا متصل بالاول أى لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة فى الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ما أصابك اذ يقال فى الافعال ما أصبت ولانهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا فأنى يكون لهم حجة فى ذلك وشهيدا تمييز (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه لا يأمر ولا ينهى الا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته فى أوامره ونواهيه طاعة لله (ومن تولى) عن الطاعة فأعرض عنه (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم (ويقولون) ويقول المنافقون اذا أمرتهم بشئ (طاعة) خبر مبتدا محذوف أى أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) زور وسوى فهو من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل أو من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها وبالادغام حمزة وأبو عمرو (غير الذى تقول) خلاف ما قلت وما أمرت به وخلاف ما قلت وما ضمنت من الطاعة لانهم بيتوا الرد لا القبول

الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصى بل المراد من الحسنة والسيئة فى هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال فى الطاعة والمعصية أصابنى وانما يقال أصبتها او يقال فى النعم والمحن أصابنى بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيآته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول أهل القدر لقال ما أصبت من حسنة وما أصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لان العادة جرت بقول الانسان أصابنى خير أو مكروه وأصبت حسنة أو سيئة وقيل فى معنى الآية ما أصابك من حسنة أى النصر والظفر يوم بدر فمن الله أى من فضل الله وما أصابك من سيئة أى من قتل وهزيمة يوم أحد فمن نفسك يعنى فبذنوب أصحابك وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة الى فعل العبد فى هذه الآية قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى فى قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها وأما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما أصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانبارى فى معنى الآية ما أصابك الله به من حسنة وما أصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى ۞ قوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) يعنى وأرسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتى وما أرسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل أنت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعنى على ارسالك للناس كافة فما ينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما أرسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله ۞ قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أحبنى فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعنى فيما أمر به ونهى عنه فقد أطاع الله يعنى ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو أمر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعى ان كل فريضة فرضها الله فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا أداء شئ من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله (ومن تولى) أى أعرض عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) يعنى حافظا تحفظ أعمالهم عليهم بل كل أمرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال ۞ قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت فى المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة أى أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) أى خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) التبييت كل أمر يفعل بالليل يقال هذا أمر مبيت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا أمرا بالليل غير الذى أعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت فى قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق والذكر

وقيل

والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون (والله يكتب ما يبيتون) يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه (فأعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي أمر الاسلام (وكفى بالله وكيلا) كافيا لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) أفلا يتأملون في معانيه ومبانيه والتدبر التأمل والنظر في أدبار الامر وما يؤول اليه في عاقبته ثم استعمل في كل تأمل والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والامام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد (ولو كان من عند غير الله) كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أي تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم أو تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته أو من حيث المعاني فكان بعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فقد تفصى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانها ان شاء الله تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف) هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال أو المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) أفشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر وأذاع به والضمير يعود الى الامر أو الى الامن أو الخوف لان أو تقتضي أحدهما (ولو ردوه) أي ذلك الخبر (الى الرسول) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (والى أولي الامر منهم) يعني كبراء الصحابة البصراء بالامور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه

وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) أي يثبت ويحفظ عليهم (ما يبيتون) يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق (فأعرض عنهم) أي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم في ضلالتهم فأنا منتقم منهم وقيل لا تغتر باسلامهم (وتوكل على الله) أي فوض أمرك الى الله في شأنهم فان الله يكفيك أمرهم وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعني ناصرا لك عليهم ﴿قوله عز وجل (أفلا يتدبرون القرآن) أصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشئ أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي وان أحدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التي عجز الخلائق عن الاتيان بمثلها في أساليبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن أحوال الاولين وأخبارهم وما يأتي في المستقبل من أمور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه ﴿قوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم يعني المنافقين أمر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة أو الخوف يعني القتل والهزيمة أذاعوا به أي افشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال اذاع السر وأذاع به اذا أشاعه وأظهره قال الشاعر

اذاع به في الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب

(ولو ردوه) يعني الامر الذي تحدثوا به (الى الرسول) يعني انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به ويظهره (والى أولي الامر منهم) يعني ذوي العقول والرأي والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى أولي الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه

منهم) أي يستخرجون تدبيره بذ كائهم وفطنتهم وتجار بهم ومعرفتهم بامور الحرب وما ينبغي لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي أن يكتم من الامور وما ينبغي أن يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو أن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى أولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقته لانهم منهم وانهم أولى بالبحث عنه فانهم أعلم بما ينبغي أن يشاع أو يكتم ﴿ قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعني لبقيتم على الكفر والضلالة (الا قليلا) اختلف العلماء في هذا الاستثناء الى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه الى الشئ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي ﴿ قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) أي لعل الله (أن يكف بأس الذين كفروا) يعني لعل الله أن يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك أن أبا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج الى الموعد (والله أشد بأسا) أي أعظم صولة (وأشد تنكيلا) يعني وأشد عذابا وعقوبة من غيره ﴿ قوله عز وجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له

منهم) يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعاره فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر وفوضوه (٣٨٢) اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل (ولولا فضل الله عليكم) بارسال الرسول (ورحمته) بانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (الا قليلا) لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما المذكور في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل في سبيل الله) ان أفردوك وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله تعالى ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده (وحرض المؤمنين) وما عليك في شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا يعني كأنه معه غيرات أطماع الكريم أعود من انجاز اللئيم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا وهو تمييز كبأسا (من يشفع شفاعة حسنة) هي الشفاعة في دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعا (يكن له نصيب منها) من ثواب الشفاعة بشفاعته

بشفاعته فيها أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الاصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من ينصر شفعا أو تر أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها أي حظا وافرا من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) أي ضعف وقيل نصيب (منها) أي من وزرها (وكان الله على كل شيء مقيتا) قال ابن عباس يعني مقتدرا أو مجازيا وأقات على الشيء قدر عليه قال الشاعر

وذي ضغن كففت الشر عنه * وكنت على اساءته مقيتا

يعني قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا وذكره ﷺ قوله عز وجل (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تفعلة من حيا وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا أو في الآخرة والتحية أن يقال حياك الله أي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الآية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه بأحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه أتم وأحسن وأكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (أو ردوها) يعني أو ردوا عليه كما سلم عليكم (ان الله كان على كل شيء حسيبا) يعني محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله أو بأحسن منه مجاز

(فصل في فضل السلام والحث عليه) (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله أي الاسلام خير معناه أي خصال الاسلام خير (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن أبي أمامة قال أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفشي السلام أخرجه ابن ماجه

(فصل في أحكام تتعلق بالسلام) وفيه مسائل *(المسألة الاولى في كيفية السلام)* (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد

(ومن يشفع شفاعة سيئة) هي خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما الهامفسر غيري معنا من أمر التوحيد وقتال أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن هو المشي بالصلح وضده النميمة (يكن له كفل منها) نصيب (وكان الله على كل شيء مقيتا) مقتدرا من أقات على الشيء اقتدر عليه أو حفيظا من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها (واذا حييتم) أي سلم عليكم فان التحية في دنيانا بالسلام في الدارين سلموا على أنفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله أي أطال الله حياتك فابدل ذلك بعد الاسلام بالسلام (بتحية) هي تفعلة من حيا يحيي تحية (فحيوا بأحسن منها) أي قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته اذا قال ورحمة الله ويقال لكل شيء منتهى ومنتهى السلام وبركاته (أو ردوها) أي أجيبوها بمثلها ورد السلام جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف أي ردوا مثلها والتسليم سنة والرد فريضة والاحسن فضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعند ... رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد ... والقاعد لحاجته ... الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل بأحسن منها لاهل ... أو ردوها لاهل ... النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم ... في سلامه ... قال ... لو قال ... عليكم لان ... (ان الله كان على كل شيء حسيبا) أي يحاسبكم على كل شيء ...

عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده بركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام مثله ولا يزيد عليه وروى ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيأ فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون الرد على الفور فان أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد *(المسئلة الثانية في حكم السلام)* الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان أفضل وأكمل قال القاضي حسين من أصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية أيضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت أو مجلس أو مسجد وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والامر للوجوب أو يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار أهل الاسلام فيجب اظهاره أو يتأكد استحبابه أما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها والامر للوجوب لان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم أثموا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزي عن الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود *(المسئلة الثالثة في آداب السلام)* السنة أن يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية البخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روي عن أبي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود والترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال أولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب أن يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار أن يسلم عليهم لما روي عن أنس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أخرجاه في الصحيحين وفي رواية لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فان كن جماعة جالسات في مسجد أو موضع فيستحب أن يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه أو عليهن فتنة لما روي عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا أخرجه أبو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امرأة منفردة أجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هي عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهن على بعض *(المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها)* فمن ذلك الذي يبول أو يتغوط أو يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روي عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه أخرجه مسلم قال الترمذي انما يكره اذا كان على الغائط أو البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلي والمؤذن والتالي في حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام في حال الخطبة لان الجالسين مأمورون بالانصات للخطبة ويكره

أن يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء * (المسألة الخامسة في حكم السلام على أهل الذمة اليهود والنصارى) * اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم الى أنه لا يجوز أن يبتدأهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه الى أضيقه أخرجه مسلم واذا سلم يهودي أو نصراني على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن أنس ان يهوديا أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه علي فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أي عليك ما قلت أخرجه الترمذي فلو أتى بواو العطف وبميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم في الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذي ۞ قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور (الى يوم القيامة) يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية في منكري البعث (لا ريب فيه) يعني لا شك في ذلك اليوم انه كائن (ومن أصدق من الله حديثا) يعني لا أحد أصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لا شك فيها ولا ريب ۞ قوله عز وجل (فما لكم في المنافقين فئتين) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس ممن خرج معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى أرضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم ان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى أحد الفريقين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الآية فما لكم يا معشر المؤمنين في المنافقين فئتين أي صرتم في أمرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا أن يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبرؤ منهم ثم أخبر عن كفرهم بقوله (والله أركسهم) يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى أحكام الكفار (بما كسبوا) أي بسبب ما كسبوا من أعمالهم الخبيثة وقيل بما أظهروا من

(الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبره أو اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) أي ليحشرنكم اليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لا ريب فيه) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود الى اليوم أو صفة لمصدر محذوف أي جمعا لا ريب فيه والهاء يعود الى الجمع (ومن أصدق من الله حديثا) تمييز وهو استفهام بمعنى النفي أي لا احد أصدق منه في اخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه (فما لكم) مبتدأ وخبر (في المنافقين فئتين) أي ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين حال كقولك ما لك قائما قال سيبويه اذا قلت ما لك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل أي شيء يستقر لك في هذه الحال (والله أركسهم) ردهم الى حكم الكفار (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين ردهم أيضا ولا تختلفوا

فى كفرهم (أتريدون أن تهدوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (من أضل الله) من جعله الله ضالا أو أتريدون أن تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنا فى اثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهداية (ودوا لو تكفرون كما كفروا) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون) عطف على تكفرون (سواء) أى مستوين أنتم وهم فى الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا لان الهجرة فى سبيل الله بالاسلام (فان تولوا) عن الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كما كان حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون الى قوم) أى ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة (بينكم وبينهم ميثاق) القوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال والتجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال اى فاقتلوهم الا من اتصل بقوم بينكم وبين ميثاق (أو جاؤكم) عطف على صفة قوم أى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين أى الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم (حصرت صدورهم) حال باضمار قد والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) عن أن يقاتلوكم اى عن قتالكم (أو يقاتلوا قومهم) معكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بتقوية قلوبهم وازالة الحصر عنهم (فلقاتلوكم) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد

الارتداد بعدما كانوا على النفاق (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) هذا خطاب للفئة التى دافعت عن المنافقين والمعنى أتبتغون أيها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى (ومن يضلل الله) يعنى عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) يعنى فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى ﴿قوله تعالى (ودوا) يعنى تمنى أولئك الذين رجعوا من الايمان الى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعنى تكفرون أنتم يا معشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) فى الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) يعنى من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعنى يسلموا أو يهاجروا (فى سبيل الله) معكم وهى هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه الاولى هجرة المؤمنين فى أول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة للمؤمنين وهى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفى هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه بقوله (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر (فخذوهم) الخطاب للمؤمنين أى خذوهم أيها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعنى أين وجدتموهم فى الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) يعنى فى هذه الحالة (ولا نصيرا) يعنى ينصركم على أعدائكم لانهم أعداؤكم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم أو ينتمون اليهم أو يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجؤن الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أى عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ما لهلال وفى رواية عن ابن عباس قال أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم أيضا داخلون فى عهدكم (أو جاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل أن يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل أن يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد أو يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت أى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم أقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا أن لا يقاتلوهم (أن يقاتلوكم) يعنى ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم وبينهم (أو يقاتلوا قومهم) يعنى من آمن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم وذلك ان الله تعالى أوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا أو لجأ الى معاهد أو ترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم فى هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما أعز الاسلام وأهله أمر ان لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام أو القتل (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما ألقى الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الله

الرعب

[illegible] اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أى الانقياد والاستسلام (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا
الى القتال (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) بالنفاق (ويأمنوا قومهم) بالوفاق هم قوم من أسد وغطفان
كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا الى الفتنة) كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (فان لم يعتزلوكم) فان لم يعتزلوا قتالكم (ويلقوا اليكم السلم) عطف على لم يعتزلوكم أى وان لم ينقادوا لكم بطلب الصلح (ويكفوا أيديهم) عطف عليه أيضا اى ولم يمسكوا عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله (أن يقتل مؤمنا) ابتداء من غير قصاص اى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم اباحة دمه (الا خطأ) الا على وجه الخطا وهو استثناء منقطع بمعنى لكن اى لكن ان وقع خطأ ويحتمل ان
يكون صفة لمصدر اى الا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن ان ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد
بان يرمى كافرا فيصيب مسلما أو يرمى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم (ومن قتل

الرعب فى قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعنى فان اعتزلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) و يقال لم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (وألقوا اليكم السلم) يعنى الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعنى بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هى غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة ﴿ قوله عز وجل (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم أسد وغطفان كانوا من حاضرى المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بالقرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفى رواية أخرى عن ابن عباس انها نزلت فى بنى عبد الدار وكانوا بهذه الصفة (يريدون أن يأمنوكم) يعنى يريدون باظهار الايمان أن يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا قومهم) يعنى باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعنى كلما دعوا الى الشرك (أركسوا فيها) رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم يعتزلوكم) يعنى فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم) اى ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم (فخذوهم) يعنى أسرى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يعنى حيث أدركتموهم (وأولئكم) يعنى أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعنى حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هى ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة ﴿ قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ) الآية نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن فى أطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وأبى جهل ابنى هشام وهما أخوا عياش بن أبى ربيعة لامه والله لا يظلنى سقف ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتيانى به فخرجا فى طلبه وخرج معهما الحرث ابن زيد بن أبى أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشا وهو فى الاطم فقالوا انزل فان أمك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شئ ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة وأوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذى آمنت به ثم تركوه موثقا فى الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذى أرادوا فأتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش أهذا الذى كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا أسلم بعد ذلك وهاجر وأسلم الحرث بن زيد من بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقى الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش أى شئ صنعت انه قد أسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من أمرى وأمر الحرث ما قد علمت وانى لم أشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه وعهد اليه فقد حرم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثناف منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان مؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشئ من غير قصد وتعمد (ومن قتل

مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعنى فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة الى أهله) اى وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه (الا أن يصدقوا) يعنى الا ان يتصدق أهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه (فان كان) يعنى المقتول (من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أراد انه اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه أنه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار وأهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد (فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعنى انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) أى فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة (توبة من الله) يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا (وكان الله عليما) يعنى بمن قتل خطأ (حكيما) يعنى فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

(فصل فى أحكام تتعلق بالآية) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل)* قال الشافعى القتل على ثلاثة أقسام عمد وشبه عمد وخطأ اما العمد المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أو دية حالة مغلظة فى مال القاتل وأما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل أن ضربه بعصا خفيفة أو رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين وأما الخطأ المحض فهو أن لا يقصد قتله بل قصد شيأ آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطا بان يقصد رمى مشرك أو كافر فيصيب مسلما أو يقصد قتل انسان يظنه مشركا بأن كان عليه لباس المشركين وشعارهم فالصورة الاولى خطأ فى الفعل والثانية خطأ فى القصد *(المسئلة الثانية فى حكم الديات)* فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل تجب قيمتها من الدراهم أو الدنانير فى قول وفى قول بدل مقدر وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم ويدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثنى عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتى بقرة وعلى أهل الشاء ألفى شاة وعلى أهل الحلل مائتى حلة قال وترك دية أهل الكتاب لم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعى وذهب قوم الى ان دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول

مؤمنا خطأ) مفعول له او حال او صفة لمصدر محذوف اى قتلا خطأ (فتحرير رقبة) مبتدأ والخبر محذوف اى فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس فى قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق (مؤمنة) قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات اذ الرق اثر من آثار الكفر والكفر موت حكما او من كان ميتا فاحييناه ولهذا منع من تصرف الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب فى العمد ايضا لكن يحتمل ان يقال انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فاوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة (ودية مسلمة الى اهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شئ فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها أشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (الا أن يصدقوا) الا أن يتصدقوا عليه بالدية اى يعفو عنه والتقدير وعليه دية فى كل حال الا فى حال التصدق عليه بها (فان كان من قوم عدو لكم) فان كان المقتول خطأ من قوم أعداء لكم اى كفرة فالعدو يطلق على الجمع (وهو مؤمن) اى المقتول مؤمن (فتحرير رقبة مؤمنة) يعنى اذا أسلم الحربى فى دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهى الاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة بالدار ولم توجد (وان كان) اى المقتول (من قوم بينكم) بين المسلمين (وبينهم ميثاق) عهد (فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) اى وان كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على أن دية الذمى كدية المسلم وهو قولنا (فمن لم يجد) رقبة اى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه او فليتب توبة فهى نصب على المصدر (وكان الله عليما) بما أمر (حكيما) فيما قدر

عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد والاصل في ذلك ما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائي فمن ذهب الى أن دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بأن الاصل في ذلك كان النصف ثم رفعت في زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى أولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا أخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية أخرى ألا ان كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها أربعون في بطونها أولادها أخرجه النسائي وذهب قوم الى أن الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأما دية الخطا فمخففة وهي أخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وأبدل قوم أبناء اللبون ببنات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال أحمد وأصحاب الرأي والدية في قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شئ لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله أعلم * (المسئلة الثالثة في حكم الكفارة) * الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا الرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان أفطر يوما متعمدا في خلال الشهرين أو نسي النية ونوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان أفطر يوما بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قولي الشافعي لانه أفطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه أمر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فيه قولان أحدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطا والله أعلم * قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة في

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا) حال من ضمير القاتل أي قاصدا له لايمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضا (فجزاؤه جهنم

الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك لتكون عليك سبة اقتل الفهرى الذى سعك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال فى ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار ارباب فارع
وادركت ثارى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام اول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعنى بكفره وارتداده وهو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (وغضب الله عليه) يعنى لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعنى وطرده عن رحمته (واعد له عذابا عظيما) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية هل هى منسوخة ام لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ام لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفى رواية قال اختلف اهل الكوفة فى قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت فى آخر ما نزل ولم ينسخها شئ وفى رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التى حرم الله واتينا الفواحش فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فاما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجاه فى الصحيحين وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من أين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة ابن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول أنزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق بستة أشهر أخرجه أبو داود والنسائى وزاد النسائى فى رواية بثمانية أشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية التى فى سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى أن هذه الآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقال بعضهم نسختها التى فى الفرقان وليس هذا القول بالقوى لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التى فى النساء ايضا وهى قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأجاب من ذهب الى أنها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج فى الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور فى الآية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة فى الزجر عن القتل فهو كما روى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه أيضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا وأما السنة فما روى عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به شيأ دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم

خالدا فيها) أى ان جازاه قال عليه السلام هى جزاؤه ان جازاه والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى (وغضب الله عليه ولعنه) اى انتقم منه وطرده من رحمته (واعد له عذابا عظيما) لارتكابه امرا عظيما وخطبا جسيما فى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم

الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيأ من ذلك فستره الله عليه فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

(فصل) وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية على مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار وأجاب علماء السنة بان الآية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجلز في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التأبيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للأيام خوالد وذلك لطول مكثها لا الدوام ببقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها أبدا فاذا اقترن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضله ورحمته وكرمه فانه قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الكفر أعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل من القاتل أولى والله أعلم ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه وأقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف أنت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن أسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها تعوذا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما أظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي استسلم لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعني لست من أهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أو حي من العرب شعار الاسلام يجب ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا

(يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله) سرتم في طريق الغزو (فتبينوا) فتثبتوا حمزة وعلي وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) السلم مدني وشامي وحمزة وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الاسلام (لست مؤمنا) في موضع النصب بالقول روي ان مرداس ابن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية

أو سرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودي أو النصراني أنا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه يدعي أن الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لا أنه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من التهود أو التنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته ﴿ وقوله تعالى (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) يعني تطلبون الغنيمة التي هي من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعند الله مغانم كثيرة) أي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير ان اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعني كما كان هذا الذي ألقى اليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم أنتم من قبل يعني من قبل أن يعز الله دينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تحقروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمن الله عليكم) يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة (فتبينوا) أي ولا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فلا تتهاونوا في القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه ﴿ قوله عز وجل (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال أملى علي النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي فقال والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سري عنه فأنزل الله عز وجل غير أولي الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر وفي رواية أخرى لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية أخرجها ابن الاثير في كتابه جامع الاصول وأضافها الى البخاري ومسلم ولم أجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الآية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين يعني لا يعدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله غير أولي الضرر يعني أولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر أقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن أنس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون الى بدر ﴿ وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدين هنا أولي الضرر وفضل الله

على أسامة (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمي به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل في تقولوا (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم في الاسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم والكاف في كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم (فتبينوا) كرر الامر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك (لا يستوي القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير أولي الضرر) بالنصب مدني وشامي وعلي لانه استثناء من القاعدين أو حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة القاعدين والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) عطف على القاعدون ونفي التساوي بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبيخ للقاعد عن الجهاد وتحريك له عليه ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك (درجة) نصب على المصدر

المجاهدين على أولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية وأولوا الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعني كلا من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) يعني الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعني في سبيل الله (على القاعدين) يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجرا عظيما) يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا أولا نبشر الناس بذلك فقال ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة فان قلت ذكر الله عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه الآية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت أما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر وأما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل أن تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله أعلم ۞ قوله تعالى (ومغفرة) يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها (ورحمة) يعني رأفة بهم (وكان الله غفورا) يعني لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعني بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته * عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال قال أيما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان أرجعته أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أخرجه النسائي

(فصل) اعلم أن الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من أهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن أنفسهم وعن أهاليهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين وبعد عنهم وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض أعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه أو بسراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار والمصيق للجهاد مع وقوع الكفاية به ان لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم ۞ قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية نزلت في أناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فنزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض

لو توجهما موقع المرتين التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة كقولك ضربه سوطا ونصب (وكلا) أى كل فريق من القاعدين والمجاهدين لانه مفعول أول لقوله (وعد الله) والثاني (الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) بغير عذر (أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) قيل انتصب أجرا بفضل لانه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا أو انتصب درجات نصب درجة كأنه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه أسواطا أى ضربات وأجرا عظيما على انه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها مغفرة ورحمة باضمار فعلهما اى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بامر النبي عليه السلام اكتفاء بغيرهم درجات لان الجهاد فرض كفاية (وكان الله غفورا) بتكفير العذر (رحيما) بتوفير الاجر ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين الى بدر مرتدا فقتل كافرا (ان الذين توفاهم الملائكة) يجوز أن يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين والتوفي قبض الروح والملائكة ملك الموت وأعوانه (ظالمي أنفسهم) حال من ضمير المفعول في توفاهم اى في حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة

(قالوا) أى الملائكة للمتوفين [illegible] (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين عن الهجرة (فى الارض) أرض مكة فأخرجونا كارهين (قالوا) أى الملائكة موبخين لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أرادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن

أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفى التوفى هنا قولان أحدهما انه قبض أرواحهم الثانى حشرهم الى النار فعلى القول الثانى يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار (ظالمى أنفسهم) يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين وقيل ظالمى أنفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا فى أى الفريقين كنتم أفى فريق المسلمين أم فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعنى عاجزين (فى الارض) يعنى فى أرض مكة (قالوا) يعنى قال لهم الملائكة (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعنى الى المدينة فتخرجوا من بين أظهر المشركين فاكذبهم الله فى قولهم كنا مستضعفين وأعلمنا بكذبهم (فأولئك) يعنى من هذه صفتهم (مأواهم) يعنى منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعنى بئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى أهل العذر ومن علم ضعفهم بقوله تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعنى لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) يعنى ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة (فأولئك) يعنى المستضعفين وأهل الاعذار (عسى الله أن يعفو عنهم) يعنى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترجية والله تعالى اذا أطمع عبدا وصله (وكان الله عفوا غفورا) قال ابن عباس كنت أنا وأمى ممن عذر الله يعنى من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين فى الصلاة (ق) عن أبى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ﴿ قوله عز وجل (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعنى يجد فى الارض مهاجرا يعنى ان يهاجر قومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم أنفه كناية عن حصول الذل وقيل المراغمة فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم أبال به رغم أنفه وقيل [illegible] الخروج من بلاد العدو برغم أنفه وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغما لهم أى مغاضبا لهم ومفارقا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب فى الارض وأنشد [illegible]

[illegible] * بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا [illegible] هذا قول أهل اللغة فى معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من أرض الى أرض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد متقلبا يتقلب فيه [illegible] المراغمة والمهاجرة [illegible] هجرتهم [illegible] المهاجر مراغمة لانه [illegible] قومه [illegible] وسعة يعنى فى رزقه وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى [illegible] فى الارض التى يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التى قبلها سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال [illegible] الله عز وجل وانى لأجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى الى المدينة

الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) خبران فأولئك ودخول الفاء لما فى الذين من الابهام المشابه بالشرط أو قالوا فيم كنتم والعائد محذوف أى قالوا لهم والآية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى الحديث من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم (ولا يهتدون سبيلا) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وجاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشىء بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) [illegible] (وكان الله عفوا غفورا) [illegible] وانعد [illegible] (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما) [illegible] رغم أنوفهم [illegible] (كثيرا وسعة)

فى الارض وفى أوقات الطهارات الذين أوقاتهم مع المسلمين المقرونة بالأمن (ومن يخرج من بيته مهاجرا) حال من الضمير في يخرج
حيث أمر الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج (فقد وقع أجره على الله) أى حصل له الاجر بوعد الله وهو
تأكيد للوعد فلا شئ يجب على الله لاحد من خلقه (وكان الله غفورا رحيما) قالوا كل هجرة لطلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزداد فيه
طاعة أو قناعة أو زهدا أو ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت فى طريقه فقد وقع أجره على الله (واذا

وأبعدمنها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجونى فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فادركه الموت
فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا ما أدرك
ما طلب فانزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعنى قبل
بلوغه الى مهاجره (فقد وقع أجره على الله) يعنى فقد وجب أجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم
الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل فى حكم الآية من قصد فعل
طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له أجر ذلك
القدر الذى عمل وأتى به أما تمام الاجر فلا والقول الاول أصح لان الآية انما نزلت فى معرض الترغيب فى
الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل
طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحيما) يعنى ويغفر الله له ما كان منه
من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا ۞ قوله عز وجل (واذا ضربتم فى الارض) يعنى اذا سافرتم فيها
(فليس عليكم جناح) أى حرج واثم (ان تقصروا من الصلاة) يعنى من أربع ركعات الى ركعتين وذلك فى
صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر فى اللغة التضييق وقيل هو ضم الشئ الى أصله وفسر ابن الجوزى
القصر بالنقص ولم أره لاحد من أهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض
ركعاتها أو بعض أركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكروا فى تفسير قصر الصلاة المذكورة فى الآية قولين
أحدهما انه فى عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثانى ان المراد بالقصر ادخال
التخفيف فى ادائها وهو ان يكتفى بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول أصح ويدل عليه
لفظة من فى قوله أن تقصروا من الصلاة ولفظة من ههنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض
الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة أولى (ان خفتم أن يفتنكم) يعنى يغتالكم
ويقتلكم فى الصلاة (الذين كفروا) ذهب داود الظاهرى الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف
واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضى عدم
المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضى نسخ
القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم الى ان القصر فى حال الامن فى السفر جائز ويدل عليه ما روى
عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم
الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد انه قال لابن عمر كيف
تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين
كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن فى ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا
أن أمرنا ان نصلى ركعتين فى السفر أخرجه النسائى وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من
المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين أخرجه الترمذى والنسائى وأجاب الجمهور عن قوله تعالى
ان خفتم أن كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم

ضربتم فى الارض) سافرتم
فيها فالضرب فى الارض
هو السفر (فليس عليكم
جناح) حرج (أن تقصروا)
فى أن تقصروا (من الصلاة)
من أعداد ركعات الصلاة
فتصلوا الرباعية ركعتين
وظاهر الآية يقتضى ان
القصر رخصة فى السفر
والاكمال عزيمة كما قال
الشافعى رحمه الله لان
لا جناح يستعمل فى موضع
التخفيف والرخصة لا فى
موضع العزيمة وقلنا القصر
عزيمة غير رخصة ولا يجوز
الاكمال لقول عمر رضى الله
عنه صلاة السفر ركعتان
تمام غير قصر على لسان
نبيكم صلى الله عليه وسلم
وأما الآية فكأنهم ألفوا
الاتمام فكانوا مظنة لان
يخطر ببالهم أن عليهم
نقصانا فى القصر فنفى عنهم
الجناح لتطيب أنفسهم
بالقصر ويطمئنوا اليه
(ان خفتم أن يفتنكم
الذين كفروا) ان خشيتم
أن يقصدكم الكفار بقتل
أو جرح وأخذوا الخوف
شرط جواز القصر عند
الخوارج بظاهر النص
وعند الجمهور ليس بشرط
لما روى عن يعلى بن أمية انه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على أنه لا يجوز الاكمال فى السفر لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل
الرد وان كان المتصدق ممن تلزم طاعته كولى القصاص اذا عفا فان قيل تقرير ظ عنه وولى الامر حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق
الحال وهو كقوله ان أردن تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم أى لئلا يفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يومئ

يقتضي ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتاً للحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتاً في حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت انما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع ﴿وقوله تعالى (ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبينا) أي ظاهر العداوة فالمعنى بهذا رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يعدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدواً ولم يقل أعداء لانه يستوي فيه الواحد والجمع

(فصل في أحكام تتعلق بالآية) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب أكثر العلماء الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأبي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية أخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر أخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص واليه ذهب الشافعي وأحمد وهو رواية عن مالك أيضاً ويدل على ذلك ما روى البغوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال أحسنت يا عائشة وما عاب علي أخرجه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ولفظة لا جناح انما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتماً وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين أولا وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع *(المسئلة الثانية)* اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين هل هي مقصورة أم غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وأبو حنيفة وعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي وأحمد *(المسئلة الثالثة)* ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور الى انه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال أبو حنيفة والثوري يجوز ذلك *(المسئلة الرابعة)* اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود وأهل الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن أنس أيضاً وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة أهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد الطول الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخاً واليه ذهب مالك وأحمد واسحق وقال الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخاً كل فرسخ ثلاثة أميال فيكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون اصبعاً معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام

(فصل) قيل قوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا كلام مستقل بنفسه منفصل عما قبله وتقديره

على البابة عند الخوف أو بتخفيف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما (ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبينا) فقصروا عنهم

(وإذا كنت) يا محمد (فيهم) في أصحابك (فأقمت لهم الصلاة) فأردت أن تقيم الصلاة بهم وبظاهره تعلق أبو يوسف رحمه الله

وان خفتم وروى عن أبي أيوب الانصاري انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه ❁ قوله عز وجل (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية روى عن ابن عباس وجابر ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروى عن أبي عياش الزرقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعني اذا حضرت الصلاة وأقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا في هؤلاء الذين أمرهم الله بأخذ السلاح فقيل أراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون أسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذى به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه أقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذى من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل أراد بهم الطائفة الذين هم في وجه العدو فانهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون أمر الفريقين بحمل السلاح لان ذلك أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعني اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا الى المكان الذي هو في وجه العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو (فليصلوا معك) الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر في أول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى أمرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الاسلحة (ود الذين كفروا) يعني تمنى الكفار (لو تغفلون) يعني لو وجدوكم غافلين (عن أسلحتكم وأمتعتكم) يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وأنتم مشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم

(فصل في أحكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف) وفيه مسائل *(المسألة الاولى)* قال أبو يوسف والحسن بن زياد من أصحاب أبي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لاحد بعده فعلها وقال المزني من أصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتج من نصر هذا القول بأن الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ودل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب أن

فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل امام كقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم دليله فعل الصحابة رضي الله عنهم بعده عليه السلام (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) أي الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضي الله عنهما وان كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما (فاذا سجدوا) أي قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة (فليكونوا من ورائكم) أي اذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) في موضع رفع صفة طائفة (فليصلوا معك) أي ولتحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية (وليأخذوا حذرهم) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه (وأسلحتهم) جمع سلاح وهو ما يقاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أي تمنوا أن تغفلوا عن أسلحتكم في صلاتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة) فيشدون

يثبت في حق غيره من أمته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي ولأن ذلك
انعقاد إجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه صلى صلاة الخوف بأصحابه ليلة الهرير وكذلك
أبو موسى صلى بأصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها بأصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء
مخالف من الصحابة وأجيب عن قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة بأن هذا وإن كان قد خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم فإن سائر أمته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء إلا أن
يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون أمته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين ونظيره قوله وإذا
كنت فيهم خذ من أموالهم صدقة فإذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة لمن بعده من الأئمة كان
كذلك قوله وإذا كنت فيهم وأجيب عن لفظة إذا بأن مقتضاه الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم
فغير مسلم *(المسألة الثانية)* قال الخطابي صلاة الخوف أنواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام
مختلفة وأشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الأحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة فهي مع اختلاف
صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف ما إذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الإمام أصحابه فرقتين
فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الأخرى ركعة فإذا قام إلى الثانية أتموا لأنفسهم وذهبوا إلى
وجاه العدو يحرسون وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في
التشهد حتى يتموا لأنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات
عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو
فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم
الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم أخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي
صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبي حثمة وقد أخرجا من رواية أخرى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
بأصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة
العدو أما كونه أشد موافقة لظاهر القرآن فإن قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على أن
الطائفة الأولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على أن جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الإمام
وكونه أحوط لأمر الصلاة من حيث إنه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونه أحوط لأمر الحرب
والحراسة من حيث إنه إذا لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحراسة والكر والفر والهرب إن احتاجوا إليه
وذهب قوم إلى أن الطائفة الأولى تصلي مع الإمام ركعة ثم تذهب إلى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم
تأتي الطائفة الثانية فتصلي مع الإمام الركعة الثانية ويتم ويسلم الإمام ولا يسلمون هم بل يذهبون إلى وجه العدو
وترجع الطائفة الأولى إلى موضع الإمام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية إلى موضع
الإمام فتقضي بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن
عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر وصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو
فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا وأقبلوا على العدو فصفوا
مكانهم وجاءت الطائفة الأخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتم ركعتين وأربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل إنسان منهم لنفسه
ركعة وسجدتين أخرجه النسائي قال أبو بكر بن إسحاق سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي
أخرجه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى [illegible] صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة
والطائفة الأخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدو وجاء أولئك فصلى بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية أخرى قال صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم [illegible] الخوف في [illegible] فقامت طائفة معه وطائفة بإزاء العدو فصلى بالذين معه ركعة و[illegible]
[illegible] ركعة [illegible] في الصحيحين وبه أخذ الأوزاعي

وأشهب

وأشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي أيضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى أدركت أول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام وأما الطائفة الثانية فلم تدرك أول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته *(المسئلة الثالثة)* فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وهو وهذه الصلاة مما روي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة *(المسئلة الرابعة)* اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومؤن بالركوع والسجود الى أي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخر مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم ﴿وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) أي ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه [٣] من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا أحد قال أتشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيك سيفك فقال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقالوا ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد أهويت اليه بالسيف لأضربه فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا نزلت فيه أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) يعني يهانون به ﴿قوله عز وجل (فاذا قضيتم الصلاة) يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وذكر الله في جميع أحوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ذكر الله تعالى يسهل الحرب حين[illegible]

عليكم شدة واحدة (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا) في أن تضعوا (أسلحتكم وخذوا حذركم) رخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) أخبر انه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله تعالى (فاذا قضيتم الصلاة) فرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) أي دوموا على ذكر الله في جميع الاحوال أو فاذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود

[٣] قوله من زلخة هي وجع يأخذ في الظهر فيصلب ويعلقه حتى لا يتحرك معه اهـ مصححه

(فاذا اطمأننتم) سكنتم بزوال الخوف (فأقيموا الصلاة) فأتموها بطائفة واحدة أو اذا أقمتم فأتموا ولا تقصروا أو اذا اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام والركوع والسجود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مكتوبا محدودا بأوقات معلومة (ولا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (في ابتغاء القوم) في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون

بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأننتم) يعني فاذا أمنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب (فأقيموا الصلاة) يعني فأتموها أربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في أوطانكم فأقيموا الصلاة تامة أربعا من غير قصر وقيل معناه فأقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والأمن بعد الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) يعني فرضا موقتا والكتاب ههنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في أوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن أوقاتها على أي حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين ﴿قوله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا من ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب أبي سفيان وأصحابه ثم أورد عليهم الحجة في ذلك وألزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) يعني ان حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الألم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله ما لا يرجون) يعني وتأملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا واظهار دينكم على الأديان كلها (وكان الله عليما حكيما) يعني انه تعالى لا يأمركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم ﴿قوله عز وجل (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها الى طعمة بن أبيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فأنزل الله هذه الآية انا أنزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبالأمر والنهي والفصل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يعني بما علمك الله وأوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر انه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وأن رأي أحدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه (ولا تكن) يعني يا محمد (للخائنين خصيما) يعني ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة مخاصما عنهم ومجادلا عن طعمة [illegible]

كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) أي ليس ما تجدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة (وكان الله عليما) بما يجد المؤمنون من الألم (حكيما) في تدبير أمورهم روي ان طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له [illegible] قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود [illegible] وصاحبه [illegible] [illegible] [illegible] يجادلوا عن صاحبهم [illegible] هذه [illegible] اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل فنزل (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق)

[illegible] (لتحكم بين الناس بما أراك الله) [illegible] [illegible] في صورة [illegible]

[illegible] (للخائنين [illegible]) [illegible]

عنه ومعينا له (واستغفر الله) يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا) يعني للذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم (رحيما) يعني بعباده المؤمنين

(فصل) وقد تمسك بهذه الآية من يرى بجواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لولم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والامر الالهي فنزلت هذه الآية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي بريء من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فامره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بان يقضي على اليهودي بالسرقة فلما أطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ في نفس الامر فامره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فكان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب أمته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل أو السهو أو أمر من أمور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله أعلم ✽ قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه أوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة أي فلا تخاصم الخائن ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) يعني خوانا بسرقة الدرع أثيما برميه اليهودي وهو بريء وانما قال تعالى خوانا أثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقي ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فآووه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وروي عن عمر انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه يا أمير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة ✽ قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعني يستترون حياء من الناس يريد بذلك بني ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة ابن أبيرق (ولا يستخفون من الله) يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعني والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في أذهانهم وأصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعني ان الله تعالى لا يخفى

معصية العصاة نحيا التفتهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون انه سارق أو ذكر بلفظ الجمع لتناول طعمة وكل من خان خيانته (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) وانما قيل بلفظ المبالغة لانه تعالى عالم من طعمة أنه مفرط في الخيانة وركوب المآثم وروي أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة (يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم أنهم في حضرته لا سترة ولا غيبة (اذ يبيتون) يدبرون وأصله أن يكون ليلا (ما لا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقه ... ان الكلام هو المعنى القائم بالنفس ... (وكان الله بما يعملون محيطا) عالما ...

(ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر (جادلتم) خاصمتم وهي جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كقولك لبعض الاسخياء أنت حاتم تجود بمالك أو أولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم (عنهم) عن طعمة وقومه

عليه شيء من أسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافية (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه يعني يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعني خاصمتم عنهم بسبب أنهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين وأصل الجدال الشدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد أن يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا أنكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه (في الحيوة الدنيا) وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعني اذا أخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (أم من يكون عليهم وكيلا) يعني محافظا ومحاميا عنهم من باس الله اذا نزل بهم ﴿ قوله تعالى (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه) نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوأ يسيء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير أو يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوأ أي قبيحا أو يظلم نفسه برميه لبريء وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعني من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيما) ففي هذه الآية دليل على حكمين أحدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب اثما) يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به (فانما يكسبه على نفسه) يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا أيها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فاني لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت في طعمة أيضا (وكان الله عليما) يعني بسارق الدرع (حكيما) يعني اذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة أو اثما) قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به بريأ) يعني ثم يقذف بما جناه بريأ منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريأ وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه أقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريأ (فقد احتمل بهتانا) البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه (واثما مبينا) يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم وبرميه البريء باهت فقد جمع بين الامرين ﴿ قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني العصمة وما أوحي اليك من الاطلاع على أسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة (أن يضلوك) يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنه ويبرئه عن السرقة ويرمي بها اليهودي (وما يضلون الا أنفسهم) يعني أن وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم له أنه بريء وهم لما

(في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا أخذهم الله بعذابه وقرئ عنه أي عن طعمة (أم من يكون عليهم وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه (ومن يعمل سوأ) ذنبا دون الشرك (أو يظلم نفسه) بالشرك او سوأ قبيحا يتعدى ضرره الى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) يسأل مغفرته (يجد الله غفورا رحيما) له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) لان وباله عليها (وكان الله عليما حكيما) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله (ومن يكسب خطيئة) صغيرة (أو اثما) أو كبيرة أو الاول ذنب بينه وبين ربه والثاني ذنب في مظالم العباد (ثم يرم به بريأ) كرمي طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا) كذبا عظيما (واثما مبينا) ذنبا ظاهرا وهذا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين والبهت الكذب يبهت من قيل عليه ما لا علم له به (ولولا فضل الله عليك ورحمته)

فصدوا على ذلك رجع وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) يعني أنهم وإن سعوا في إضلالك فإن ذلك باطل فإنك ما وقعت فيه لأنك بنيت الأمر على ظاهر الحال وما خطر ببالك أن الأمر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله إدامة العصمة وأنه لا يضره أحد (وأنزل الله عليك الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني القضاء بهما يعني وأوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بإلقائك في الشبهات (وعلمك ما لم تكن تعلم) يعني من أحكام الشرع وأمور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الأمور وأطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من أحوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من إحسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما أنزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول إضلالك فإن الله هو الذي تولاك بفضله وشملك بإحسانه وكفاك غائلة من أرادك بسوء ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من ألطافه وما شمله من فضله وإحسانه ليقوم بواجب حقه ﴿ قوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هي الإسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك أو جهرا وناجيته ساررته وأصله أن يخلو في نجوة من الأرض وقيل أصله من النجاة والمعنى لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (إلا من أمر بصدقة) يعني إلا في نجوى من أمر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا فيما كان من أعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة وحث عليها (أو معروف) يعني أو أمر بطاعة الله وما يجيزه الشرع وأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها (أو إصلاح بين الناس) يعني الإصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا إلى ما كانا عليه من الألفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمر به عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين وإن فساد ذات البين هي الحالقة أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل بن سعد أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث تعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعني هذه الأشياء التي ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعني طلب رضاه لأن الإنسان إذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وإن فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات الحديث (فسوف نؤتيه) يعني في الآخرة إذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (أجرا عظيما) لا حد له لأن الله سماه عظيما وإذا كان كذلك فلا يعرف قدره إلا الله ﴿ قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك أنه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب إلى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والإيمان وأصله من المشاقة وهي كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الإسلام وذلك لأن طعمة كان قد تبين له بما أنزل فيه وأظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الإسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم وأظهر الشقاق ورجع عن الإسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الإيمان

فضل الله عليك عظيما) فيما علمك وأنعم عليك (لا خير في كثير من نجواهم) من تناجي الناس (إلا من أمر بصدقة) إلا نجوى من أمر وهو مجرور بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير (أو معروف) أي قرض أو إغاثة ملهوف أو كل جميل أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع (أو إصلاح بين الناس) أي إصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو رئاء وهو مفعول له والإشكال أنه قال إلا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب أنه ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم أو المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يؤتيه أبو عمرو وحمزة (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول

(نوله ماتولى) [illegible] (وساءت مصيرا) [illegible] ارتداده

(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) مر تفسيره في هذه السورة (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)

ويتبع عبادة الاوثان (نوله ماتولى) أى نكله فى الآخرة الى ماتولى فى الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعنى ونلزمه جهنم وأصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعنى وبئس المرجع الى النار روى ان الشافعى سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة ﴿قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به) نزلت فى طعمة بن أبيرق أيضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله انى شيخ منهمك فى الذنوب غير انى لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصى جراءة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين انى أعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما حالى عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذا نص صريح بأن الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التى عملها فى حال الشرك (ويغفر مادون ذلك) يعنى مادون الشرك (لمن يشاء) يعنى لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله أنه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر مادون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وأدخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعنى فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد فى موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التأكيد أو لان الآية المتقدمة نزلت فى سبب ونزلت هذه الآية فى سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت فى سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه الآية فى سبب ارتداده وموته على الشرك ﴿ قوله عز وجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت فى أهل مكة يعنى ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيأ فقد دعاه لحاجته وفى قوله اناثا أقوال أحدها انهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بنى فلان والقول الثانى اناثا يعنى أمواتا قال الحسن كل شئ لا روح فيه كالحجر والخشبة فهو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبنى وهذه الدراهم تنفعنى ولان الانثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحى كان الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة وكانوا يقولون هن بنات الله (وان يدعون) أى وما يعبدون (الا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل فى جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه أغواهم وأغراهم على عبادتها وأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة (لعنه الله) اى أبعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعنى ابليس (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعنى حظا مقدرا معلوما فكل ما أطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وسوسته (ولاضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شئ قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولامنينهم) قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقيل الكلبى أمنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصى وقيل أزين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان وقيل أمنيهم طول البقاء فى الدنيا ونعيمها ليؤثروها

عن الصواب (ان يدعون من دونه) ما يعبدون من دون الله (الا اناثا) جمع أنثى وهى اللات والعزى ومناة ولم يكن حى من العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله (وان يدعون) يعبدون (الا شيطانا) لانه هو الذى أغراهم على عبادة الاصنام فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة (مريدا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامرد (لعنه الله وقال لاتخذن) صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (من عبادك نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا لى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله (ولاضلنهم) بالدعاء الى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل (ولامنينهم) ولالقين فى قلوبهم الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال

(٢) قوله وهو ان الآية المتقدمة الخ الذى ذكره عند الآية المتقدمة انها نزلت فى أهل الكتاب المتقدم ذكرهم قبل الآية وفى قتل حمزة وأصحابه وفى

[illegible] عن الشرك [illegible] قوله تعالى قل يا عبادى الآية ونزلت يقدم ا[illegible]

[illegible]

على

على الآخرة (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) يعني يقطعونها أو يشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسوّل لهم ابليس ان هذا قربة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن أسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره أنس اخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق أخرجه مالك في الموطأ ومعناه في ترك الاختصاء نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو أن يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والأنعام للركوب والأكل فحرموها على أنفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والأحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران بقي في الآية سؤالان

* الأول قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر القليل وقال في موضع آخر لأحتنكن ذريته الا قليلا وقال لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا أكثر من المسلمين في العدد لكنهم أقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا أقل من الكفار لكنهم أكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الأقل اذا تعد عشيرة * والأكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ما أراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه أهلا ولهذه أهلا قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم أهل النار * السؤال الثاني من أين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولأضلنهم ولأغوينهم ولأمنينهم ولآمرنهم وقال في الأعراف ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لأحتنكن ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها ان ابليس طمع ان تقع منهم هذه الأمور التي يريدها منهم فحصل له ما طمع ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الأنباري المعنى لأجتهدن ولأحرصن في ذلك لانه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز أن يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان أكثر الخلائق لا يؤمنون وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم) يعني الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما أراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شيء منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما أراده منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأن لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) يعني باطلا وضلالا (أولئك) يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولا يجدون عنها) يعني عن جهنم (محيصا) يعني مفرا ومعدلا يعني لا يجدون عنها

(ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) البتك القطع والتبتيك التكثير والتكرير أي لأحملنهم على أن يقطعوا آذان الأنعام وكانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) بفقء عين الحامي واعفائه عن الركوب أو بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم أو بالوشم أو بنفي الأنساب واستلحاقها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتحليل أو بالتخنث أو بتبديل فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) وأجاب الى ما دعاه اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) في الدارين (يعدهم) يوسوس اليهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (ويمنيهم) ما لا ينالون (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو ان يرى شيأ يظهر خلافه (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومفرا

الى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلود فيها ولما ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار) يعني من تحت المساكن والغرف
(خالدين فيها) يعني في الجنات (أبدا) بلا انتهاء ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع له
ولا يتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لا يقال أبد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين فيها أبدا دليل على
أن الخلود لا يفيد التأبيد والدوام لانه لو أفاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك أن الخلود
عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه اراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله عز وجل
(وعد الله حقا) يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا (ومن أصدق من الله قيلا) يعني ليس أحد أصدق
من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا ﴿ قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) الامنية
افعولة من التمنية والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني
الشيء اذا وقع في نفسه وأراده وفي المخاطب بقوله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب قولان أحدهما أنه
خطاب المسلمين وأهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب وقد آمنا
بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم والقول الثاني انه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا بعث ولا
حساب وخطاب لاهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة والمعنى ليس الامر بالاماني انما الامر
بالعمل الصالح (من يعمل سوءا يجز به) قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا
ولكن من عمل سوءا يعني شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون
بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسيء عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز
عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا
هو الكافر فاما المؤمن فله ولي ونصير وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوءا من مسلم ونصراني
وكافر قال ابن عباس هي عامة في حق كل من عمل سوءا يجز به الا أن يتوب قبل أن يموت فيتوب الله عليه وقال
ابن عباس في رواية أبي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله
وأينا من لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات
ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره
وأما من كان جزاؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل
فيعطي الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت
من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي
كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها أخرجه مسلم وعن أبي بكر الصديق قال
كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر الا أقرئك آية نزلت علي قلت بلى يا رسول الله قال فاقرأنيها فلا
أعلم الا اني وجدت انقصاما في ظهري فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك يا أبا بكر قلت
يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بما عملنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت
يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب وأما الآخرون فيجتمع ذلك
لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روي هذا الحديث
من غير وجه عن أبي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد
وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وان قلنا انها في حق
كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر والمؤمنون لا ولي لهم غير الله
وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع أحد أحدا من الله وقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يتبعوا الشيطان في الامر بالكفر (سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ النخعي سيدخلهم (وعد الله حقا) مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) قولا وهو استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه (ليس بأمانيكم) ليس الامر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الاصنام (ولا أماني أهل الكتاب) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (من يعمل سوءا يجز به) أي من المشركين وأهل الكتاب بدليل قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا وعيد للكفار لانه قال بعده (ومن يعمل من الصالحات من

ذكر

ذكر أو أنثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوأ يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لان أحدا لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر نقرة النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان ﴿قوله عز وجل (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن أحسن دينا يعني ومن أحكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم أن دين الاسلام مبني على أمرين أحدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله أسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه أخلص طاعته لله وقيل فوض أمره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيآت وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيأ قال العلماء وانما صار دين الاسلام أحسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما أحسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله أسلم وجهه لله لانه أشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتبع ملة ابراهيم) يعني دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ما سوى من الاديان باطل وحنيفا يجوز أن يكون حالا لابراهيم ويجوز أن يكون حالا للمتبع كما تقول رأيت راكبا كما قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل محب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وأنشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح مني ✽ وبه سمي الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيه وسمي ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخليله انه العبد هي تمكنه من صفته وعصمته وتوفيقه وستره المعونة ونحو ذلك ما عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من أجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس شدة فحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه في حاجة الى مصر

ذكر أو أنثى وهو مؤمن) فقوله وهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعيض والثانية لبيان الابهام في من يعمل وفيه اشارة الى أن الاعمال ليست من الايمان (فأولئك يدخلون الجنة) يدخلون مكي وأبو عمرو وأبو بكر (ولا يظلمون نقيرا) قدر النقير وهو النقرة في ظهر النواة والراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز ان يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله ومن يعمل سوأ يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) عامل للحسنات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) مائلا عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) هو في الاصل المخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يداخلك خلال منزلك أو يسد خللك كما يسد خلله والخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل

بمصر لقال خليله لو كان ابراهيم يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل
ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا
من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بالميرة فانا نستحي أن نمر بهم وإبلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر
التي معهم ثم أتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم ابراهيم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته
عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤا بشيء قالوا
نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملأى بأجود دقيق يكون حوارى فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا
الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من أين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال
هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما أراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه
في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء في
النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه
وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا
وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط أن تسموا الله في أوله
وتحمدوه في آخره فقال جبريل أنت خليل الله فيومئذ سمي ابراهيم خليل الله (م) عن أنس قال جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله
(فصل) وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا وعن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد
اتخذ الله صاحبكم خليلا أخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على
ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في حديث عن ابن عباس أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وأنا حبيب الله ولا فخر أخرجه الترمذي بأطول منه ❁ قوله تعالى (ولله ما في
السموات وما في الارض) قال أهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه
ليرغب الخلق اليه بالطاعة وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس
والذي يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما (وكان الله بكل شيء محيطا) يعني عالما علم احاطة وهو
العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الاعلم وقيل يجوز أن يكون معناه محيطا بالقدرة عليه ❁ قوله
عز وجل (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال ابن عباس نزلت في بنات أم كحة وقد
تقدمت قصتهن في أول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها
اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها
وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره
أن يزوجها غيره فيدخل عليه فيشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال
ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء وما لهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار
ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك
انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة
والصغير فأجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شأن النساء وما لهن (وما يتلى
عليكم في الكتاب) يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النساء بما أنزل في كتابه عليكم وقيل
المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ
وأن العدل والانصاف في حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها وان المخل بها
ظالم (في يتامى النساء) قيل معناه في النساء اليتامى وقيل في اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت في يتامى

ام

من جهة القلب وهي جملة
اعتراضية لا محل لها من
الاعراب كقوله والحوادث
جمة وفائدتها تأكيد
وجوب اتباع ملته وطريقته
لان من بلغ من الزلفى عند
الله ان اتخذه خليلا كان
جديرا بأن تتبع ملته
وطريقته ولو جعلتها
معطوفة على الجمل قبلها لم
يكن لها معنى وفي الحديث
اتخذ الله ابراهيم خليلا
لاطعامه الطعام وافشائه
السلام وصلاته بالليل
والناس نيام وقيل أوحى
اليه انما اتخذتك خليلا
لانك تحب أن تعطي ولا
تعطى وفي رواية لانك تعطي
الناس ولا تسألهم وفي قوله
(ولله ما في السموات وما في
الارض) دليل على أن
اتخاذه خليلا لاحتياج
الخليل اليه لا لاحتياجه
تعالى لانه منزه عن ذلك
(وكان الله بكل شيء محيطا)
عالما (ويستفتونك في
النساء) ويسألونك الافتاء
في النساء والافتاء تبيين
المبهم (قل الله يفتيكم فيهن
وما يتلى عليكم في الكتاب
في يتامى النساء) أي الله
يفتيكم والمتلو في الكتاب
أي القرآن في معنى اليتامى
يعني قوله وان خفتم أن
لا تقسطوا في اليتامى وهو
من قولك أعجبني زيد وكرمه
وما يتلى في محل الرفع بالعطف

أم كنت (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة في مواريث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغبون أن تنكحوهن) يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل يستفتونك في النساء الى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق ۞ وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعني فيجازيكم عليه ۞ قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) (ق) عن عائشة في قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وأنت في حل من النفقة علي والقسمة لي قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه ونشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى أو اعراضا يعني يوجه عنها أو يعبس في وجهها أو يترك مضاجعتها أو يسيء عشرتها أو يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه أو يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة (أن يصالحا) من المصالحة وقرئ أن يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما صلحا) يعني في القسمة والنفقة وهو أن يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت في السن وأنا أريد أن أتزوج امرأة جميلة شابة أوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فأقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها باحسان وان أمسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسم والنفقة جاز وان أنكرت ذلك بعد الصلح كان

مطلقا الله وفي يتامى النساء صلة يتامى أي يفتيكم في يتامى النساء ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن والاضافة بمعنى من (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن) أي في أن تنكحوهن لجمالهن أو عن أن تنكحوهن لدمامتهن (والمستضعفين من الولدان) أي اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الاطفال والنساء (وأن تقوموا لليتامى) مجرور كالمستضعفين يعني يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا أو منصوب بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم (بالقسط) بالعدل في ميراثهم ومالهم (وما تفعلوا من خير) شرط وجوابه (فان الله كان به عليما) أي فيجازيكم عليه (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب أو ضرب (أو اعراضا) عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أو سوء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين الى أخرى أو غير ذلك (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما) وفي يصالحا غيرهم أي يتصالحا وهو أصله فأبدلت التاء صادا وأدغمت (صلحا) في معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح أن تتصالحا على أن تطيب له نفسها

من القسمة أو عن بعضها أو تهبه يعني المهر اليه أو النفقة (والصلح خير) من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة في كل شيء أو والصلح خير من الخير وكما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله (وأحضرت الانفس الشح) أي جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته وأحضرت يتعدى الى مفعولين والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي من أذم بني آدم وامرأته من أجملهم فنظرت اليه وقالت الحمد لله على اني واياك من أهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين (وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة فتمام العدل أن يسوي بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه (ولو حرصتم) بالغتم في تحري ذلك (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضاها يعني ان اجتناب كل الميل في حد اليسر ولا تفرطوا كان فيه وان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له حكم ما يضاف اليه (فتذروها كالمعلقة) وهي التي ليست ذات بعل ولا مطلقة (وان تصلحوا) بينهن (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم (وان يتفرقا) أي ان لم يصطلح الزوجان على شيء وتفرقا بالخلع أو بتطليقه اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها (يغن الله كلا) كل واحد [illegible] (من سعته) [illegible] (وكان الله واسعا) [illegible] (حكيما) [illegible]

ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (وأحضرت الانفس الشح) الشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال وأحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها أحب اليه منها (وان تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا أيها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها أمانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فيجازيكم باعمالكم ❁ قوله عز وجل (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) يعني ولن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط أخرجه الترمذي وعند أبي داود من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ❁ وقوله تعالى (فتذروها كالمعلقة) يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمعلقة لا ايما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا هو في السماء ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها (وان تصلحوا) يعني بالعدل في القسم (وتتقوا) يعني الجور في القسم (فان الله كان غفورا) يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض (رحيما) يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه (وان يتفرقا) يعني ان لم يصطلحا وأرادا الفرقة (يغن الله كلا من سعته) يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزوج آخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعني واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيما) يعني فيما أمر به ونهى عنه

❁ (فصل) ❁ فيما يتعلق بحكم الآية حجة ان الرجل اذا كان تحته امرأتان أو أكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة أما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو

كان في نكاحه حرة وأمة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روى أبو قلابة عن أنس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم قال أبو قلابة ولو شئت لقلت ان أنسا رفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له أن يحمل معه بعض نسائه بشرط أن يقرع بينهن ولا يجب عليه أن يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه أخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا أراد الرجل سفر نقلة وجب عليه أخذ نسائه معه

قوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) يعني عبيدا وملكا قال أهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته وفضله أشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني من اليهود والنصارى وأصحاب الكتب القديمة (واياكم) يعني ووصيناكم يا أهل القرآن في كتابكم (أن اتقوا الله) أي بأن تتقوا الله وهو أن توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة أوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم (وان تكفروا) يعني وان تجحدوا ما أوصاكم به (فان لله ما في السموات وما في الارض) يعني فان لله ملائكة في السموات والارض هم أطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالكهن والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل أحد أن يتقيه ويرجوه (وكان الله غنيا) يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم (حميدا) يعني محمودا على نعمه عليهم (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) قال ابن عباس يعني شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفائدة في تكرير قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قلت الفائدة في ذلك ان لكل آية معنى تختص به أما الآية الاولى فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين أن له ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغني عنهم وأما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه أنه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض وأما الثالثة فقال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا أي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها تعديد لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية أصل كل خير

قوله عز وجل (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بغيركم هم خير منكم وأطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم كما أهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء

قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعني من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بأن الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا

في السر اخ فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغني ثم المقتدر بين غناه وقدرته بقوله (ولله ما في السموات وما في الارض) شيئا والملكوت عبيدا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (من قبلكم) من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الذين أوتوا (أن اتقوا الله) بأن اتقوا أو تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده (وان تكفروا) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا (فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم (حميدا) مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي وفيه دليل على ان التقوى أصل الخير كله وقوله وان تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله (ان يشأ يذهبكم) يعدمكم (أيها الناس ويأت بآخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك قديرا) بليغ القدرة (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة

(فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) ... (وكان الله سميعا) للأقوال (بصيرا) بالأفعال وهو وعيد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا (شهداء) خبر بعد خبر (لله) أي تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها (ولو على

أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة على نفسه هي الإقرار على نفسه لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق وهذا لأن الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها في الإخبار عن حق لأحد على أحد فإن الدعوى إخبار عن حق لنفسه على الغير والإقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير (أو الوالدين والأقربين) أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم (إن يكن) المشهود عليه (غنيا) فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا يمنعها ترحما عليه (فالله أولى بهما) بالغني والفقير أي بالنظر لهما والرحمة وإنما ثنى الضمير في بهما وكان حقه أن يوحد لأن المعنى إن يكن أحد هذين لأنه يرجع إلى ما دل عليه قوله غنيا أو فقيرا وهو جنس الغني والفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء (فلا تتبعوا الهوى) إرادة (أن تعدلوا) عن الحق من العدول أو كراهة أن تعدلوا بين الناس من العدل (وإن تلووا) بواو واحدة وضم اللام شامي وحمزة من الولاية (أو تعرضوا) أي وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها عبر عنهما تلووا بواوين وسكون اللام من اللي أي وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين (آمنوا) اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه ... أو خطاب لأهل الكتاب ... وقيل ... يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا (بالله ورسوله)

يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما يناولونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يعني الذين يطلبون بأعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون في قصدهم لأن الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى أن من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما أراد وصرف عنه من شرها ما أراد وليس له ثواب في الآخرة يجزى به ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعني لأقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدي إن فقيرا وغنيا اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني فأنزل الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل إن هذه الآية متعلقة بقصة طعمة ابن أبيرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهداء لله يعني أقيموا شهاداتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقولوا الحق في شهادته (ولو على أنفسكم) يعني ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله العبد أن يشهد على نفسه بالحق وهو أن يقر على نفسه وذلك الإقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه (أو الوالدين والأقربين) يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والأقربين من ذوي رحمه وأقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم أو على الوالدين أو الأقارب فأقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (إن يكن) يعني المشهود عليه (غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) يعني منكم والمعنى كلوا أمرهم إلى الله تعالى فهو أعلم بهم وبحالهم وإنما قال بهما على التثنية لأن رد الضمير إلى المعنى دون اللفظ يعني فالله أولى بالغني وبالفقير (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق في أداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لأن العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وإن تلووا) قرئ بواوين ومعناه أن يلوي الشاهد لسانه إلى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) يعني أو يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه إذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وإن تلووا أي عن القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشيء إذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وإن تلووا يعني تميلوا مع أحد الخصمين دون الآخر أو تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام أيضا ومعناه فلا تلوا أمور المسلمين وتضيعوهم أو تعرضوا عنهم (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) يعني أنه تعالى يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فيجازيكم بأعمالكم ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل

أى محمد صلى الله عليه وسلم (والكتاب الذى نزل على رسوله) أى الفرقان (والكتاب الذى أنزل من قبل) [illegible]

من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه نزل وأنزل مكى وشامى وأبو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وانما قيل نزل على

الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا يعنى بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة وبالله ورسوله اسم جنس يعنى آمنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لأهل الكتاب جميعا والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لأن الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطأة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا فى الماضى والحال آمنوا فى المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان (والكتاب الذى نزل على رسوله) يعنى القرآن (والكتاب الذى أنزل من قبل) يعنى وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التى أنزلها على أنبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) ❁ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت فى اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعنى بألسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم أحكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم على الكفر وقيل بذنوب أحدثوها فى الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم عليه وذلك لأن من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان فى قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا حكى عن على بن أبى طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم الى ان توبته مقبولة ❁ وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لأن الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعنى من كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) يعنى طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين ❁ قوله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) يعنى أخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لأن العرب تقول تحيتك الضرب أى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) يعنى يتخذون اليهود أولياء وأنصارا أو بطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم أمره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (أيبتغون عندهم العزة) يعنى يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فان العزة لله جميعا) يعنى فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذى يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يا معشر المسلمين (فى الكتاب) يعنى القرآن (ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) قال المفسرون الذى أنزل عليهم فى النهى عن مجالستهم هو قوله تعالى فى سورة الأنعام واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وهذا نزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون فى القرآن ويستهزؤن به فى مجالسهم ثم ان أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجالسون اليهم ويخوضون معهم فى الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) يعنى يأخذوا فى حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد

رسوله وأنزل من قبل لأن الفرقان نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) لأن الكفر ببعضه كفر بكله (ان الذين آمنوا) بموسى عليه السلام (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بموسى بعد عوده (ثم كفروا) بعيسى عليه السلام (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) الى النجاة أو الى الجنة أو هم المنافقون آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله (بشر المنافقين) أى أخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم (بأن لهم عذابا أليما) مؤلما (الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون لا يتم أمر محمد عليه السلام

(فان العزة لله جميعا) ولمن أعزه كالنبى عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) بمعنى نزل عاصم وضمها غيره (فى الكتاب) القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) حتى يشرعوا

فى كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع وأن هى المخففة من الثقيلة أى أنه اذا سمعتم أى نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل أو فى موضع النصب بنزل والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (انكم اذا مثلهم) أى فى الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) لاجتماعهم فى الكفر والاستهزاء (الذين) بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم (يتربصون بكم) ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق (فان كان لكم فتح من الله) نصرة وغنيمة (قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين فأشركونا فى الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم لانه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لانه حظ دنىء من الدنيا يصيبونه (قالوا) للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا [illegible] وهو [illegible] (فالله يحكم بينكم) أيها المؤمنون والمنافقون (يوم القيامة) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى فى القيامة بدليل أول الآية كذا عن على رضى الله عنه وعنه كذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (ان المنافقين يخادعون الله) أى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر والمنافق من أظهر الايمان وأبطن الكفر أو أولياء [illegible] (وهو خادعهم)

صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل فى هذه الآية كل محدث فى الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) يعنى انكم يا أيها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فأنتم وهم فى الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر أو خالط أهله كان فى الاثم بمنزلتهم اذا رضى به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض فى بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول أصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) أى انهم اجتمعوا فى الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم فى عذاب جهنم يوم القيامة ﴿قوله عز وجل﴾ (الذين يتربصون بكم) نزلت فى المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير وشر (فان كان لكم فتح من الله) أى ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم (قالوا) يعنى المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعنى فى الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفى الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) أى دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعنى المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان أى غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم وأسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على رأيكم (ونمنعكم من المؤمنين) يعنى من صلاتهم والدخول فى دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم بأخبارهم وأسرارهم فهاتوا نصيبا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فان قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فما هو الا حظ دنىء ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه فى الدنيا ولهم فى الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذى نالوه من المسلمين (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) يعنى الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين فى الدنيا الا لاجل كرامتهم بل أخر عذابهم الى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فيه قولان أحدهما وهو قول على بن أبى طالب وابن عباس ان المراد به يوم القيامة بدليل انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة وروى ان رجلا سأل على ابن أبى طالب عن هذه الآية يقول ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثانى ان هذا فى الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة فى الدنيا على الكافرين وليس لاحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى أحد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له أن يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى بدليل هذه الآية ﴿قوله تعالى﴾ (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعنى يعاملون الله وهو يجزيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر

وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في العقبى والخادع
اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطيهم جزاء خداعهم (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) متثاقلين كراهة
أما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى في سكران (يراؤن الناس) (٤١٥) حال أي يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة
والمراءاة مفاعلة من الرؤية لأن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانا (ولا يذكرون الله إلا قليلا) ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا (مذبذبين) نصب على الذم أي مرددين يعني ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يدفع فلا يقر في جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب (بين ذلك) بين الكفر والإيمان (لا إلى هؤلاء) لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين (ولا إلى هؤلاء) ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا إلى الهدى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة في تعذيبكم (إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار) أي في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وإنما كان المنافق أشد
عذابا من الكافر لأنه أمن السيف في الدنيا فاستحق الدرك الأسفل في العقبى تعديلا ولأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء
بالإسلام وأهله والدرك بسكون الراء كوفي غير الأعشى وبفتح الراء غيرهم ... (ولن تجد لهم
نصيرا) يمنعهم من العذاب (إلا الذين تابوا) من النفاق ... (وأصلحوا) ...

وهو خادعهم يعني والله مجازيهم بالعقاب وقيل إنهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (وإذا قاموا إلى الصلاة) يعني المنافقين (قاموا كسالى) يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل أنهم يعتقدون أنهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا فالأمر الداعي إلى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يراؤن الناس) يعني أنهم لا يقومون إلى الصلاة إلا لأجل الرياء والسمعة لا لأجل الدين ولا يرون أنها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق (ولا يذكرون الله إلا قليلا) قال ابن عباس إنما قال ذلك لأنهم يفعلونه رياء وسمعة ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لأن الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى أنهم لا يصلون إلا قليلا لأنهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين فلا يصلون وإذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعني متحيرين مترددين بين الكفر والإيمان لأنهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعني طريقا إلى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لأي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة إلى هذه ومرة إلى هذه لا تدري إلى أين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين أو ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي أن الأنصار بالمدينة كان لهم من بني قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعني أتريدون أيها المتخذون الكفار أولياء أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لأنها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فإن قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت إن المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو أنه ضم إلى كفره نوعا آخر من الكفر أخبث منه وهو الاستهزاء بالإسلام والمسلمين وإفشاء أسرار المسلمين ونقلها إلى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والمنافق من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وقيل هو الذي يصف الإسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت أحكامه وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به فقد ورد تغليظا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان فهذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين فيوبخ تعالى (ولن تجد لهم نصيرا) يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين نصيرا ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (إلا الذين تابوا) يعني من النفاق (وأصلحوا) يعني عملهم

الا عمل فعملوا بما أمر الله به وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه (واعتصموا بالله) يعني وتمسكوا بعهد الله وبثوابه (وأخلصوا دينهم لله) يعني وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي عملوها لله وأرادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى (فأولئك) يعني التائبين من النفاق (مع المؤمنين) يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من أي من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) يعني في الآخرة ﴿ قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب أحدا فانما يعاقبه لامر أوجبه العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على أصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته أولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا اعظيما مبهما ثم اذا تمم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر (وكان الله شاكرا) يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من عمل عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليما) يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك ﴿ قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال أهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به أيضا من القول يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز أن يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني أو غصبني ونحو ذلك وان شوتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيأ على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو أحد على أحد الا أن يكون مظلوما فانه قد أرخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم أعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيأ حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعني لدعاء المظلوم (عليما) بما في قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق ﴿ قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (أو تخفوه) يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هممتم بها ولم تعملوها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين [illegible] وهما ايصال النفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو

أسرارهم وأموالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) [illegible] (وأخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء في الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا انه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم) نعمه (وآمنتم) به فما منصوبة بيفعل أي أي شيء يفعل بعذابكم فالايمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان (وكان الله شاكرا) يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب (عليما) عالما بما تصنعون (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) ولا غير الجهر ولكن الجهر أفحش (الا من ظلم) الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه (وكان الله سميعا) لشكوى المظلوم (عليما) [illegible] أحدا لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر [illegible] تخفوه [illegible] (ان تبدوا خيرا) [illegible] جهر بسوء (أو تخفوه) فتعملوه سرا ثم عطف

العفو عليهما فقال (أو تعفوا عن سوء) أي تمحوه عن ظالم بكم الدليل على ان العفو هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) أي انه لم يزل عفوا عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل والقرآن وكالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون في الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل (حقا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) في الآخرة (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) وانما جاز دخول بين على أحد لانه عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما (أولئك سوف نؤتيهم) وبالياء حفص (أجورهم) أي الثواب الموعود لهم (وكان الله غفورا) يستر السيئات (رحيما) يقبل الحسنات والآية تدل على بطلان قول المعتزلة في تخليد المرتكب الكبيرة لانه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما في الازل ثم صار غفورا رحيما ونزل في فنحاص وأصحابه لنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتي به موسى عليه السلام نزل (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (كتابا من السماء) أي جملة كما نزلت التوراة جملة وهذا السؤال ... كانوا ... مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) ... [illegible]

تخفوه او رفع ضر عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (او تعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه اهل التجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به (أولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعني يقينا واعلم انما ذكر ذلك توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجز يلزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم (وأعتدنا) يعني وهيأنا (للكافرين عذابا مهينا) يعني يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعني والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوة جميع أنبيائه وان جميع ما جاؤا به من عند الله حق وصدق (ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعني من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (أولئك) يعني من هذه صفتهم (سوف نؤتيهم أجورهم) يعني جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيما) يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم انه يتجاوز عن سيآتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر ﴿قوله تعالى﴾ (يسئلك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) يعني يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا باختصاصهم وقيل سألوه أن ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان انك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت ﴿وقوله تعالى﴾ (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) يعني أعظم من الذي سألوك يا محمد وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظمن عليك يا محمد مسألتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا لك وانما أسند السؤال الى اليهود الذين

واضين بسؤالهم (فقالوا أرنا الله جهرة) [illegible] (فأخذتهم الصاعقة) العذاب الهائل أو النار [illegible] أنفسهم بسؤال شيء في غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم في الآيات وتعنتهم في سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لأنها ممكنة كإنزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فإنه قال رب أرني أنظر إليك وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت ثم أحياهم (ثم اتخذوا العجل) إلها (من بعد ما جاءتهم البينات) التوراة والمعجزات التسع (فعفونا عن ذلك) تفضلا ولم نستأصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة ظاهرة على من خالفه (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) ادخلوا باب ايلياء مطأطئين عند الدخول رؤسكم (وقلنا لهم لا تعدوا) لا تجاوزوا الحد تعدوا ورش تعدّوا باسكان العين وتشديد الدال مدني غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهي قراءة أبي لأنه أدغم التاء في الدال وأبقى العين ساكنة في رواية وفي رواية نقل فتح التاء الى العين (في السبت) بأخذ السمك (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا مؤكدا (فبما نقضهم) أي فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم (ميثاقهم) ومعنى التوكيد تحقيق أن تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وعطف عليه الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك (وكفرهم بآيات الله) أي بمعجزات موسى عليه السلام (وقتلهم الأنبياء) كزكريا ويحيى وغيرهما (بغير حق) بغير سبب يستحقون به القتل (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أي محجوبة لا يتوصل إليها شيء من الذكر [illegible] (بل طبع الله عليها بكفرهم) [illegible] (فلا يؤمنون إلا قليلا) [illegible] (وبكفرهم) [illegible] لأنهم كفروا [illegible]

كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإن وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت (فقالوا) يعني أسلاف هؤلاء اليهود (أرنا الله جهرة) يعني عيانا والمعنى أرناه نره جهرة وذلك أن سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعني بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية (ثم اتخذوا العجل) يعني إلها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ما جاءتهم البينات) يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أن هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد أن تنزل عليهم كتابا من السماء إنما يطلبونه عنادا ولجاجا فإني قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وأنهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى أن أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أنتم نعف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام

قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك أن بني اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق (وقلنا لهم) يعني والطور مظلهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على أستاههم (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم فيه وذلك أنهم نهوا أن يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بأن يعملوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم إنهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعني وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق أنبيائه (وقتلهم الأنبياء) يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعني بغير استحقاق لذلك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعني وبقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع أغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون إلا قليلا) يعني إيمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الأنبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود

قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني حين رموها بالزنا وذلك أنهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو إنكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم إياها بالزنا وإنما

بهتاناً عظيماً لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم ﴿قوله عز وجل﴾ (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعاً ورد عليهم بقوله (وما قتلوه وما صلبوه) وفي قوله رسول الله قولان أحدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى أبدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعاً لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح ﴿وقوله تعالى﴾ (ولكن شبه لهم) يعني ألقي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في أمر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفي رواية أخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحاب عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذوا آخر فجحد كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقاً فقال ما تجعلون لي ان أدلكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهماً فدلهم عليه فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان أعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فأخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيباً يحفظه فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذ فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري وأولى الاقوال بالصواب ما ذكرناه عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى ألقي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين أحيط به وبهم من غير مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلي الله من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون ألقي شبهه على بعض أصحابه بعد ما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فأخذ وقتل وصلب وظن أصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفي أمر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (وان الذين اختلفوا فيه) يعني في قتل عيسى وهم اليهود (لفي شك منه) يعني من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقي شبهه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى وأصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كان هذا المسيح فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين المسيح فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعاً وبعضهم يقول انه ما قتل وبعضهم يقول انما رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (ما لهم به من علم) يعني انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم

والأرض فيسيراً فسمي مسيحاً بمعنى الماسح (عيسى ابن مريم رسول الله) هم لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه بالرسول وان لم يقولوا ذلك (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) روي ان رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وجزهذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم لا يؤمنون وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه أو مسند الى ضمير المقتول لانا قلنا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (وان الذين اختلفوا فيه) في عيسى من اليهود فقالوا ان الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا أو اختلف النصارى فقالوا اله وابن اله وثالث ثلاثة (لفي شك منه ما لهم به من علم

يعرفوا الحقيقة فذلك المقتول هل هو عيسى أو غيره (الا اتباع الظن) يعني لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم أنه عيسى لا عن علم وحقيقة (وما قتلوه يقينا) قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعني علمه علما تاما وأصل ذلك ان القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن أراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية ۞ وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعني في اقتداره على من يشاء من عباده (حكيما) يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بطيطوس بن اسبيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعن والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة ۞ قوله تعالى (وان من اهل الكتاب) يعني وما من أحد من أهل الكتاب (الا ليؤمنن به) يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الا ليؤمنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين أولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه أولى (قبل موته) اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس وأكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق أو تردى من شاهق أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة فقيل له أرأيت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهواء فقيل له أرأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة باجنحتها وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله أتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد الله ورسوله وتقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبد الله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من أهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس أيضا والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد يعبد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة ومن أمتهم بقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسره حقيقة ويبطل

(الا اتباع الظن) استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهم ان لا يترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو ان يترجح أحدهما لان المراد انهم شاكون ما لهم به من علم ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وقيل وان الذين اختلفوا فيه أي في قتله لفي شك منه أي من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى (وما قتلوه يقينا) أي قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين أو ما قتلوه حقا فجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه أي حق انتفاء قتله حقا (بل رفعه الله اليه) الى حيث لا حكم فيه لغير الله أو الى السماء (وكان الله عزيزا) في انتقامه من اليهود (حكيما) فيما دبر من رفعه اليه (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف أو الضميران لعيسى يعني وان منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام [illegible] ويرجع الى الله تعالى [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم والثاني الى الكتابي

ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام أو القتل وعلى هذا فقد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وأن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعني عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعني الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه ايمانه ۞ وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا وأشركوا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية ۞ قوله عز وجل (فبظلم من الذين هادوا) يعني فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكر من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهي ما ذكر في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال الطبري في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المآكل وغيرها التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه وروي عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيئا انتهى اليه فتركته ولقد أنصف الواحدي فيه قال فان هذه الآية في غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما يقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرها اجمالا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشوة وهو

(ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وهي ما ذكر في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا (وبصدهم عن سبيل الله) وبمنعهم عن الايمان (كثيرا) أي خلقا كثيرا أو صدا كثيرا (وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا

المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الآية يعني الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوماً منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب ﴿ قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه الله منهم وأرشده العمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في العلم البالغون فيه أولو البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعني بالله ورسله (يؤمنون بما أنزل اليك) يعني بالقرآن الذي أنزل اليك (وما أنزل من قبلك) يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين ههنا قولان أحدهما انهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني أنهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل اليك يعني انهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل اليك يا محمد وما أنزل من قبلك (والمقيمين الصلاة) اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتهم فقيل له أفلا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى أنه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روي عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحناً يصلحه غيرهم ولا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيئاً فسداً ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع لحن في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد كره سيبويه عن أمثلة وشواهد وربما غبي عليه ان السابقين الاولين كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقاً يرفوه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في المقيمين الصلاة أهم الراسخون في العلم أم غيرهم على قولين أحدهما أنهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح أو ذم فربما خالفوا بين اعراب أوله وأوسطه أحياناً ثم رجعوا الى اعراب أوله وربما أجروا اعراب آخره على اعراب أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول مررت بقومك المطعمين وهم المعينون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله يؤمنون بما أنزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع أحد منهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم [illegible] القول الاول واختاره [illegible] ورجح الطبري القول الثاني واختاره

وكانوا يتعاطونه (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (واعتدنا للكافرين منهم) دون من آمن (عذاباً أليماً) في الآخرة (لكن الراسخون في العلم) أي الثابتون فيه المتقنون كابن سلام واضرابه (منهم) من أهل الكتاب (والمؤمنون) أي المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يؤمنون) خبره (بما أنزل اليك) أي القرآن (وما أنزل من قبلك) أي سائر الكتب (والمقيمين الصلاة) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفي مصحف عبد الله والمقيمون وهي قراءة مالك بن دينار وغيره

وقوله

﴿ وقوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب (أولئك) يعني من هذه الاوصاف صفته (سنؤتيهم أجرا عظيما) يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثوابا عظيما وهو الجنة ﴿ قوله عز وجل (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى فأنزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فأجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا أوحينا اليك يا محمد كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى أوحى الى هؤلاء الانبياء وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على أحد هؤلاء الانبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه أول نبي بعث بشريعة وأول نذير على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض بدعائه وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام وكان أطول الانبياء عمرا عاش ألف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) يعني وآتينا داود كتابا زبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم الكتاب الذي أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال ذلك وقيل له كان ذلك أنس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى في هذه الآية لان الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام ﴿ قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى وأوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك أخبارهم والى من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) يعني لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل المعاني الذي نوه الله بذكرهم من الانبياء يزيد على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله لا شك لان تأكيد المجاز لا يكون بالمصادر ولا يقال أراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمي كل ما يوصل الى الانسان كلاما بأي طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تكليما ... موسى ...

(أوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا (كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) كهود وصالح وشعيب وغيرهم (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أي أولاد يعقوب (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) زبورا جزء مصدر بمعنى مفعول سمي به الكتاب المنزل على داود عليه السلام (ورسلا) نصب بمضمر في معنى أوحينا اليك وهو أرسلنا ونبأنا (قد قصصناهم عليك من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلا لم نقصصهم عليك) سأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام والآية تدل على ان معرفة الرسل عليهم ... شرط ... الا ... من شرط ... (... تكليما)

الله سبحانه من غير واسطة وروى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كله بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لا أفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيأ قال موسى يارب هل في خلقك شئ يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقي شبها بكلامي أشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء ﴿قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعني انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن أولئك النبيين أرسلت رسلا الى خلقي مبشرين من أطاعني واتبع أمري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف أمري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود حصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا أولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيأ من العبادات ولم تألفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وثقل عليهم كما أخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا أحكام التوراة الا بعد شدة ولهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة أولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا وما أنزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

قلت الرسل منبهون من رقدة الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون أحكام الله تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعني في انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسله (حكيما) يعني في ارساله الرسل ﴿قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله أعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فأنزل الله هذه الآية وفي رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فنزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك يعني [illegible] هؤلاء [illegible] وما أنزل الله على بشر من شئ فقد كذبوا فيما

أي بلا واسطة (رسلا مبشرين ومنذرين) الاوجه ان ينتصب على المدح أي أعني رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول وأن يكون مفعولا أي وأرسلنا رسلا واللام في (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعني في حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون أصولها فانها مما يعرف بالعقل (وكان الله عزيزا) في العقاب على الانكار (حكيما) في بعث الرسل للانذار ولما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة

ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما أنزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه أنزل هذا القرآن البالغ فى الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعى صادقا لاجرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذى أنزله عليك (أنزله بعلمه) يعنى انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عباده فى انزاله عليك (والملائكة يشهدون) يعنى يشهدون بان الله أنزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهدت الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بانه أنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعنى وحسبك يا محمد أن الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه أحد غيره ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك ۞ قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعنى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعنى منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات فى قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بالتوراة (قد ضلوا ضلالا بعيدا) يعنى عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعنى كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة فى قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى لما علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم بل يفضحهم فى الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبى والجلاء وفى الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا ليهديهم طريقا) يعنى ينجون فيه من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق فى علمه انهم لا يؤمنون (الا طريق جهنم) يعنى لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدى الى جهنم وهى اليهودية لما سبق فى علمه انهم أهل لذلك (خالدين فيها) يعنى فى جهنم (أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعنى هينا ۞ قوله عز وجل (يا أيها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركى العرب (قد جاءكم الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعنى بدين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذى هو الحق (من ربكم) يعنى من عند ربكم (فآمنوا خيرا لكم) يعنى فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعنى من الكفر الذى أنتم عليه (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم (فان لله ما فى السموات والارض) يعنى فان الله هو الغنى عن ايمانكم لان له ما فى السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شئ وانه قادر على ما يشاء (وكان الله عليما) يعنى بما يكون منكم لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده فيجزى كل عامل بعمله (حكيما) يعنى فى تكليفكم مع علمه بما يكون منكم ۞ قوله عز وجل (يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى النصارى وذلك ان الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية أتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى وصنف النصارى أربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا فى عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وبأقنوم الابن عيسى وبأقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقدير مذهبهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون فى عيسى ناسوتية وألوهية فناسوتيته من قبل الام وألوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقيل ان الذى أظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا فى دين النصارى ليضلهم ...

العباد وفيه نفى قول المعتزلة فى انكار الصفات فانه أثبت لنفسه العلم (والملائكة يشهدون) لك بالنبوة (وكفى بالله شهيدا) شاهدا وان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب ما نجده فى كتابنا (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الرشد (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) محمدا عليه السلام بتغيير نعته وانكار نبوته (لم يكن الله ليغفر لهم) ما داموا على الكفر (ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) وكان تخليدهم فى جهنم سهلا عليه والتقدير بعدم سم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان فى قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أى بالاسلام وهو حال أى محقا (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أى اقصدوا وائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان ...

وانتوحيد (وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض ...)ولا يضره كفركم (وكان الله عليما) بمن يؤمن وبمن يكفر (حكيما) لا يسوى بينهما فى الجزاء (يا أهل الكتاب

لا تغلوا فى دينكم) لا تجاوزوا الحد فغلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنا وغلت النصارى فى رفعه عن مقدار ه حيث
جعلوه ابن الله (ولا تقولوا على الله الا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم) لا ابن الله (رسول الله) خبر المبتدا
وهو المسيح وعيسى عطف بيان أو بدل (وكلمته) عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بالكلام

وسيأتى قصته فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا فى أمر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا فى التقصير فى أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة وغلت النصارى فى رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا أهل الكتاب (لا تغلوا فى دينكم) وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو فى الدين حرام والمعنى لا تفرطوا فى أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولا تقولوا على الله الا الحق) يعنى لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد فى بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو فى دينهم أرشدهم الى طريق الحق فى أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك (وكلمته) هى قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة (ألقاها الى مريم) يعنى أوصلها الى مريم (وروح منه) يعنى انه كسائر الارواح التى خلقها الله تعالى وانما أضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما قال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعنى انه تفضل بها وقيل الروح هو الذى نفخ فيه جبريل فى جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما أضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بأمر الله قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها فى صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد الله أن يخلقه أرسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان فى كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعنى ان ذلك النفخ كان بأمره واذنه وقيل أدخل النكرة فى قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح وأى روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافة تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل وقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله) يعنى فصدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها وقوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) يعنى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة أقانيم وذلك انهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول فى عيسى وفى مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيرا لكم) يعنى يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله اله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه أن يكون له ولد) يعنى لا ينبغى أن يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما فى السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه لان التجزئة انما تصح فى الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيلا) يعنى انه تعالى كاف فى تدبير

(ألقاها الى مريم) حال وقد معه مراده أى أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح) معطوف على الخبر أيضا وقيل له روح لانه كان يحيى الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لما أنه يحيى القلوب (منه) أى بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وبه أجاب على بن الحسين ابن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد فى مجلسه حيث زعم ان فى كتابكم حجة على ان عيسى من الله (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) خبر مبتدا محذوف أى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم ألا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (انما الله) مبتدأ (اله) خبره (واحد) توكيد (سبحانه أن يكون له ولد) سبحه تسبيحا من أن يكون له ولد (له ما فى السموات وما فى الارض) بيان لتنزهه عما نسب اليه يعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه
جميع
[illegible] والجزء انما يصح فى الاجسام وهو يتعالى عن أن يكون جسما (وكفى بالله وكيلا) حافظا ومدبرا لهما ولما
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال وأى شئ

الأول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزل قوله تعالى (لن يستنكف المسيح) أي لن يأنف (أن يكون عبد الله) هو رد على النصارى (ولا الملائكة) رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح (المقربون) أي الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وتشبث المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء انما يكون الى الأعلى يقال فلان لا يستنكف عن خدمتي ولا أبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب انا نسلم تفضيل الثاني على الأول لكن هذا لا يمس ما تنازعنا فيه لأن الآية تدل على أن الملائكة المقربين بأجمعهم أفضل من عيسى ونحن نسلم بأن جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر الى هذا ذهب بعض أهل السنة ولأن المراد أن الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التوالد والازدواج رأسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف يتبرأ من آخر لا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لأن شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هي التي تورث الحمقاء أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وينبئ بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم فبرؤوه من العبودية فقيل لهم هذه الأوصاف في الملائكة أتم منها في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملائكة ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع أنهم جبلوا عليها فضاهت الأنبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسدانية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لأنهم مجبولون عليها فكانت أزيد ثوابا بالحديث (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يترفع ويطلب الكبرياء (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لأن التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني أن الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا

جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم وقوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله) وذلك أن وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى أن يكون عبد الله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الأنفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه أي أنفت منه وأصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح أن يكون عبد الله (ولا الملائكة المقربون) يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وأفاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل أن يكونوا عبيدا لله لأنهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى أنه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من المعجزات أجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بأن عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف أن يكون عبد الله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل أن الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الأدنى الى الأعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه أن الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله أو انهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله أيضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما أن المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعني فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لأنفسهم شيئا (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) يعني يوفيهم جزاء أعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعني ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا واستكبروا) يعني الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله) يعني من سوى الله لأنفسهم (وليا) يعني ينجيهم من عذابه (ولا نصيرا) يعني ولا ناصرا ينصرهم منه

ويدفع عنهم عقوبتهم ويتعلق في الآية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم وأما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعذبهم بالحسرة والغم اذا رأوا أجور المطيعين العاملين لله تعالى ﷺ قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة (قد جاءكم برهان من ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرة التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) يعني القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فاما الذين آمنوا بالله) يعني صدقوا بوحدانية الله وبما أرسل من رسول وأنزل من كتاب (واعتصموا به) يعني بالله في أن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به أي وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم في رحمته) يعني فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من أليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام ﷺ قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري (ق) عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا نزلت وفي رواية للترمذي وكان لي تسع أخوات حين نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع أخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا أوصي لاخواتي بالثلثين قال أحسن قلت بالشطر قال أحسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا أراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد أنزل فبين الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري عن قتادة ان الصحابة أهمهم شان الكلالة فسألوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروي عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسيره والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا أن يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت أن امارتك تحملني أن أحدثك فيها ما لم أحدثك يومئذ فقال عمر لم أرد هذا رحمك الله وأما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من أمر الكلالة وقد تقدم في أول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى المورث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على المورث فهو من مات

رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) أي رسول يبهر المنكر بالاعجاز (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) قرآنا يستضاء به في ظلمات الحيرة (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) بالله أو بالقرآن (فسيدخلهم في رحمته) أي جنة (وفضل) زيادة النعمة (ويهديهم) ويرشدهم (اليه) الى الله أو الى الفضل أو الى صراطه (صراطا مستقيما) فصراطا حال من المضاف المحذوف (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت

ولا يرثه أحد الابوين ولا أحد الاولاد ﴿ قوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعني مات سمي الموت هلاكا لانه اعدام في الحقيقة (ليس له ولد) يعني ولا والد فاكتفى بذكر أحدهما من الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال في الفتيا انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد (وله أخت) يعني وللهالك أخت وأراد بالاخت من أبيه وأمه أو من أبيه (فلها نصف ما ترك) يعني فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقي المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند أبي حنيفة وأهل العراق يرد الباقي عليها فاذا كان للميت بنت أخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة ﴿ وقوله تعالى (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) يعني ان الاخت اذا ماتت وتركت أخا من الاب والام أو من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا أصل في جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أراد بنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك أختين أو أخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) يعني وان كان الورثة من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من اخواته الاناث (يبين الله لكم ان تضلوا) يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية أن تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها (والله بكل شئ عليم) يعني من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شئ (ق) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفي رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة أشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي أمره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فامره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا في أهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة أبي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم فعاش بعدها أحدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ (تفسير سورة المائدة) ﴾

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا أيها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب أن يحل حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فذكر اجتناب الظلم في هذه الاربعة أشهر وان كان لا يجوز الظلم في شئ من جميع أشهر السنة وانما أفرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوي روي عن ميسرة قال ان الله تعالى أنزل في هذه

(ان امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة أي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت (وله أخت) أي لاب وأم أو لاب (فلها نصف ما ترك) أي الميت (وهو يرثها) أي الاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (ان لم يكن لها ولد) أي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فالاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب أولى من الاخ (فان كانتا اثنتين) أي فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله أخت (فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة) أي وان كان من يرث بالاخوة والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة (رجالا ونساء) ذكورا واناثا (فللذكر) منهم (مثل حظ الانثيين يبين الله لكم) الحق فهو مفعول يبين (ان تضلوا) كراهة أن تضلوا (والله بكل شئ عليم) يعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده

﴿ (سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية) ﴾

السورة ثمانية عشر حكماً لم تنزل في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله إذا قمتم إلى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لأهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعقود التي عهدتها إليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين أمرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الإيمان وما أخذه على عباده في القرآن فيما أحل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضاً على النصرة والموازرة على من حاول ظلمه أو بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقداً في الإسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الإنسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة وزاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري وأولى الأقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس أن معناه أوفوا يا أيها المؤمنون بعقود الله التي أوجبها عليكم وعقدها فيما أحل وحرم عليكم وألزمكم فرضه وبين لكم حدوده وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب لأن الله تعالى أتبعه بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (أحلت لكم بهيمة الأنعام) وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي أربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وإنما سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والأنعام جمع النعم وهي الإبل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع أهل اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول إنما أضاف البهيمة إلى الأنعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا إنما أضاف البهيمة إلى الأنعام ليعرف جنس الأنعام وما أحل منها لأنه لو أفردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام وقال ابن عباس هي الأجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت ذهب أكثر العلماء إلى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنين ذكاته ذكاة أمه أخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية أبي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله قال كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت إن خرج ميتاً آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الأنعام وعنه أن بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فأخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الأنعام وشرط بعضهم الإشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها إذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال أبو حنيفة لا يحل أكل الجنين إذا خرج ميتاً بعد ذكاة الأم

وقوله تعالى (إلا ما يتلى عليكم) يعني في القرآن تحريمه والمراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة إلى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الأنعام (غير محلي الصيد وأنتم حرم) يعني أحلت لكم الأنعام كلها والوحشية أيضاً من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وأنتم محرمون في حال الإحرام فلا يجوز للمحرم أن يقتل صيداً في حال إحرامه (إن الله يحكم ما يريد) يعني أن الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ما أراد تحريمه وفرض ما يشاء أن يفرضه عليهم من أحكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يقال وفى بالعهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف أو ما عقد الله عليكم وما تعاقدتم بينكم والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملاً ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم بهيمة الأنعام) والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوها (إلا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير محلي الصيد) حال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد (وأنتم حرم) حال من محلي الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم (إن الله يحكم ما يريد) من الأحكام أو من التحليل والتحريم ونزل نهياً عن تحليل ما حرم

(لا تحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر (ولا الشهر الحرام) أي أشهر الحج (ولا الهدى) وهو ما أهدى الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية (ولا القلائد) جمع قلادة وهي ما قلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره (ولا آمين البيت الحرام) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرضوا للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد فان اريد بها ذوات القلائد وهي البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لانها أشرف الهدى كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا وجوزان يراد النهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة في النهى عن التعرض للهدى أي ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهى عن ابداء مواقعها (يبتغون) حال من الضمير في آمين (فضلا من ربهم) أي ثوابا (ورضوانا) وان يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم

(لا تحلوا شعائر الله) نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري أتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الام تدعو الناس فقال الى شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي أمراء لا أقطع أمرا دونهم ولعلي أسلم وآتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها الليل بسواق حطم * ليس براعي ابل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم

بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدى فقالوا يا رسول الله هذا شئ كنا نفعله في الجاهلية فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هي المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها أن يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة أنها هدى وهو سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روى عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شئ كان له حلالا أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء أهل بالحج وعند أبي حنيفة لا يجوز اشعار الهدى بل قال يكره ذلك ٢ وقال ابن عباس في معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هي أن تصيد وأنت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيأ من فرائضه التي افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التي نهى عنها (ولا الشهر الحرام) أي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال في الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل أكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسئ قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول اني قد أحللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتي تفسير النسئ في سورة براءة (ولا الهدى ولا القلائد) الهدى ما يهدى الى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * وأعناق الهدى مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة في التوصية بها لانها من أشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك ولا يتعرض لهم أحد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شئ من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعني يطلبون (فضلا من ربهم) يعني الرزق والارباح في التجارة (ورضوانا) يعني ويطلبون رضا الله عنهم

٢ قوله وقال ابن عباس [illegible]

في حجهم لان الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن انه يفعله ذلك طلب الرضوان فيجوز أن يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على أنفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

(فصل) اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى ههنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدي والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا أحدا أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شيء سوى القلائد التي كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا الى أن نخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا الشهر الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا أخذ الهدي من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك أجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة أو أمان وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم ۞ وقوله تعالى (واذا حللتم) يعني من احرامكم (فاصطادوا) هذا أمر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم وأباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه أمر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض معناه أنه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم (شنآن قوم) يعني بغض قوم وعداوتهم (ان صدوكم) يعني لان صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأن صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم (أن تعتدوا) عليهم يعني بالقتل وأخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى) يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله) أي واحذروا الله ان تعتدوا ما أمركم به أو تجاوزوا الى ما نهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعني لمن خالف أمره ففيه وعيد وتهديد عظيم ۞ قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى في أول السورة ما أحل لنا من بهيمة الانعام قوله

(وإذا حللتم) خرجتم من الإحرام (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) جرم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامي وأبو بكر والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكي وأبو عمرو ويدل على الجزاء ما قبله وهو لا يجرمنكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفي والبر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول [illegible]
([illegible]

[illegible]) [illegible] كانت أهل الجاهلية يأكلونه فقال (حرمت عليكم الميتة) أي البهيمة [illegible] احلت
[illegible] (ولحم الخنزير) [illegible] المقصود

أحلت لكم بهيمة الأنعام ثم إنه تعالى استثنى من ذلك بقوله إلا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله
حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف
جدا فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم
هو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله
ولحم الخنزير أراد به جميع أجزائه وأعضائه وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود بالأكل وقد تقدم في سورة
البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال
وذكرنا الدليل على إباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك ۞ وقوله تعالى (وما أهل لغير الله به) يعني ما ذكر
على ذبحه غير اسم الله وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يذكرون أسماء أصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك
بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان أهل الجاهلية
يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لأنها لما ماتت لم يسل دمها والفرق
بينهما أن الميتة تموت بلا سبب أحد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعني المقتولة بالخشب وكانت
العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعني التي تتردى
من مكان عال فتموت أو في بئر فتموت والتردي هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة
فيحرم أكلها ويدخل في هذا الحكم إذا رمى بسهم صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل أو من مكان عال فمات
فانه يحرم أكله لأنه لا يعلم هل مات بالتردي أو بالسهم (والنطيحة) يعني التي تنطحها شاة أخرى حتى تموت
وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لأنها في حكم الميتة فأما الهاء في هذه الكلمات التي
تقدمت أعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فإنما دخلت عليها لأنها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة
كأنه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لأنها من أعم ما يأكله الناس
والكلام إنما يخرج على الأعم الأغلب ثم يلحق به غيره فإن قلت لم أثبتت الهاء في النطيحة مع أنها في الأصل
منطوحة فعدلوا بها إلى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل
يعني كف مخضوبة وعين مكحولة قلت إنما تحذف الهاء من الفعيلة إذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فإذا لم
يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قتيلة بني فلان بالهاء لأنك إن لم
تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة فعلى هذا إنما دخلت الهاء في النطيحة لأنها صفة لموصوف غير
مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء
ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع ومررت بقتيلة بني فلان
۞ وقوله تعالى (وما أكل السبع) قال قتادة كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئا فقتله أو أكل منه
أكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب
فيفترس بنابه كالأسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما أكل السبع منه لأن
ما أكله السبع فقد فقد فلا حكم له إنما الحكم للباقي منه (إلا ما ذكيتم) يعني إلا ما أدركتموه وقد بقيت فيه
حياة مستقرة من هذه الأشياء المذكورة والظاهر أن هذا الاستثناء يرجع إلى جميع المحرمات المذكورة
في الآية من قوله تعالى والمنخنقة إلى وما أكل السبع وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن
وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما أدركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبي هذا
الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول هو الأول وأما كيفية إدراكه فقال أكثر أهل العلم من المفسرين
إن أدركت ذكاته بأن توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فكله ثم قال ابن عباس إذا طرفت بعينها
أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض أهل العلم إلى أن السبع إذا جرح فأخرج
الحشوة أو قطع الجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لذلك وإن كان به حركة ورمق لأنه قد صار إلى
حالة لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الأنباري لأن معنى التذكية أن يلحقها

(وما أهل لغير الله به) أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بالشبكة أو غيرها (والموقوذة) التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل أو في بئر فماتت (والنطيحة) المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وما أكل السبع) بعضه ومات بجرحه (إلا ما ذكيتم) إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها

وسمى عليها ماطت (وماذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون اليها تسمى الانصاب واحدها نصب أوهو جمع والواحد نصاب (وأن تستقسموا بالازلام) فى موضع الرفع بالعطف على الميتة أى

وفيها بقية تضطرب معها الاوداج وتضطرب باضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة وأصل الذكاة فى اللغة تمام الشئ فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روى عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة أخرجاه فى الصحيحين وأقل الذبح فى الحيوان المقدور عليه قطع المرئ والحلقوم وأكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمرى مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح وأما آلة الذبح فكل ما أنهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ۞ وقوله تعالى (وماذبح على النصب) يعنى وحرم ماذبح على النصب والنصب يحتمل أن يكون جمعا واحده نصاب وأن يكون واحدا وجمعه أنصاب وهو الشئ المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة بأصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هى الاصنام المنصوبة والمعنى وماذبح على اسم النصب أولاجل النصب فهو حرام (وأن تستقسموا بالازلام) يعنى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهى القداح وكانت أزلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل أى ليس عليه شئ وكانت العرب فى الجاهلية اذا أرادوا سفرا أو تجارة أو نكاحا أو اختلفوا فى نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم وأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج أمرنى ربى فعلوا ذلك الامر وان خرج نهانى ربى لم يفعلوه وان أجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حليفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا فى العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التى كانوا يقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهى النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشئ منها ۞ عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوى بسند الثعلبى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم بالازلام أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة ۞ وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعنى ماذكر من هذه المحرمات فى هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول أصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعنى يئسوا أن ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك أن الكفار كانوا يطمعون فى أن يعود المسلمون الى دينهم فلما قوى الاسلام يئسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم ترد يوما بعينه يعنى وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالازلام وهى القداح المعلمة واحدها زلم وزلم كان أحدهم اذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو غير ذلك يعمد الى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الآمر مضى لحاجته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام قال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا وفى شرح التأويلات رد هذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى ويجوز أن يجعل الله فى النجوم معانى وأعلاما يدرك بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء ولا لائمة فى ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذلكم فسق) الاستقسام بالازلام خروج عن الطاعة ويحتمل أن يعود الى كل محرم فى الآية (اليوم) ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الآن وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت تريد الآن وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) [illegible] علي [illegible] الدين [illegible]

أراد قرمات علينا وزمانا لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أيها المؤمنون الذين تخشون أن يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم بإظهار دينكم (واخشون) أي وخافوا أنتم الله فأمروني وأخلصوا الخشية لي قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) نزلت هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فأي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة أشار عمر الى أن ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع أعياد لأهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني انا كنا في زيادة من ديننا فأما اذ كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة وأما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم أي حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني أظهرت دينكم على الاديان وأمنتكم من عدوكم بأن كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة أنه لا يزول ولا ينسخ وأن شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم أكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر ويكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين أكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال والمختار ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في أول وقت المبعث بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صالح فيه لاجرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم وأما في آخر زمان البعثة فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا الا أن الاول كمال الى زمن مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى أنجز لهم موعدهم في قوله ولأتم نعمتي عليكم وكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين لاني أكملته لكم وقوله تعالى

(فلا تخشوهم) بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا غالبين (واخشون) بغير ياء في الوصل والوقف أي اخلصوا لي الخشية (اليوم) ظرف لقوله (أكملت لكم دينكم) بأن كفيتكم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك أي كفينا من كنا نخافه أو أكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الاسلام وقوانين القياس (وأتممت عليكم نعمتي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم (ورضيت لكم الاسلام دينا) حال اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

ورضيت لكم الإسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وإن كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الإسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لأنه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال إلى حال وينقلهم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الإسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وأتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه وروى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا أنه يمثل لكل أهل دين دينهم يوم القيامة فأما الإيمان فيبشر أصحابه وأهله ويعدهم في الخير حتى يجيء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول إياك اليوم أقبل وبك اليوم أجزي ۞ وقوله تعالى (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم) هذه الآية متمم تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى أن المحرمات وإن كانت محرمة إلا أنها قد تحل في حالة الاضطرار إليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق إلى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الآية فمن اضطر أي أجهد وأصيب بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لإثم يعني غير مائل إلى إثم أو منحرف إليه والمعنى فمن اضطر إلى أكل الميتة أو إلى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لإثم وهو أن يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز (فإن الله غفور رحيم) يعني لمن أكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار ۞ قوله عز وجل (يسألونك ماذا أحل لهم) روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال قد أذنا لك يا رسول الله قال أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرني بقتله فرجعت إلى الكلب فقتلته فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروي عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن أبي خيثمة وعويم بن ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي وأخرج حديث أبي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلبا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول أصح في سبب نزولها وأما التفسير فقوله تعالى يسألونك يعني يسألك أصحابك يا محمد ما الذي أحل لهم أكله من المطاعم والمآكل كأنهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما أحل لهم (قل أحل لكم الطيبات) يعني قل لهم يا محمد أحل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة واعلم أن العبرة في الاستطابة والاستلذاذ أهل المروءة والأخلاق الجميلة من

(فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذا ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها (في مخمصة) مجاعة (غير) حال (متجانف لإثم) مائل إلى إثم أي غير متجاوز سد الرمق (فإن الله غفور) لا يؤاخذه بذلك (رحيم) بإباحة المحظور للمعذور (يسألونك) في السؤال معنى القول فلذا وقع بعده (ماذا أحل لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوا لأن يسألونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقال (قل أحل لكم الطيبات) أي ما ليس بخبيث منها أو هو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب الله أو سنة أو إجماع أو قياس

العرب فان أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فثبت ان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) يعني وأحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار أي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه أكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعني تعلمون الجوارح الاصطياد (مما علمكم الله) يعني من العلم الذي علمكم الله ففي الآية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها أمور منها انه * اذا أشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيأ ومنها ان لا ينفر منه اذا أراده وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك الا أن يأكل الكلب فلا تأكل فاني أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه وان خالطها كلاب لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية فانك لا تدري أيها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال اذا أصبت بحده فكل واذا أصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به الا أثر سهمك فكل فان وقع في الماء فلا تأكل واختلف العلماء فيما اذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيأ فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وبه قال مالك لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان أكل منه أخرجه أبو داود وأما غير المعلم من الجوارح اذا أخذت صيدا أو المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فأخذ وقتل فانه لا يحل الا أن يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم) دخلت من في قوله مما للتبعيض لانه انما أحل أكل بعض الصيد وهو اللحم دون الريش والدم وقيل من زائدة وهو كقوله كلوا من ثمره اذا أثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعني اذا أرسلت جوارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عائدا الى ما علمتم من الجوارح أي سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ما أمسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا أدركتم ذكاته وقيل يحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الاكل يعني

(الجوارح) أي الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازي والشاهين وقيل هي من الجراحة فيشترط الجرح (مكلبين) حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بعلمتم أن يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التأديب في الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد (تعلمونهن) حال أو استئناف ولا موضع له وفيه دليل على ان على كل آخذ علما أن لا يأخذه الا من أقتلهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من التكليف (فكلوا مما أمسكن عليكم) الامساك على صاحبه أن لا يأكل منه فان أكل منه لم يؤكل اذا كان صيد كلب ونحوه فاما صيد البازي ونحوه فأكله لا يحرمه وقد عرف في موضعه ولم يذكر في (واذكروا اسم الله عليه) يرجع الى ما أمسكن على معنى وسموا

* قوله اذا أشليت قال في الصحاح وقول الناس أشليت الكلب على الصيد خطأ وقد ... شب ... كلب صحدته وقال ابن السكيت يقال أوسدت الكلب بالصيد وآسدته اذا أغريته به ولا يقال أشليته [illegible]

واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبح وعند الاكل ٣ وسيأتي بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (واتقوا الله) يعني واحذروا مخالفة الله يعني فيما أحل لكم وحرم عليكم (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف أمره وفعل ما نهاه عنه ۞ قوله عز وجل (اليوم أحل لكم الطيبات) انما كرر احلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التي سألتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه هذه الآية أو اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم أكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فبين انه كما أكمل الدين وأتم النعمة فكذلك أتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة ۞ وقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) يعني وذبائح أهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم متنصرو العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحتهم روي عن علي بن أبي طالب قال لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعي ان من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي وأجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر أهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على أن المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ما سوى الذبائح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ما قبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه أولى ولان سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي أو غيره وانما تختلف الذكاة فلما خص أهل الكتاب بالذكر دل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودي أو نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم الى انه يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي أو النصراني وذكر غير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد أحله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل أمرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم نأكل ولا وجه للنسخ ۞ وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعني ان ذبائحكم لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشرائعنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم أن تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع أن يحرم الله تعالى أن نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة من الجانبين لا جرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ۞ ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد هن الحرائر وعلى هذا القول لا تدخل الامة المؤمنة في هذا التحليل ومن جوز نكاحهن أجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا أراد أن يزوج أخته فقالت اني أخشى أن افضحك اني قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل ان المراد بالمحصنات بالذكر هن الحرائر أو

العفائف

علينا اذا أدركتم ذكاته أو الى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند ارساله (واتقوا الله) واحذروا مخالفة أمره في هذا كله (ان الله سريع الحساب) انه محاسبكم على أعمالكم ولا يلحقه فيه لبث (اليوم) الآن (أحل لكم الطيبات) كرره تأكيدا للمنة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) أي ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص حلها بالملة (وطعامكم حل لهم) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (والمحصنات من المؤمنات) هي الحرائر أو العفائف وليس هذا شرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أي والمحصنات من المؤمنات

٣ قوله وسيأتي بيان هذه المسئلة الخ لم يتعرض لذكرها عند الآية في سورة الانعام اهـ مصححه

العفائف لبحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين ﴿ وقوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب أبي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى روي ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا أعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب ﴿ وقوله تعالى (اذا آتيتموهن أجورهن) يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعني متعففين بالتزويج غير زانين (ولا متخذي أخدان) يعني ولا منفردين ببغي واحدة قد خادنتموها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن وأحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) يعني ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا أن ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا أن الله قد رضي أعمالنا لم يبح للمؤمنين تزويجنا فانزل الله هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان أهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا أن ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل انه من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله أو جحد بشيء مما أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو في الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) يعني اذا أردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أي اذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من كلام العرب اذا اتجرت فاتجر في البر أي اذا أردت التجارة وهذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية وبه ذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلماء من الصحابة ومن بعدهم الى انه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد وأجابوا عن ظاهر الآية بأن المعنى اذا قمتم الى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ أخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو أمر […]

وحل لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هي الحرائر الكتابيات أو العفائف الكتابيات (اذا آتيتموهن أجورهن) أعطيتموهن مهورهن (محصنين غير مسافحين) متزوجين غير زانين (ولا متخذي أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم (فقد حبط) بطل (عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة

[illegible]

[illegible] هذه الآية أربعة ۞ الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعي على وجوب النية في غسل الوجه بهذه الآية لان الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون منويا لما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الاعمال فيجب أن يكون منويا واتفقنا ان الوضوء مأمور به [illegible] الدين لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية في جميع الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى أوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأجيب عنه بأنا انما أوجبنا النية في الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما حد الوجه فمن منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشاربين والعنفقة وان كانت كثة وأما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لا يجب غسله والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية في حكم الوجه ۞ الفرض الثاني قوله تعالى (وأيديكم الى المرافق) يعني واغسلوا أيديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وأبي بكر بن داود الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق فقال الذي أمر به أن يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة أصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب أن لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور أن كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي مع أموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث أبي هريرة انه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة أن الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الآية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه ۞ الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء في القدر الذي يجب مسحه من الرأس

[illegible] يجوز [illegible] صلاة [illegible] كل [illegible] لكل صلاة [illegible] فرض ثم نسخ (وأيديكم الى المرافق) الى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منتظرا في الحالتين معسرا وموسرا وكذلك أتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه عليه السلام لا يسري به الى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله الى المرافق لا دليل فيه على أحد الامرين فأخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب والشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذنا ببيان النبي عليه الصلاة والسلام وهو ما روي انه مسح على ناصيته

[illegible] الفرض الرابع

قوله (وأرجلكم الى الكعبين) اختلف العلماء [illegible] فرض الرجلين المسح أو الغسل فروي عن ابن عباس أنه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضا وروي عن أنس أنه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس في الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبي أنه قال انما هو المسح على الرجلين ألا ترى ان ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل ومذهب الامامية من الشيعة ان الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم والأئمة الأربعة وأصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء في هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وأرجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال أصحاب هذه القراءة انما أمر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه أيضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفا على المسح أما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناها والجواب عنها فقال أبو حاتم وابن الانباري وأبو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال أبو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت [illegible] ما تمسح به للصلاة يعني أتوضأ قال أبو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحات الا أن مسح الرأس أخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشئ على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يا ليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الآية والأحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء وأما من جعل كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما أخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة في الشعر أو يصار اليه حيث يحصل الأمن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما في وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وأيديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد

[illegible] العطف على الرؤس [illegible] الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة الإسراف المنهي عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وقال في جامع العلوم انها مجرورة للجوار وقد صح ان النبي عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال ويل للأعقاب من النار وعن عطاء والله ما علمت ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وانما أمر بغسل هذه الأعضاء ليطهرها من الأوساخ التي تتصل بها لأنها تبدو كثيرا والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الأوساخ أقرب الى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد اذا أراد أن يقوم بين يدي الملك ولهذا قيل ان الاولى ان يصلي الرجل في أحسن ثيابه وان الصلاة متعمما أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما ان ذلك أبلغ في التعظيم

تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل اللغة والفقه وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول أن الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما في قوله تعالى وأيديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم أن لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

(فصل) قد تقدم أن الفروض المذكورة في هذه الآية أربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك وأحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الاعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكره الله في هذه الآية فيغسل أولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب أبو حنيفة الى أن الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك أن الله تعالى أمر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتبا كما أمر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان أفعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا أو غير مرتب فثبت ان ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج أبو حنيفة لمذهبه بهذه الآية أيضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

(فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله) (ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان أن عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فأقبل بيديه وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال أتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فأتي باناء فيه ماء وطست فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من الكف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمين ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل اصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو قال ظلم وأساء أخرجه أبو داود وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذي وصححه

(ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عقبيه فقال ويل للأعقاب من النار (م) عن جابر قال أخبرني عمر بن الخطاب أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فأحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم * عن خالد عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثا * عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة أخرجه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال وقد روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة فقلت ما أجود هذا فإذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قال إني قد رأيتك جئت آنفا قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء * عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات أخرجه الترمذي * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أخرجه أبو داود وابن ماجه ۞ وقوله تعالى (وإن كنتم جنبا فاطهروا) أي اغتسلوا أمر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة بأحد شيئين إما بخروج المني على أي صفة كان من احتلام أو غيره أو بالتقاء الختانين وإن لم يكن معه إنزال فإذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده * قوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) قد تقدم تفسيره وأحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بما صعد وهو تراب ۞ وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعني من ضيق فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعني من الأحداث والذنوب والخطايا لأن الوضوء تكفير للذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعني ببيان الشرائع والأحكام وما تحتاجون إليه من أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني تشكرون نعمة الله عليكم فيما شرع لكم من

(وإن كنتم جنبا فاطهروا) فاغسلوا أبدانكم (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم) قال الرازي معناه وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث (من الغائط) المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة (أو لامستم النساء) جامعتم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم

المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان (واتقوا الله) في نقض الميثاق (ان الله عليم بذات الصدور) بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) بالعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب الى التقوى نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه (واتقوا الله) فيما أمر ونهى (ان الله خبير بما تعملون) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعد يتعدى الى مفعولين والاول الذين آمنوا والثاني محذوف استغنى عنه بالجملة التي هي قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) والوعيد وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) اي لا يفارقونها (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم) روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بقتله وعمد عمرو بن جحش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية ... (أن يبسطوا) بأن يبسطوا (اليكم أيديهم) بالقتل يقال بسط لسانه اليه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش

الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج ۞ قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني ما أنعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذي واثقكم به) يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي أخذه عليهم في يوم ألست بربكم قالوا بلى (واتقوا الله) يعني فيما أخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) يعني ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير وشر ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو أن يقوم لله بالحق في كل ما يلزم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعني وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب في شهادتك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك أهل بغضك وأعدائك أقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على ألا تعدلوا) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) أمر الله بالعدل في كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو أقرب للتقوى) اي العدل أقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) يعني ان الله تعالى خبير بجميع أعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل ۞ قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني أدوا فرائض الله وأوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها (لهم مغفرة وأجر عظيم) هذا بيان للوعد كأنه لما تقدم ذكر الوعد فقيل أي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم واذا وعدهم أنجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (أولئك) يعني من هذه صفته (أصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما أرادوه بكم اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي أمر الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا أنك فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد أرني سيفك فأعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني

عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر
وأصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم في
السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا
من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله أكبر الجنة
ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما
موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن
الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى
أن يعينوه في الديات وقيل أراد أن يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا
وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا
بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح
عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش أنا فعمد الى رحى عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم
فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى
المدينة قال وخرج معه علي بن أبي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك
أصحابي فمن خرج اليك منهم وسألك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة
وأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود أن
يبسطوا اليكم أيديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله (فكف أيديهم
عنكم) يعني انه تعالى منعهم مما أرادوه بكم (واتقوا الله) يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه (وعلى الله
فليتوكل المؤمنون) أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده جميع أمورهم فاذا فعلوا ذلك
وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن أرادهم بسوء كما كف أيدي اليهود عنهم لما أرادوا أن يفتكوا بهم وهذه
القصة أولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح أفعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى (ولقد
أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) لما ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوه من كيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أتبعه بذكر أسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله
أخذ ميثاقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وان يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف (وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا) اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على
قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم *(ذكر القصة في ذلك)* قال
أصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الارض المقدسة وكان
يسكنها الكنعانيون الجبارون وأمر الله موسى أن يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة وقال اني كتبتها
لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من
كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به فاختار موسى النقباء وسار ببني اسرائيل
حتى قربوا من اريحاء وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم
رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق أمه وهي احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة
آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان آدم عليه السلام
كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه
ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس ويروى ان الماء طبق ما على الارض من جبل
وما جاوز ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك في سفينتك فقال له نوح عليه السلام اخرج عني
يا عدو الله فاني لم أومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام

به ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به (فكف أيديهم عنكم) فمنعها أن تمد اليكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافي والدافع والمانع (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) هو الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير الى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا ويوشع بن نون وكانا من

وذلك أنه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما التقى عوج النقباء أخذهم وجعلهم في حجزته وكان على رأسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال ألا أطحنهم برجلي فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا منك وقيل انه جعلهم في كمه وأتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فأخبروهم بما رأيتم وكان ثمارهم أن العنقود العنب لا يحمله الا خمسة أنفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة أنفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم اذا أخبرتم بني اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معنا اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم وأخبروا موسى وهرون بما رأيتم فيريان رأيهما وأخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق وأخبر كل رجل سبطه بما رأى الا رجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما أوفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (وقال الله اني معكم) فيه حذف تقديره وقال للنقباء اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول أولى لان الضمير يعود الى أقرب مذكور فكان عوده الى النقباء أولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل (لئن أقمتم الصلوة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة أمور وهي قوله لئن أقمتم الصلوة (وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لأكفرن عنكم سيآتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن أقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني جميع رسلي وانما أخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم وأصل التعزير في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بأن تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول وأقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال وأقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر أقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا أخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان أقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله لأكفرن عنكم سيآتكم يعني اذا فعلتم ما أمرتكم به لأمحون عنكم سيآتكم واغفرها لكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعني بعد أخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعني فقد أخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي أمر باتباعه ۞ قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) أي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بأن كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا أنبياءه ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعني جازيناهم على ذلك بأن أبعدناهم وطردناهم عن رحمتنا وأصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة وأحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به)

النقباء (وقال الله اني معكم) اي [illegible] الشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم [illegible] (لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة) وكانتا فريضتين عليهم (وآمنتم برسلي) من غير تفريق بين أحد منهم (وعزرتموهم) وعظمتموهم أو نصرتموهم بأن تردوا عنهم أعداءهم والعزر في اللغة الرد وقال عزرت فلانا أي أدبته يعني فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بلا من وقيل هو كل خير واللام في (لأكفرن عنكم سيآتكم) جواب القسم وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم) أي بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق بالوعد العظيم (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم (فبما نقضهم ميثاقهم) ما مزيدة لافادة تفخيم الامر (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) يابسة لا رحمة فيها ولا لين قسية حمزة وعلي أي رديئة من قولهم درهم قسي أي رديء (يحرفون الكلم عن مواضعه) يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعني أن تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء

منهم من خالفهم من أهل ... يمهى بالمصيبة لاجل هذه الآية وقيل تركوا نصيبا ...
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خائنة منهم) أى هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل
وهؤلاء يخونونك وينهمون بالفتك بك وقوله على خائنة أى على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة
كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة (الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف

عنهم) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن

يعنى وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعنى على معصيتهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التى ظهرت (الا قليلا منهم) يعنى أنهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) أى فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الأمر بالعفو والصفح عن أهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التى نزلت فى سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت فى قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فأظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك أنه يجوز أن يعفو عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من أداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ما داموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعنى اذا عفوت عنهم فانك محسن والله يحب المحسنين ﴿قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود فى نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به أنفسهم لان الله تعالى سماهم به أخذنا ميثاقهم يعنى كتبنا عليهم فى الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (فنسوا حظا مما ذكروا به) يعنى فتركوا ما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (فأغرينا) يعنى فألقينا وأوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ألقى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هى الاهواء المختلفة وفى الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان أحدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة واقعة بعضهم ببعض الى يوم القيامة والقول الثانى أن المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) يعنى ان الله تعالى يخبرهم فى الآخرة باعمالهم التى عملوها فى الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم ﴿قوله تعالى (يا أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر لكم ما أخفوا وكتموا من أحكام التوراة والانجيل وذلك انهم أخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك وأظهره وهذا معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له (ويعفو عن كثير) يعنى مما كتموه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة فى ذلك انهم يعلمون كون النبى صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له أيضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به (قد جاءكم من الله نور) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب مبين) يعنى القرآن (يهدى به الله) يعنى يهدى الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) أى اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه وأثنى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس سبل السلام طرق الله وهو الاسلام وسبله

مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (واصفح ان الله يحب المحسنين) ومن فى قوله (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) وهو الايمان بالله والرسل وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أى وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم ختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا) فألصقنا وألزمنا من غرى بالشئ اذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذى يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين (العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بالاهواء المختلفة (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) أى فى القيامة بالجزاء والعقاب (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى وكتاب يعم (قد جاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) من نحو صفة الرسول ... (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يبينه أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) ... ما كان خفيا على الناس من الحق أو لانه ظاهر الاعجاز ... (من اتبع رضوانه) من آمن منهم (سبل السلام) طرق السلام ...

[illegible]

تعالى أي من [illegible] رضوانه [illegible] السلام [illegible]

السلام [illegible] (ويخرجهم من الظلمات إلى النور) يعني من ظلمات

الكفر إلى نور الإيمان (بإذنه) يعني بتوفيقه وهدايته (ويهديهم إلى صراط مستقيم) يعني دين الإسلام

﴿ قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) قال ابن عباس هم نصارى نجران [illegible]

قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لأنهم يقولون في المسيح إنه إله تعالى الله عما

يقولون علوا كبيرا وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة لأنهم يقولون بالحلول وإن الله قد حل في بدن عيسى فلما

كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل)

يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعني فمن يقدر أن يدفع (من الله شيئا) يعني من

أمر الله شيئا (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه) يعني يعدم المسيح وأمه (ومن في الأرض جميعا) ووجه

الاحتجاج على النصارى بهذا أن المسيح لو كان إلها كما يقولون لقدر على دفع أمر الله إذا أراد إهلاكه وإهلاك

أمه وغيرهما (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) إنما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لأنه أراد ما بين

هذين النوعين أو الصنفين من الأشياء فإنه مالكه وأهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده (يخلق

ما يشاء) يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لأنه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من أم بلا أب

وخلق سائر الخلق من أب وأم (والله على كل شيء قدير) يعني أن الله تعالى لا يعجزه شيء أراده فلا اعتراض لأحد

من خلقه عليه ﴿ قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) قال ابن عباس أتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل

الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي

قال أما اليهود فإنهم قالوا إن الله أوحى إلى إسرائيل أني أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى

تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل فيخرجون فذلك قوله

(وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات) وأما النصارى فإن فريقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا

على الله تعالى فأما وجه قول اليهود فإنهم يعنون أنه من عطفه عليهم كالأب الشفيق على الولد وأما وجه قول

النصارى فإنهم لما قالوا في المسيح إنه ابن الله وادعوا أنه منهم فكأنهم قالوا نحن أبناء الله لهذا السبب وقيل إن

اليهود إنما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن أبناء رسل الله وأما النصارى فإنهم تأولوا قول

المسيح أذهب إلى أبي وأبيكم وقوله إذا صليتم فقولوا يا أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك فذهبوا إلى ظاهر

هذه المقالة ولم يعلموا ما أراد المسيح عليه السلام إن صحت هذه المقالة عنه فإن تأويلها أنه في بره ورحمته وعطفه

على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرون لأنفسهم فضلا

على من سواهم بسبب أسلافهم الأفاضل حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه

فأبطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه إذا كان الأمر كما

تزعمون فلم يعذبكم الله وأنتم قد أقررتم على أنفسكم أنه يعذبكم أربعين يوما وهل رأيتم والدا يعذب ولده

بالنار وهل تطيب نفس محب أن يعذب حبيبه في النار (بل أنتم بشر ممن خلق) يعني بل أنتم يا معشر اليهود

والنصارى كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان ﴿ قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعني لمن تاب

[illegible]

(الأرض جميعا) [illegible]

[illegible] من

المسيح [illegible]

[illegible]

ومن في الأرض جميعا

أن المسيح وأمه [illegible]

من جنسهم لا تفاوت بينهما

بينهم والمعنى أن من اشتمل

عليه رحم الأمومة [illegible]

[illegible] نقص البشرية

ومن لاحت عليه شواهد

الحدث [illegible] يليق به نعت

الربوبية ولو قطع البقاء

من جميعهم أو وحده بعد

[illegible] إلى الصمدية (ولله

ملك السموات والأرض

وما بينهما يخلق ما يشاء) أي

يخلق من ذكر وأنثى ويخلق

من أنثى بلا ذكر كما خلق

عيسى ويخلق من ذكر من

غير أنثى كما خلق حواء من

آدم ويخلق من غير ذكر

وأنثى كما خلق آدم أو يخلق

ما يشاء كخلق الطير على يد

عيسى معجزة له فلا اعتراض

عليه لأنه الفعال لما يريد

والله على كل شيء قدير وقالت

اليهود والنصارى نحن

أبناء الله وأحباؤه) أي

عزة عليه كالابن على الأب

وأشياع ابني الله عزير

والمسيح كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أبناء الله ويقول من

أقرباء الملك وحشمه نحن أبناء الملوك أو نحن أبناء رسل الله (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون

بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الأب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم (بل أنتم بشر ممن خلق)

أي أنتم خلق من خلقه لا بنوه (يغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر فضلا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قوله تعالى (يا أهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن
وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه
وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب بعد موسى
ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا صلى الله عليه
وسلم يبين لكم يعنى أحكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعنى على انقطاع من الرسل
واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة
سنة أخرجه البخاري وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء
الله من ذلك وعنه خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك
أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع
منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسع وستون سنة وهي الفترة
وكان بين عيسى ومحمد أربعة من الرسل فذلك قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال
والرابع لا أدري من هو فكانت تلك السنون مائة وأربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة وقال أبو سليمان
الدمشقي والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه قال
الإمام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي أن التحريف والتغيير
كان قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل
والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في إعراض الخلق عن العبادات لأن لهم أن يقولوا إلهنا عرفنا أنه
لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لإزالة هذا
العذر فذلك قوله عز وجل (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية
أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعنى فقد أرسلت إليكم محمدا
صلى الله عليه وسلم لإزالة هذا العذر (والله على كل شىء قدير) يعنى أنه تعالى قادر على بعثة الرسل في
وقت الحاجة إليهم ﴿ قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس
اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا أيادي الله عندكم وأيامه التي أنعم فيها عليكم قال الطبري هذا تعريف
من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم
لأنفسهم وشدة خلافهم لأنبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه عليهم مسليا بذلك نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل (إذ جعل فيكم أنبياء) يعنى أن موسى
عليه السلام ذكر قومه بنى إسرائيل بأيام الله عندهم وبما أنعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم
إذ فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم إلى
الجبل وأيضا كان أنبياء بنى إسرائيل من أولاد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وهؤلاء لا شك
أنهم من أكابر الأنبياء وأولاد يعقوب وهم الأسباط أنبياء على قول الأكثرين وموسى وهرون عليهما السلام
وأيضا فإن الله تعالى أعلم موسى أنه يبعث من بعده في بنى إسرائيل أنبياء فإنه لم يبعث في أمة ما بعث في بنى
إسرائيل من الأنبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعنى وجعلكم

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم) الشرائع وحذف لظهوره أو ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره أو لا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال أى مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحى وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة أو خمسمائة وستون سنة (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير) والفاء في (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا فقد جاءكم (بشير) للمؤمنين (ونذير) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحى أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم (والله على كل شىء قدير) فكان قادرا على إرسال محمد عليه السلام ضرورة (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) لأنه لم يبعث
في أمة ما بعث في بنى إسرائيل من الأنبياء (وجعلكم ملوكا) لأنه ملكهم بعد فرعون
ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثرت فيهم تكاثر الأنبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها

أحرارا تملكون أنفسكم بعد أن كنتم عبيدا في أيدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم (م) وروى عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال أنت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فأنت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما أنعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي أنعم الله بها عليهم ۞ قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ما أنعم الله به عليهم أمرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال ياقوم ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي الطور وما حوله وقيل هي أريحاء وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكناها وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بين ما قلت فيه وجوه أحدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا ترتدوا على أدباركم) يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على أعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي أمركم به وان فعلتم خلاف ما أمركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعني فترجعوا خائبين لانكم رددتم أمر الله ۞ قوله عز وجل (قالوا) يعني قوم موسى (ياموسى ان فيها) يعني في الارض المقدسة (قوما جبارين) يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوي أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد وأصل الجبار في صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعني أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعني أرض الجبارين التي أمرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعني اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثني عشر لما خرجوا من أرض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا وأخبروا موسى أمرهم أن لا يخبروا بني اسرائيل بذلك فخالفوا أمره ونقضوا العهد وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما سمع بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا في أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني

مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولانهم كانوا مملوكين في أيدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وانزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الامور العظام أو أراد عالمي زمانهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) أي المطهرة أو المباركة وهي أرض بيت المقدس أو الشام (التي كتب الله لكم) قسمها لكم أو سماها أو كتب في اللوح المحفوظ انها مساكن لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا أو لا ترتدوا على أدباركم في دينكم (فتنقلبوا خاسرين) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد (وانا لن ندخلها) بالقتال (حتى يخرجوا منها) بغير قتال (فان يخرجوا منها) بلا قتال (فانا داخلون) لا ادهم ...

فالو رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع صفة لرجلان (أنعم الله عليهما) بالخوف منه (ادخلوا عليهم الباب) أي باب المدينة (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) اي انهم رأوا انكم كانت الغلبة لكم وانما قالا ذلك باخبار موسى عليه السلام (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) اذ الايمان به يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق الخلائق

(قالوا ياموسى انا لن ندخلها) هذا نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التوكيد (أبدا) تعليق النفي المؤكد بالدهر المتطاول

(ماداموا فيها) بيان للابد (فاذهب أنت وربك) من العلماء من حمله على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذ لو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه أن يقال اذهب أنت وربك يعينك على قتالك أو وربك أي وسيدك وهو أخوك الاكبر هرون أولم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة كأنهم قالوا أريد قتالهم (فقاتلا انا ههنا قاعدون) ما كنون لا نقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه (قال رب انى لا أملك) لنصرة دينك (الا نفسي وأخي) وهو منصوب بالعطف على نفسي أو على اسم ان أي اني لا أملك الا نفسي وان أخي لا يملك الا نفسه أو مرفوع بالعطف على محل ان واسمها أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل أي ولا يملك أخي الا نفسه أو هو مبتدأ والخبر محذوف أي وأخي كذلك وهذا من البث والشكوى

الى الله ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين ... الا الى المعصوم وأراد ومن يؤاخيني على ديني (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وعليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم ... (قال فانها) أي الارض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع ... ثم بشرط أن يجاهدوا أهلها فلما أبوا

اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعني يخافون الله ويراقبونه (أنعم الله عليهما) يعني بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله منجز لكم وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بأن الله ناصركم ولا يهولنكم عظم أجسامهم فانا قد رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك أراد بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا) يعني قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين أبدا يعني مدة حياتنا (ماداموا فيها) يعني مقيمين فيها (فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وأمر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما أرادوا بقولهم وربك أخاه هرون لانه كان أكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان أكون أنا صاحبه أحب الي مما عدل به أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يارسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسر ﴿قوله تعالى (قال) يعني موسى عليه السلام (رب) أي يارب (اني لا أملك الا نفسي وأخي) يعني اني لا أملك الا نفسي وأخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا أملك الا نفسي ونفس أخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لا أملك الا نفسي وأخي وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء بأخيه ويحتمل ان يكون معناه وأخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو أخوه في الدين وعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله وأخي ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه ساءه من بني اسرائيل ومن فيه ومن خالفه من شدة وهممهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما أراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي كانوا يجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار وأما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعني الارض

الارض المقدسة محرمة عليهم فلما قال أهل العلم هذا التحريم تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم تعبد فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بأن يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم (أربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال أربعين سنة يتيهون في الارض فلما انقرضت المدة ... فانها ... محرمة عليهم أبدا حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم ۞ وقوله تعالى (يتيهون في الارض) يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ في اثنى عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم أجمع فاذا أمسوا اذا هم في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني اسرائيل ما خلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم وأعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض أربعين سنة بحيث لم يخرج منه أحد قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في أزمان الانبياء غير مستبعدة فان الله على كل شئ قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ما حرم عليهم الخروج من تلك الارض بل أمرهم بالمكث أربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم أمر الله ولما حصل بنو اسرائيل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه أن يسقيهم فاتى بحجر أبيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا واختلفوا في أن موسى عليه السلام مات في التيه أم خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا في التيه جميعا

(قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام)

فاما هرون فانه كان أكبر من موسى بسنة قال السدى أوحى الله عز وجل الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت أعجبه وقال يا موسى انى أحب أن أنام على هذا السرير قال نم قال انى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال لا تخف انى أكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم أنت معى فان جاء رب هذا البيت غضب على وعليك جميعا فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون كان أخى أفترونى أقتله فلما أكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل لموسى أنت قتلته وآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد الا الرخم فجعله الله أصم أبكم * وأما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفى الله موسى عليه السلام قد كره الموت وأعظمه فاراد الله أن يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبى الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله اليك حتى كنت أنت تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت الى موسى

الجهاد وقيل فانها محرمة عليهم او المراد فانها محرمة عليهم (أربعين سنة) فاذا مضى الاربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وأربعين ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف (يتيهون فى الارض) أى يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا أربعين سنة والوقف على عليهم وانما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا في ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له

فلما

فلما جاءه ملك الموت صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال أرسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع
اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال أي رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن
فسأل الله أن يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم
قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال أجب ربك قال
فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري وقد
أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت وأجاب
عنه العلماء بأجوبة أحدها أنه لا يمتنع أن يكون الله قد أذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا
للملطوم والله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد والثاني أن موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن
انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة الى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه
وهذا جواب الامام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في
الحديث تصريح بأنه قصد فقء عينه فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت فالجواب انه أتاه
في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى وأما سؤال موسى الادناء من الارض
المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في
المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء
ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله أعلم قال وهب بن
منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا أحسن منه ولا مثل ما فيه من
الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان
هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفي الله تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل
واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله
روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان
عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما امات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة بعث الله
يوشع الى بني اسرائيل فأخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى
أريحاء وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان في السابع
نفخوا في القرون وضجوا في الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم
وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها
حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت
فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله وسأل الشمس أن تقف والقمر
أن يقف حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم
أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها
لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمه فقال ان فيكم غلولا
فليبايعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل
بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل
والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها ولا
أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية
صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح
الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل

قوله والثاني الخ هذا هو الجواب الثالث في شرح النووي على مسلم ونص الجواب الثاني فيه والثاني أن هذا على المجاز والمراد ان موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ويقال فقأ فلان عين فلان اذا غلبه بالحجة ويقال عورت الشيء اذا ادخلت فيه نقصا قال وفي هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم فرد الله عينه فان قيل أراد رد حجته كان بعيدا والثالث الخ اه مصححه

لزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجه البخاري ومسلم * شرح غريب هذا الحديث * قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها أي لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضي وقد روي أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل افراتيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره أمر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذي فتح أريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى وأكلوا البقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى في السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة فأصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من أعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال رواة أهل العلم بأخبار الاولين مجمعون على أن بلعم بن باعورا كان ممن أعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا على موسى وستردقصته في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى ۞ وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الفاسقين) يعني لا تحزن عليهم لانهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما دعا على قومه أوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز أن يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم أي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل ۞ قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) يعني اذكر لقومك وأخبرهم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال في آخر الآية فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق أي أخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نسك أو غير ذلك مما يتقرب به

(ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل)

ذكر أهل العلم بالاخبار والسير أن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل

(فلا تأس على القوم الفاسقين) فلا تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهرون معهم في التيه لانه كان عقابا وقد سأل موسى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات هرون في التيه ومات موسى فيه بعده بسنة ومات النقباء في التيه الا كالب ويوشع ثم أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله (واتل عليهم) على أهل الكتاب (نبأ ابني آدم) من صلبه هابيل وقابيل أو هما رجلان من بني اسرائيل (بالحق) بيتلبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين أو تلاوة متلبسة بالصدق والصحة أو واتل عليهم وأنت محق صادق (اذ قربا) نصب بالنبا أي قصتهما وحديثهما في ذلك الوقت أو بدل من النبا أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف (قربانا) ما يتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانه

فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته ليوذا في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر أولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم فكبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا أمر الله آدم ان يزوج قابيل ليوذا أخت هابيل ويزوج هابيل اقليما أخت قابيل وكانت اقليما أحسن من ليوذا فذكر آدم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال أبوه آدم انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام رديء وأضمر في نفسه لا أبالي أيتقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أحد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما) يعني هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه وأضمر لاخيه الحسد الى ان أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو في غنمه (قال لاقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قرباني وتريد أن تنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير مني ويفخر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان أحد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضمر في نفسه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فجعله بجواب مختصر وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت الى يدك) يعني لئن مددت الى يدك (لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك) يعني ما أنا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بادئا بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا أراد رجل أن يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله وذلك قوله (اني أخاف الله رب العالمين) والمعنى اني أخاف الله ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني على ذلك ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن هابيل (اني أريد أن تبوء باثمي واثمك) يعني ترجع باثم قتلي الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل اني أريد أن تبوء [illegible] والمعصية لا تجوز قلت أجاب ابن الانباري عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك [illegible] وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الى يدك الآية فلم يرجع قابيل وأصر [illegible] الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني أريد أن تبوء باثمي واثمك [illegible] بقتلي اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلي اذا قتلتني فكان هذا اعدلا من هابيل [illegible] قتلتني فانا آمر بذلك بهذه الارادة منه بشرط أن يكون [illegible] لم يلم على ذلك وعلى هذا [illegible] قال بعضهم معناه [illegible]

الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسده عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله (قال لاقتلنك) أي قال لهابيل (قال انما يتقبل الله من المتقين) وتقديره قال لم تقتلني قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني فقال انما يتقبل الله من المتقين وأنت غير متق فانما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي وعن عمر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت فقال يبكيني ان الله يقول انما يتقبل الله من المتقين (لئن بسطت) مددت (الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي) مدني وأبو عمرو وحفص (اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم تحرجا مما لله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وقيل لم يكن ذلك [illegible]

ومشاركة للقاتل في الاثم [illegible] [illegible] [illegible] (اني أريد) مدني [illegible] [illegible] (واثمك) الذي

بإثم بقتلك إياي وإثمك الذي عملته قبل قتلي. وقيل: بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك، وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما. فإن قلت: كيف يريد المؤمن أن يأثم أخوه ويدخل النار؟ قلت: إنما أراد ذلك الإثم ذكره الواحدي. وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الإرادة لكنه لما علم أنه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلباً للثواب فكأنه صار مريداً لقتله مجازاً وإن لم يكن مريداً حقيقة (فتكون من أصحاب النار) يعني الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعني جهنم جزاء من قتل أخاه ظلماً ﴿ قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) يعني زينت له وسهلت عليه القتل وذلك أن الإنسان إذا تصور أن قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفاً له عن القتل فلا يقدم عليه فإذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له إبليس وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة ﴿ وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته أما دنياه فأسخط والديه وبقي بلا أخ وأما آخرته فأسخط ربه وصار إلى النار (ق) عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل ﴿ قوله تعالى (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه) قال أصحاب الأخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت من بني آدم على وجه الأرض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره في جراب أربعين يوماً وقال ابن عباس سنة حتى أروح وأنتن فأراد الله أن يري قابيل سنته في موتى بني آدم في الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم ألقاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غراباً يبحث في الأرض يعني يحفرها وينثر ترابها ليريه كيف يواري سوأة أخيه يعني ليري الله أو يري الغراب قابيل كيف يواري ويستر جيفة أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال يا ويلتا) أي لزمه الويل وحضره وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك أنه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما تعلم ذلك من فعل الغراب علم أن الغراب أكثر علماً منه وعلم أنه إنما أقدم على قتل أخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) يعني مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الآخر (فأواري سوأة أخي) يعني فأستر جيفته وعورته عن الأعين (فأصبح من النادمين) يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل إنه ندم على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه وإخوته فندم لأجل ذلك لا لأجل أنه جنى جناية واقترف ذنباً عظيماً بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف وإشفاق من فعله فلأجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى أين أخوك هابيل فقال ما أدري ما كنت عليه رقيباً فقال الله تعالى إن دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه إن كنت قتلته فحرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وأغبرت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلاً فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل إن آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وإنه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

ويروى عن ابن عباس أنه قال من قال إن آدم قال شعراً فقد كذب وإن محمداً صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم في النهي سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بني أنت وصيي

جاز أن يريد (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه) فوسعته ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع (فقتله) عند عقبة حراء أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة (فأصبح من الخاسرين فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه) أي الله أو الغراب (كيف يواري سوأة أخيه) عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده روي أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فحينئذ (قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري) عطف على أكون (سوأة أخي فأصبح من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره ولم يندم ندم التائبين أو كان الندم توبة لنا خاصة أو على حمله لا على قتله وروي أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلاً فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك [illegible]

الحنفية هذا السلام اليوم ورثت جميع الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية فهو أول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه أبياتا منها

ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غما * فهل أنا من حياتي مستريح

قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال أصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد أخته اقليما وهرب بها الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به أحد الا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت أباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل أحد وأبقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة

﴿ قوله تعالى (من أجل ذلك) يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال أجل عليهم شرا أي جنى عليهم شرا (كتبنا) أي فرضنا وأوجبنا (على بني اسرائيل) فان قلت من أجل ذلك معناه من أجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فأصبح من النادمين من أجل ذلك اي من أجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من أجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين وأصحاب المعاني على ان قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من أجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فأصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فأصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حصل في أنواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من أجل ذلك الذي ذكرنا في أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه بني اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا أن التشديد المذكور ههنا في حق بني اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ولا شك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي

(من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وذلك اشارة الى القتل المذكور وقيل هو متصل بالآية الاولى فيوقف على ذلك اي فأصبح من النادمين لاجل حمله ولاجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين (كتبنا على بني اسرائيل) خصهم بالذكر وان اشترك الكل في ذلك لان التوراة أول

صلى الله عليه وسلم على ما أقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه فتخصيص بني اسرائيل
في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب الكلام وتوكيد المقصود والله أعلم بمراده ﴿قوله عز وجل﴾ (أنه من قتل
نفسا) يعني قتل نفسا ظلما (بغير نفس) يعني بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس
على وجه العدوان الحرم (أو فساد في الارض) هو عطف على بغير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق
به القتل لان القتل على أسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك
والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله أو فساد في الارض (فكأنما قتل
الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما
يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا أو
امام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي أو امام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا وقيل معناه ان
من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها يعني من
غرق أو حرق أو وقوع في هلكة فكأنما أحيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من أحيا الناس
جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن
تورع عن قتل مسلم فكأنما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال أهل المعاني قوله ومن أحياها على
المجاز لان المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكأنما نجى جميع الناس منه
سئل الحسن عن هذه الآية أهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني
اسرائيل أكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعني ولقد جاءت بني اسرائيل
رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) يعني بعد مجيء الرسل وبعد
ما كتبنا عليهم تحريم القتل (في الارض لمسرفون) يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق
وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير ﴿قوله عز وجل﴾
(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان
يشأ يقتل وان يشأ يصلب وان يشأ يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك أيضا وقال الكلبي
نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الاسلمي على
أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة
يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه
السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عرينة وعكل أتوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل (ق) عن أنس بن مالك أن ناسا من عكل وعرينة قدموا
على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا
المدينة فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها
فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم
وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث
على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل أن تنزل الحدود وفي
رواية للبخاري ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل
الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى
بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال أبو قلابة وأي

كتاب فيه الاحكام (أنه من قتل نفسا) الضمير للشأن ومن شرطية (بغير نفس) بغير قتل نفس (أو فساد في الارض) عطف على نفس أي بغير فساد في الارض وهو الشرك أو قطع الطريق وكل فساد يوجب القتل (فكأنما قتل الناس جميعا) أي في الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك (ومن أحياها) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فكأنما أحيا الناس جميعا) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور ان قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذي أراد احياءها اذا تصور ان حكمه حكم احياء جميع الناس رغب في احيائها (ولقد جاءتهم) أي بني اسرائيل (رسلنا) رسلنا أبو عمرو (بالبينات) بالآيات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) بعدما كتبنا عليهم أو بعد مجيء الرسل بالآيات (في الارض لمسرفون) في القتل لا يبالون بعظمته (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أي أولياءهما في الحديث يقول الله تعالى

شيء أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية أبي داود ان قوما من عكل أو قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فأرسل في آثارهم فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية وأنزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا الآية * شرح غريب هذا الحديث وحكمه قوله انا كنا أهل ضرع يعني أهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من أهل المدن والريف هو الارض التي فيها زرع وخصب والجمع أرياف قوله استوخموا المدينة يعني انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هي أرض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر أعينهم معناه أنه حمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله وينهى عن المثلة المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلماء قولان أحدهما ان المحاربين لله هم المخالفون أمره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف أمر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثاني معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون في الارض فسادا) يعني بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) وللعلماء في لفظة أو المذكورة في هذه الآية قولان أحدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في أمر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني ان لفظة أو للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول أكثر العلماء لان الاحكام تختلف وترتبت هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف واذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت وقال الشافعي يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الآية فقيل ان الامام يطلبهم ففي كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفي هو الحبس

من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة (ويسعون في الارض فسادا) مفسدين ويجوز أن يكون مفعولا له أي للفساد وخبر جزاء (ان يقتلوا) وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل وأخذ المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم) ان أخذوا المال (من خلاف) حال من الايدي والارجل أي مختلفة (أو ينفوا من الارض) بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(ذلك) يعني الذي ذكر من الحد (لهم) يعني للمحاربين (خزي في الدنيا) أي عذاب
وهوان وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما
من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فتعني العذاب العظيم في الآخرة لأن الحد الذي أقيم
عليه في الدنيا كانت عقوبة له وكفارة وانهم يعاقبون في الدنيا فوق حط الشدة ايضا فعذابهم
يدخلهم الجنة وإن شاء عفا عنهم وأدخلهم الجنة هذا مذهب أهل السنة ﴿ وقوله تعالى (إلا الذين تابوا من قبل
أن تقدروا عليهم) يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الأرض بالفساد من
قبل أن تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم عليهم بشيء من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة (فاعلموا
أن الله غفور) يعني لمن تاب من الشرك (رحيم) يعني به إذا رجع عما نهى الله عنه عز وجل وهذا قول أكثر
أهل التفسير إن المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب إذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقطت عنه جميع الحدود
التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وإنه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم [illegible]
الكفار بدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم لكون ذلك داعيا لهم إلى الدخول في الإسلام وهذا
حكم المشرك المحارب إذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالإجماع وأما المسلم
المحارب إذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر إذا آمن لم يطالب بشيء إلا إذا أصاب
شيئا من المال بعينه فإنه يرده على أهله وهذا مذهب مالك والأوزاعي غير أن مالكا قال يؤخذ بالدم إذا طالب به
وليه فأما ما أصاب من الدماء والأموال ولم يطالبها أولياؤها فلا يتبعه الإمام بشيء من ذلك وهذا حكم علي بن أبي
طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل أن يقدر عليه فأمنه علي على نفسه وكذلك جاء رجل
من مراد إلى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعدما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى
هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الأرض بالفساد وإني
قد تبت من قبل أن يقدر علي فقام أبو موسى فقال هذا فلان المرادي وإنه كان حارب الله ورسوله وسعى في
الأرض فسادا وإنه قد تاب من قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له أحد إلا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته
قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه ما كان من حقوق بني آدم من قصاص أو مظلمة من مال أو غيره
وأما إذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل
أن يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا الله بترك
المنهيات (وابتغوا إليه الوسيلة) يعني واطلبوا إليه القرب بطاعته والعمل بما يرضي وإنما قلنا ذلك لأن
مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما أحد النوعين ترك المنهيات وإليه الإشارة بقوله اتقوا
الله والثاني التقرب إلى الله تعالى بالطاعات وإليه الإشارة بقوله وابتغوا إليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل
إليه إذا تقرب إليه ومنه قول الشاعر * إن الرجال لهم إليك وسيلة * أي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة
أي تحببوا إلى الله عز وجل (وجاهدوا في سبيله) أي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم
تفلحون) يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لأن الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل
محبوب ﴿ قوله عز وجل (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم
القيامة ما تقبل منهم) يعني أن الكافر لو ملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم
القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم) المقصود من هذا أن العذاب لازم للكفار وإنه لا سبيل
لهم إلى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك

(ذلك) المذكور (لهم خزي في الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) فيسقط عنهم حد قطع الطريق ولا يسقط حق العباد (فاعلموا أن الله غفور رحيم) يغفر لهم الذنوب ويرحمهم فلا يعذبهم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فلا تردوا عبادته (وابتغوا إليه الوسيلة) هي كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا) من صنوف الأموال (ومثله معه) وأنفقوها (ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لأنفسهم ولو مع ما في حيزه خبر أن ووحد الراجع في ليفتدوا به وقد ذكر شيئان لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك (من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) فلا سبيل لهم

أيسر

[illegible]

[illegible] الآخرة [illegible] الكافر [illegible] قال الله [illegible] أكنت

[illegible] فيقال له [illegible] قد سئلت ما هو أيسر من ذلك [illegible] (يريدون أن يخرجوا من

النار وما هم بخارجين منها) [illegible] أنهم يقصدون الخروج من النار [illegible]

[illegible] ذلك [illegible] إذا [illegible] لهب النار إلى فوق [illegible] أرادوا الخروج منها [illegible]

[illegible] الخروج من النار [illegible] (ولهم عذاب مقيم) [illegible] دائم لا

ينقطع أبدا * قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) قال ابن السائب نزلت في طعمة بن

أبيرق وقد سلفت قصته في سورة النساء وإنما سمي السارق سارقا لأنه يأخذ الشيء الذي ليس له أخذه في خفاء

ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لأنه لم يقصد واحدا بعينه إنما هو كقولك من سرق

فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين وبه قال الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن

مسعود فاقطعوا أيمانهما وإنما قال أيديهما ولم يقل يديهما لأنه أراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فإنه

ليس للإنسان إلا يمين واحدة وكل شيء موحد من أعضاء الإنسان إذا ذكر مضافا إلى اثنين فصاعدا جمع

والمراد باليد هنا اليمين وحدها عند جمهور أهل العلم من رؤوس الأصابع إلى الكوع فيجب قطعها في حد

السرقة من الكوع * وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعني ذلك القطع جزاء على فعلهما (نكالا من الله)

يعني عقوبة من الله (والله عزيز) في انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعني فيما أوجب من قطع يد السارق

* (فصل في بيان حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسألة الأولى) * اقتضت هذه الآية وجوب القطع على كل سارق

وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت

فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى

الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب

ثم قال إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا

عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * وعن عائشة قالت أتي رسول الله صلى الله عليه

وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها أخرجه النسائي (ق) عن أبي

هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع

يده قال الأعمش يرون أنه بيض الحديد وإن من الحبال ما يساوي دراهم أخرجه البخاري ومسلم أما السارق

الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالإسلام ولا يعلم أن

السرقة حرام فلا قطع عليه * (المسألة الثانية) * اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب أكثر

العلماء إلى أنه ربع دينار فإن سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبي بكر وعمر

وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روي عن عائشة أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا أخرجاه في الصحيحين وذهب مالك وأحمد

وإسحق إلى أنه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن

قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن أبي هريرة أن قدر النصاب الذي تقطع به اليد

خمسة دراهم وبه قال ابن أبي ليلى لما روي عن أنس قال قطع أبو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية

قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وقال الرواية الأولى أصح وذهب قوم إلى أنه لا قطع في أقل

من دينار أو عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود وإليه ذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة لما روي عن ابن

عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع في مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم أخرجه أبو داود فإذا

سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون

النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز

غير معتبر أيضا عندهم وإليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فإن قوله تعالى والسارق والسارقة

لا العذاب (يريدون أن يخرجوا من النار) يطلبون أن يخرجوا [illegible] (وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) دائم (والسارق والسارقة) ارتفاعهما على الابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما فرض عليكم حكم السارق والسارقة أو الخبر (فاقطعوا أيديهما) أي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود أيمانهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وبدأ بالرجل لان السرقة من الجراءة وهي في الرجال أكثر وأخر الزاني لان الزنا ينبعث من الشهوة وهي في النساء أوفر وقطعت اليد لانها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزنا تفاديا عن قطع النسل (جزاء بما كسبا) مفعول له (نكالا من الله) أي عقوبة منه وهو بدل من جزاء (والله عزيز) غالب لا يعارض في حكمه (حكيم) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة

فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرق من حرز أو غير حرز * (المسألة الثالثة) * الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الأموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلق فاما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا أن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي وأحمد وقال ابن أبي ليلى والثوري والاوزاعي وأبو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيأ من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له أو حيوان في برية ولا راعي له أو متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شئ عليه أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد أن يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله وأسفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن أبي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن أبي حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل أن تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوي اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع أخرجه الترمذي والنسائي * (المسألة الرابعة) * اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ابنه أو العبد يسرق من مال سيده أو الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه * (المسألة الخامسة) * اذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروي عن علي انه قال اني أستحي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي ۞ قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه) يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (وأصلح) يعني وأصلح العمل في المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعني لمن تاب (رحيم) به

* (فصل) * وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن أبي أمية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جئ به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا

(فمن تاب) من السرقة (من بعد ظلمه) سرقته (وأصلح) يرد المسروق (فان الله يتوب عليه) يقبل توبته (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنبه

عنده

عنده يصبح عليه أن يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمتنع أحدهما بالآخر والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والأرض يعني ان الله مدبر أمر ما في السموات والأرض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شيء مما أراده فيهما لان ذلك كله في ملكه واليه أمره (يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة و يغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغيره ذلك في الدنيا و يغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى أخبر ان له ملك السموات والأرض والمالك له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وأراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه و يؤكد ذلك قوله (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من أراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الرسول) هذا خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبي في مواضع من كتابه و بيا أيها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وقوله (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يعني لا تهتم بهؤلاء الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين لانهم أظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) أي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين أحدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) و يكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب أي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قابلون الكذب أي يسمعون الكذب من رؤسائهم و يقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان أي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل أن يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده و يقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه ﴿وقوله تعالى﴾ (سماعون) يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم أهل خيبر (لم يأتوك) يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد *(ذكر القصة في ذلك)* قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من أشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا أحصنا ما حدهما فان أمركم بالحد فاقبلوا منه وان أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد أحصنا فنحب أن تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية اذا

يشاء) ان تاب عن الكفر (والله على كل شيء) من التعذيب والمغفرة وغيرهما (قدير) قادر وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب أي وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه أسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها (من الذين قالوا) تبيين لقوله الذين يسارعون في الكفر (آمنا) مفعول قالوا (بأفواههم) متعلق بقالوا أي قالوا بأفواههم آمنا (ولم تؤمن قلوبهم) في محل النصب على الحال (ومن الذين هادوا) معطوف على من الذين قالوا أي من المنافقين واليهود و يرتفع (سماعون للكذب) على أنه خبر مبتدا مضمر أي هم سماعون والضمير للفريقين أو سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا والوقف على هذا على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب سمعون منك ليكذبوا عليك بان يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي سماعون منك لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك

[illegible] الرجم [illegible]

[illegible]

[illegible] فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] الا [illegible]

السلام [illegible] التوراة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ابن صوريا [illegible] ثم قال

أنت أعلم يهودي قال كذلك تزعمون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود [illegible] قالوا نعم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وأخرجكم
من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن
والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا
اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن ينزل علينا العذاب إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن
كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة عدول أنه أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب
عليهما الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان أول ما ترخصتم به في أمر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا إذا أخذنا
الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه
ثم زنى رجل آخر في أسرة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا ابن
عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم
وهو أن يجلدا أربعين جلدة بحبل مطلي بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من
قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما أسرع ما أخبرته وما
كنت لما أثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا أن نغتابك فقال لهم ابن صوريا إنه قد أنشدني
بالتوراة ولولا خشيت أن ينزل علينا العذاب ما أخبرته فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب
المسجد وقال اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر قال إن اليهود
جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها
الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله
ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما النبي صلى الله
عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة وفي رواية أخرى لهما قال أتى النبي صلى
الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما
قال فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فجاؤا بها فقالوا لرجل ممن يرضون أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى
موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد إن فيها الرجم ولكنا
نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرجما فرأيته يحني زاد في رواية أخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد
(م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا
تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى
هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا
فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على
الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أول من
أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم فأنزل الله يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إلى قوله إن
أوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أمركم بالرجم فاحذروه فأنزل

الله

(يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع [illegible]
صفة القوم كقوله لم يأتوك أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم (يقولون إن أوتيتم هذا) [illegible]

الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون في التوراة في شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحي إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء منها أو أخبره بذلك من أسلم من أهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه ۞ قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعني يغيرون حدود الله التي أوجبها عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلام فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه وأحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب وأما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية ۞ وقوله تعالى (يقولون) يعني اليهود (ان أوتيتم هذا فخذوه) يعني ان أفتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) يعني وان لم يفتكم بذلك وأفتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعني كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيأ) يعني فلن تقدر على دفع أمر الله فيه (أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) قال ابن عباس معناه أن يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من أشد الآيات على القدرية (لهم في الدنيا خزي) يعني المنافقين واليهود أما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك أستارهم باظهار نفاقهم وكفرهم وأما خزي اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من أرض الحجاز الى غيرها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود ۞ قوله عز وجل (سماعون للكذب أكالون للسحت) نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت وأصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي والسحت كل حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا تكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم ✱ عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم أخرجه الترمذي وأخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء في شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فاهدي بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ۞ قوله عز وجل

الحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز أن يكون حالا من الضمير في يحرفون (فخذوه) واعلموا انه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وأفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) فاياكم واياه فهو الباطل روي ان شريفا في بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به (ومن يرد الله فتنته) ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا يريد الكفر (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من لطف الله شيأ... قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضا (لهم في الدنيا خزي) للمنافقين فضيحة ولليهود جزية (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي التخليد في النار (سماعون للكذب) كرر للتأكيد أي هم سماعون ومثله (أكالون للسحت) وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة في الحكم وكانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وبالتثقيل مكي وبصري وعلي

(فان جاؤك) يعني اليهود (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين الذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر قال ابن زيد كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيري ديتين وللقرظي دية واحدة لانه كان من بني النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الآية يخير نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم

(فصل) اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها منسوخة وذلك ان أهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا أعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال أحمد لانه لا منافاة بين الآيتين أما قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض وأما قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين وأما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم

*وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعني بالعدل والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعني العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفي أمثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول أكثر المتكلمين وعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذ من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين مبني على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة في حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله أعلم *قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم أن الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفي الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من أجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعني ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم (وما أولئك) يعني اليهود (بالمؤمنين) يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما أولئك بالمصدقين لك *قوله عز وجل (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم

(فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكموا اليه أهل الكتابيين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم بينهم فقيل نسخ التخيير بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) فلن يقدروا على الاضرار بك لان الله تعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التوراة وهي مبتدأ وخبره عندهم (ثم يتولون من بعد ذلك) عطف على يحكمونك أي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بك أو بكتابهم كما يدعون (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدى للحق (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام (يحكم

بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) أراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرائيل أنبياء من الالف نبي وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا أي انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه الذين هادوا يعني اليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا (والربانيون والاحبار) أما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران وأما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال أبو عبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس وأفعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه أحبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أي جماله وبهاؤه وانما سمي العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار أم لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون أعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم بأحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار ۞ وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسونه بألسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعني ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدقوا انه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا أحدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يعني ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يعني أن اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

(يحكم بها النبيون الذين أسلموا) انقادوا لحكم الله في التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح وأريد باجرائها التعريض باليهود لانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم (للذين هادوا) تابوا من الكفر واللام يتعلق بيحكم (والربانيون والاحبار) معطوفات على النبيون أي الزهاد والعلماء (بما استحفظوا) استودعوا قيل ويجوز أن يكون بدلا من بها في يحكم بها (من كتاب الله) من للتبيين والضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه أو للربانيين والاحبار ويكون الاستحفاظ من الانبياء (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل (فلا تخشوا الناس) نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وامضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد (واخشون) في مخالفة أمري وبالياء فيهما سهل وافقه أبو عمرو في الوصل (ولا تشتروا بآياتي) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وان لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو عام في اليهود وغيرهم

الفاسقون في الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث في اليهود خاصة قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من أحكام الله تعالى التي أتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روي عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما من خفي عليه النص أو اخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله أعلم بمراده ﴿ قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم وأخبر ان اليهود بدلوه وغيروه وأخبر أيضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة وهو أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فما لهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجاه في الصحيحين ﴿ وقوله تعالى (والعين بالعين) يعني تفقأ بها (والانف بالانف) يعني يجدع به (والاذن بالاذن) يعني تقطع بها (والسن بالسن) يعني تقلع بها وأما سائر الاطراف والاعضاء فيجري فيها القصاص كذلك ﴿ وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعني فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها وأما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم أن هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا ومن أنكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي وهو الحق والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر أحد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما أوحي اليه سواء كان من شريعة من قبله أم لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآمدي من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بأن الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا أنا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال ﴿ وقوله تعالى (فمن تصدق به) يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني (فهو كفارة له) في هاء له قولان أحدهما ان الهاء في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك أن المجروح أو ولي المقتول

(وكتبنا عليهم فيها) وفرضنا على اليهود في التوراة (أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق (والعين) مفقوءة (بالعين والانف) مجدوع (بالانف والاذن) مقطوعة (بالاذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) أي ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص والا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقوله أن النفس بالنفس يدل على ان المسلم يقتل بالذمي والرجل بالمرأة والحر بالعبد نصب نافع وعاصم وحمزة ورفع المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه أن على العطف على محل أن النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح والاذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت (فمن تصدق) من أصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه السلام من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه

اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة أخرجه الترمذي وعن أنس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شيء فيه قصاص الا أمر فيه بالعفو أخرجه أبو داود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما أجر العافي فعلى الله تعالى ﴿ وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما أنزل الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعني وعقبنا على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض أحكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعني فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار للاول لان في الاول الاخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بأن الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) انما قال وهدى مرة أخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ ﴿ قوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قال أهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني أن يكون قوله وليحكم ابتداء أمر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القرآن قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل (وأنزلنا اليك الكتاب) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا * والحق يعرفه ذوو الالباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن أمينا على الكتب التي قبله فيما أخبر أهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القرآن فقد صدقوا والا فلا (فاحكم بينهم بما أنزل الله) يعني

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالامتناع عن ذلك (وقفينا) معنى قفيت الشيء بالشيء جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه يقال قفاه يقفوه اذا تبعه (على آثارهم) على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا) حال من عيسى (لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة) أي وآتيناه الانجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا فنصب مصدقا بالعطف على ثابتا الذي تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابتا الذي قام مقامه فيه (وهدى وموعظة) انتصبا على الحال أي هاديا وواعظا (للمتقين) لانهم ينتفعون به (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الامر وأصلها الكسر وانما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على انها لام كي أي وقفينا ليؤمنوا وليحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز ان يحمل على الجحود في الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله (وأنزلنا اليك الكتاب) أي القرآن فحرف التعريف فيه للعهد (بالحق) بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطا (مصدقا) حال من الكتاب (لما بين يديه) لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه لان ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه (من الكتاب) المراد به جنس الكتب المنزلة لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون (ومهيمنا عليه) وشاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أي بما في القرآن

(ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) [illegible] على قولهم [illegible] ولا تتبع [illegible] لا تنحرف

إليك يا أهل الكتاب إليك أحمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي أنزل الله إليك (ولا تتبع أهواءهم) يعني ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعني ولا تنصرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لأنه صلى الله عليه وسلم لم يتبع أهواءهم قط ﴿ وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب في قوله منكم للأمم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذا إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا إليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل أمة شريعة فالتوراة شريعة والإنجيل شريعة والقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والإظهار فمعنى شرع بين وأوضح وقيل هو من الشروع في الشيء والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية المؤدية إلى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو أن الشريعة هي التي أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي إلى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة التوراة شريعة والإنجيل شريعة والقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن أبي طالب الإيمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الأنبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا إلى قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات أن كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على أصول الدين من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه وأما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز أن يتعبد الله عباده في كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم بأسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لأن قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على أن كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعني ولكن أراد أن يختبركم (فيما آتاكم) يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا يا أمة محمد بالأعمال الصالحات التي تقربكم إلى الله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعا) يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب ﴿ قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية

قال لمن عادى موسى فكأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم أو التقدير عادلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة (ومنهاجا) وطريقا واضحا واستدل به من قال ان شريعة من قبلنا لا تلزمنا ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام ثم إنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام ثم إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وبين أنه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال في الأول يحكم بها النبيون وفي الثاني وليحكم أهل الإنجيل وفي الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة (ولكن) أراد (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به (إلى الله مرجعكم) استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات (جميعا) حال من الضمير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيه تختلفون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالحق وبأن احكم (بينهم بما أنزل الله

وان

وأن احكم بينهم بما أنزل الله) يعني احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي أنزله الله في كتابه (ولا تتبع أهواءهم) يعني فيما أصطلحوا عليه قال بعض العلماء ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وإنما أنزلت في حكمين مختلفين أما الآية الأولى فنزلت في شأن رجم المحصن وأن اليهود طلبوا منه أن يجلده وهذه الآية نزلت في شأن الدماء والديات حين تحاكموا إليه في أمر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴿ وقوله تعالى (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤوا إليك أن يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما أنزل الله إليك في كتابه واتباع أهوائهم (فإن تولوا) يعني فإن أعرضوا عن الإيمان بك والرضا بالحكم بما أنزل الله عليك (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني فاعلم يا محمد أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وإنما خص بعض الذنوب لأن الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء وأخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم إلى الآخرة (وإن كثيرا من الناس لفاسقون) يعني اليهود لأنهم ردوا حكم الله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون) يعني أفحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الأحكام وتحريفهم إياها عما أمر الله به وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر إلى المدينة تحاكموا إليه فقالت بنو قريظة بنو النضير إخواننا أبونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فإن قتل بنو النضير منا قتيلا أعطونا سبعين وسقا من تمر وإن قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا مائة وأربعين وسقا وأرش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أحكم أن دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لأحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فإنك لنا عدو وإنك ما تألو في وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله أفحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعني أي حكم أحسن من حكم الله إن كنتم موقنين أن لكم ربا وأنه عدل في أحكامه ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لأن خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله ابن أبي ابن سلول رأس المنافقين وذلك أنهما اختصما فقال عبادة إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لا أبرأ من ولاية اليهود فإني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال إذن أقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتد الأمر على طائفة من الناس وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودي وآخذ منه أمانا إني أخاف أن يدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه أمانا فأنزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا إذا نزلنا فجعل أصبعه في حلقه أشار إلى أنه الذبح وأنه يقتلكم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فنهى الله المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وأعوانا على أهل الإيمان بالله ورسوله وأخبر أنه من اتخذهم أنصارا وأعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم وأن الله ورسوله والمؤمنين منه براء (بعضهم أولياء بعض) يعني أن بعض اليهود أنصار لبعض على المؤمنين وأن النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم

ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك) أي يصرفوك أو هو مفعول له أي مخافة أن يفتنوك وإنما حذره وهو مأمون لئلا يطمع فيه أو لقطع أطماع القوم (عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الإبهام لتعظيم التولي وفيه تعظيم الذنوب فإن الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها (وإن كثيرا من الناس لفاسقون) لخارجون عن أمر الله (أفحكم الجاهلية يبغون) يطلبون وبالتاء شامي يخاطب بني النضير في تفاضلهم على بني قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وناصب أفحكم يبغون (ومن أحسن) مبتدأ وخبره وهو استفهام في معنى النفي أي لا أحد أحسن (من الله حكما) هو تمييز واللام في (لقوم يوقنون) للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال أبو علي معنى لقوم عند قوم لأن اللام وعند يتقاربان في المعنى ونزل نهيا عن موالاة أعداء الدين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أي لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله (بعضهم أولياء بعض) وكلهم أعداء المؤمنين

وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة (ومن يتولهم منكم فانه منهم) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة (فترى الذين في قلوبهم مرض) نفاق (يسارعون) حال والمفعول ثان لاستعمال ان يكون فترى من رؤية العين أو القلب (فيهم) في معاونتهم على المسلمين وموالاتهم (يقولون) اى في أنفسهم لقوله على ما أسروا (نخشى أن تصيبنا دائرة) اى حادثة تدور بالحال التي يكونون عليها (فعسى الله أن يأتي بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من عنده) أي يؤمر النبي عليه السلام باظهار أسرار المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) أي المنافقون (على ما أسروا في أنفسهم) من النفاق (نادمين) خبر فيصبحوا (ويقول الذين آمنوا) اى يقول بعضهم لبعض عند ذلك ويقول بصري عطفا على أن يأتي ويقول بغير واو شامي وحجازي على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا (اهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) أي أقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر في تقدير الحال اى مجتهدين

(ومن يتولهم منكم فانه منهم) يعني ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى مولى احد الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضي دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله والمؤمنين روى أن ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله ألا اتخذت حنيفا يعني مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا أكرمهم اذا أهانهم الله ولا أعزهم اذا أذلهم الله ولا أدنيهم اذا ابعدهم الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين ﴿قوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض) يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق (يسارعون فيهم) يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت في عبد الله بن أبي المنافق وفي أصحابه من المنافقين (يقولون) يعني المنافقين (نخشى أن تصيبنا دائرة) الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التي تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى أن يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى أن لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا أطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائه له والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم أو أمر من عنده يعني انه تعالى يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما ألقى في قلوبهم الرعب فأخلوا ديارهم وخربوها بايديهم ورحلوا الى الشام ﴿وقوله تعالى (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به أنفسهم ان أمر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود (ويقول الذين آمنوا) يعني ويقول الذين آمنوا في وقت اظهار الله تعالى نفاق المنافقين (اهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما أظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد أيمانهم انهم لمعنا ومن أنصارنا والآن كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في أيمانهم الباطلة (حبطت أعمالهم) اى بطل كل خير عملوه لاجل ما أظهروا من النفاق وموالاة اليهود (فأصبحوا خاسرين) يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم ﴿قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من أصناف الكفر فلن يضر الله شيأ وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبرانه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى

في توكيد أيمانهم (حبطت أعمالهم) ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسمعة لا ايمانا وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال لهم وتعجيبا من سوء حالهم (فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) من يرجع منكم عن دين الاسلام الى ما كان عليه من الكفر يرتد مدني وشامي

صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي بيته وقتله فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فان الأرض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وسنأتي قصة قتله فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشأم ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة أبي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعني بقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب (٢) كما تقدم تفصيله الا أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال أنس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال أهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فأهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام أراد بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم أبي موسى الاشعري روي عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني أبا موسى الاشعري أخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم أهل اليمن (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على اظهار الدين وقيل هم أحياء من أهل اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا القول تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة وأما معنى المحبة فيقال أحببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بأن يحبه والمحبة ارادة ما تراه أو تظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه

(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) يرضى أعمالهم ويثني عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوّته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفي صحة خلافته وخلافة عمر رضي الله عنهما وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم

(٢) قوله ارتد عامة العرب الخ الذي تقدم ارتدادهم في زمن أبي بكر سبع فرق لاغير اه مصححه

وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وان يثيبه أحسن الثواب على طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه ۞ وقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم أرقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء أقوياء غلظاء على أعدائهم الكافرين قال علي بن أبي طالب أذلة على المؤمنين يعني أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانباري أثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون الكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما أتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين في أنفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله أعزة على الكافرين يعني انهم أشداء أقوياء في أنفسهم وعلى أعدائهم (يجاهدون في سبيل الله) يعني انهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم) يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الآية أن من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصره الدين الله بيده أو بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أن لا ننازع الامر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم (والله واسع عليم) يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه ۞ قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أوالي الله ورسوله والمؤمنين يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم أولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم أما قوله

(أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو ضد الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة قال الجوهري الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل (على المؤمنين) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع (أعزة على الكافرين) أشداء عليهم والعزاز الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته (يجاهدون في سبيل الله) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم وأعزة وأذلة (ولا يخافون لومة لائم) الواو يحتمل ان تكون للحال أي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيأ مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فجهادهم لله لا يخافون لومة لائم وان تكون للعطف أي من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في أمر من أمور الدين لا تزعهم لومة لائم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيأ قط من لوم واحد من اللوام (ذلك) اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) كثير الفواضل (عليم) بمن هو من أهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) وانما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولي وان كان المذكور جماعة تنبيها على ان الولاية لله أصل ولغيره تبع ولو قيل انما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع ومحل (الذين يقيمون الصلوة) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين أو النصب على المدح (ويؤتون الزكوة) والواو في (وهم راكعون) للحال أي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة قيل انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه

تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه أحدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى أن المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني أن يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن أبي طالب قال السدى مر بعلي سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه وعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم أولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن أبي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روى عن عبد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين آمنوا ۞ وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتي بعدهم (فان حزب الله) يعني أنصار دين الله (هم الغالبون) لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبه يعني أهمه ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بألسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود (والكفار) يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين أهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام أغلظ وأفحش من كفر أهل الكتاب (أولياء) يعني لا تتخذوهم أولياء والمعنى ان أهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أنتم أولياء وأنصارا (واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعني مؤمنين حقا لان المؤمن يأبى موالاة أعداء الله عز وجل ۞ قوله تعالى (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدى نزلت هذه الآية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيأ لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الانبياء فمن أين لك صياح كصياح العير فما أقبح هذا الصوت وما أسمج هذا الامر فأنزل الله عز وجل ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية وأنزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) يعني ان هزوهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم ۞ قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا (هل تنقمون منا) يعني هل تكرهون منا أو تعيبون علينا (الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وبما أنزل الينا وبما أنزل على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر أو ينقم منه وهذا كما قال بعضهم

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وعازر وزيد وخالد وازار بن أبي ازار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل

والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة وعلى أن الفعل القليل لا يفسد الصلاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) بعضهم وليا أو يكن وليا (فان حزب الله هم الغالبون) من اقامة الظاهر مقام الضمير أي فانهم هم الغالبون أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم أي أصابهم وروى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة (من الذين أوتوا الكتاب) من للبيان (من قبلكم والكفار) أي المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة والكفار بصري وعلى عطف على الذين المجرورة أي من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار (أولياء واتقوا الله) في موالاة الكفار (ان كنتم مؤمنين) حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها) أي الصلاة أو المناداة (هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) لان لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل)

واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن آمن به فانزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الآية قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وان أكثركم فاسقون) يعنى انما كرهتم ايماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الاموال بالباطل وانما قال أكثركم لان الله علم ان من أهل الكتاب من يؤمن بالله ورسوله ﴿ قوله عز وجل (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) هذا جواب اليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذى ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وبما أنزل علينا (مثوبة عند الله) يعنى جزاء فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها فى معنى الثواب فكيف جاءت فى الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أنبئكم بشر من أهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضى ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك ﴿ وقوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل أنبئكم بمن لعنه الله أو هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله أبعده وطرده عن رحمته (وغضب عليه) يعنى وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة (وجعل منهم القردة والخنازير) يعنى من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان فى أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان فى الذين كفروا بعد نزول المائدة فى زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعنى وجعل منهم عبد الطاغوت يعنى من أطاع الشيطان فيما سوّل له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من أطاع أحدا فى معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (أولئك) يعنى الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين (شر مكانا) يعنى من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به أهله فهو من باب الكناية وقيل أراد ان مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه (وأضل عن سواء السبيل) يعنى وأخطأ عن قصد طريق الحق * قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا آمنا) قال قتادة نزلت فى أناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه انهم مؤمنون راضون بالذى جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم فى ذلك منافقون فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعنى انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شئ من الايمان فهم كافرون فى حالتى الدخول والخروج (والله أعلم بما كانوا يكتمون) يعنى من الكفر الذى فى قلوبهم * قوله عز وجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل أن تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة فى هذه الآية كان

يعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وان أكثركم فاسقون) وهو عطف على المجرور أى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم فاسقون والمعنى اعادينا الا لاننا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا فى ذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أى وما تنقمون منا الا الايمان بالله مع أنكم فاسقون (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أى ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب أليم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون العقوبة فقيل لهم (من لعنه الله) شر عقوبة فى الحقيقة من أهل الاسلام فى زعمكم وذلك اشارة الى المتقدم أى الايمان أى بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا أى جزاء ولا بد من حذف مضاف قبله وقيل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله (وغضب عليه وجعل منهم القردة) يعنى أصحاب السبت (والخنازير) أى كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كلا المسخين من أصحاب السبت شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أى العجل أو الشيطان لان عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ فى الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير أى جعل الله منهم عبد الطاغوت (أولئك) الممسوخون الملعونون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان وهى لاهله للمبالغة (وأضل عن سواء السبيل) عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الباء للحال أى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضى من الحال وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أى قالوا ذلك وهذه حالهم (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من النفاق (وترى كثيرا منهم) من اليهود

يفعلها كل اليهود فلهذا قال تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة في الشيء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكر لفظة المسارعة في قوله يسارعون (في الاثم والعدوان وأكلهم السحت) لفائدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان وأكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان وأكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان وأكلهم السحت ﴿ قوله تعالى (لولا) يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء أهل الانجيل والاحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) يعني الكذب (وأكلهم السحت) والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم وأكلهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعني الاحبار والرهبان اذلم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الآية قال ابن عباس ما في القرآن أشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها ﴿ قوله عز وجل (وقالت اليهود يد الله مغلولة) نزلت هذه الآية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى أشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبد آباؤنا العجل والقول الاول أصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فأطلقوا اسم السبب على المسبب وأسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد ﴿ وقوله تعالى (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) يعني أمسكت أيديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال أنا الجواد الكريم وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال غلت أيديهم أي في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة أي شدت أيديهم الى أعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم أنهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار ﴿ وقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) يعني انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما افتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم وأما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء أهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل فانهم

(يسارعون في الاثم) الكذب (والعدوان) الظلم أو الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة (وأكلهم السحت) الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيئا عملوه (لولا) هلا وهو تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) هذا ذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن حيث أنزل تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب المنكر في الوعيد (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) روي ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من أكثر الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه يستعمل في ملك يعطي ويمنع بالاشارة من غير استعمال اليد ولو أعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط البأس كفيه في صدري فجعل للبأس الذي هو من المعاني كفان ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في تأويل أمثال هذه الآية وقوله غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله أو تغل في جهنم فهي كأنها غلت وتثنية اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره أبلغ وأدل على اثبات غاية السخاء ونفي البخل عنه فغاية ما يبذله السخي أن يعطيه بيديه

قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه أحدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد أشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى أولي الأيدي والأبصار فسره بذوي القوى والعقول ويقال لا يدان لك بهذا الأمر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان أي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح أي يملك ذلك أما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل لأن العقل دل على أنه يمتنع أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك أن تكون يد الله بمعنى الجارحة وأما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لأن أكثر العلماء من المتكلمين زعموا أن اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا إشكالان أحدهما أن اليد إذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق بإثبات اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وأجيب عن هذا الإشكال بأن اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان أي ليس الأمر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فإن من أعطى بيديه فقد أعطى على أكمل الوجوه الإشكال الثاني أن اليد إذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأجيب عن هذا الإشكال بأن التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة أجاب أصحاب القول الأول عن هذا بأن قالوا إن الله تعالى أخبر عن آدم أنه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته أو بنعمته أو بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لأن جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه ولما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الإمام فخر الدين الرازي عن أبي الحسن الأشعري قولا أن اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه أنه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لأن ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من إثبات صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه وأجيب عن قولهم إن التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة بأن الاسم إذا ثني لا يؤدي في كلام العرب إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجمع ولا يؤدي عن الجنس أيضا وأخطأ في كلام العرب أن يقال ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لأن الدرهم إذا ثني لا يؤدي في كلام العرب إلا عن اثنين بأعيانهما ولكن الواحد يؤدي عن جنسه كما تقول العرب ما أكثر الدرهم في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لأن الواحد يؤدي عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال إن اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وأنها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعني أنه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق أنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض هذا الحديث أيضا أحد أحاديث الصفات فيجب الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) يعني كلما أنزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا واشتدوا في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل إقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) يعني ألقينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل ألقى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين إلى يوم القيامة فإن بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكانية

والنسطورية

(ينفق كيف يشاء) تأكيد الوصف بالغنى ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة (وليزيدن كثيرا منهم) من اليهود (ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآياته وهذا من إضافة الفعل إلى السبب كما قال فزادتهم رجسا إلى رجسهم (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) فكلهم أبدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد

والنسطورية واليعقوبية والمارونية فإن قلت فهذا المعنى أيضاً حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيباً على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حصلت في المسلمين إنما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين أما في الصدر الأول فلم يكن شيء من ذلك حاصلاً بينهم فحسن جعل ذلك عيباً على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) يعني كلما أفسد اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكهم أفسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلي ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم أفسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة أبداً وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكراً في حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأه الله تعالى وقال السدي كلما أجمعوا أمرهم على شيء ليفسدوا به أمر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما أوقدوا ناراً في حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأها الله وأخمد نارهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون في الأرض فساداً) يعني ويجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل إنهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعني أن الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس فهاوهم أبغض خلق الله إليه ۞ قوله تعالى (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به (واتقوا) يعني اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيئاتهم) يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله (ولأدخلناهم جنات النعيم) يعني مع المسلمين يوم القيامة (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) يعني أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن نعته وصفته موجودان فيهما فإن قلت كيف يأمر أهل الكتاب بإقامة التوراة والإنجيل مع أنهما نسخا وبدلا قلت إنما أمرهم الله تعالى بإقامة ما فيهما من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لأنه موافق لما في القرآن ۞ وقوله تعالى (وما أنزل إليهم من ربهم) فيه قولان أحدهما أن المراد به كتب أنبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب أرمياء وزبور داود وفي هذه الكتب أيضاً ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد بإقامة هذه الكتب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني أن المراد بما أنزل إليهم من ربهم هو القرآن لأنهم مأمورون بالإيمان به فكأنه نزل إليهم من ربهم (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني أن اليهود لما أصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم أصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا إلى حيث قالوا يد الله مغلولة فأخبر الله أنهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس معناه لأنزلت عليهم المطر وأخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم أمة مقتصدة) أي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير وأصله من القصد لأن من عرف مقصوداً طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالأمة المقتصدة من آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا (وكثير منهم) يعني من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود (ساء ما يعملون) يعني بئس ما يعملون من إقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم ۞ قوله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية روي عن الحسن أن الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعاً وعرف

(كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهودياً في بلد إلا وجدته من أذل الناس (ويسعون في الأرض فساداً) ويجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي عليه السلام من كتبهم (والله لا يحب المفسدين) (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عددنا من سيئاتهم (واتقوا) أي وقرنوا إيمانهم بالتقوى (لكفرنا عنهم سيئاتهم) ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) أي أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل إليهم من ربهم) من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وقيل هو القرآن (لأكلوا من فوقهم) يعني الثمار من فوق رؤسهم (ومن تحت أرجلهم) يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من فرقه إلى قدمه ودلت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً الآيات وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هي الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى (وكثير منهم ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه وغيرهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحداً ولا خائف أن ينالك مكروه

[illegible]

[illegible] الآية [illegible]

[illegible] الكتاب [illegible]

صلى الله عليه وسلم [illegible] الآية

الآية وقيل نزلت في حكم الرجم والقصاص وما [illegible] اليهود [illegible] الآية أيها الرسول بلغ جميع
ما أنزل إليك من ربك [illegible] ولا تراقب أحدا ولا تترك شيئا مما أنزل إليك [illegible]
ذلك في وقت من الأوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته قال
ابن عباس يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني أنه صلى الله عليه وسلم لو ترك إبلاغ
البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما أنزل الله إليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم شيئا مما أوحي إليه
(ق) عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل إليه فقد كذب
ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى (والله يعصمك
من الناس) يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فإن قلت أليس قد شج رأسه
وكسرت رباعيته يوم أحد وقد أوذي بضروب من الأذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك
من الناس قلت المراد منه أنه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه أحد أراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي
عن جابر أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه
فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك
مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية أخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات
الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له أن اسم ذلك الرجل غورث بن
الحرث (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت
رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد
ابن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة
فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في الجواب عن
هذا إن هذه الآية نزلت بعدما شج رأسه في يوم أحد لأن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (إن الله
لا يهدي القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبري
معناه أن الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئته به من عند الله ولم
ينته إلى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه * قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) يعني
قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شيء مما تدعون
أنكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فإنكم
أحدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن
الصيف ورافع بن حريملة وقالوا يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة
وتشهد أنها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من

(وإن لم تفعل) [illegible] (فما بلغت رسالته) [illegible] [illegible] كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها [illegible] في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ [illegible] ومن قالت الصوفية [illegible] الله تعالى هذا كلام لا يفسر [illegible] كلاما مثل كل هذا الطعام فإنه لم يأكله [illegible] فالمعنى أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلغ ما أنزل إليك من ربك في المستقبل فإن لم تفعل أي إن لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا وبلغ ما أنزل إليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فإنك إن لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلا أو بلغ ذلك غير متوقف أحدا فإن لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ (والله يعصمك من الناس) يحفظك منهم قتلا فلا يقدرون عليك وإن شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته أو نزلت بعدما أصابه ما أصابه والناس الكفار بدليل قوله (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) البتة

[illegible] (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن [illegible]
[illegible] طغيانا وكفرا [illegible] (فلا تأس على القوم الكافرين) [illegible]
[illegible] (ان الذين آمنوا) [illegible]
[illegible] (والذين هادوا والصابئون والنصارى) [illegible]
[illegible] (٦٨) والذين هادوا والنصارى (من آمن

بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والصابئون كذلك أي من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله

فمن يك أمسى بالمدينة رحله
فاني وقيار بها لغريب

أي فاني لغريب وقيار كذلك ودل اللام على انه خبر ان ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لانه لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كالاصل التي عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان فما الظن بغيرهم ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء

الدنيا وكثير منهم [illegible] أن الله تعالى [illegible] أهل الكتاب
والهدى ولا نؤمن [illegible] فأنزل الله [illegible] (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل
وما أنزل اليكم من ربكم) الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه لم يعملوا [illegible]
الا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل اليكم من ربكم (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا) وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الكافرين) يعني فلا تحزن يا محمد على هؤلاء الذين
[illegible] فانما ضرر ذلك الكفر عليهم ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل ان أهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين في هذه الآية أن
هذا الحكم عام في كل أهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا [illegible] العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير
هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابئين وكذا قرأ ابي
ابن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع
الصابئون بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف
الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين أشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء
الفرق اذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا أيضا كذلك
وانما سموا صابئين لانهم صبؤا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم صبؤا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم
ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في أول الآية ان الذين آمنوا ثم قال في آخر
الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون
ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا أي بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من
آمن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهي ان الايمان يدخل تحته أقسام
كثيرة وأشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على أن أشرف أقسام الايمان هذان
القسمان وفي قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن هذا الحذف
لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله
تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل)
يعني أخذنا العهود عليهم في التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والانتهاء عما
نهيناهم عنه (وأرسلنا اليهم رسلا) يعني لبيان الشرائع والاحكام (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم)
يعني بما يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعني من
الرسل الذين جاؤهم (وفريقا يقتلون) يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم

لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان والراجع الى اسم ان محذوف تقديره من
آمن منهم (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم (كلما جاءهم رسول)
جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أي رسول منهم (بما لا تهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم و يضاد شهواتهم من مشاق
التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه
وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعا
للقتل وتنبيها على ان القتل من شأنهم والتصب فريقا وفريقا على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى

والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى (وحسبوا أن لا تكون) حمزة وعلي وأبو عمرو على أن أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون تخففت ان وحذف ضمير الشان ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق (فتنة) بلاء وعذاب أي وحسب بنوا اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب الرسل وسد ٣ ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المستند والمسند اليه مسد مفعولي حسب (فعموا وصموا) فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ (ثم تاب الله عليهم) رزقهم التوبة (ثم عموا وصموا كثير منهم) هو بدل من الضمير أي الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدا محذوف أي أولئك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم بحسب أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في انه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (انه من يشرك بالله) في عبادته غير الله (فقد حرم الله عليه الجنة) التي هي دار الموحدين أي حرم دخولها ومنعه (ومأواه النار) أي مرجعه (وما للظالمين) أي الكافرين (من أنصار) وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أي ثالث ثلاثة آلهة والاشكال انه تعالى قال في الآية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والجواب ان بعض بالابن النصارى ... كانت ... تحل في بعض الازمان في شخص فتجلى في ذلك الوقت في شخص عيسى ولهذا كان ظهوره ... ٣ ... ما تشتمل عليه صلة أي أن وما تشتمل عليه صلتها

وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامره ❁ قوله تعالى (وحسبوا) يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء (أن لا تكون فتنة) يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا أن لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما اقدموا على ذلك لاعتقادهم أن آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الآخرة (فعموا وصموا) يعني أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) يعني في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (كثير منهم) من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه (والله بصير بما يعملون) يعني من قتل الانبياء وتكذيب الرسل ❁ قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعني انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه (ومأواه النار) يعني انه يصير الى النار في الآخرة (وما للظالمين) يعني وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك (من انصار) يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة ❁ قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين انهم أرادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء

أفعال لا يقدر عليها الا الله و بعضهم ذهبوا الى آلهة ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن في قوله (ومامن اله الا اله واحد) للاستغراق أي وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له وفي قوله (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتي في فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم يقل ليمسنهم لان في اقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر أو للتبعيض أي ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية (عذاب أليم) نوع شديد الالم من العذاب (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (ما المسيح ابن مريم الا رسول) فيه نفي الالوهية عنه (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول أي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وابراؤه الاكمه والابرص واحياؤه الموتى لم يكن منه لانه ليس الها بل الله أبرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى (وأمه صديقة) أي وما أمه أيضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه ثم أبعد هما عما نسب اليهما بقوله (كانا يأكلان الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف كغيره من الاجسام (انظر كيف نبين لهم الآيات) أي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) هو عيسى عليه السلام أي شيأ لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب لان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبخلق الله تعالى فكأنه لا يملك منه شيأ وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم)

بالابن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم أن هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى في الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا أخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا أولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (ومامن اله الا اله واحد) يعني انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون) يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني ليصيبن الذين أقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس بمرضي عذاب وجيع في الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم أنه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (أفلا يتوبون الى الله) يعني من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الامر أي توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعني لمن استغفره وتاب اليه (رحيم) به وبسائر خلقه ۞ قوله عز وجل (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعني المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله أتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وأمه صديقة) يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه ۞ وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وأمه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه ألم الجوع وألم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من أكل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي انظر يا محمد (كيف نبين لهم الآيات) يعني الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) أي كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله ۞ قوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعني لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها (والله هو السميع العليم) يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما في

مما أمركم ﴿قوله عز وجل﴾ (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذمومان في الدين (غير الحق) يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا في الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلو النصارى فمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الهاً وكلا الغلوين مذموم (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا وذمه وقال أبو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب في قوله ولا تتبعوا أهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله أهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (وأضلوا كثيرا) يعني من اتبعهم على ضلالتهم وأهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعني وأخطؤا عن قصد طريق الحق ﴿قوله تعالى﴾ (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) قال أكثر المفسرين هم أصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتي قصتهم في سورة الاعراف (وعيسى ابن مريم) يعني وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار أصحاب المائدة لما أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتي قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من أولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بأنهم ملعونون على ألسنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام في لبئس لام القسم أي اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا قال الترمذي هذا الحديث حسن غريب قوله أكيله وشريبه وقعيده هو المؤاكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الاطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر القهر على الشيء ﴿قوله عز وجل﴾ (ترى كثيرا منهم) يعني من اليهود مثل كعب بن الاشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا)

متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدونه (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) غلوا مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق حده باستحقاق الالوهية وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة (غير الحق) صفة لمصدر محذوف أي غلوا غير الحق يعني غلوا باطلا (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أي أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن تابعهم (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) قيل ان أهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل انهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله (لبئس ما كانوا يفعلون) وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عنه (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) هم منافقو

يعني يوالون المشركين من أهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) يعني بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة (أن سخط الله عليهم) يعني بما فعلوا من موالاة الكفار (وفي العذاب هم خالدون) يعني في الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) يعني ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق (وما أنزل اليه) يعني ويؤمنون بالقرآن الذي أنزل اليه من ربه (ما اتخذوهم أولياء) يعني ما اتخذوا الكفار أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعني ولكن أكثرهم خارجون عن طاعة الله وأمره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿قوله تعالى﴾ (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين أشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الأصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين بأي طريق كان مثل القتل ونهب المال أو بأنواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره وأما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد أحدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى (ذلك بأن منهم) يعني من النصارى (قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن من النصارى مثل النجاشي وأصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية وأما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر أن يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وتبعوه فان قلت كفر النصارى أشد وأغلظ من كفر اليهود وأقبح فان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فيقرون ببعض النبيين وينكرون بعضهم والاول أقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وأصحابه الذين أسلموا معه

(ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية)

قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بأصحابه ولم يقدر أن يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد أمر أصحابه بالخروج الى أرض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها أحد عشر رجلا وأربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الاسد وزوجته أم سلمة بنت أمية

الله (وفي العذاب هم خالدون) أي في جهنم (ولو كانوا يؤمنون بالله) ايمانا خالصا بلا نفاق (والنبي) أي محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليه) يعني القرآن (ما اتخذوهم أولياء) ما اتخذوا المشركين أولياء يعني ان موالاة المشركين تدل على نفاقهم (ولكن كثيرا منهم فاسقون) مستمرون في كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل اليه يعني التوراة ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم ولا دين لهم أصلا (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) هو مفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز (والذين أشركوا) عطف عليهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) اللام تتعلق بعداوة ومودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) أي علماء وعبادا (وأنهم لا يستكبرون) علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا وأن فيهم

وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار الى أرض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى أرض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجماعته بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له أيها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى انا قد صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا له انا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فأخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فأنزل الله فيهم ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يعني آمنون فرجع عمرو وأصحابه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي جارية يقال لها أبرهة الى أم حبيبة تخبرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحا كانت لها وأذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فأرسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته أبرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت ان الملك أمرني ان لا آخذ منك شيأ وقالت أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقرئيه مني السلام قالت نعم فقالت قد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت أم حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من الحبشة وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي وقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وأنزل الله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني أبا سفيان وذلك بتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ولما بلغ أبا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع أنفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه أزهى في ستين رجلا من أصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني أزهى وان شئت ان آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في أثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله ولتجدن أقربهم

تواضعوا ... كانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه الى الخير وان كان علم القسيسين وكذا علم الآخرة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني

(واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن كما روى عن النجاشي انه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرؤنه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض من الدمع تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أى تسيل من أجل البكاء ومن في مما عرفوا لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله ومن في من الحق لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة (يقولون) حال من ضمير الفاعل في عرفوا (ربنا آمنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد انشاء الايمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم الشهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك (ومالنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك ومالنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وما جاءنا) وبما جاءنا (من الحق) يعني محمدا عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل في نؤمن والتقدير ونحن نطمع (أن يدخلنا ربنا) الجنة (مع القوم الصالحين) الانبياء والمؤمنين (فأثابهم الله بما قالوا) أى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على أن الاقرار داخل في الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية في أن الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع في السباق وبالاحسان في السياق يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفي الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق في دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الرد في حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى ان رسول الله

مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من أصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا أربعين من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من أهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فأثنى الله عليهم بقوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق ﴿قوله عز وجل (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) يعني واذا سمعوا القرآن الذى أنزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ترى أعينهم تفيض من الدمع) يقال فاض الاناء اذا امتلأ حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال ابن عباس يريد النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة (مما عرفوا من الحق) يعني الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق (يقولون) يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي (ربنا آمنا) يعني بالقرآن وشهدنا انه حق وصدق (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فأجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية ومالنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) يعني ونرجو بذلك الايمان (أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعني مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قوله تعالى (فأثابهم الله بما قالوا) يعني بالتوحيد الذى قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعني في الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعني المؤمنين الموحدين المخلصين في ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمني أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (أولئك أصحاب الجحيم) ﴿قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) قال علماء التفسير ان

[illegible] (٨٨) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أن يكتسوا [illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

من أصحابه [illegible] فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا [illegible]

فقالوا بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لم أومر بذلك ثم قال

إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم

وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام

والطيب وشهوات الدنيا أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء

ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد

شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها

الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم يعني الطيبات اللذات التي تشتهيها الأنفس وتميل إليها

القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فأعلم الله عز وجل بهذه الآية أنه شرع لنبيه صلى الله عليه وسلم

غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وأنه لا ينبغي أن تجتنب الطيبات المباحة ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا

تحريم الطيبات المباحة فإن من اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر أما ترك لذات الدنيا وشهواتها

والانقطاع إلى الله والتفرغ لعبادته من غير إضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل

مأمور بها * وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يعني ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا أنفسكم

فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالإسراف في الطيبات (إن الله لا يحب المعتدين) يعني

المجاوزين الحلال إلى الحرام * وقوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعني وكلوا أيها المؤمنون من

رزق الله الذي رزقكم وأحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه

والطيب ما غذى وأنمى فأما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه إلا على وجه التداوي وعن ابن

عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني

شهوتي فحرمت علي اللحم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله

لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة

قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن أبي هريرة قال أتي رسول الله صلى الله

عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها وقالت عائشة ما كان الذراع أحب اللحم إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم إلا غبا وكان يعجل إليه الذراع لأنه أعجلها نضجا أخرجه الترمذي * وقوله

تعالى (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) هذا تأكيد للوصية بما أمر الله تعالى به وزاده تأكيدا بقوله

الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر الله به وعما نهى عنه وفي الآية

دليل على أن الله عز وجل قد تكفل برزق كل أحد من عباده فإنه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما

رزقكم الله وإذا تكفل برزق العبد وجب أن لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وأن يعول على ما وعد الله

وتكفل

[illegible] (ولا تعتدوا) ولا تجاوزوا ما حد لكم من تحليل أو تحريم أو ولا تجعلوا حدودا أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات (إن الله لا يحب المعتدين) حدوده (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) حلالا حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) تأكيد للوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله (الذي أنتم به مؤمنون) لأن الإيمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى

٢ قوله وهم أبو بكر الخ فيه أن المعدود تسعة وفي الخطيب أن العاشر عثمان بن مظعون لكن ينافيه قول الخازن فإن هو وأصحابه العشرة لم عبارة الخطيب ليس فيها ذلك اه مصححه

[illegible]

[illegible] * أما التفسير فقوله تعالى

(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) تقدم تفسيره [illegible] (فكفارته) يعني كفارة ما عقدتم من الأيمان إذا حنثتم (إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) يعني من أعدله قال لأن من الناس من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر عليهم فأمر الله تعالى بالوسط [illegible] أعلى الأنواع ولا أخس الأنواع [illegible] أراد الوسط [illegible] قال ابن عباس [illegible] (أو كسوتهم) [illegible] (أو تحرير رقبة) يعني [illegible]

* (فصل في حكم الآية) وفيه مسائل * (المسألة الأولى) في بيان الكفارة وهي أربعة أنواع * النوع الأول من الكفارة الإطعام فيجب إطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم إلى أنه يطعم لكل مسكين مد من الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن وإليه ذهب الشافعي ويروى عن عمر وعلي وعائشة أنه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال أهل العراق وقال أبو حنيفة إن أطعم من الحنطة فنصف صاع وإن أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أحمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مد من البر أو نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الإطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال أبو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز إخراج القيمة في الكفارة كالدراهم والدنانير وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولا إخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب إخراج الحب وجوزه أبو حنيفة ولا يجوز صرف الكل إلى مسكين واحد في عشرة أيام * النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة إزار أو رداء أو قميص أو عمامة أو سراويل أو كساء أو نحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس وإليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب أن يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخمارا وقال أحمد للرجل ثوبا وللمرأة ثوبين درعا وخمارا وهو أدنى ما يجزي في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وإزار ورداء وقال أبو موسى الأشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال إبراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة * النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب إعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات وأجاز أبو حنيفة والثوري إعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات إلا كفارة القتل فإن الله قيد الرقبة بالإيمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي أن المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز إعتاق المرتد في الكفارة بالإجماع ويشترط أن تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو أعتق

[illegible] الواحد لأنه [illegible] عليه أو [illegible] ما تقدم فتقدم ذكره (فكفارته) أي كفارة نكثه أي كفارة معقود الأيمان والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها (إطعام عشرة مساكين) هو أن يغديهم ويعشيهم ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل واحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو صاع من تمر وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين (من أوسط ما تطعمون أهليكم) أي من أقصده لأن منهم من يسرف [illegible] ثلاث مرات [illegible] والأدنى مرة من تمر أو شعير (أو كسوتهم) عطف على

إطعام أو على محل من أوسط ووجهه أن من أوسط بدل من إطعام والبدل هو المقصود في الكلام وهي ثوب يغطي العورة وعن ابن عمر رضي الله عنهما إزار وقميص ورداء (أو تحرير رقبة) مؤمنة أو كافرة لإطلاق النص وشرط الشافعي رحمه الله الإيمان حملا للمطلق على المقيد في كفارة القتل ومعنى أو التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث

في الكفارة مكاتباً أو أم ولد أو عبداً اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزى في اعتاق الكفارة وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب في الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيأ ويجوز اعتاق القريب في الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد أو الرجل ولا الأعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الأعور والأصم ومقطوع الأذنين والأنف لأن هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند أبي حنيفة كل عيب يفوت جنساً من المنفعة يمنع الجواز فجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولا يجوز عتق مقطوع الأذنين في الكفارة * النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعني الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) يعني فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الاطعام أو الكسوة أو العتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام يعني فعليه صيام ثلاثة أيام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادماً وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين أحدهما انه يجب التتابع فيه قياساً على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وأحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي * (المسئلة الثانية) * كلمة أو للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء أطعم وان شاء كسا وان شاء أعتق فبأيها أخذ المكفر فقد أصاب وخرج عن العهدة * (المسئلة الثالثة) * لا يجوز صرف شيء من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي أو عبد أو غني لا يجزيه وجوز أبو حنيفة صرفها الى أهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى أهل الذمة لا يجوز * (المسئلة الرابعة) * اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير أخرجه الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أتتك عن مسئلة وكلت اليها وان أتتك من غير مسئلة أعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والأوزاعي والشافعي الا أن الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لأنه بدني انما يجوز بالطعام أو الكسوة أو العتق وقال أبو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث ﴿ وقوله (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام أو الكسوة أو العتق أو الصوم عند العجز (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) يعني وحنثتم لأن الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى أن تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم (واحفظوا أيمانكم) يعني قللوا أيمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر

قليل الألايا حافظ ليمينه *

وصفه بأنه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا أيمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب أو فعل مكروه فان حلف على ذلك فالأفضل بل الأولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن أبي موسى الأشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها الا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير أخرجاه في الصحيحين ﴿ قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعني كما بين لكم كفارة أيمانكم اذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون اليه في أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني نعمه التي أنعم بها عليكم أن بين لكم آياته ومعالم شريعته ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس) لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً وكانت الخمر والميسر مما يستطابه عندهم بين الله في هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات

(فمن لم يجد) أحدهما (فصيام ثلاثة أيام) متتابعة لقراءة أبي وابن مسعود كذلك (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولم يجز التكفير قبل الحنث (واحفظوا أيمانكم) ان تبروا فيها ولا تحنثوا اذا لم يكن الحنث خيراً أو ولا تحلفوا أصلاً (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) أعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) أي القمار (والأنصاب) الأصنام لأنها تنصب فتعبد (والأزلام) وهي القداح التي مرت (رجس) نجس أو خبيث مستقذر

الحالات بل جميعها من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس في اللغة الشيء الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعني من تزيينه واغوائه ووسوسته اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه (فاجتنبوه) يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كأنه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعني لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس ﴿ قوله تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى أبو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا أخرجه الترمذي من طريقين وقال الرواية أبي ميسرة هذه أصح وأخرجه أبو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن أبيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا واذ ذلك قبل أن تحرم زاد حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل منكم فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير منكم فأخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره وأتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا فلان أخي وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وأما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر يعني انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما أفضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها وأما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله أعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بأمر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بأمر الدين وهي قوله تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية الاولى ثم أفرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الخمر والميسر لا جرم أفردهما بالذكر في آخر الآية والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (فهل أنتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه الامر أي انتهوا وهذا من أبلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر وأظهر قبحهما للمخاطب كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم منتهون مع هذه الامور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد أنواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل أنتم

(من عمل الشيطان) لانه يحمل عليه فكأنه عمله والضمير في (فاجتنبوه) يرجع الى الرجس أو الى عمل الشيطان أو الى المذكور أو الى المضاف المحذوف كأنه قيل انما تعاطي الخمر والميسر ولذا قال رجس (لعلكم تفلحون) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتي منه الا الشر البحت وأمر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كأنه قال وعن الصلاة خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام أولا ثم أفردهما آخرا لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر والطهارات ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكأنه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم أفردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون

[illegible] الا [illegible] وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام أخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وأبو داود وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد أهل النار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه أخرجه أبو داود ۞ قوله عز وجل (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه (واحذروا) أي واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فان توليتم) يعني فان أعرضتم عما أمرتكم به ونهاكم عنه (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) وهذا وعيد وتهديد لمن أعرض عن أمر الله ونهيه كأنه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط ۞ قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم أطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا النقاخ الماء والبرد النوم (اذا ما اتقوا) يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم (وآمنوا) يعني بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) أي وازدادوا من عمل الصالحات (ثم اتقوا وآمنوا) يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم أمروا باتقائها والايمان بتحريمها (ثم اتقوا) يعني ما حرم عليهم في المستقبل (وأحسنوا) يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الأول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التأكيد والمبالغة في الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى (والله يحب المحسنين) يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من أشرف الدرجات وأعلاها (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم ومعناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد) نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها وصيدها فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله الآية اللام في ليبلونكم لام القسم أي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون البحر وقيل أراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال وانما قال بشيء من الصيد ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها أقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو [illegible] كما ابتلي أصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم أمة محمد صلى الله

عليه

[illegible] لا تشغلكم الا ثم اذا [illegible] واعظم الحذر الى الله كل سيئة وعمل كل حسنة (فان توليتم) عن ذلك (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أي فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيأ من الخمر والميسر قبل التحريم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) أي شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما (اذا ما اتقوا) الشرك (وآمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) بعد الايمان (ثم اتقوا) الخمر والميسر بعد التحريم (وآمنوا) بتحريمهما (ثم اتقوا) سائر المحرمات أو الاول عن الشرك والثاني عن المحرمات والثالث عن الشبهات (وأحسنوا) الى الناس (والله يحب المحسنين) ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم نزل (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد)

(تناله أيديكم ورماحكم) ... من الله ... ما علم من العبد على ما علم ... أيها المؤمنين (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز الخائف من الله بامتناعه عن الاصطياد ممن لا يخافه ...
... (فمن اعتدى بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب أليم) . (٤٩٣) ... من الصيد ...

عليه وسلم ... اشباع في حالة الابتلاء ... السبت ... وقوله تعالى
(تناله أيديكم) يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد (ورماحكم) يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس في قوله تناله أيديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه (ليعلم الله) أي ليرى الله لأنه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم أولياء الله (من يخافه بالغيب) يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حالة الاحرام شيأ بعد النهي (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني وصاد في حالة الاحرام بعد النهي (فله عذاب أليم) يعني في الدنيا قال ابن عباس هو أن يوجع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين في معنى هذه الآية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴿﴾ وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) جمع حرام أي لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال أحرم اذا عقد الاحرام وأحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الآية في أبي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال أبو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أو لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا أو نمرا أو نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فأجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على أشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب أصحاب الرأي الى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة ﴿﴾ قوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا) قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء أما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه أعظم من أن يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء أما اذا قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمي فأصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني ألحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيأ وهذا قول شاذ لا يؤخذ به (فجزاء مثل ما قتل من النعم) يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة أهي بالخلقة أم بالقيمة والذي عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أن المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال أبو حنيفة المثل

من البيض والفراخ ... صغار الصيد (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) أي المصيد اذ القتل انما يكون فيه (وأنتم حرم) أي محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في تقتلوا (ومن قتله منكم متعمدا) حال من ضمير الفاعل أي ذاكرا لاحرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد في الآية مع أن محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ (فجزاء مثل ما قتل) كوفي أي فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي خير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم فكما مر فجزاء مثل على الاضافة غيرهم وأصله فجزاء مثل ما قتل أي فعليه أن يجزي مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد أم من ضرب زيد (من النعم)

حالمين الخمير فى قتل اذا القتول يكون بين المثل ... (يحكم به ذوا عدل منكم) ... عدلا ... المسلمين ...
ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان الذى الطلق فى الكتاب والسنة والاجماع ... بالصورة
والمعنى أو بالمعنى لا بالصورة أو بالصورة بلا معنى ولان القيمة أريدت فيما لا مثل له صورة ... المراد ... اذا اطلق عموم المشتمل
فان قلت بخرجه من النعم باقى التفسير المثل بالقيمة قلت من أوجب القيمة خير بين أن يشترى بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله

الواجب فى قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة فى هذه الصورة فوجب أن يكون فى سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد وأجيب عنه بان حقيقة المماثلة أمر معلوم فيجب رعايتها بأقصى الامكان وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعى ومن وافقه اعتبار المماثلة بالخلقة أن الصحابة حكموا فى بلدان شتى وأزمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا فى النعامة ببدنة وهى لا تساوى بدنة وحكموا فى حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوى بقرة وكذا فى الضبع بكبش فدل ذلك على أنهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب فى الظبى شاة وفى الارنب عناق وفى الضب سخلة وفى اليربوع جفرة ويجب فى الحمامة وكل ما عب وهدر كالفواخت والقمرى وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة فى المكان الذى أصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس انهما حكما فى حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى فى الضبع بكبش وفى الغزال بعنز وفى الارنب بعناق وفى اليربوع بجفرة ﴿وقوله تعالى﴾ (يحكم به ذوا عدل منكم) يعنى يحكم بالجزاء فى قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من أهل ملتكم ودينكم وينبغى أن يكونا فقيهين فينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابى الى أبى بكر الصديق فقال انى أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر أبى بن كعب فقال الاعرابى انى أتيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبى فاذا اتفقنا على شئ أمرناك به ﴿وقوله تعالى﴾ (هديا بالغ الكعبة) يعنى ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما أريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع فى الكعبة وعندها ملاقيا لها انما يقع فى الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدى بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعى وقال أبو حنيفة له أن يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) ذهب الشافعى ومالك وأبو حنيفة الى ان كلمة أو فى هذه الآية للتخيير وقال أحمد وزفر من أصحاب أبى حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعى اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة أشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال أبو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن أحمد روايتان كالقولين وأصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعى مقدر بالمد وعند أبى حنيفة مقدر بنصف صاع وله أن يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى أن الخيار فى تعيين أحد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذى وجب عليه الكفارة لان الله أوجب عليه أحد هذه الثلاثة على التخيير فوجب أن يكون هو المخير بين أيها شاء وقال محمد بن الحسن من أصحاب أبى حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة أو للترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به أو يصوم وقال أبو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شئ من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوما واختلفوا فى موضع

لمثله فى الآية فكان من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذى فى الآية بين ان يجزى بالهدى أو يكفر بالطعام أو بالصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم أى الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى المثل وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيأ لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام وفيه نبو عما فى الآية ألا ترى الى قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم (هديا) حال من جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة كالاضافة أو بدل من مثل أو حال من الضمير فى به أى يحكم به فى حال الهدى (بالغ الكعبة) صفة لهديا لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعى رحمه الله فى الحرم (أو كفارة) معطوف على جزاء

(طعام) بدل من كفارة أو خبر مبتدأ محذوف أى هى طعام أو كفارة طعام على الاضافة مدنى وشامى وهذه الاضافة لتبيين المضاف كانه قيل أو كفارة من طعام (مساكين) كقولك خاتم فضة أى خاتم من فضة (أو عدل) وقرئ بكسر العين قال الفراء عدل الشئ ما عادله من غير جنسه وعدله ما عادله من جنسه كالمثل يقال عندى غلام عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه ... فاذا كان من غير جنسه فهو عدل غلامك بالفتح (ذلك) اشارة الى الطعام (صياما) تمييز نحو لى مثله رجلا

التحريم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف فيها ﴿ قوله تعالى (ليذوق وبال أمره) يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشيء الثقيل الذي يخاف ضرره ويقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمي الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لما فيه تنقيص المال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم أيضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن (عفا الله عما سلف) يعني قبل التحريم (ومن عاد) يعني الى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روي عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري أنه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم أقتل قبله شيأ حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطائف (والله عزيز ذو انتقام) يعني ممن عصاه واذا أتلف المحرم شيأ من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم أو يصوم عن كل مد يوما ﴿ قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن أبي بكر وعمر وابن عمر وأبي أيوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف أجناسه وأنواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب فيحل أكله وقال أبو حنيفة لا يحل الا أن يموت بسبب وما عدا السمك فقسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكلهما وقال سفيان أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل أكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم أكله في حال الاحرام فان أصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر أيضا وقال أحمد يؤكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن أبي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى ان ما له نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل ما لا يؤكل نظيره في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل أكله ﴿ قوله تعالى (متاعا لكم وللسيارة) يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون ويتزودونه ﴿ وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة أحدها في أول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وأنتم حرم والثاني قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم أن يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل له ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي انه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء أو بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا أنا حرم أخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم أن يأكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا أشار به ولا أعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وأبي هريرة قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وأصحاب الرأي ويدل عليه ما روي عن أبي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من أصحاب النبي

وانما يرفع ذلك الى القاضي وعند محمد رحمه الله الى الحكمين (ليذوق وبال أمره) متعلق بقوله جزاء أي فعليه أن يجازي أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه ومنه قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا أي ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفا الله عما سلف) لكم من الصيد قبل التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك الاحرام (فينتقم الله منه) بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه (والله عزيز) بالزام الاحكام (ذو انتقام) ممن جاوز حدود الاسلام (أحل لكم صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده (متاعا لكم) مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم (وللسيارة) وللمسافرين والمعنى أحل لكم طعامه تمتيعا ٢ لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر (وحرم عليكم صيد البر) ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كالبط لانه بري لانه يتولد في البر والبحر له مرعى كالناس متجر (ما دمتم حرما) محرمين

٢ قوله في الهامش لتنائكم التناء كرمان المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان أقام هكذا يؤخذ من القاموس

[illegible]

... قوله عز وجل (جعل الله الكعبة البيت الحرام) جعل بمعنى صير وسمي [illegible] سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظم حرمته وحرم أن يصاد عنده وأن يختلى خلاه وأن يعضد شجره [illegible] البيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه * وقوله تعالى (قياما للناس) أصله قواما لانه سبب قوام مصالح الناس في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم أما في أمر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك وأما في أمر الدنيا فانه تجبى اليه ثمرات كل شئ ويأمنون فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم لم يهجه وأما في أمر الآخرة فان البيت محل القيام للمناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده أسبابا للعلو في الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس (والشهر الحرام) يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس وأراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الاشهر الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك أن العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم أمسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس (والهدي والقلائد) يعني وكذا جعل الهدي والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك أنهم كانوا يأمنون بسوق الهدي الى البيت الحرام على أنفسهم وكذلك كانوا اذا قلدوا أنفسهم من لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم أحد (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) يعني أنه تعالى علم في الازل مصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد يأمنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وأن الله بكل شئ عليم) يعني أنه تعالى لا يخفى عليه شئ (اعلموا أن الله شديد العقاب) يعني لمن انتهك محارمه أو استحلها (وأن الله غفور رحيم) يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله أنواع رحمته بعباده ذكر بعدها أنه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وأنه غفور رحيم * قوله تعالى (ما على الرسول الا البلاغ) يعني ليس على رسولنا الذي أرسلناه اليكم الا تبليغ ما أرسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففي الآية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما أمر الله وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ

[illegible] (والهدي) [illegible] (والقلائد) [illegible] (ذلك) [illegible] (لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شئ عليم) أي لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما في السموات وما في الارض وكيف لا يعلم وهو بكل شئ عليم (اعلموا أن الله شديد العقاب) لمن استخف بالحرم والاحرام (وأن الله غفور) لما تاب من عظائم الشعائر العظام (رحيم) بالجاني الملتجئ الى البلد الحرام (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد في ايجاب القيام بما أمر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط

[illegible]

(أولي الألباب) يعني يا ذوي العقول السليمة (لعلكم تفلحون) * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا
لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) [illegible] مالك قال
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلوني فبرك عمر على
ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض
هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر قال ابن شهاب فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم
عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط أعق منك أأمنت أن تكون أمك قارفت بعض
ما تقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته
وفي رواية أخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم أخرجاه
في الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول
الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء إن تبد لكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن أبي طالب قال لما
نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله
في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم
تسؤكم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني
ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وإنما أهلك الذين من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على
أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس
لا تسألوا عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألا ترى أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة
ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم
أصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء جمع شيء إن تبد لكم أي تظهر لكم
وتبين لكم تسؤكم يعني إن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه
ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن أن يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير أبيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وإن
تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) معناه إن صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهي أو حكم
وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون إليه ومست حاجتكم إليه فإذا سألتم عنه فحينئذ يبدى لكم ومثال هذا أن

[illegible] عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم أي تغمكم وتشق عليكم وتؤمرون بحملها فتعرضون أنفسكم لغضب

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
سألها (قوم من قبلكم)
من الأولين (ثم أصبحوا بها)
أي بها (كافرين)
كأصحاب في بني اسرائيل
(ما جعل الله من بحيرة ولا
سائبة ولا وصيلة ولا حام)
كان أهل الجاهلية اذا
نتجت الناقة خمسة أبطن
آخرها ذكر بحروا اذنها
أي شقوها وامتنعوا من
ركوبها وذبحها ولا تطرد
عن ماء ولا مرعى واسمها
البحيرة وكان يقول الرجل
اذا قدمت من سفري أو
برئت من مرضي فناقتي
سائبة وجعلها كالبحيرة في
تحريم الانتفاع بها وقيل
كان الرجل اذا أعتق عبدا
قال هو سائبة فلا عقل بينهما
ولا ميراث وكانت الشاة اذا
ولدت سبعة أبطن فان كان
السابع ذكرا أكله الرجال
وان كان أنثى أرسلت في
الغنم وكذا ان كانت ذكرا
وأنثى وقالوا وصلت أخاها
فالوصيلة بمعنى الواصلة واذا
نتجت من صلب الفحل
عشرة أبطن قالوا قد حمى
ظهره فلا يركب ولا يحمل
عليه ولا يمنع من ماء ولا

[illegible]

[illegible] (والله غفور حليم) [illegible]

بعفو بشكم وقال بعضهم يعني لما كانت الجاهلية [illegible]

العلماء الأشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليها أحكام الدين والدنيا مما [illegible]

فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أعظم المسلمين

في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسألته (ق) عن المغيرة بن شعبة أنه كتب

إلى معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية أن

النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات أخرجه أبو داود الأغلوطات صعاب المسائل التي تزل فيها أقدام

العلماء ويؤيده قول أبي هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كي يغلطوا بها العلماء

وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام

ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تتكلفوا وعن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها

وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان أخرجهما في جامع الأصول ولم يعزهما إلى

الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعني قوم صالح

سألوا الناقة ثم عقروها فأصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم

وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول إن أولئك سألوا فلما أعطوا سؤلهم

كفروا به فلا تسألوا أنتم شيئا فلعلكم إن أعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك ﴿ قوله تعالى (ما جعل الله) أي

ما أنزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به (من بحيرة) البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته إذا شق أذنها

فهي فعيلة بمعنى مفعولة (ولا سائبة) يعني المسيبة المخلاة (ولا وصيلة) الوصيلة الشاة وكانت العرب في

الجاهلية إذا ولدت لهم ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها (ولا حام) الحام هو الفحل من الإبل يحمي ظهره فلا

يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الأوصاف البحيرة هي الناقة إذا ولدت خمسة أبطن لم يركبوها

ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكرا نحروه وأكله الرجال

والنساء وإن كانت أنثى شقوا أذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فإذا

ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة إذا تابعت ثنتي عشرة سنة إناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز

وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم سيبت مع أمها ويفعل بها كما يفعل

بأمها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب

له قريب نذر فقال إن شفاني الله أو شفى الله مريضي أو قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء

ولا مرعى ولا يركبها أحد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن

كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وإن كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كانت ولدت ذكرا

وأنثى قالوا وصلت أخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل الأنثى والحامي هو الفحل إذا ركب ولد ولده وقيل

هو الفحل إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فإذا

مات أكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من

الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت

عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله

[illegible]

(قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) [illegible]

(أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) [illegible] (يا أيها الذين

آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال بعض العلماء [illegible]

[illegible] الذنوب والإصرار على المعاصي [illegible]

[illegible]

لا يضركم من ضل إذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر إذا كنتم مهتدين [illegible]

[illegible] قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الآية في أهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم

أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب [illegible] وقيل [illegible]

الكتاب [illegible] الكفار [illegible] نزلت هذه الآية وقيل إن المؤمنين

كان يشتد عليهم بقاء الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم أنفسكم [illegible] لا يضركم ضلال

الضالين ولا جهل الجاهلين إذا كنتم أنتم مهتدين فإن قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه أكثر الناس أن المطيع لربه عز وجل

لا يكون مؤاخذا بذنوب أصحاب المعاصي فأما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بدليل

الكتاب والسنة عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس إنكم

تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ولا تضعونها موضعها ولا

تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه

أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود وزاد فيه ما من

قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال قوم في

معنى الآية عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا

بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال إن القرآن نزل منه آي قد مضى

تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آي وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع تأويلهن

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع تأويلهن يوم

القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق

بعضكم بأس بعض فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم وألبستم شيعا وأذيق

بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر

ولم تنه فإن الله يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال ابن عمر إنها ليست لي ولا لأصحابي

[illegible] (قالوا حسبنا) [illegible] (ما وجدنا عليه آباءنا) [illegible] (أولو كان آباؤهم) [illegible]

الإنكار [illegible] ذلك [illegible] (لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) إلى الحق [illegible] (يا أيها

الذين آمنوا عليكم أنفسكم) [illegible] أي احفظوها [illegible] والكافر [illegible]

هو الكافر [illegible] (لا يضركم) [illegible] على الاستئناف [illegible] على جواب الأمر [illegible]

(من ضل إذا اهتديتم) [illegible] كان المؤمنون [illegible] أنفسهم حسرة على أهل

العناد من الكفرة [illegible] دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم

من إصلاحها لا يضركم الضلال من دينكم إذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز

[illegible]

الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم [illegible]

عند هذه الآية [illegible] أبو بكر الصديق [illegible] الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر [illegible] لأن الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى [illegible]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه

الآية آكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعني أهل دينكم

بأن يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والدليل على ذلك أن معنى قوله

عليكم أنفسكم أي احفظوا أنفسكم وهذا إنما يحصل بأن يحفظ أنفسنا ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر والله أعلم ۞ وقوله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعا) يعني في الآخرة الطائع والعاصي والضال والمهتدي

(فينبئكم بما كنتم تعملون) يعني فيجزيكم بأعمالكم ويحكم عليها ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة

بينكم) سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن بداء خرجا من المدينة للتجارة إلى

الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل

فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع وألقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم

وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله إذا رجعا إلى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه إناء من

فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة فغيباه ثم قضيا حاجتهما وانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى

أهل البيت ففتشوه فأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاء أهل البيت إلى تميم وعدي فقالوا هل باع

صاحبنا شيئا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فأنفق شيئا على نفسه قالا لا قالوا إنا

وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وإنا فقدنا منها إناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة

قالا لا ندري إنما أوصى إلينا وأمرنا أن ندفع متاعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء فاختصموا إلى النبي صلى

الله عليه وسلم فأصرا على الإنكار وحلفا فأنزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذي عن ابن

عباس عن تميم الداري في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت قال برئ

الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام بتجارتهما قبل الإسلام فأتيا إلى الشام

لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو

أعظم

[illegible]

إذا حضر أحدكم الموت [illegible] أخرجه الترمذي وقال حديث [illegible] غريب [illegible]

البخاري [illegible] قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يعني ليشهد بينكم [illegible] (إذا حضر أحدكم الموت) يعني إذا قارب وحضرت

مقدمات الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الأمر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت

وأراد [illegible] (ذوا عدل منكم) يعني من أهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين

الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما

ولأنه تعالى قال فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة

بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان يعني حضرت (أو آخران من غيركم) يعني من غير أهل دينكم

وملتكم وهذا قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن

سيرين وشريح وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء

في حكم هذه الآية فقال إبراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة أهل الذمة جائزة في الابتداء ثم

نسخت بقوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم لأن إجماع الأمة على أن شهادة الفاسق لا تجوز وشهادة

الكفار وأهل الذمة لا تجوز بطريق الأولى وذهب قوم إلى أن الآية محكمة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وأبي موسى

الأشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا إذا لم يجد مسلمين يشهدان

على وصيته وهو في أرض غربة فليشهد كافرين أو ذميين أو من أي دين كانا لأن هذا موضع ضرورة قال شريح

من كان بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهد على وصيته فليشهد كافرين على أي دين كانا من أهل الكتاب أو من عبدة

الأوثان فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر لا يحضره

مسلم عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ولم يجد أحدا من المسلمين حتى يشهده

على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته

فقال أبو موسى هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله

ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وإنها لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما أخرجه أبو داود

وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم أو آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم

وأن الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من

الأحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير أن أبا حنيفة أجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم بعضهم

[illegible]

على نجس واحتج من قال بهذا الآية محكمة بانه سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من أجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في أول الآية يا أيها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين وأجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في أرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه دين أو عنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضر من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي أبيح له أكل الميتة في حالة الاضطرار والضرورات قد تبيح شيأ من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة في حال من الأحوال وقوله تعالى (ان أنتم ضربتم في الارض) يعني ان أنتم سافرتم في الارض (فأصابتكم مصيبة الموت) يعني نزل بكم أسباب الموت فأوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما (تحبسونهما) يعني ان اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن توقفوهما (من بعد الصلاة) يعني من بعد صلاة العصر لان جميع أهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة أهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يعظمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان في بيت المقدس فعند الصخرة وفي سائر البلاد في أشرف المساجد وأعظمها بها (ان ارتبتم) يعني ان شككتم أيها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين أما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع (لا نشتري به ثمنا) يعني لا نبيع عهد الله بشيء من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه أو حق نجحده (ولو كان ذا قربى) يعني ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم أكثر من غيرهم (ولا نكتم شهادة الله) انما أضاف الشهادة اليه لانه أمر باقامتها ونهى عن كتمانها (انا اذا لمن الآثمين) يعني ان كتمنا الشهادة أو خناهما ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيأ مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما ألم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيأ من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى النبي صلى الله عليه وسلم (فان عثر) يعني فان اطلع وظهر والعثور والهجوم على أمر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على أمر كان قد خفي عليه قيل له قد عثر عليه (على انهما استحقا اثما) يعني الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وأيمانهما الكاذبة (فآخران) يعني من أولياء الميت وأقربائه (يقومان مقامهما) يعني مقام الوصيين في اليمين (من الذين استحق عليهم) يعني من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين

...الموصوف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله بعد العصر أو الظهر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي الحديث دليل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي (فيقسمان بالله) فيحلفان (ان ارتبتم) شككتم في أمانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لا نشتري) وجواب الشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم في شأنهما فحلفوهما (به) بالله أو بالقسم (ثمنا) عوضا من الدنيا (ولو كان) أي المقسم له (ذا قربى) أي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا (ولا نكتم شهادة الله) أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها (انا اذا) ان كتمنا (لمن الآثمين) قيل ان أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان أريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) ... وبان ... ووجب ... استوجبا أن يقال انهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) ... من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما أحق من شهادتهما

فيان ابتغي حلفوا أنا نراهما من الذين حق عليهم وهم أهل الميت وعشيرته (الأوليان) يعني بالميت وهم أهل عشيرته (فيقسمان بالله) يعني فيحلفان بالله (لشهادتنا أحق من شهادتهما) يعني أيماننا أحق وأصدق من أيمانهما (وما اعتدينا) يعني في أيماننا وقولنا ان شهادتنا أحق من شهادتهما (انا اذا لمن الظالمين) ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان وهما من أهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما والى أولياء الميت لأن الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء فأنكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا أخذ شيأ من مال الميت وقال انه أوصى له به وأنكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما أسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله أنا أخذت الاناء فانا أتوب الى الله وأستغفره ﴿ وقوله تعالى (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على أولياء الميت بعد أيمانهم أدنى أي أجدر وأحرى أن يأتوا بالشهادة على وجهها يعني أن يأتي الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أي وأقرب أن يخاف الوصيان ان ترد الايمان على أولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) يعني وخافوا الله أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا أمانة (واسمعوا) يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يرشد من كان على معصيته وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى أو خان أمانته أو حلف أيمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من أصعب ما في القرآن من الآيات نظما واعرابا وحكما والله أعلم بأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل أي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره واذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا أجبتم) يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا أجابكم أممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ أمم الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعني الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما أضمروا وما أظهروا ونحن لا نعلم الا ما أظهروا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا وأبلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن أنفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية أخرى معناه لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن أمر أنت أعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة أمرهم لانا كنا نعلم ما كان من أفعالهم وأقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما أحدثوا من بعدنا ومنه ما أخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي فيقال لي انك لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدي أخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة أهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم

(الأوليان) الا[illegible] ... أو ورثتهما و[illegible] على هما الاوليان كانه قيل ومن [illegible] ... [illegible] (١٠٧) [illegible] على [illegible] و[illegible] أولى [illegible] الاثم [illegible] الذكر [illegible] بينكم (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين (وما اعتدينا) وما تجاوزنا الحق في يميننا (انا اذا لمن الظالمين) أي ان حلفنا كاذبين (ذلك) الذي مر ذكره من بيان الحكم (أدنى) أقرب (أن يأتوا) أي الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها) كما حملوها بلا خيانة فيها (أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم) أي تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم (واتقوا الله) في الخيانة واليمين الكاذبة (واسمعوا) سمع قبول واجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة فان قلت ما معنى أو هنا قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدوا الشهادة بالحق والصدق اما لله أو لخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعي والجواب ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهما الشراء (يوم) منصوب باذكروا أو احذروا (يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) ما الذي أجابتكم أممكم حين دعوتموهم الى الايمان وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم وماذا منصوب بأجبتم نصب المصدر على معنى أي اجابة أجبتم (قالوا لا علم لنا) باخلاص قومنا دليله

[illegible]

[illegible] ذكر نعمته على عيسى عليه السلام فقال تعالى (اذ أيدتك بروح القدس) يعني جبريل عليه السلام لأن القدس هو الله تعالى وأضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم [illegible] وقيل أراد روح القدس الروح الطاهرة لأن الارواح تختلف باختلاف الناس [illegible] روح طاهر مقدس [illegible] [illegible] الطاهرة [illegible] (تكلم الناس في المهد) يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر (وكهلا) يعني وفي حالة الكهولة من غير أن يتفاوت كلامه [illegible] قال ابن عباس أرسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه (واذ علمتك الكتاب والحكمة) يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على أسرار العلوم (والتوراة والانجيل) أي وعلمتك التوراة التي أنزلتها على موسى والانجيل الذي أنزلته عليك (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) يعني واذ تصور وتقدر من الطين كصورة الطير باذني (فتنفخ فيها) ذكر هاهنا فيها وفي سورة آل عمران فيه [illegible] يعود الى الهيئة [illegible] وذلك لأن النفخ لا يكون في الهيئة [illegible] قال الله تعالى [illegible] الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير (فتكون طيرا باذني) وانما كرر قوله باذني تأكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لأن المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى (وتبرئ الأكمه والأبرص باذني) يعني وتشفي الأكمه وهو الأعمى المطموس

البصر والابرص معروف لا مطهر (وإذ تخرج الموتى) يعني من قبورهم أحياء (بإذني) تفعل ذلك كله بما التي الفاعل لهذه الاشياء كلها في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت بإذن الله تعالى وقدرته وقوله تعالى (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) يعني واذكر نعمتي عليك إذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين أرادوا قتلك (إذ جئتهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الآية وذلك ان عيسى عليه السلام لما أتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء (فقال الذين كفروا منهم) يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات (إن هذا الا سحر مبين) يعني ما جاءهم به عيسى عليه السلام من المعجزات ۞ قوله عز وجل (وإذ أوحيت الى الحواريين) يعني ألهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي الهام كما أوحى الى أم موسى والى النحل والحواريون هم أصحاب عيسى وخواصه (أن آمنوا بي وبرسولي) يعني عيسى عليه السلام (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) لما وفقهم الله للايمان قالوا آمنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من أعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم ۞ قوله تعالى (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لاحد أن يتوهم على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معي فكذلك معنى الآية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك ان مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله ان تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الاول أصح وقيل في معنى الآية هل يقبل ربك دعاءك ويعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد ورد في الآثار من أطاع الله أطاعه كل شيء (أن ينزل علينا مائدة من السماء) المائدة الخوان الذي عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان أو طبق وأصلها من ماد يميد اذا تحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام (قال) يعني عيسى مجيبا للحواريين (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعني اتقوا الله في هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم يسأله أحد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآية بعد الايمان (قالوا نريد أن نأكل منها) يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لان نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل معناه نريد أن نأكل منها التبرك بها لا أكل حاجة (وتطمئن قلوبنا) يعني وتسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لانا وان علمنا قدرته بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة (ونعلم ان قد صدقتنا) يعني ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول الله (ونكون عليها من الشاهدين) يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك عليها من الشاهدين عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك أمرهم عيسى أن يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وأفطرتم فلا تسألون الله شيئا الا أعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك (قال عيسى ابن مريم اللهم) قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم دعا فقال اللهم

(وإذ تخرج الموتى) من القبور أحياء (بإذني) قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) أي اليهود حين هموا بقتلك (إذ جئتهم) ظرف لكففت (بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) ساحر حمزة وعلي (وإذ أوحيت) ألهمت (الى الحواريين) الخواص أو الاصفياء (أن آمنوا) أي آمنوا (بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) أي اشهد باننا مخلصون من أسلم وجهه (إذ قال الحواريون) أي اذكروا اذ (يا عيسى ابن مريم) عيسى نصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو (هل يستطيع ربك) هل يفعل أو هل يطيعك ربك ان سألته فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب هل تستطيع ربك علي أي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (أن ينزل علينا) ينزل مكي وبصري (مائدة من السماء) هي الخوان اذا كان عليه الطعام من ماده اذا أعطاه كأنها تميد من تقدم اليها (قال اتقوا الله) في اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ان كنتم مؤمنين) اذ الايمان يوجب التقوى (قالوا نريد أن نأكل منها) تبركا (وتطمئن قلوبنا) ونزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي (ونعلم أن قد صدقتنا) أي نعلم صدقك [illegible] (ونكون عليها من الشاهدين) [illegible] (قال عيسى ابن مريم اللهم)

(ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) يعني نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا والعيد يوم السرور وأصله من عاد يعود والياء فيه بدل من الواو والمعنى لنتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجيء من بعدنا فنزلت في يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها أول الناس كما يأكل آخرهم (وآية منك) أي وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك (وارزقنا) أي ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وأنت خير الرازقين) يعني وأنت خير من تفضل ورزق (قال الله) عز وجل مجيبا لعيسى (إني منزلها عليكم) يعني المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعني بعد نزول المائدة (فإني أعذبه عذابا) يعني جنسا من العذاب (لا أعذبه أحدا من العالمين) يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز أن يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز أن يكون مؤخرا إلى الآخرة قال عبد الله بن عمر إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لأن الله لما أوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى إني منزلها عليكم إن سألتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين أنها نزلت لأن الله تعالى قال إني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بإنزالها ولا خلف في خبره ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير أخرجه الترمذي وقال الترمذي وروي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو أصح وقال ابن عباس إن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا لو عملنا عملا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقال سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوي إليهم منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فليكشف عنها وبسم الله فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع وإذا السمكة بحالها حين نزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون إليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها ومكثت أربعين صباحا تنزل ضحى فإذا نزلت اجتمع إليها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولا يزالون منها يأكلون ولا تزال منصوبة

... (لأولنا وآخرنا) ... اليوم الذي نزلت فيه المائدة هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور والعائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا (لأولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمتقدمين منا والأتباع (وآية منك) على صحة نبوتي ثم أكد ذلك بقوله (وارزقنا وأنت خير الرازقين) وأعطنا ما سألناك وأنت خير المعطين (قال الله إني منزلها عليكم) بالتشديد مدني وشامي وعاصم وعد الإنزال وشرط عليهم شرطا بقوله (فمن يكفر بعد منكم) بعد إنزالها منكم (فإني أعذبه عذابا) أي تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير في (لا أعذبه) للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء (أحدا من العالمين) عن الحسن أن المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام ...

[illegible]

[illegible] والسلوى لبني إسرائيل وقال الكلبي ومقاتل أنزل الله سمكا وخبزا أرغفة

فأكلوا ما شاء الله والناس ألف وخمس مائة [illegible]

[illegible]

[illegible] ولكن الله [illegible]

قوله عز وجل (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) الآية
اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل
أن حرف إذ يكون للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع
الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة وأجيب عن حرف
إذ بأنه قد يجيء بمعنى إذا كقوله ولو ترى إذ فزعوا يعني إذا فزعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عني إذ جزى * جنات عدن في السموات العلى

ولفظ الآية على قوله أأنت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى
عليه السلام من النصارى لأن عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فإن قلت إذا كان عيسى عليه السلام
لم يقلها فما وجه هذا السؤال مع علم الله بأنه لم يقلها قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه وإكذاب
لهم في ادعائهم ذلك عليه وأنه أمرهم به فهو كما يقول القائل لآخر أفعلت كذا وهو يعلم أنه لم يفعله وانما أراد
تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم
فاعترف بالعبودية وأنه ليس بإله كما زعمت وادعت فيه النصارى فإن قلت ان النصارى لم يقولوا بإلهية مريم
فكيف قال اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله وأن أمه مريم
ولدته لزمهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام (قال سبحانك)
يعني تنزيها لك من النقائص وبراءة لك من العيوب قال أبو روق إذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب
وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل
شعرة من جسده عين من دم وقال عيسى لله تعالى سبحانك (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي كيف
أقول هذا الكلام ولست بأهل ولست أستحق العبادة حتى أدعو الناس اليها ولما بين انه ليس له أن يقول
هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه أم لا
فقال (ان كنت قلته فقد علمته) أسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الأدب واظهار المسكنة لعظمة الله
تعالى وتفويض الأمر الى علمه ثم قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) يعني تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم

[illegible] (قال سبحانك) من أن يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول ما ليس لي بحق) أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله (إن كنت قلته فقد علمته) إن صح أني قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى أني لا أحتاج الى الاعتذار لأنك تعلم أني لم أقله ولو قلته علمته لأنك (تعلم ما في نفسي) ذاتي (ولا أعلم ما في نفسك) ذاتك ونفس الشيء ذاته وحقيقته والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك

[illegible]

[illegible] العز [illegible] الامر [illegible]

[illegible]

[illegible] لا أعلم [illegible]

[illegible] الكلام قال (انك أنت علام

الغيوب) يعني انك أنت تعلم ما كان وما يكون [illegible]

نفسك ﴿ وقوله تعالى اخبارا عن عيسى (ما قلت لهم الا ما أمرتني به) يعني ما قلت لهم الا الذي أمرتني به (أن

اعبدوا الله) أي قلت لهم اعبدوا الله (ربي وربكم) يعني وحدوه ولا تشركوا به شيئا (وكنت عليهم شهيدا

ما دمت فيهم) يعني وكنت أشهد على ما يفعلون ما دمت مقيما فيهم (فلما توفيتني) يعني فلما رفعتني الى

السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت (كنت أنت الرقيب عليهم) يعني الحفيظ عليهم [illegible] أعمالهم

[illegible] والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء (وأنت على كل شيء شهيد) يعني أنت شهدت مقالتي التي

قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني اليك لا تخفى عليك خافية [illegible] هذا التشهد معنى الشاهد لمنا

كان [illegible] يجوز أن يكون الشهيد بمعنى العليم يعني أنت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمك شيء ﴿ وقوله

عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بأن تميتهم

على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدرون على دفع شيء عن أنفسهم ولا يمتنعون منك وأنت العادل فيهم لأنك

أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفر لهم) يعني لمن أقلع منهم عن كفره [illegible] الى

الايمان فان ذلك منك تفضل ورحمة (فانك أنت العزيز) يعني في الانتقام ممن يريد الانتقام منه لا يمتنع عليك

ما تريده (الحكيم) في أفعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل

لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة أما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال

انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه

السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن مات على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من

وجوه أحدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك أنت الغفور الرحيم

ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله وبعزته

وحكمته وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر أن

يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن

آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس

اتخذوني وأمي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا أن النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول

الكذب ذنب فجوز أن يسأله المغفرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص

ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه

مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال

اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل

عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد

فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية

والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائي ﴿ قوله عز وجل

(قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى

ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم

القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان

[illegible] (ان أنت علام الغيوب) [illegible] (ما قلت لهم الا ما أمرتني به) [illegible] (ان اعبدوا الله ربي وربكم) [illegible] (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا (ما دمت فيهم) مدة كوني فيهم (فلما توفيتني) [illegible] (كنت أنت الرقيب عليهم) الحفيظ (وأنت على كل شيء شهيد) من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) قال الزجاج علم عيسى عليه السلام ان منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال في جملتهم ان تعذبهم أي ان تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وأنت العادل في ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر لهم أي لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك أو عزيز قوي قادر على الثواب حكيم لا يعاقب الا عن حكمة وصواب (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) برفع اليوم والاضافة على

[illegible]

[illegible] (رضي الله عنهم) يعني بطاعتهم (ورضوا عنه) يعني بما أعطاهم من ثوابه

وجزيل كرامته (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ثوابهم (الفوز العظيم) يعني أنهم فازوا

بالجنة ونجوا بفضله ورحمته من النار (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) عظم الله

عز وجل نفسه عما قالت النصارى يعني أن الذي له ملك السموات والأرض

هو الذي يستحق الإلهية لا ما قالت النصارى من إلهية المسيح وأمه

لأنهما من جملة من في السموات والأرض فهما عبدان من ملكه

وقيل هو جواب لسؤال مضمر في الكلام كأنه قيل من يعطي

الصادقين الثواب العظيم فقيل من يعطيهم ذلك

قال الذي له ملك السموات والأرض

وما فيهن (وهو على كل شيء

قدير) والله سبحانه

وتعالى أعلم بمراده

وأسرار كتابه

(تم الجزء الأول من تفسير الخازن ويليه الجزء الثاني أوله تفسير سورة الأنعام)

[illegible]

(رضي الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بجزائه (ذلك الفوز العظيم) لأنه باق بخلاف الفوز في الدنيا فإنه فان (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) عظم نفسه عما قالت النصارى إن معه إلها آخر (وهو على كل شيء قدير) من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء اللهم وفقنا لمرضاته ويصفح عنا القادر بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(تم الجزء الأول من تفسير الإمام النسفي ويليه الجزء الثاني وأوله تفسير سورة الأنعام)

4267?